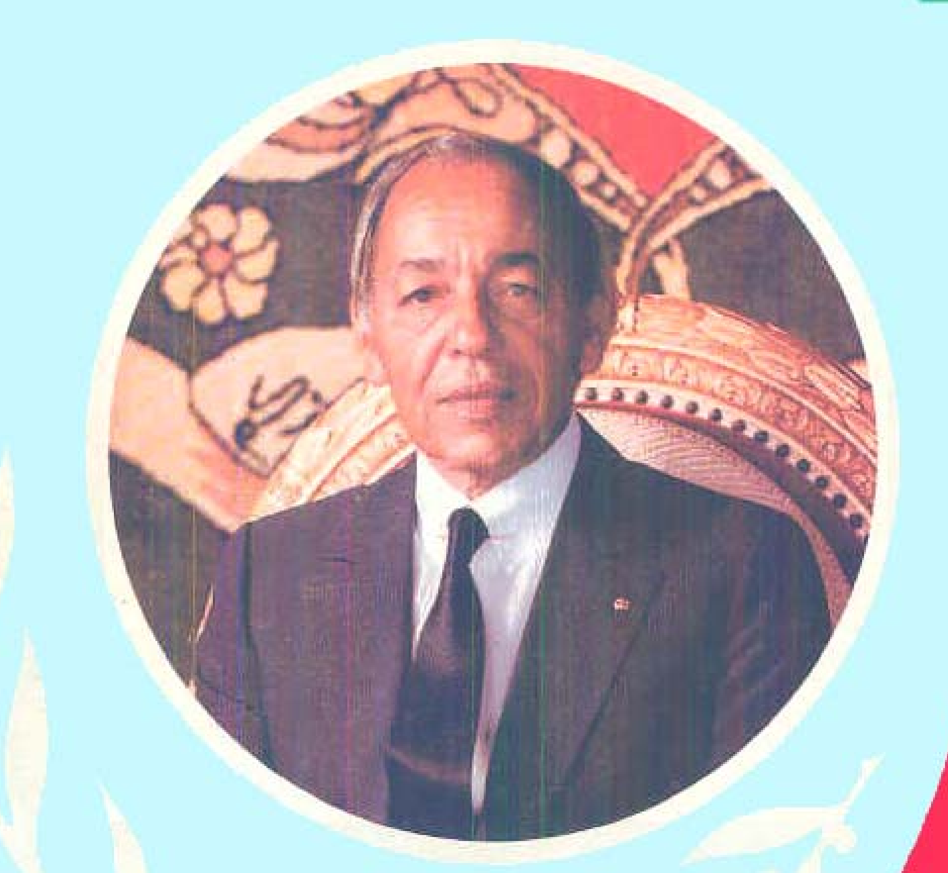
دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية

عيد الشباب المجيد

60



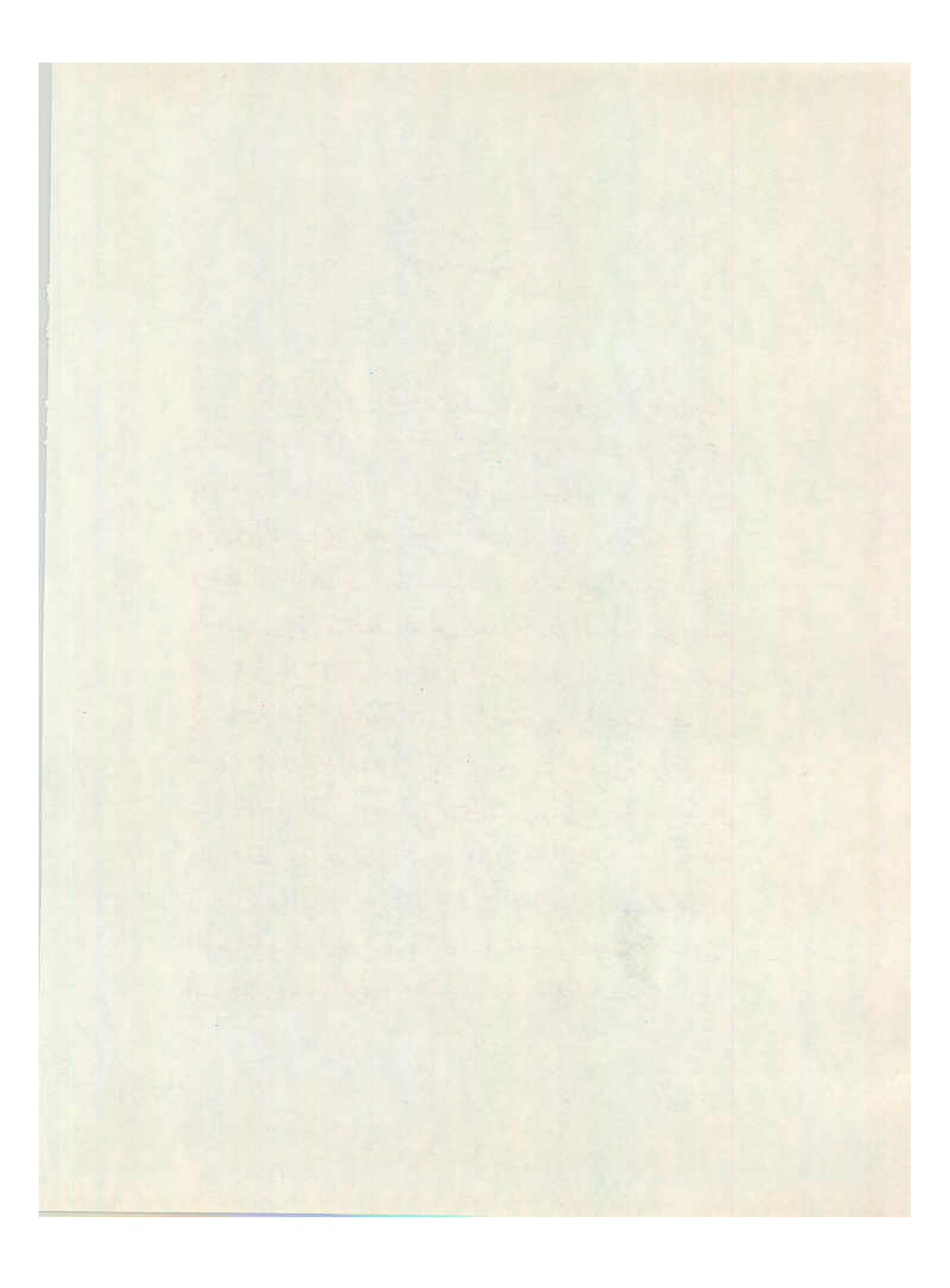
ستون عاما
من عمر مديد
ق وبعث رشيد
للمغرب الحديث
في ظل
ة الملك الحسن الثاني

فهنيئا لك يا شعب بلادي بالحسن
وابتهل لله أن يحفظه طول الزمن

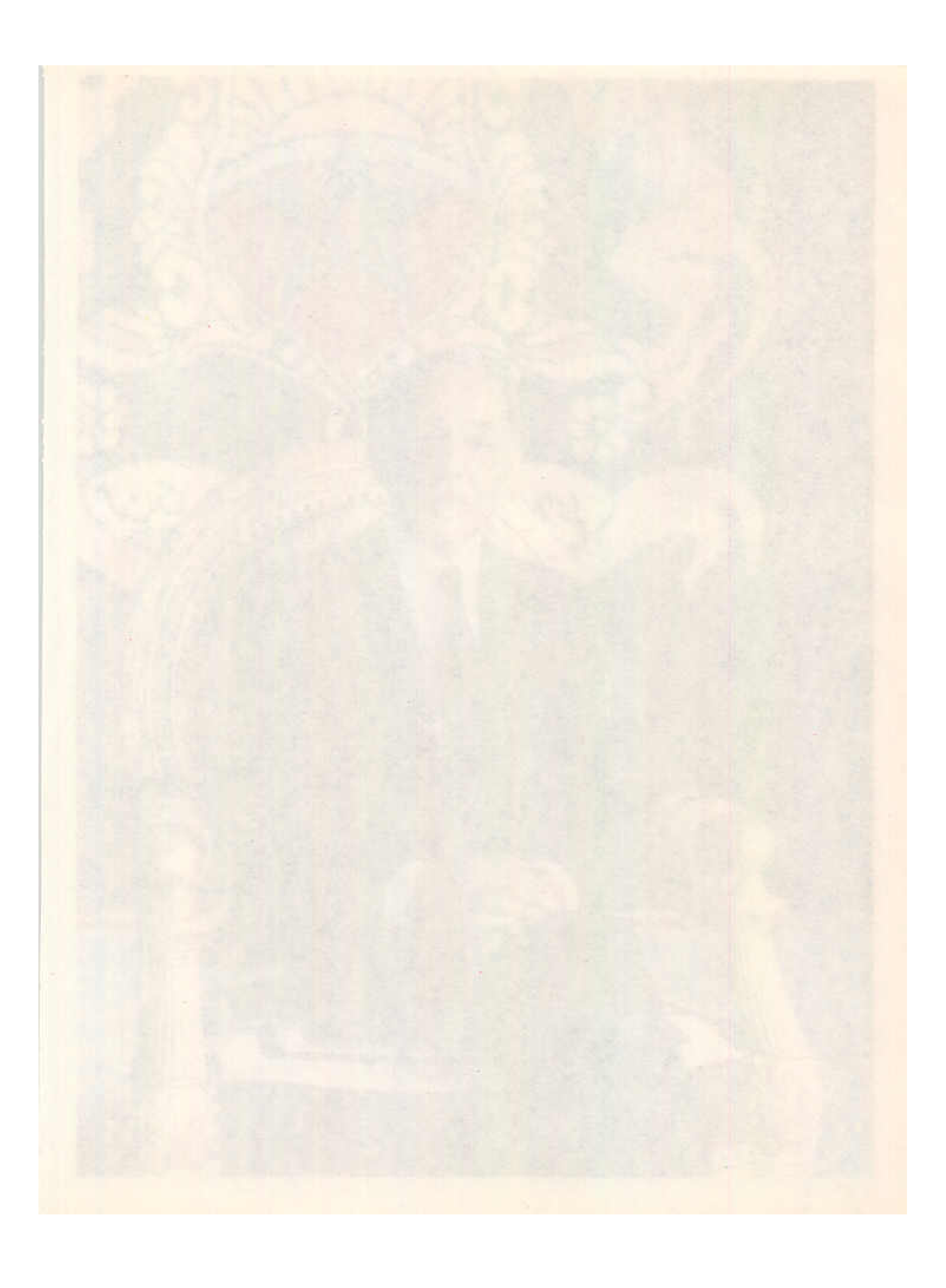


تهنئة

تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
وأسرة "دعوة الحق" بكل خضوع وإجلال وتعظيم وتكريم
إلى السدة العالية بالله حضرة صاحب الجلالة أمير المومنين
حامي حمى الوطن والدين مولانا الحسن الثاني سدد الله خطاه
وحفظ زمانا أطلعه، بمناسبة الذكرى الستين لعيد ميلاده
السعيد، راجية منه حفظه الله أن يتقبل هذه الباقة الفواحة
التي تعبق بأريج الحب وتتضوع بعبير الوفاء والإخلاص تقدمها
في بساطكم الكريم صفوة مختارة من المثقفين والعلماء تعبيرا
منهم واعترافا بما يقدمه سيدنا المنصور بالله لخير الوطن المحبوب
سائلة العلي القدير أن يطيل عمر جلالته ويبارك في جهاده المتواصل
وأن يحفظه في ولي عهده المحبوب قلادة جيد الدهر وزين الشباب
صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه السعيد صاحب السمو
الملكي الأمير المولى الرشيد وباقي أفراد الأسرة الملكية العلوية
الشريفة وشعبه الوفي العظيم، إنه سميع مجيب.

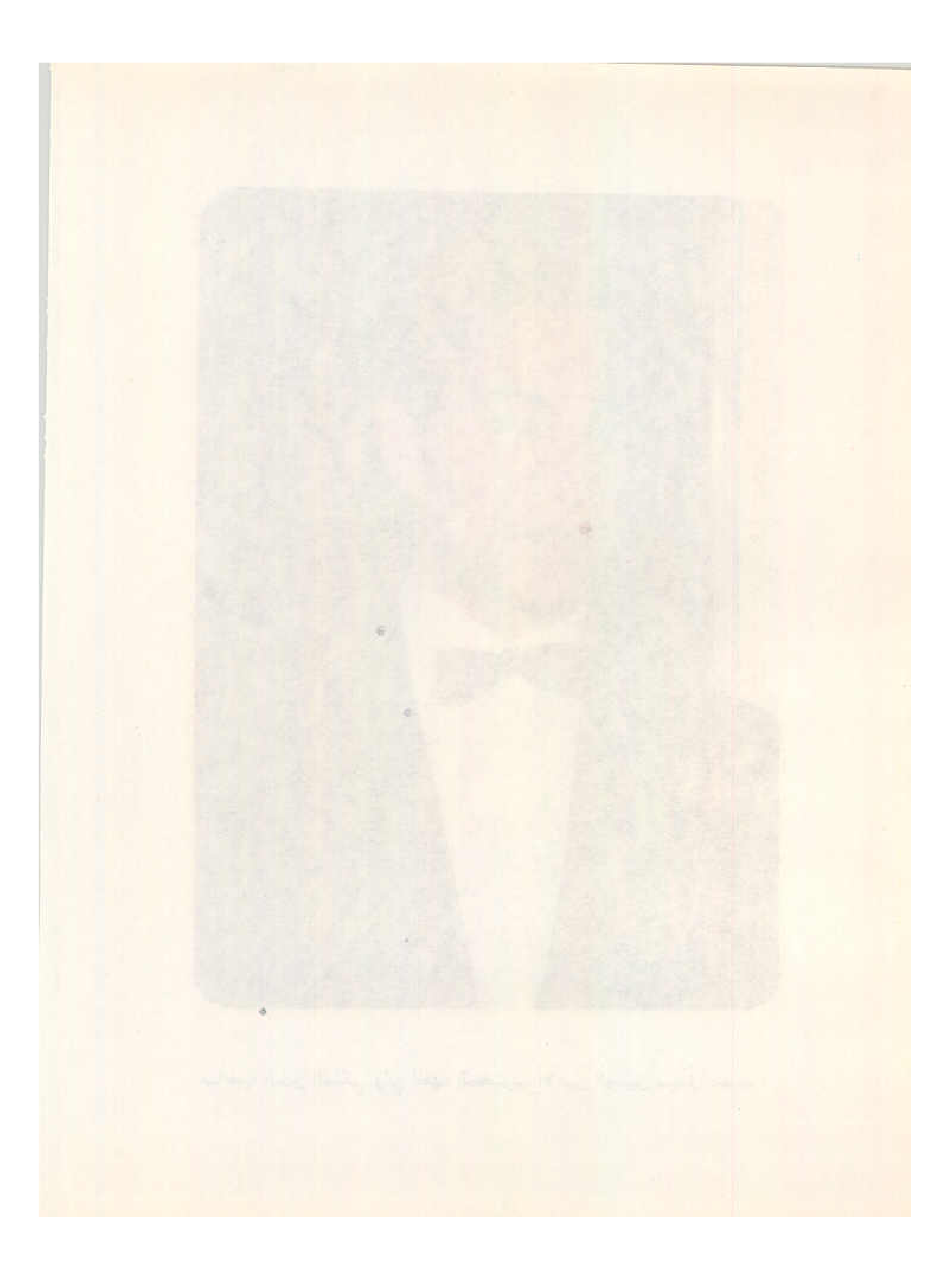


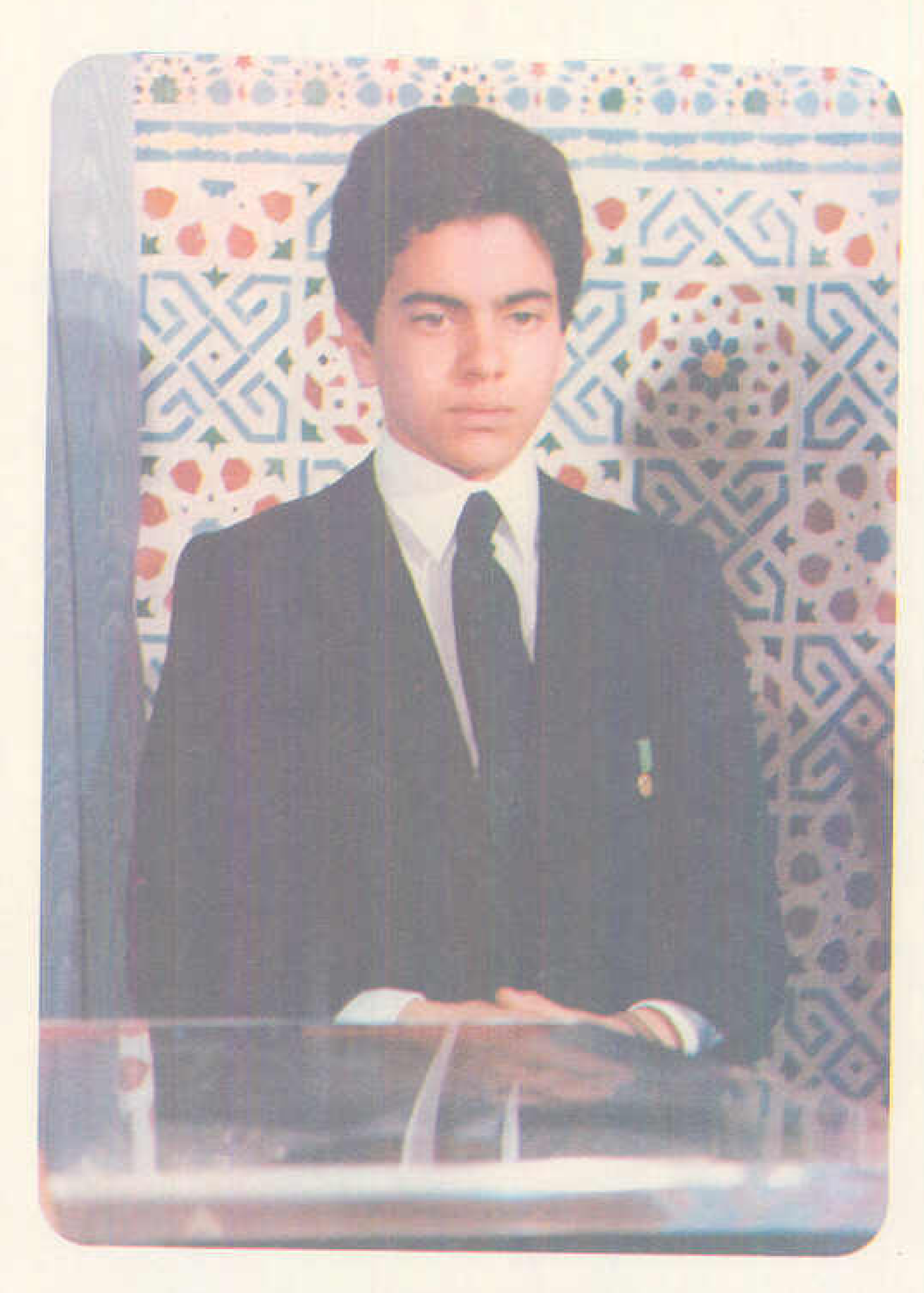




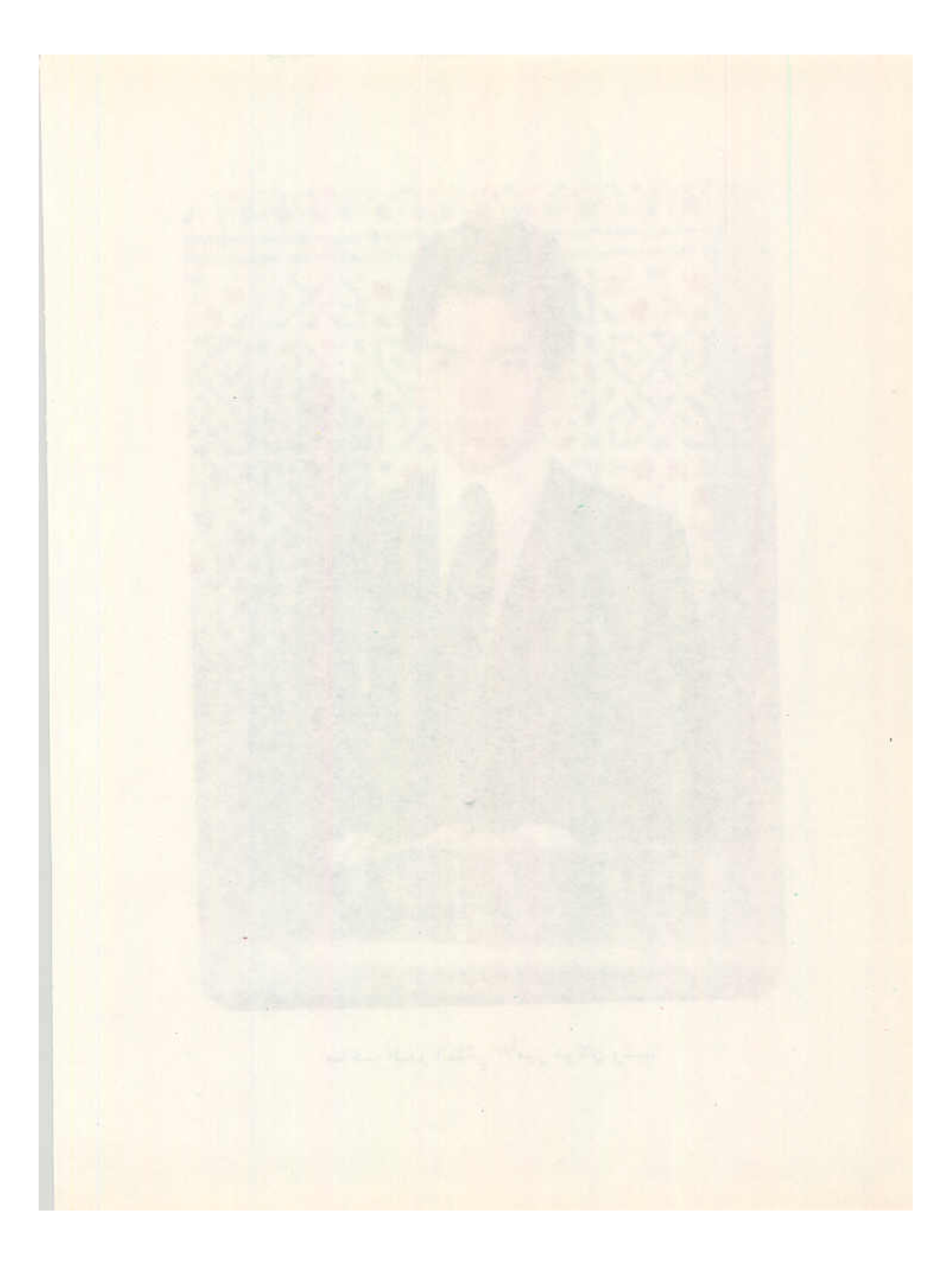


صاحب السمو الملكي ولي العهد المحبوب الأمير الجليل سيدي محمد





صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد



بسم الله الرحمن الرحيم

تلك عاجل بشرى المومن...

روى الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، أنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: «أرأيت الرّجل يعمل من الخير، ويحمده الناس عليه... قال: «تلك عاجل بشرى المومن».

وممن يعمل العُرف الكثير، ويُلقي في بساط الخير الدُّرّ النثير، ويحمده النّاس عليه، جلالة الملك المعظّم مولانا الحسن الثاني الذي حباه الله من التّوفيق والرّشد والسّداد، فأجرى على يده الخير، وأنفق من فيض عافيته، وذوبِ روحه وقلبه لفائدة شعبه الكريم، كلَّ رخيص وغال حتى شاهد بنفسه غِلال ما درسه، ونتائج ما غرسه...

أليست هذه الباقة الفوّاحة الفكرية والعلمية التي يضمّها هذا العدد الخاص، والتي تعبق بأريج الحب، وتتضوع بعبير الوفاء، جمعها الأُدباء والشّعراء والباحثون، وقدموها إلى السّدة العالية بالله بمناسبة الذكرى الغالية، إلا تجديداً للولاء، وتأكيدا للعهد، وتقوية للود، وتمتيناً للرّابطة الواشجة التي تجمع قائد الفكر، ورائد النّهضة بالصّفوة المختارة من أبنائه المخلصين، ورعاياه الأوفياء...

أوليست هذه الأهازيج والأغاريد، والأناشيد والتحايا التي تقام بمناسبة أعياد الشباب وفي مختلف المناسبات إلا تعبيراً وثناء وحمدا لمن أسدى العرف، وأفاض النعيم، والخير العميم، على شعبه العظيم، فأصبح محمدةً في الأفواه، تلهج به الألسنة بالشكر والثناء على ما قدّم لأمّته وبلاده من المبرات الحِسان، والأعمال الغِزار، التي تكتب لـه في سجلّ الحمد والثناء، وتسطر في صفحات الفخر والخلود...

أوليس هذا الشّعب المغربي الذي بَكّرَ، يُفصح عن وجدانه، فخرج عن طوره، وهو يعبر عن ثنائه وشكره لجلالة الملك في ذكرى بلوغه السّتين من عمره المديد، بحماس متّقد، وسرور دافق، وصور من الأبّهة والزّينة، والبهجة والشكر والرّضى، لمما يدل على ما أسداه سيد البلاد لهذه الأمّة من العُرف والخير، لذلك استوجب الثناء من شعب شكور واع، ينشد الحياة الكريمة، ويسعى لتحقيق الغاية الأمينة، في وطن حر يفيض بالحمد والنّبل، ويزهو بالفضيلة والشكر، ويموج في أطياف الحب، ويهزج في أيام أفراحه وشبابه بأناشيد المواسم والأعياد والأعراس...

☆☆☆

إنّها ذكرى عزيزة غالية، ذكرى ميلاد صاحب الجلالة، نعدّها، وفي كل المناسبات، من أبرز الذكريات والأعياد القومية، يقترن بها كل معاني الخير والجمال، والبر والإحسان، حيث تتسارع إلى الأذهان إنجازات كبرى، تتجلّى في تشييد المساجد والمعاهد العلمية، والمراكز التقنية، وتخطيطات التّنمية الاقتصادية والاجتماعية التي نَهَضَ بعبئها جلالة الملك الحسن الثاني الذي صالح بين حفاظ التقاليد، والتّطور والانفتاح، وواءم بين سياسة الدولة، ورغبة الأمّة، فأشرقت في نفسه، منذ صباه، روح التّجديد والإصلاح، وانتشر في جوانبها سناه، ولاءم بين إرادة الملك، وسلطة الدستور الذي بات قِسطاسه

المستقيم، لا يصدر إلاّ عنه، ولا يرجع إلاّ إليه، فلجأ إليه شعبه، واحتمى به. واعتمد عليه، لأنه وجد فيه الخلق العظيم، والرّجولة الكاملة، والعبقرية الفذة، والشخصية القوية، والملجأ الأمين، حتى بات آمال أُمة، ومستقبل فكرة، وجهود نهضة، يصانع الأمور بالموادعة، ويدير شؤونه السياسية بالملاطفة والمصانعة، فتاريخه الحافل العريض كلّه مصداق لأصالة هذه الصّفات النّادرة فيه..

وقد جمع الله القلوب حوله، فتوحّدت فيه الفئات والهيآت، والأحزاب والنّقابات على اختلاف مضامينها فيه.. فهي تثور وتحتد فيما بينها، وتسكن إليه، وتختلف في رأيها، وتتفق عليه، وتفترق في طرقها، وتلتقي عنده..

وحسبه حفظه الله أنه أوضح لشعبه طريق الحياة بمفهومها الشّامل، ومعناها الواسع، وبلورها في كثير من المناظر والمشاهد التي نراها في حياتنا اليومية، وتاريخنا المعاصر الحافل بالعبر والأحداث.. فهو ـ أمدّ الله في عمره، لا يقولَ قولا، أو يعمل عملاً إلا إذا وافق الدّين الصحيح الذي يعتقده، والمبدأ القويم الذي يرتضيه ويؤيده، والشعب الشكور الذي يسوسه ويقُودُه، لأنّه أقدر من غيره على توجيه أبنائه، وإرشادهم باللّغة والقدوة والنّفوذ، ولأنه، رعاه الله، أيضاً، من زعماء الإصلاح، وقادة التوجيه، ومن أفهم النّاس لمعنى الدين، وروح العصر، ومقتضى الحال.. له رسالة روحية بلاغُها التّضحية والجهاد.. وهذه الصفات والسّمات، لعمر الله، من طلائع الفوز لهذه الأمة، ودلائل الثّقة بهذا الشّعب، وبشائر الأمل والنّهوض لهذا المجتمع...

فهو حفظه الله يعمل على أن تسير هذه الأُمّة على هدي الإسلام، وتقتدي بسلفها الصالح، وتحيى تاريخها التّليد، وماضيها المجيد، يعيش شبابها في صلة متينة مع ماضيه المشرق، بجانب حاضره الملح، ومستقبله النزوع، ويكون له من الحضارة الصناعية مزيداً من الإنتاج، ويُسر العيش، ومن روحانية الإسلام، قوة الدّفع، ومتين التماسك.

لم يذق حفظه الله طعم الدّعة، ولم يعرف لذّة الراحة، فجاهد طوال عمره الحافل في سبيل شعبه، وإسعاد وطنه حق الجهاد.. وكم لاقى من الشّدائد والأهوال، فتحامل في ذلك على دمه وعصبه وروحه لا يحصر أُفقه يأس، ولا يحد غايته مطلب، فإنه حفظه الله لا تخيفه الهزّات، ولا تثيره الأحداث مهما تواثبت وتفاقمت حتى إنّه ليكبر في نظر الخبراء ما يتراءى لهم من الصور والحقائق التي تعبر عن دقّة الأوضاع التي صوّرها خيال جلالته، ووضع لها الحدود والرّسوم لتصبح حياة متكيفة، ونهضة متقبّلة، إذ أنه ملهم بالصواب، ناجح المسعى، صريح فيما يقول، مومن بما يدعو، مخلص فيما يعمل، جريء على ما يقدم...

☆☆☆

- إنه عيد الشباب قد هبّ نسيمه العليل البليل بين الخمائل والرّبى، نشوان يعبق من شذاه العاطر..

- وإنه الزمن الذي يجتمع فيه الشباب المهذب أُغرودة الأمل الباسم، الذي صنعه الرّجل الذي أعدّه القدر ليرفع أمته إلى رابية المجد وقمة الشرف، ويدفعها إلى الأمام بالعلم والحكمة، والصّبر والأناة، مما يدعو إلى الدّهش والفخر، ويبقى مخلداً في جبين الدّهر، ويجدي على النّاس..

- وإنها أيام الشباب... أفراح وأعراس، ومواسم وأعياد، وحياة طيبة راضية تهزّها المشاعر الصّادقة، والحماسة الدّافقة، والشّعور الواثق المطمئن بإسفار المستقبل عن وجوه الرّضى والفوز، توقظها عواطف متأججة غرستها في القلوب يد القدرة، وأنمتها قوة الفطرة، وفرضتها طبيعة الحياة..

- وإنها أسرة كبيرة سعيدة تكون فيها البيوت مسرحاً للأنس والحسن، ومعرضاً للرّضى والحب، ومهبطاً للبهجة والسّرور..

إنه عيد الاحتفال بيوم 9 يوليوز الذي هو في تاريخ المغرب الحديث رمز حي نابض بالتوجهات والآمال الباسمة، ومن نبض هذا اليوم تشكلت حيوية التاريخ والأجيال والكيان والسيادة المغربية أرضاً وشعبا ونظاما وقيماً وحضارة..

وإنه عيد الاحتفال بذكرى عيد ميلاد الملك في بلوغه السّتين من عمره المديد، وهو أيضاً، احتفال رائع بتاريخ مجيد سجله ملك عظيم امتاز بألمعية الذهن، ورصانة اللب، وصلابة العود، وبُعد الهمّة، يعظم على الأحداث، ويعلو على الحوائل، فهو رجل السّاعة في وقته، وحديث الأماني لقومه، لا يتكلم إلا عن العمل، ولا يناقش إلا في الواقع، ولا يرمي إلا إلى غرض حتى باتت عوارفه ومواقفه عطر الأفواه والأندية والأبهاء، ..محمدةً وثناء..

فلا غرو، إذا كان لأمته حفظه الله، معقد أمل، ومناط رجاء، وممثل فكرة، ومؤسس نهضة، ورسول وحدة، وداعية سلام..

لقد التزم بما قال، ووفّى بما وعد، وإننا لنجد مصداق ذلك فيما قاله وخطب به في أول خطاب وجهه إلى شعبه إثر توليته الملك يوم 3 مارس 1961 : «... وإنني أعاهد الله، وأُعاهدكم، على أن أضطلع بمسؤولياتي وأؤدّي واجبي طبق مبادئ الإسلام، وقيمه السّامية، وتقاليدنا القومية العريقة، ومقتضيات مصلحة الوطن العليا، كما أُعاهد الله، وأعاهدكم على أن أُدافع عن حوزة الوطن واستقلاله وسيادته، وأحرص على وحدته، وإعلاء شأنه بين الدّول..»

﴿ومن أوفى بعهده بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجرا عظيما﴾..

☆☆☆

من أجل ذلك كان الاحتفال بعيد الشباب احتفالاً بالنّصر المؤزر في جهاد الأمة لاستقلالها الحق، وجهادها الصادق، وتمجيدا للتاريخ الحافل الذي تضافر على تسطيره ملك عظيم، وشعب ناهض، متمرد ناقد طموح، لا يصبر على نقص، ولا يغفل عن خطأ، وتقديرا لملك

عظيم له في سجّل التاريخ الحافل الخالد أياد، وتجديداً لذكريات خالدة تلهم عقولنا وأرواحنا ووجداننا مغزى عميقا يهدينا إلى أن نتواصى بالصّبر، ونتعاون على البر ونعتصم بمبدأ الحق، ونتهادى صنائع المعروف...

☆☆☆

وإنه عمر مديد من عمر جلالة الملك حفل بالأحداث والوقائع التي لايستوعبها عمر ولازمان، لا يشهد لها إلا ما نراه من مؤسسات ومرافق وعمران..

لقد أدرك حفظه الله المعنى البعيد لفلسفة الزّمن، وأعطاه مفهوماً كيفيا لا يقاس بكمية ولا بعدد السّنين، فعمره حفظه الله لا يعد بالخمسين أو السّتين أو الأربعين، وإنما هي فترة الشباب الدّائم، والعمر الحي الناضر

يعدون عمرك بالسنوات   فيَالَهُمو من قصار نظر
وعمرك لا تحتويه السنون   ولو أنها من جنود القدر
فعمرك يحصى بما صنعته   يداك من الباهرات الغرر

☆☆☆

من أجل ذلك «سيبقى هذا العيد، عيد 9 يوليوز عيداً للشباب، ويسمى بعيد الشباب، حتى يمكننا كل سنة كيفما كانت سننا أن نشرب من كوثر الشباب إرادة وعزماً، وحماساً وإيماناً علماً منا أن الأُمة بأجيالها مثل السلسلة المرتبط أولها بآخرها».

ـ «وعليك شعبي العزيز أن تحتفل في نفسك، وكل يوم من أيامك بعيد شبابك، فالدولة التي تشيب محكوم عليها بالانقراض..»

إن «تجدد الشباب له معان كثيرة، وله فلسفة عميقة ذلك أن الشباب ينطوي أولا على سريرة نظيفة طاهرة، وكلما طهرت النيات، وتجلّت الغايات والمقاصد، سهل إذذاك بلوغها».

☆☆☆

فما أروع هذه الأيام الحافلة بإقامة الحفلات والمهرجانات والتّجمعات الفكرية والأدبية والفنّية والثقافية والرياضية في فترة هذا الصيف، وصاحب الجلالة يتوج ذكراه الستين، باقتران نجاح المؤتمر العربي العظيم الذي انعقد ببلادنا وكتب الله له في تسييره وإدارته وإقامته النّجح والتوفيق والفلاح، وببلوغه الستين من عمره المديد إن شاء الله تعالى، فالشعب المغربي يحيي الذكرتين العظيمتين، وهو يشدو ويردد مع القائل :

لا تقل بشرى، ولكن بشريان : غرة الدهر، وعيد المهرجان

☆☆☆

والشعب المغربي الشكور لا يجد مناسبة سعيدة أفضل من هذه الأيام التي يفجر فيها الشباب الطامح طاقته، ويعلن عن وجوده وحضوره، ويؤكد حيويته وإراداته، ويعبر بالحمد والشكر والثناء، ويعرب عن الاعتراف بالجميل لمن خلق وطناً زخرَ بالغنى، وفاض بالنّعيم جلالة الملك الذي بيّن ما التبس من معاني الحق، وجدّد ما انطمس من معالم الطّريق، فإليه يُسَاقُ الحمْد وإليه يُزْجَى الشكر ويُوجَّهُ الثّناء.

ذلك الشكر الجميل والثناء الحسن هو عاجل بشرى المومن في هذه الحياة..

فهنيئاً لأمير المومنين هذه البشرى..

قال أبو بكر محمد بن عبد الله الجورقي : رأيت أبا عبد الله الحافظ في المنام راكباً بِرذوناً، وعليه طيلسان وعمامة، فسلّمت عليه وقلت له : أهلاً بك، إنّا لا نزال نذكرك، ونذكر محاسنك، فقال : ونحن لا نزال نذكرك ونذكر محاسنك، قال الله تعالى : ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

الثناء الحسن.. وأشار بيده...

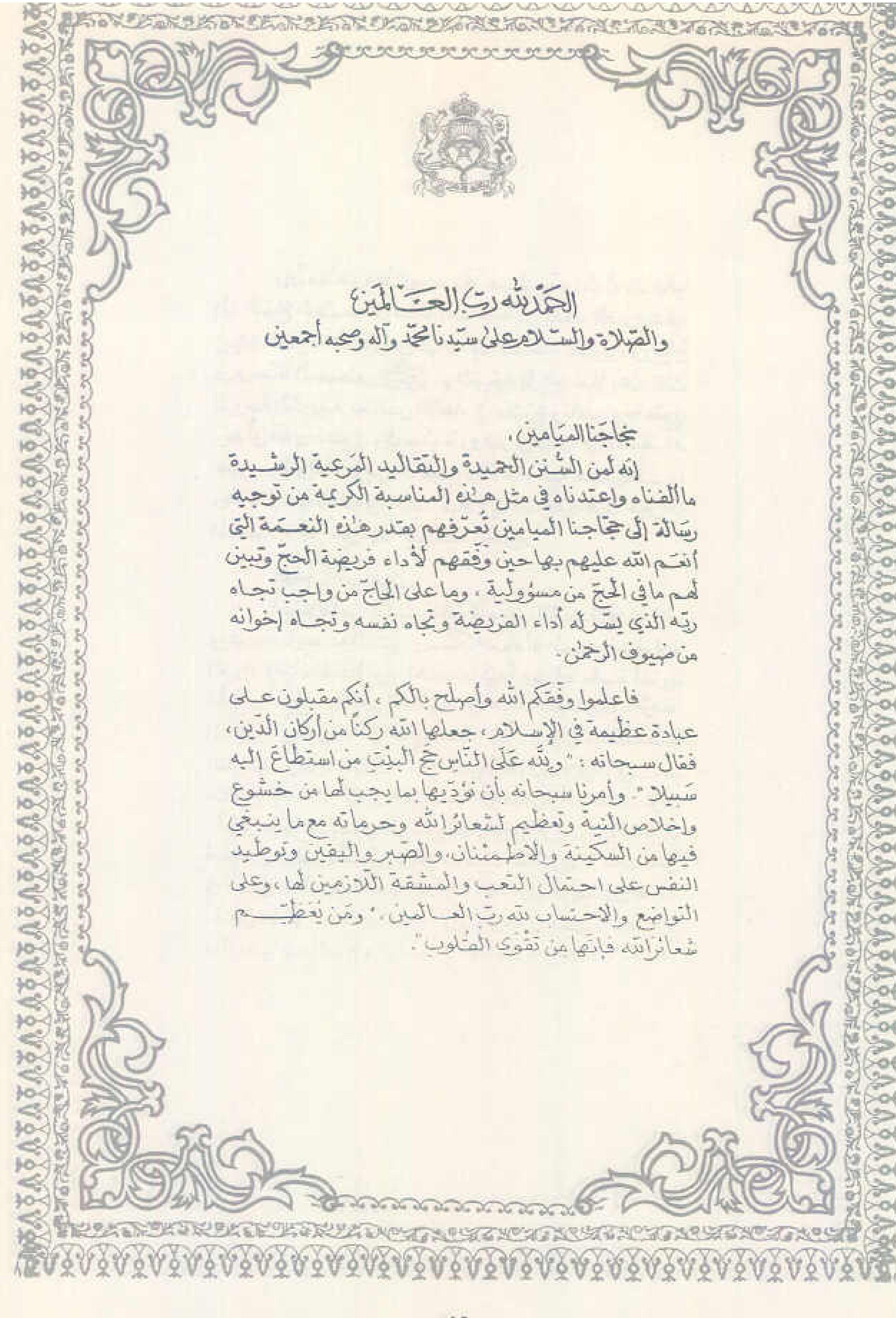
الرِّسَالَةُ المَلَكِيَّةُ السَّامِيَةُ المُوَجَّهَةُ إِلَى حُجَّاجِنَا المَيَامِين

وجّه أمير المومنين صاحب الجلالة الحسن الثاني حفظه الله رسالة ملكية سامية حث فيها حجاجنا المغاربة الميامين على تشخيص المبادئ والأخلاق الإسلامية الدّاعية إلى حسن السّلوك والمعاملة والحفاظ على التّعاون والنّظام، وأن يكونوا خير مثال يقتدى به في الأدب والتّواضع مع كافة ضيوف الرحمان وقال لهم حفظه الله :

«إن العالم العربي والإسلامي شهد خلال هذا العام انفراجاً وانفتاحاً واسعاً، وتقارباً وتعاطفاً كبيراً، وتماسكاً متيناً وصفاءً روحياً وعزماً صادقاً على التآخي والتآزر، والتعاون والتضامن بين قادة العرب والمسلمين وبلدانهم مما ابتهجت له القلوب وانشرحت له الصدور وارتاحت له النفوس والمشاعر واعتبره الجميع فاتحة عهد جديد يبشر العالم الإسلامي بالتطلع نحو غد مشرق أفضل والسير خطوات ثابتة إلى الأمام في كل ميدان لتحقيق المزيد من النهوض والسلام والاطمئنان».

تلا هذه الرسالة الملكية السّامية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري أثناء توديع الفوج الأول من الحجاج المغاربة..

وفيما يلي نص الخطاب السّامي :

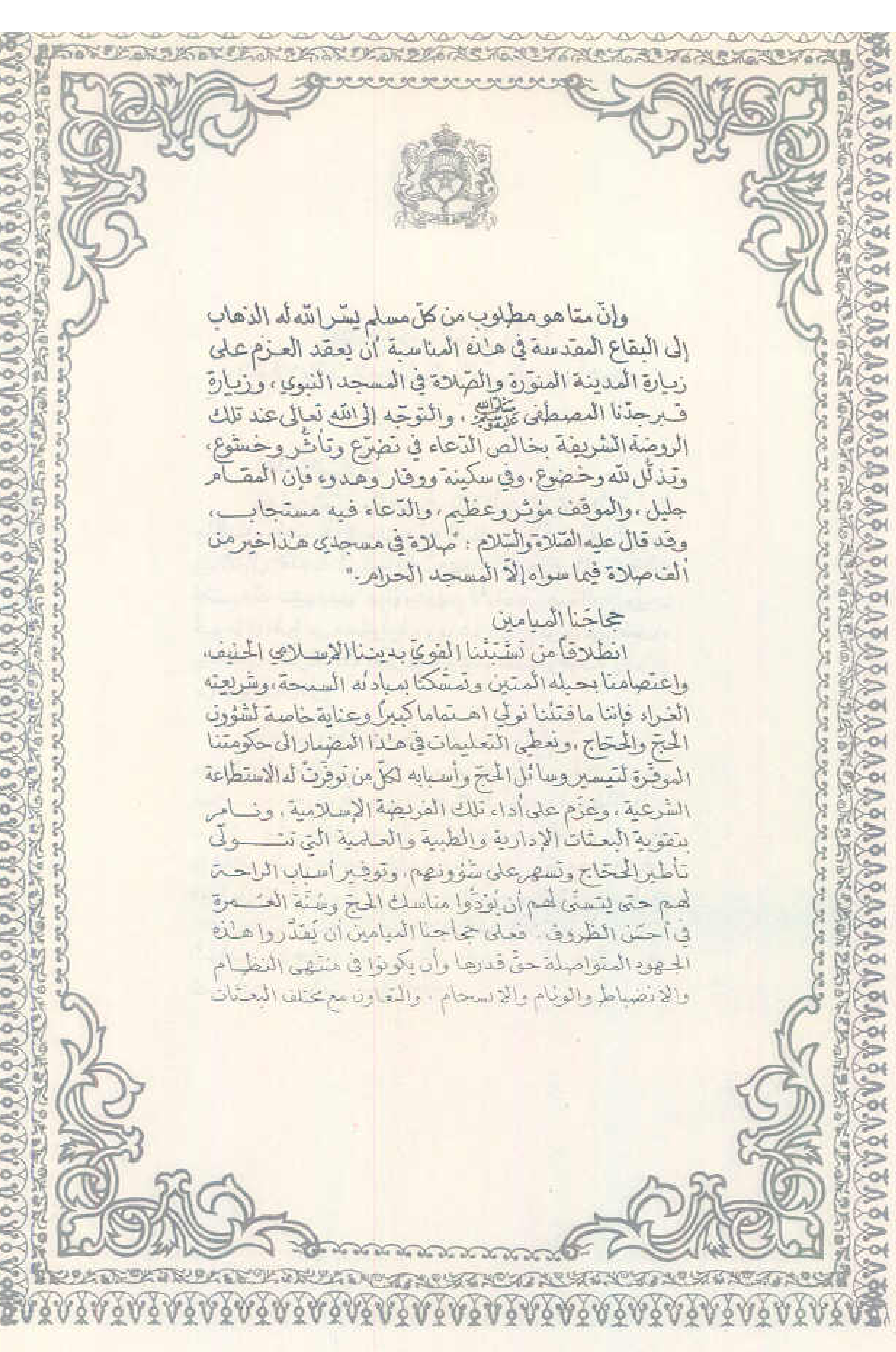


الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

حجاجنا الميامين،

إنه لمن السنن الحميدة والتقاليد المرعية الرشيدة ما ألفناه واعتدناه في مثل هذه المناسبة الكريمة من توجيه رسالة إلى حجاجنا الميامين نعرفهم بقدر هذه النعمة التي أنعم الله عليهم بها حين وفقهم لأداء فريضة الحج ونبين لهم ما في الحج من مسؤولية، وما على الحاج من واجب تجاه ربه الذي يسر له أداء الفريضة وتجاه نفسه وتجاه إخوانه من ضيوف الرحمن.

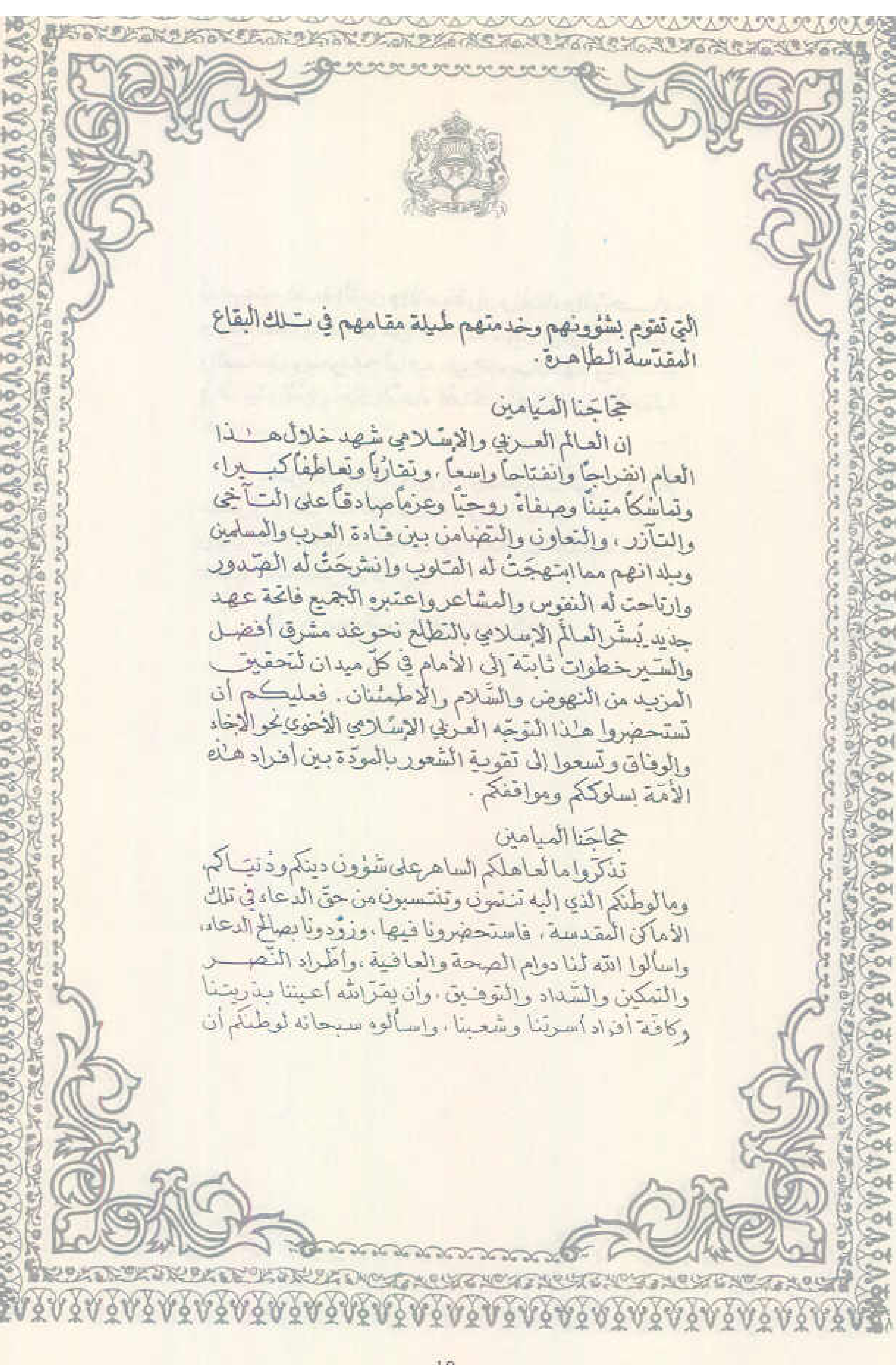
فاعلموا وفقكم الله وأصلح بالكم، أنكم مقبلون على عبادة عظيمة في الإسلام، جعلها الله ركنا من أركان الدين، فقال سبحانه: "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا". وأمرنا سبحانه بأن نؤديها بما يجب لها من خشوع وإخلاص النية وتعظيم لشعائر الله وحرماته مع ما ينبغي فيها من السكينة والاطمئنان، والصبر واليقين وتوطيد النفس على احتمال التعب والمشقة اللازمين لها، وعلى التواضع والاحتساب لله رب العالمين. "ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب".



وإنّ ممّا هو مطلوب من كلّ مسلم يسّر الله له الذهاب إلى البقاع المقدسة في هذه المناسبة أن يعقد العزم على زيارة المدينة المنوّرة والصّلاة في المسجد النبوي، وزيارة قبر جدّنا المصطفى ﷺ، والتوجّه إلى الله تعالى عند تلك الروضة الشريفة بخالص الدّعاء في تضرّع وتأثّر وخشوع، وتذلّل لله وخضوع، وفي سكينة ووقار وهدوء فإن المقام جليل، والموقف مؤثر وعظيم، والدّعاء فيه مستجاب، وقد قال عليه الصّلاة والسّلام: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلاّ المسجد الحرام".

حجاجنا الميامين

انطلاقاً من تشبّثنا القويّ بديننا الإسلامي الحنيف، واعتصامنا بحبله المتين وتمسّكنا بمبادئه السمحة، وشريعته الغراء فإننا ما فتئنا نولي اهتماما كبيراً وعناية خاصة لشؤون الحجّ والحجاج، ونعطي التعليمات في هذا المضمار الى حكومتنا الموقرة لتيسير وسائل الحجّ وأسبابه لكلّ من توفرت له الاستطاعة الشرعية، وعزم على أداء تلك الفريضة الإسلامية، ونأمر بتقوية البعثات الإدارية والطبية والعلمية التي تتولّى تأطير الحجاج وتسهر على شؤونهم، وتوفير أسباب الراحة لهم حتى يتسنّى لهم أن يؤدّوا مناسك الحجّ وسنّة العمرة في أحسن الظروف. فعلى حجاجنا الميامين أن يقدّروا هذه الجهود المتواصلة حقّ قدرها وأن يكونوا في منتهى النظام والانضباط والوئام والانسجام، والتعاون مع مختلف البعثات



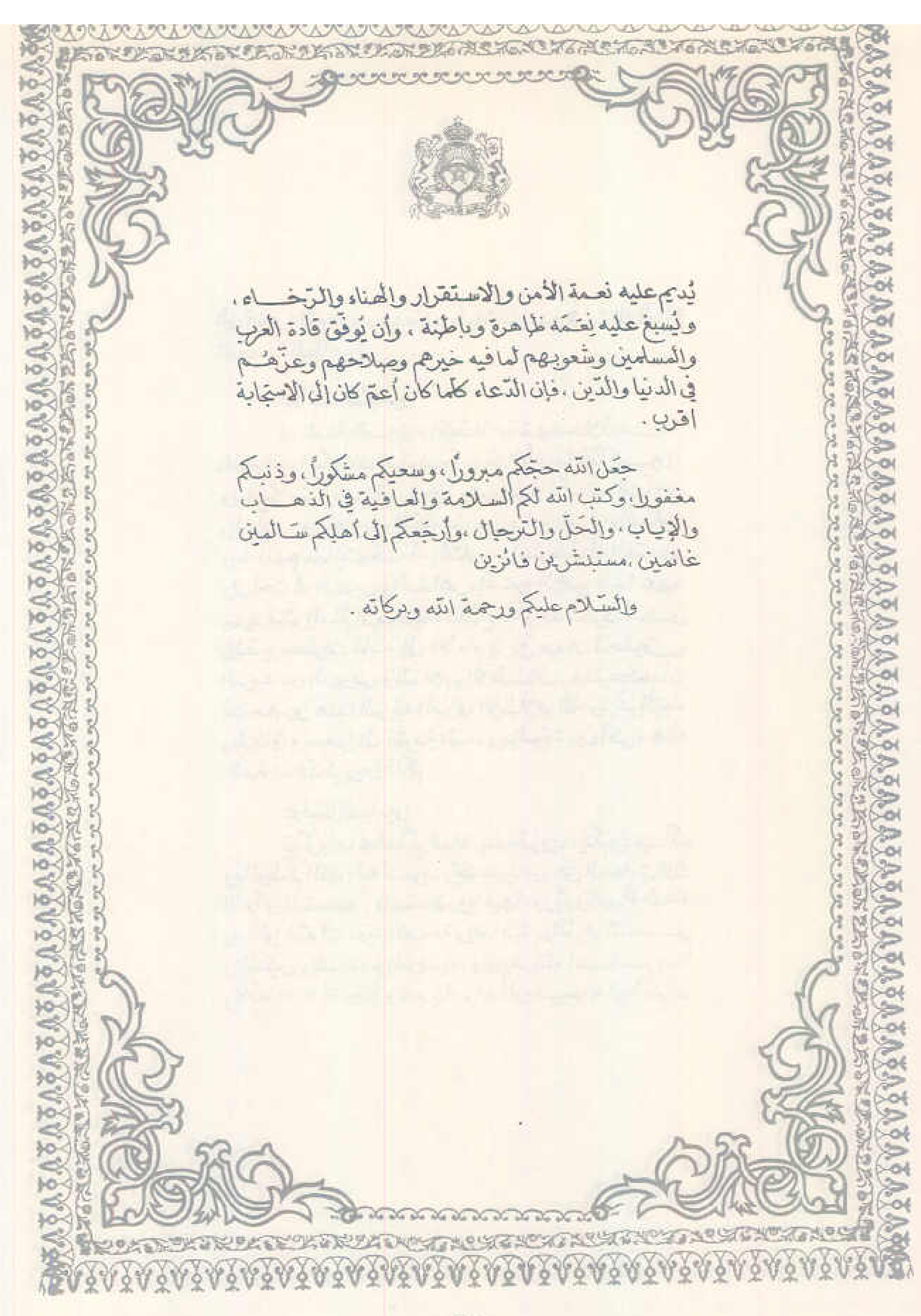
التي تقوم بشؤونهم وخدمتهم طيلة مقامهم في تلك البقاع المقدسة الطاهرة.

حجاجنا الميامين

إن العالم العربي والإسلامي شهد خلال هذا العام انفراجا وانفتاحا واسعا، وتقاربا وتعاطفا كبيرا، وتماسكا متينا وصفاء روحيا وعزما صادقا على التآخي والتآزر، والتعاون والتضامن بين قادة العرب والمسلمين وبلدانهم مما ابتهجت له القلوب وانشرحت له الصدور وارتاحت له النفوس والمشاعر واعتبره الجميع فاتحة عهد جديد يبشر العالم الإسلامي بالتطلع نحو غد مشرق أفضل والسير خطوات ثابتة إلى الأمام في كل ميدان لتحقيق المزيد من النهوض والسلام والاطمئنان. فعليكم أن تستحضروا هذا التوجه العربي الإسلامي الأخوي نحو الاتحاد والوفاق وتسعوا إلى تقوية الشعور بالمودة بين أفراد هذه الأمة بسلوككم ومواقفكم.

حجاجنا الميامين

تذكروا ما لعاهلكم الساهر على شؤون دينكم ودنياكم، وما لوطنكم الذي إليه تنتمون وتنتسبون من حق الدعاء في تلك الأماكن المقدسة، فاستحضرونا فيها، وزودونا بصالح الدعاء، واسألوا الله لنا دوام الصحة والعافية، واطراد النصر والتمكين والسداد والتوفيق. وأن يقر الله أعيننا بذريتنا وكافة أفراد أسرتنا وشعبنا، واسألوه سبحانه لوطنكم أن



يُديم عليه نعمة الأمن والاستقرار والهناء والرخاء، ويُسبغ عليه نِعَمَه ظاهرة وباطنة، وأن يوفق قادة العرب والمسلمين وشعوبهم لما فيه خيرهم وصلاحهم وعزّهم في الدنيا والدّين، فإن الدّعاء كلما كان أعمّ كان إلى الاستجابة اقرب.

جعَل الله حجكم مبروراً، وسعيكم مشكوراً، وذنبكم مغفوراً، وكتب الله لكم السلامة والعافية في الذهاب والإياب، والحَلّ والترحال، وأرجَعكم إلى أهليكم سالمين غانمين، مستبشرين فائزين.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مقتطفات وافية
من الرسالة الملكية السامية إلى الحجاج المغاربة في الإذاعة السعودية

أوردت المحطة الثانية للإذاعة السعودية (البرنامج الثاني) بعد نشرتها الرئيسية مقتطفات وافية من الرسالة التي وجهها أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني إلى الحجاج المغاربة بمناسبة توجه الفوج الأول من هؤلاء الحجاج إلى الديار المقدسة لتأدية فريضة الحج.

وأبرزت الإذاعة إشارة جلالة الملك إلى ما شهده العالم العربي الإسلامي خلال العام الحالي من انفراج وانفتاح وتقارب وتعاطف وعزم صادق على التآخي والتآزر والتضامن بين قادة العرب والمسلمين وبلدانهم «مما يبشر العالم الإسلامي بالتطلع نحو غد مشرق أفضل والسير خطوات ثابتة إلى الإمام في كل ميدان لتحقيق المزيد من النهوض والسلام والاطمئنان.

كما أبرزت أن جلالته دعا الحجاج المغاربة إلى استحضار هذا التوجه العربي الإسلامي نحو الإخاء والوفاق والسعي إلى تقوية الشعور بالمودة بين أفراد الأمة بسلوكهم ومواقفهم.

وأوردت الإذاعة كذلك قول جلالته «إن الله أمر بأداء فريضة الحج بما يجب لها من خشوع وإخلاص للنية وتعظيم لشعائر الله وحرماته مع ما ينبغي من السكينة والاطمئنان والصبر واليقين.

وقالت إن جلالة الملك بين للحجاج المغاربة في هذه الرسالة ما في الحج من مسؤولية وما على الحاج من واجب تجاه ربه الذي يسر له أداء الفريضة وتجاه نفسه وإخوانه من ضيوف الرحمان.

ووصل إلى مكة المكرمة الفوج الأول من الحجاج المغاربة والمكون من 108 حاج بالإضافة إلى 85 من الأطر المشكلة للبعثة الصحية.

وكانت البعثة الإدارية التي تضم حوالي 120 من أطر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قد وصلت منذ أسبوع كما وصل عدد من العلماء الذين سيقومون بتوعية الحجاج المغاربة.

وينتظر أن يبلغ عدد هؤلاء العلماء الذين سيقومون بالتأطير الديني للحجاج المغاربة 50 عالما.

واستنادا لمصدر البعثة المغربية بمكة المكرمة من المتوقع أن يبلغ عدد الحجاج المغاربة هذا العام 20 000 بالإضافة إلى 1 500 يوجدون خارج المملكة.

أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني يترأس حفل تدشين مسجد للا سكينة

دشن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بعد ظهر يوم الثلاثاء 26 رمضان 1409 هـ الموافق 3 ماي 1989 مسجد (للا سكينة) بحي الرياض بالرباط الذي شيد على النفقة الخاصة لجلالته.

وكان صاحب الجلالة محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد.

وبعد أن استعرض جلالة الملك لدى وصوله تشكيلة من الحرس الملكي التي أدت التحية لجلالته تقدم للسلام عليه السيد عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية والسيد عمر بنشمسي والي صاحب الجلالة على الرباط وسلا.

وبعدما أزاح صاحب الجلالة الستار عن اللوحة التذكارية لهذه المعلمة الدينية بحضور الوزير الأول الدكتور عز الدين العراقي ورئيس مجلس النواب السيد أحمد عصمان وأعضاء الحكومة ومستشاري جلالة الملك وأصهار جلالته وسفراء البلدان الإسلامية المعتمدين بالرباط ورؤساء المجالس العلمية بالمملكة وعدة شخصيات أخرى أقام صاحب الجلالة والشخصيات الحاضرة صلاة العصر بهذا المسجد أعقبتها تلاوة آيات من القرآن الكريم والدعاء بالنصر والتمكين لأمير المؤمنين.

وألقى جلالة الملك بهذه المناسبة الكلمة التالية :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه :

حضرات السادة من سفراء ووزراء وعلماء ووجهاء ومدنيين وضباط.

إن المسجد الذي ندشنه اليوم هو مسجد كنت أحلم به قبل أن نذهب إلى المنفى لأن الربوة التي بني عليها كانت تطل على بيتي وأنا آنذاك طالب وحر من كل مسؤولية سياسية. وآليت على نفسي منذ ذلك اليوم أن يبنى هذا المسجد على هذه الربوة حتى يطل بصومعته ويشرق بأنواره على من حوله ومن جاوره. وها هو الله سبحانه وتعالى قد حقق أمنيتنا وحلمنا وبنينا هذا المسجد من مالنا الخاص وأطلقنا عليه اسم حفيدتنا للا سكينة راجين من الله أن يجعلها كميتها بنت سيدنا الحسين بنت فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ وأبيه سيدنا علي كرم الله وجهه تلك السكينة التي كانت لها مجالس مع الأدباء والشعراء والنقاد وكانت تدخل المجامع لتغلب صاحبها في الشعر وفي



أولادنا : ريحان الله.. وزينة الحياة، وأعز الودائع، وأشهى ثمرات الحياة إلى الإنسان
جلالة الملك مع حفيدته للا سكينة التي سمّي المسجد باسمها..

المنهج على فلان وفلان وفلان. وقد اجتمع في مجلسنا فطاحل الشعراء. ولكنني لن أسلم الآن واجبي ان احترم انا الأول القوانين التي يجري بها العمل في هذا المضمار وذلك أننا منعنا وزارة الأوقاف من أن تستلم أي مسجد كان دون أن تكون له المداخيل لتعهده وتوسيعه ان اقتضى الحال. وقد قررنا أن نبني ونشرع إن شاء الله في الشهر المقبل على بقعة قريبة من هنا في بناء مركز أساسي للتجارة وبيع جميع المواد سواء الغذائية أو الملابس الشيء الذي هو معمول به في جميع المحلات - أقصد المحلات التجارية - حتى يمكن أن يكون كراؤه هو الدخل الذي ستستعمله وزارة الأوقاف للقيام بتعهد هذا المسجد.

وقد قررنا أن نسمي شخصين فاضلين الأول ليكون إماما والثاني ليكون خطيبا. وأقول للإمام وللخطيب وللمؤذن كذلك أنه بعد شهر ونصف على الأكثر سيتم إنجاز المصعد الذي سيؤدي بالمؤذن إلى أعلى الصومعة لأنه لا أعدى لي من أن يؤذن المؤذن بمكبرات الصوت وهو على سطح البسيطة.

فعليه إذن حينما يكون المصعد متوفرا أن يأخذ ميكروفونا يدويا وأن يطل على الأركان الأربعة للمسجد ليسمعه كل واحد دون موال ولا تمويل ولا سيكة ولا اصبهان نريد آذان سيدنا بلال رضي الله عنه حينما دعا وبقي يدعو إلى الصلاة أصحاب النبي ﷺ من مهاجرين وأنصار.

وأرجو الله سبحانه وتعالى الذي يعلم ما في السريرة وهو أقرب إلينا من حبل الوريد والذي يبارك في أعمال البشر ويزيدها تضاعفات أو ينقصها أن يتقبل منا هذا العمل راجين منه سبحانه وتعالى أن يضع الهداية في قلب جميع المغاربة كبيرهم وصغيرهم فقيرهم وغنيهم حتى يبقوا دائما من الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لاظل إلا ظله بدءا بالإمام العادل وقال «وشاب من جملة السبعة قلبه معلق بالمساجد» جعل الله قلوبنا معلقة ببيوت الله متمسكة بكتابه معتصمة بسنة نبيه وأدام على هذا البلد الكريم الفخر والعز والبركة والتواضع وعدم الأنانية وخدمة الجميع والأخذ بيد الجميع كانوا جيرانا جغرافيا أو جيرانا في الدين أو جيرانا في الرحم.

أبقى الله سبحانه وتعالى هذا الشعب بخصاله وأخلاقه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها».

وبعد ذلك عين جلالة الملك السيد عباس الجراري خطيبا للمسجد والفقيه السيد محمد بربيش إماما له.

وأوصى جلالة الملك السيد الجراري بإلقاء درس كل جمعة وأن يتبع في خطبة الجمعة سنة النبي ﷺ وقال جلالته إن ذلك لا يمنعه من أن يعمل ما عمله النبي ﷺ حيث كان يتخذ من المسجد منبرا للتحدث للناس فيما يخص أمور دينهم أو دنياهم أو ما يجري حولهم من أحداث.

وأكد جلالته للسيدين الجراري وبربيش أنه إذا ما أرادا أن يلقيا بعض الدروس لنيل الأجر والثواب فإن المسجد رهن إشارتهما.

الكلمة التي ألقاها بين يدي جلالة الملك وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري يوم تدشين مسجد للاسكينة.

نص الكلمة التي ألقاها معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بين يدي أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة تدشين مسجد للاسكينة يوم السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم عام 1409.

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بنيه ورسوله وعبده وعلى آله وصحابته والتابعين من بعده.

مولاي أمير المؤمنين،

أدام الله نصركم وعزكم وخلد في الصالحات ذكركم والسلام على مقامكم العالي بالله ورحمته تعالى وبركاته.

وبعد فإن الواقفين في عرفات محامدكم يا مولاي والطائفين حول كعبة مآثركم ومفاخركم والساعين بين صفا ماضيكم المجيد ومروة حاضركم السعيد كلما تأملوا في ما ادخره الله لكم من المكرمات وخص به عهدكم من جلائل المبرات وأرشدكم إليه من عظيم الأعمال ووفقكم إليه من تحقيق عزيز الآمال. رأوا من الأسرار الربانية ما يبهر العقول، ومن المنح الإلهية ما يتجدد فلا يحول، ومن البركات والخيرات الدائمة ما يعجز عن وصفه كل بليغ قؤول. وأدركوا بنقاء فطرتهم، وصفاء سريرتهم، أن الشجرة الطيبة **﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء، توتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ ﴿وأن البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾** وأنها **﴿ذرية بعضها من بعض﴾.**

مولاي أمير المؤمنين،

مازلتم تبذلون الجهود في خدمة هذا الدين، وتضربون المثل في ذلك للناس أجمعين تحيون علوم الشريعة، وتؤسسون المدارس والمعاهد والجامعات الأصيلة، وترفعون قواعد المساجد وتعلون ماراتها في المغرب وافريقيا وأوربا وغيرها. ثم ما فتئت همتكم القعساء وإرادتكم الشماء ترتقي في مدارج هذه الكمالات حتى أقمتم بناء أعظم مسجد في العالم بعد الحرمين الشريفين، عروة وثقى بين البر والبحر والسماء، وموجة من بحر الإيمان تهجم على المحيط الصامت لتنطقه بكلمة التوحيد وتخرج من أعماقه أذانا مجلجلا يتفجر في الآفاق نورا وخيرا وبركة.

ثم ها أنتم هؤلاء تنظمون هذه اللؤلؤة الفريدة والدرة الجديدة في سلك هذا العقد المبارك فتؤسسون هذا المسجد البديع على تقوى من الله ورضوان وتطلقون عليه إسم حفيدتكم لالة سكينة في الذكرى الثالثة لميلادها السعيد، وكأنكم تعبرون بجمال هذا المسجد عن جمال مشاعركم الأبوية، وتشرحون بروعة بنائه روعة وجدانكم النقي الطاهر وتفصحون بما وفرتم له من فخامة وجلال عن مكانة بيوت الله في قلبكم العامر بالإيمان.

وإني يا مولاي وأنا أقف بين يديكم الكريمتين في هذا المكان الطاهر وفي هذا الشهر المبارك الذي أحييتم أيامه بالذكر والفكر، ولياليه بالصلاة وتلاوة القرآن في كل جهة من مملكتكم السعيدة لأجدني أشعر بواجب التعبير لجلالتكم بلسان كل غيور على هذا الدين وبكل ما يتحلى به المسلم وهو في بيت الله من صدق وإخلاص عن شكر هذه الجهود والاعتزاز بهذه الخطوات والاعتراف بالجميل.

وإننا وقد نشأنا على حفظ العهد لا ننسى جهود والدكم مولانا محمد الخامس قدس الله روحه في هذا السبيل، ولا ننسى جهود أجدادكم المنعمين، فقد أبلوا البلاء الحسن في خدمة الدين، وبنوا المساجد العظيمة الفخيمة في حواضر المغرب وبواديه وأوقفوا عليها الأوقاف الواسعة لدوام رسالتها واستمرار شعاعها، وتنافسوا في هذا المضار وبزوا غيرهم فيه. فهذا السلطان المولى اسماعيل يوسع ويجدد مسجد الضريح الإدريسي الأنور ومسجد الأندلس ويبني المسجد الأعظم بمكناس وهذا السلطان سيدي محمد بن عبد الله يبني جامع بريمة والمسجد الأعظم بباب دكالة وجامع السنة بالرباط ومسجد آسفي ومسجد الصويرة وهذا السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن يبني مسجد أهل فاس والمسجد الجامع بالدار البيضاء وهذا السلطان مولاي سليمان يبني المسجد الأعظم بالرصيف ومسجد مولاي سليمان بالرباط ومسجد الشطة بالطالعة وهذا السلطان مولاي يوسف يبني مسجد باريس وهذا السلطان المغفور له مولانا محمد الخامس يجدد ويوسع ويبني مالا يحصى من المساجد وهذه مساجد في جميع ربوع المملكة وفي موريطانيا والسنغال والغابون والسودان وفي أنحاء أخرى من افريقيا وأوربا من بناء جلالتكم ومن ثمار جهودكم.

فهنيئا لكم يا مولاي بما آتاكم الله من توفيق وأنتم تدخلون فيمن شهد الله لهم بالإيمان في قوله : ﴿**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**﴾.

ومن بشرهم رسول الله ﷺ بقوله : ﴿**من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة**﴾.

اللهم يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعال لما يريد نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت أن تحفظ أمير المؤمنين الملك الحسن الثاني وتجعله في كنفك وحفظك وحرزك وعنايتك وكلاءتك وأمانك. اللهم انصره ولا تنصر عليه وفجر ينابيع الخير والبركات على يديه وأعز به الإسلام واجمع به كلمة المسلمين واحفظه اللهم في ولي عهده الأمير الأمجد سيدي محمد وصنوه السعيد الأمير مولاي رشيد وسائر أفراد الأسرة الملكية الشريفة إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وصلى الله وسلم على سيدنا محمد والختم من مولانا أمير المؤمنين.

مسجد للاسكينة



صاحب الجلالة الحسن الثاني يدشن مسجد للا سكينة يوم السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم.

وتبلغ مساحة مسجد للاسكينة حاولي هكتار ونصف شيد منها 3000 متر مربع ويحتوي على قاعة للصلاة تتسع لاالف مصلي إضافة إلى فناء يسع كذلك ألف مصلي.

وقد بني المسجد على الطريقة المغربية الأندلسية سواء من حيث الشكل أو الحدائق أو نوع النباتات. كما توجد معالم الفن المغربي وأصالته ممثلة في مواد الصناعة التقليدية من زليج ورخام وفسيفساء وخشب ونحاس وزجاج وغيرها.

وتحيط بهذا المسجد حدائق متنوعة يمكن مشاهدتها من الداخل وكذا محيط مائي وله سقف متحرك يصل إلى 330 متر كما يشتمل على أعمدة كلها من الرخام والحجر المطعم بالرخام بالألوان المفتوحة. ويبلغ طول الصومعة 28 مترا. كما يتوفر على سكن للإمام وخزانة للكتب.

أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني يُوجّه رسالة سامية إلى ندوة المجلس المسكوني الكنائسي بالدّار البيضاء

● لا سبيل في رأينا إلى تيسير وسائل الرخاء والازدهار والهناء والرقي لجميع شعوب العالم إلا إذا توارت أشباح الخوف وانتشرت ظلال التفاهم والوئام وتوطّدت دعائم العدل واستحكمت أسباب السّلام.

احتضنت مدينة الدار البيضاء يوم الإثنين 15 ذي القعدة 1409 الموافق 19 يونيو 1989 اجتماع هيئة الحوار مع الديانات السائدة في زماننا للمجلس المسكوني الكنائسي..

وتميزت جلسة يوم الثلاثاء بالاستماع إلى الرّسالة الملكية السّامية الموجّهة من طرف صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني للمشاركين في هذا الاجتماع..

وهذا نص الرّسالة الملكية :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
وصحبه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين

حضرات السادة

يسرنا كثيرا أن نوجه إلى مجلسكم المسكوني الكنائسي تحياتنا
وعبارات ترحيبنا بانعقاد مجلسكم فوق أرض مملكتنا.
لقد اخترتم فكرة الحوار مع الديانات السائدة في زماننا هذا،
وجعلتم منها موضوعا تدور حوله أبحاث ندوتكم العالية ودراساتها.
وإننا إذ نهنئكم بهذا الاختيار، ونأمل أن تفضي جهودكم
في هذا المضمار إلى أطيب النتائج، لنهنئكم من جهة أخرى بطائفة
من الاهتمامات التي تتصدر ما أنتم منصرفون إليه من شؤون. ذلك أن
عنايتكم لا تقتصر على التنمية والتربية والشباب، ومساعدة اللاجئين،
والأخذ بيد الذين يكابدون المحن والشدائد، ولكنها تمتد إلى تقويض
الحواجز الفاصلة بين أبناء البشر، وإلى قيام أسرة بشرية واحدة، في عالم
قوامه العدل والسلام.

حضرات السادة

إن ندوتكم اليوم تنعقد في بلد إسلامي شديد التمسك بدينه وبالقيم
والمبادئ الدينية والأخلاقية التي يرتكز عليها الإسلام. ومنذ أن جاء
الإسلام إلى هذه الديار وتأسست الملكية فيها اشتهر المغاربة بمزايا
عديدة منها الإخلاص لدينهم ولقيمه ومبادئه. وهذا الإخلاص للأصالة
جعل من المغاربة شعبا شديد الرغبة في التفتح، عظيم الحرص على إيثار

الحوار، وجعل منه كذلك شعبا يؤمن إيمانا راسخا بالمعاملة التي تقوم على حسن المعاشرة والمعايشة، وعلى التسامح الذي يكفل لأهل الكتاب، الحرية المطلقة في ممارسة شؤونهم الدينية.

إن الجهود المتواصلة التي نبذلها عناية بالتربية والشباب، وبالتنمية وجميع الأسباب والوسائل التي تحقق الرخاء ورغد العيش لشعبنا، والرقي لبلادنا - إن هذه الجهود على كثافتها لا تصرفنا عن مساع دائبة، نواليها ونسهم بها في المجهود الذي يبذله أصحاب النيات الصالحة والإرادات المحسنة طلبا لاستقرار العدل، واستتباب الأمن والطمأنينة والسلام.

فلا سبيل في رأينا إلى تيسير وسائل الرخاء والازدهار، والهناء والرقي لجميع شعوب العالم إلا إذا توارت أشباح الخوف، وانتشرت ظلال التفاهم والوئام، وتوطدت دعائم العدل، واستحكمت أسباب السلام.

مرة أخرى نرحب بكم في هذا البلد الذي يشاطركم كثيرا من اهتماماتكم ونتمنى لجهودكم التي تستهدف تحقيق الأمن والطمأنينة، والعدل والسلام، بلوغ المقاصد والأهداف.

صاحب الجلالة الحسن الثاني

ملك المغرب

أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يشرفان على تدشين معرض الحرمين الشريفين



ترأس جلالة الملك الحسن الثاني وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بعد أنتهاء مؤتمر القمة العربي الطارئ المنعقد بمدينة الدار البيضاء حفل تدشين معرض الحرمين الشريفين بالمعرض الدولي للدار البيضاء.

ويشتمل المعرض على صور شمسية حول التطور العمراني في مدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة ومختلف المنجزات «قناطر وأنفاق وطرق وغيرها» التي تحققت بهدف تسهيل أداء مناسك الحج.





وبقاعة القصر الصغير بالمعرض الدولي بالدار البيضاء ألقى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ورئيس اللجنة المنظمة للمعرض كلمة تقل فيها باسم خادم الحرمين الشريفين إلى الشعب المغرب تحيات حكومة وشعب المملكة العربية السعودية الذين يكنون للمغرب كل ود ومحبة وتقدير والذين يتابعون نهضته المباركة ونجاحاته المرموقة.

وأبرز أن المغرب لعب الدور الخالد كمركز رئيسي تنطلق منه الفتوحات الإسلامية في أوروبا وافريقيا وظل يؤدي رسالة الإسلام الخالدة خلال العصور اللاحقة.

وأكد أن المغرب ظل حصنا منيعا يذود عن حياض الإسلام ويمنع هجمات أعدائه. وقال لا ينسى التاريخ موقف الأسرة المالكة الكريمة وأبطالها مثل ـ العاهل العظيم جدكم اسماعيل ـ الذي كان سدا منيعا وحصنا قويا ضد هجمات الغزاة وأسلافكم العظماء ووالدكم جلالة المغفور له الملك محمد الخامس الذي قاسي عذاب المنفى وتحمل التبعات ليقود شعبه الوفي إلى الاستقلال والذي جسد البطولة الحق والتحم مع الشعب المغربي الذي وضعه في سويداء قلبه وجلالتكم رفيق الدرب لوالدكم حيث تحملتم معه كل ألوان المتاعب من أجل استقلال المغرب العزيز ومنذ توليكم العرش وأنتم تقودون شعبكم بكل صدق وإخلاص وثبات على الحق.

وأشار إلى أن التاريخ العربي الإسلامي سيظل يذكر بكل فخر مدن فاس ومراكش ومكناس والرباط لذلك الدور الخالد الذي لعبته في الذود عن حياض الإسلام وتعميق الثقافة العربية.

وتحدث صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز عن العلاقات السعودية المغربية فذكر أنها بدأت منذ عام 1226 هـ الموافق 1811 م عندما تم الاتصال بين السلطات سليمان بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل والإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد آل سعود الملقب بسعود الكبير وتم تبادل الرسائل بينهما.

وأكد أن هذه العلاقات لا تزال تزداد قوة ومتانة بين خلفائه وبين البلدين وما يجمع الأسرتين العربيتين المالكتين التي ربطت بينهما منذ القديم أواصر قوية لا تنفصم من وشائج القربى في العروبة مضيفا أنه يربط بينهما كذلك اهتمامهما بالمحافظة على الأصالة الإسلامية والحرص على اتباع الهدى النبوي سياسة وحكما وطريق حياة.

ونوه بالعلاقات الأخوية الخاصة التي تربط صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بأخيه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز الأمر الذي يزيد الروابط بين البلدين والشعبين الشقيقين متانة وقوة وتوثقا ونماء.

وتحدث صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز عن المسيرة التنموية للمملكة العربية السعودية موضحا أنه خلال أقل من عشرين عاما استطاعت تحقيق تقدم عمراني وبناء قاعدة زراعية وصناعية وثقافية وعلمية تعتبر فريدة من نوعها في حجم الإنجاز ومستواه كما أنها قطعت شوطا بعيدا في تحقيق تكامل اقتصادها وتوفير الرعاية والرفاهية للمواطن السعودي على حد سواء.

بعد ذلك وشح جلالة الملك الحسن الثاني صدر صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز بوسام الكفاية الفكرية.



ملف كامل عن أجواء

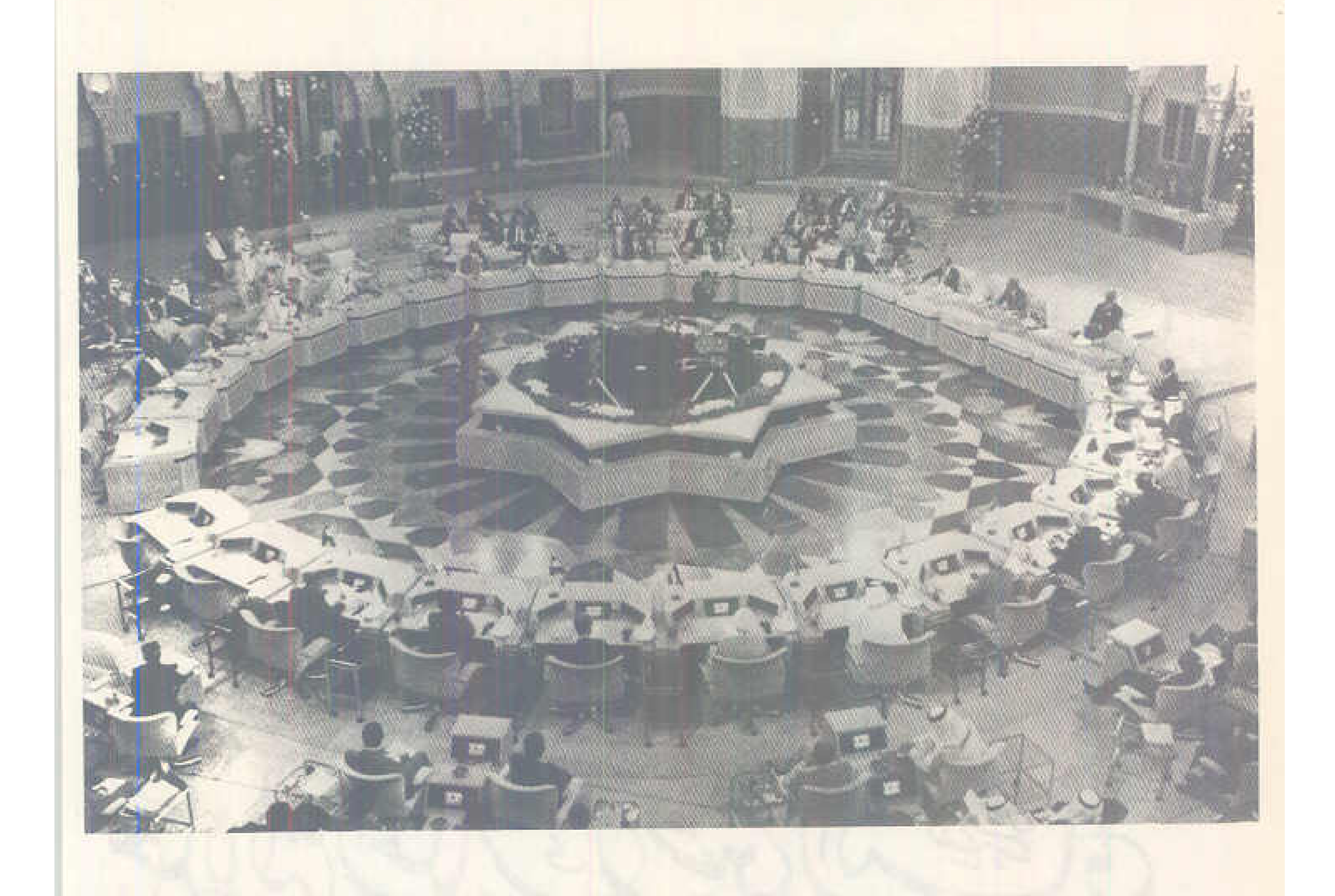
مؤتمر القمة العربي الطارئ

الذي انعقد تحت رئاسة

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

بمدينة الدار البيضاء - المغرب

في الفترة ما بين 23 و26 ماي 1989



لم تَزَلْ مُنفرداً تدعو بِلَيْلٍ ونهارْ
أمّةَ العُرْبِ إلى أن نهجَتْ نهجَ الحِوارْ
فاعترى أعداءَها من هجمةِ السِّلمِ دَوارْ

هذا المؤتمر

في جو مفعم بالأخوة الصادقة، وبالإرادة القوية لدعم الصف العربي، ووسط اتصالات عربية مكثفة لتقريب وجهات النظر العربية حول القضايا المصيرية وتحقيق المصالحات الضرورية لبلوغ هذا الهدف. انطلقت أشغال مؤتمر القمة العربي الطارئ بأكبر مشاركة للقادة في تاريخ مؤسسة القمة العربية، ينصب على ثلاثة أمور هي المكاشفة في المواقف، وترسيخ مسلسل تنقية الأجواء العربية، والخروج بقرارات توفيقية تجسد الحد الأدنى في العمل العربي المشترك تجاه ثلاث قضايا مطروحة في جدول الأعمال هي القضية الفلسطينية والأزمة اللبنانية والحرب العراقية الإيرانية.

ولأن المغرب هو صاحب الدعوة إلى انعقاد هذه القمة الحاسمة ومحتضنها فقد كان الشعور العام في كواليس المؤتمر ولدى المراقبين يميل كثيرا إلى التفاؤل بأن محطة الدار البيضاء لن تشذ في قراراتها عما أنتجته قمم سابقة في المغرب من مواقف ألفت بين أكثر من وجهات نظر عربية متقاطعة.

وهكذا انطلقت مساء يوم 23 إلى 26 ماي 1989 بالقصر الملكي بالدار البيضاء أشغال القمة العربية الطارئة، التي اعتبرها الملاحظون بحق قمة تاريخية بالنظر للمواضيع المطروحة أمامها وللحضور المكثف للقادة العرب الذين أكدوا بحضورهم القمة الطارئة التي دعا إليها جلالة الملك الحسن الثاني حرصهم على جمع الشمل ووحدة الصف لمواجهة التحديات المفروضة على الأمة العربية.

☆ ☆ ☆

ففي الساعة السادسة الا ربعا من مساء يوم 23 إلى 26 ماي 1989 وصل أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك وأمراء ورؤساء الدول العربية إلى القصر الملكي بالدار البيضاء حيث وجدوا في استقبالهم عند مدخل القصر الملكي صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الذي كان محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد.

وقبل الجلسة الافتتاحية للقمة الطارئة انعقد اجتماع شارك فيه جلالة الملك الحسن الثاني والزعيم الليبي معمر القذافي والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد والرئيس المصري حسني مبارك والرئيس السوري حافظ الأسد. وفي أعقاب هذا الاجتماع الذي استمر أربعين دقيقة تعانق الرئيس محمد حسني مبارك مع الرئيس حافظ الأسد ومع العقيد معمر القذافي إيذانا ببداية صفحة جديدة في العلاقات بين مصر وكل من سوريا والجماهيرية العربية الليبية، وتكرست بالدار البيضاء المصالحة بين الرئيس المصري والرئيسين السوري والليبي وهي مصالحة ستكون لها انعكاسات إيجابية على مسيرة العمل العربي المشترك، كما ستعتبر من مكتسبات قمة الدار البيضاء الطارئة وقبل بدء الجلسة الافتتاحية للقمة الطارئة سجل الملاحظون سلسلة اتصالات مكثفة بين عدد من القادة العرب كانت تصب كلها في اتجاه تنقية الأجواء وتصفية الخواطر تبقى من رواسب الخلافات العابرة بين البعض.

وفي الساعة الثامنة وخمس وعشرين دقيقة افتتح جلالة الملك الحسن الثاني أشغال القمة العربية الطارئة التي تعتبر سادس قمة يحتضنها المغرب ومن أنجح مؤتمرات القمة التي تشهدها أرض التلاقي والتواصل.

وقد أبرز جلالة الملك في خطابه أن كل يوم يمر يأتي بسبب لاجتماع لقاء بين الأشقاء والأخوة كيفما كانت نوعية المشاكل أو حتى أن لم تكن هناك مشاكل. وبعد أن أشاد جلالته بقيام مجلس التعاون الخليجي واتحاد المغرب العربي ومجلس التعاون العربي وبالنتائج الإيجابية السارة المتوقعة لهذه التجمعات على مجموع الدول العربية، وبعد أن جدد تشبث العرب بإطار الجامعة العربية وبميثاقها مع ضرورة مراجعة بعض الفصول، رحب جلالته بعودة مصر إلى الأسرة العربية ونوه بالشعب المصري الذي قاتل وكافح أزيد من نصف قرن.

وأعطى جلالة الملك بعد ذلك الكلمة للرئيس المصري حسني مبارك الذي وجه في البداية الشكر للعاهل الكريم الذي «هيألنا أن نجتمع على أرض عربية غالية علينا» كما أشاد بالجهود التي قام بها جلالته لينعقد هذا المؤتمر التاريخي في أجواء نقية كلها مودة أخوية ورغبة صادقة في العمل الموحد المشترك الذي يحدد مسار الأمة العربية نحو غد مشرق وفجر جديد.




المملكة المغربية

وبعد أن استعرض الرئيس مبارك التحولات التي يعرفها العالم وألح على ضرورة أن يكون للأمة العربية دور تأثرا وتأثيرا مع خريطة العالم الجديد في مختلف النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، حدد المكونات الرئيسية اللازمة لتحديد ملامح التضامن العربي في صورته الجديدة، منها:

التوصل إلى صياغة عربية متفق عليها للسلام.

- تحديد دور نشيط للعرب في عملية الوفاق العالمي.

- الاتفاق على مضمون واقعي ملتزم للدفاع المشترك للتوصل إلى تفاهم وتوافق.

- الالتزام بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لبعضها البعض.

- التسليم بأن تنوع الآراء وتعود الاجتهادات هي من الضروريات التي لا مفر منها ولا غنى عنها.

- توجيه قدر كبير من التفكير العربي مستقبلا لوضع سياسات عملية متفق عليها تؤدي إلى مزيد من التعاون.

- التوصل إلى تصور مشترك للعلاقة العربية مع التجمعات الاقتصادية الدولية.

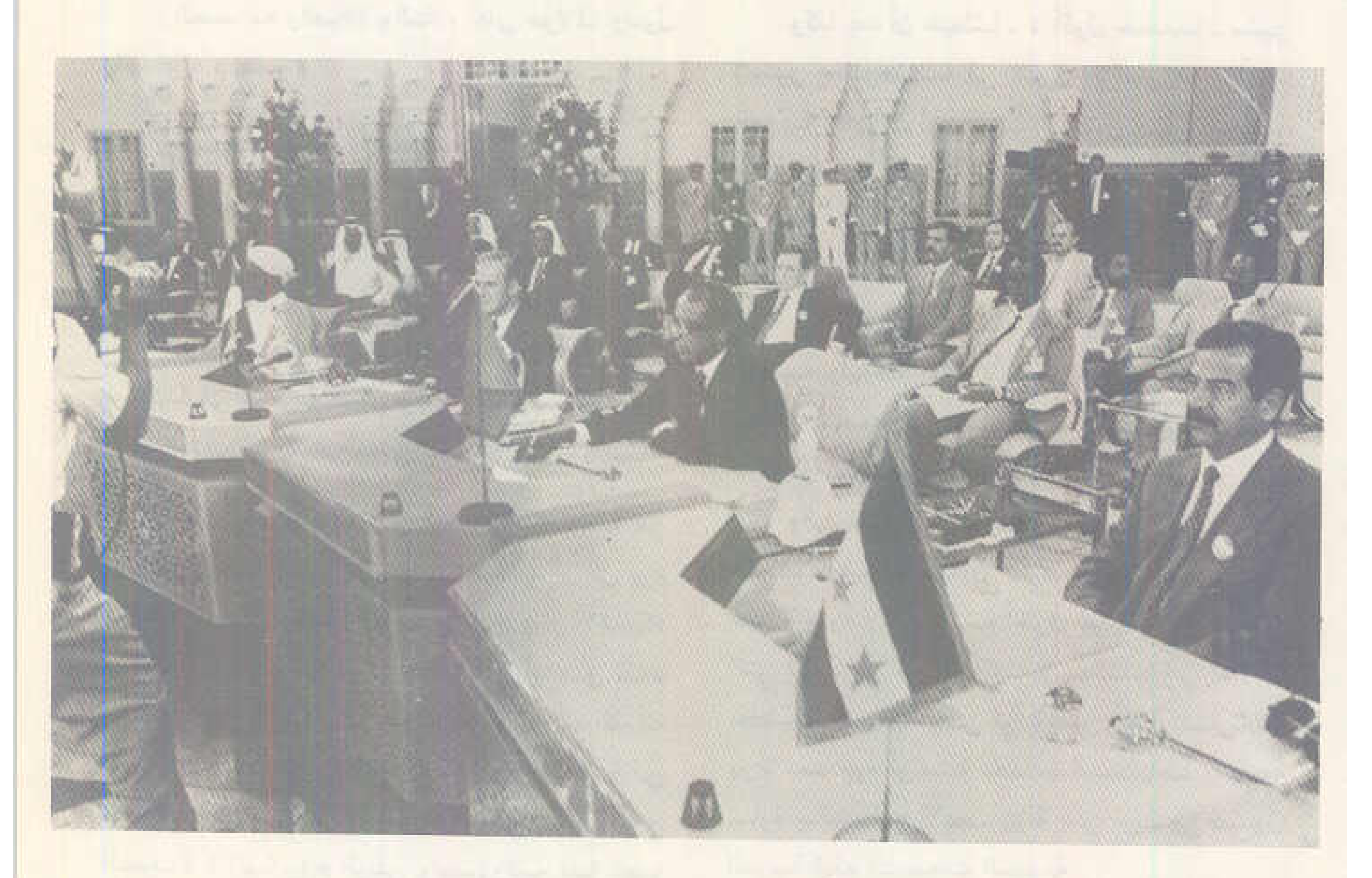
- توجيه قدر كبير من الاهتمام لقضية استيعاب التكنولوجيا الحديثة والارتقاء بمستوى العلم في الوطن العربي.

- العمل على أن يتم التعامل العربي مع العالم الخارجي بالثبات والاستقرار.

وجدد الرئيس مبارك في الختام التزام مصر بالتضامن العربي وحرصها على احترام كافة تعهداتها والتزاماتها القومية، كما جدد تأييد بلاده للشعب الفلسطيني في مقاومته للاحتلال والسيطرة الاسرائيلية وحقه في اختيار الطريق الذي يراه محققا لأهدافه وعطائه حق الاختيار الحر والسلطة في اختيار القرار.

وفيما يتعلق بالأزمة اللبنانية دعا الرئيس المصري إلى الالتزام بإنجاح جهود اللجنة العربية السداسية للإسهام في تحقيق الوفاق الوطني وانسحاب جميع القوات الأجنبية.

هذا وقد صفق الزعيم الليبي طويلا لخطاب الرئيس مبارك وهو ما رأى فيه الملاحظون إشارة واضحة أخرى على أن قمة الدار البيضاء كرست فعلا التصالح الليبي المصري. وتبقى البيضاء بحق قمة المصالحات العربية حيث نشط أكثر من طرف لترتيب لقاء بين الرئيسين حسني مبارك وحافظ الأسد ثم بين عرفات والأسد.



جانب من أعضاء مؤتمر القمة العربي الطارق بالدار البيضاء

في خطاب جلالة الملك في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر:

كان من الضروري جمع هذا المؤتمر لتهيمن روح جديدة في العلاقات العربية العربية

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

أصحاب الجلالة والفخامة،

أصحاب السمو،

أشقائي الأعزاء،

نعلن افتتاح الجلسة العلنية لمؤتمركم هذا، وإننا في المغرب نحس ونشعر بالمسؤولية والشرف في آن واحد اللذين قد ألقيا على عاتقنا.

فمسؤوليتنا هي هل كان في الحقيقة من الضروري جمع هذا المؤتمر أننا نعتقد أن كل يوم يمر إلا ويأتي بسبب لاجتماع لقاء بين الأشقاء والاخوة كيفما كانت نوعية المشاكل أو عمق تلك المشاكل أو حتى لم تكن هناك مشاكل. ولنا الشرف لأن اجتماعنا هذا تهيمن عليه روح جديدة في العلاقات العربية - العربية، وما هي هذه الروح الجديدة ؟ إنها روح الوعي والمسؤولية بما يجب أن نتسلح به لنواجه القرن المقبل الذي لا يفصلنا عنه أكثر من إحدى عشرة سنة.

وكذا بعد أن غبطنا - لا أقول حسدنا - سنين وسنين إخواننا في الشرق الأقصى من الأسرة العربية لأنهم كونوا مجلس التعاون لدول الخليج، ولأنهم كانوا بكيفية منتظمة يخططون وينسقون ها نحن نرى الله سبحانه وتعالى قد هدانا في المغرب إلى تكوين اتحاد المغرب العربي الكبير ذلك الاتحاد الذي جاء ليحقق أحلام الأجيال الماضية وليأخذ بيد الأجيال القادمة كي تدخل معركة النمو والازدهار مسلحة ثابتة متقنة لاختياراتها وتصاميمها.

وفي نفس الوقت يأتي البشير ويقول ها هناك مجلس التعاون العربي يرى النور ويقف على رجليه ويزيد لبنة أخرى في هذه التجمعات التي لها كثير من المزايا لا يمكننا إلى الآن أن نحصيها جميعها ولكن لي اليقين أننا كلما سرنا يوما بعد يوم أو سنة بعد سنة سنفاجأ بكيفية سارة بالنتائج الإيجابية على مجموع الدول العربية لهذه التجمعات الجهوية.

عملنا فيه، وهو الذي سنبقى نعمل فيه وهو الذي تشبثنا وسوف نبقى متشبثين بميثاقه فيما يخص

فلسفته وروحه وعبقريته - نعم هناك بعض الفصول من الناحية الإدارية أو الهيكلية يجب أن تراجع وأن نطرحها على طاولة البحث والمباحثة ولكن نعتقد جازمين أن ميثاق الجامعة العربية وأن هذه التجمعات الثلاثة سوف يكمل بعضها بعضا بل يجب على هذه التجمعات الا توحي لنا بروح الانعزال بل يجب علينا أن تكون لنا حافزا لنتصل أكثر ونعمل جميعا أكثر ونتداخل أكثر في طموحاتنا ومخططاتنا للتنمية والازدهار علما منا أن قدراتنا العربية لم نلم بها تمام الإلمام.

فلنا ولله الحمد الغني الأول والأساسي وهو العنصر البشري، فلنا الرجل العربي بثقافته وتربيته وأصالته وروح كفاحه وشهامته وخياله. ولنا أدمغة وأطر عربية في جميع الميادين، حقيقة يحق لنا أن نفتخر بها وأن نفخر، كما أنه لنا أخيرا قدرات مادية لي اليقين أننا لم نكتشف منها إلا البعض القليل.

فلنحمد الله سبحانه وتعالى على أن هدانا لهذا ويجب علينا أن نعتبر هذه السنة سنة الهداية إلى التجمعات والوحدة.

ولا أريد أن أختم كلمتي هذه دون أن أقول لصديقي القديم الذي أعرفه أكثر من سبعة عشر سنة، فخامة الرئيس حسني مبارك كم يسرني أن أراه هنا بيننا ممثلا لشعبه، الشعب العربي المصري الذي قاتل وكافح أزيد من نصف قرن أن القضية العربية - الاسرائيلية حملت العرب كلهم الكثير والكثير ولكن من الانصاف - والتاريخ يجب أن يكون منصفا - أن نقول إن شعب مصر منذ 1948 هو الذي أدى دائما الحسابات الثقيلة دون أن ينقص ذلك من شهامة واستبسال واستماتة جميع الشعوب الأخرى ومنها الشعب الأردني والشعب السوري والشعب الفلسطيني والشعوب العربية المحبة للحرية والعدالة.

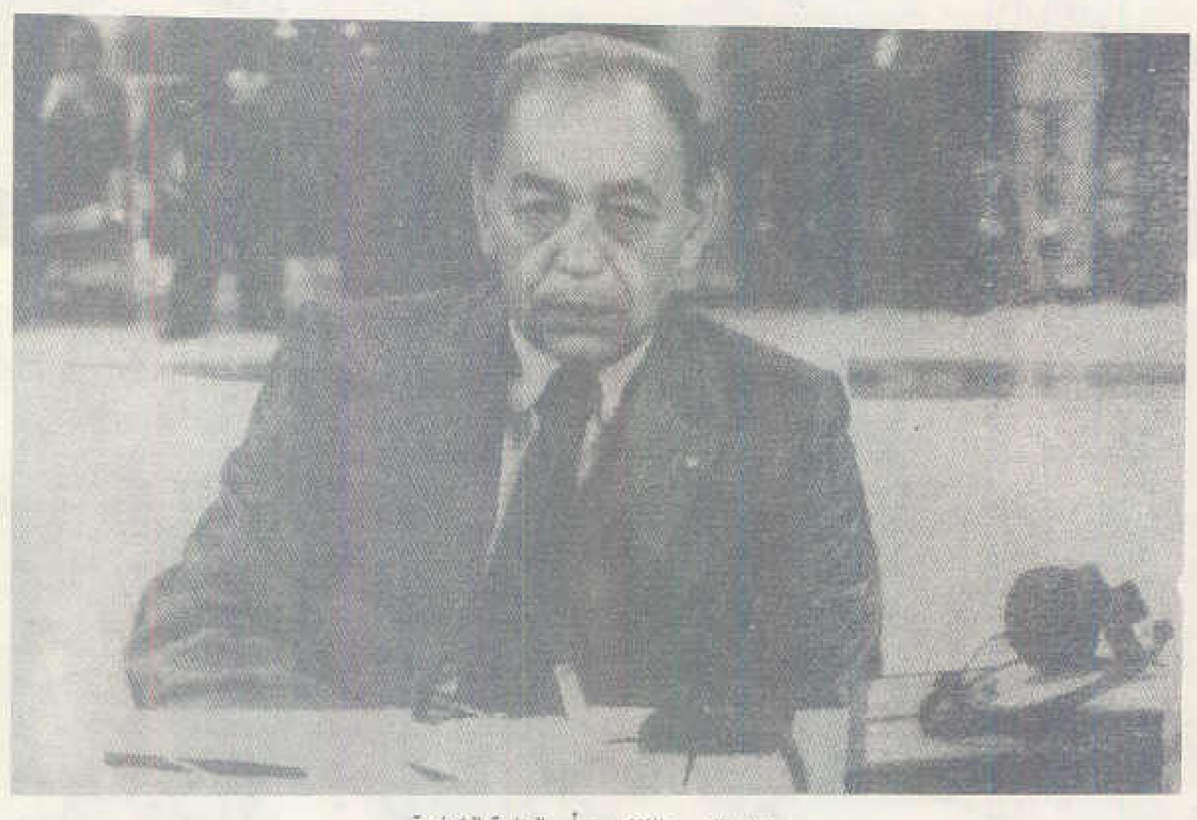
وقبل أن أعطيه الكلمة أريد أن أختم بهذه الآية راجيا من الله سبحانه وتعالى أن يحققها فينا جميعا حيث يقول : ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله.

كلمة جلالة الملك الحسن الثاني
قبل رفع الجلسة الختامية

24 / ماي 1989

انتهى على الساعة الثالثة و35 دقيقة من بعد ظهر الجمعة 27 ماي 1989 مؤتمر القمة العربي الطارئ المنعقد بالدار البيضاء منذ يوم الثلاثاء.

وقبل رفع الجلسة الختامية ألقى جلالة الملك الكلمة التالية :



الملك الحسن الثاني يترأس الجلسة الختامية

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو

إخواني الأعزاء

حضرات السادة

انتهى مؤتمرنا هذا وقبل أن نفترق فلنقل هذه الآية المباركة ﴿ربي ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾ صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله.

ثم ألقى جلالة الملك الحسن الثاني في الجلسة الختامية لمؤتمر القمة العربي الطارئ بالدار البيضاء الكلمة السامية التالية :

نصّ الكلمة الملكية السامية :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو

أصدقاء الأعزاء

حضرات السادة

إن مؤتمرنا الذي نختتمه اليوم تميز بطوله وبكثرة جلساته المغلقة الشيء الذي لا يحتاج معه إلى تبيان أهمية ما تطرقنا إليه من مواضيع.

فللمتسائل أن يتساءل هل هناك خلاف جوهري بين الدول العربية في قضية ما ؟ وهل هناك دولة أو مجموعة دول تنكرت لا لتزاماتها ؟ وهل وجدت أو ولدت هناك مفاهيم ومقاييس مخالفة لتلك التي كنا نعمل على وثيرتها ؟ لكل هذه التساؤلات أقول لا ثم لا، إنما علينا أن نعلم أن الظرف الذي تعيشه الأمة العربية ظرف جديد بالنسبة لجميع النقط التي جاءت في جدول الأعمال.

وأذكر هنا بالنقط الثلاث :

أولا : القضية الفلسطينية.

ثانيا : الوضع في لبنان.

ثالثا : الوضع بين العراق وإيران.

فإذا أخذنا القضية الفلسطينية وجدنا أنه منذ مؤتمر الجزائر المنعقد في السنة الماضية زادت أحداث جسام ثقلها وفرضت وجودها وبالتالي تقاييم جديدة وتحليلات جديدة.

وما هي تلك الظروف الفلسطينية ؟

أولا : قرار الفلسطينيين بإعلان الدولة الفلسطينية وتسمية رئيس المنظمة كرئيس للدولة الفلسطينية.

ثانيا : إقبال بعض الأطراف التي لم تكن تريد هذا من قبل على محاورة منظمة التحرير الفلسطينية. وهذه أهم وأخطر الأحداث الفلسطينية التي طرأت منذ سنة.

☆☆☆

أما بالنسبة للبنان فإن الحالة فيه في السنة الماضية لم تكن كما هي عليه اليوم بل تفاقمت وازدادت خطورة. وتشعبت في نوعيتها وفي طولها وعرضها، وعمقها فكان إذن لزاما علينا أن ننظر إلى هذا الموضوع وأن نعطي الحرية لكل من أراد أن يتكلم فيه حسب معلوماته وتجاربه الشيء الذي تطلب منا الوقت الطويل لنصل إلى صيغة تعكس تماما وبإخلاص ما يخامر الأسرة العربية من عواطف نحو لبنان ومن إرادة فعالة عميقة ليرجع الهدوء والطمأنينة والمشروعية إلى ذلك البلد الشقيق.

☆☆☆

وأخيرا نظرنا إلى الوضع بين العراق وإيران فحمدنا الله سبحانه وتعالى أن توقفت الحرب وأن خرجت شقيقتنا العراق من هذه المعركة الضارية الدامية مرفوعة الرأس عالية الجبين ولم نكتف



في الجلسة الختامية...

فقط بملاحظة الانتصار والتصفيق له بل نظرنا في الورقة المعروضة علينا.

كيف سيستمر الحوار للوصول إلى سلم طالما أرادها ويريدها إخوان مسلمون وهم العراق وإيران الذين عاشوا وتعايشوا منذ قرون على حدود معروفة وسالمة ؟ وكلكم يعلم أن تهيئ السلم يتطلب تفكيرا وحكمة وأناة وأكبر وأطول من تهيئ الحرب.

فإذا نحن جمعنا هذه النقط الثلاث فهمنا لماذا طالت أعمالنا ورفعنا بهذا كل التباس فيما يخص صفاء نوايانا وطهارة طويتنا.

☆☆☆

نعم لكل منا نظر في هذه المشاكل الثلاث أما اعتبارا لاعتقاده أو بتجربته أو بموقفه الجغرافي أو بملابسات ظروف تمر بها بلده والبلاد الأخرى، ولكن المهم أن النقاش كان حيا وطويلا وهنا يدل إن دل على شيء أن الجسد العربي ولله الحمد جسد يتمتع بالصحة والعافية لأن الحوار والنقاش والأخذ والرد إن دلوا على شيء إنما يدلون على صحة الجسد وصحة التفكير وثقافة الرأي. وبهذه المناسبة أريد في هذا المؤتمر أن أتوجه إلى أخي ياسر عرفات لأعطيه لأول مرة في مؤتمرنا هذا اللقب البروتوكولي الذي يجب له وهو فخامة الرئيس.

إن القضية الفلسطينية قضية كما تعلمون عزيزة علينا ولا سيما بعد أن أذكت نارها وقوت حدتها الانتفاضة في الأراضي المحتلة. فباسمنا جميعا نريد أن يعلم أبناء الأراضي المحتلة اكبارنا واجلالنا للتضحيات وللشهداء. فليسيروا على بركة الله مدعومين روحا وماديا. وليعلموا أنهم كتبوا في سجل التاريخ العربي صفحة وإن كانت مؤلمة دامية هي في آن واحد صفحة لا يمكن إلا أن تكون من الصفحات الذهبية في تاريخ الأمة العربية.

☆☆☆

أما فيما يخص لبنان فلقد توصلنا جميعا إلى أنه يجب أن يوضع حد للمأساة اللبنانية لأنها لا تمس فقط بالمصالح والمنشئات ولا تمس فقط بالأرواح والأبدان بل تمس حتى العناصر المقومة لذلك الشعب الذي أظهر طوال سنين أنه يعرف كيف يتعايش في جو خاص واستثنائي ألا وهو جو اختلاف الأديان والألسن والسلالات. اننا نرجو الله سبحانه وتعالى أن يعيد عليه تلك الأيام الزاهرة حتى يبقى ذلك البلد المعطاء الذي كان له ولا يزال دور مهم جدا في الثقافة والحضارة العربية والإسلامية.

أما لإخواننا العراقيين فنقول لهم ما قال النبي ﷺ بعد فتح مكة : «خرجنا من الجهاد الأصغر للجهاد الأكبر».

فليكونوا على يقين أننا كما وقفنا جميعا بجانبهم وهم يخوضون الجهاد الأصغر سيجدوننا مرة أخرى بجانبهم جميعا وهم يخوضون الجهاد الأكبر.

☆☆☆

إن المغرب ليشكر جميع رؤساء الوفود الذين أخذوا على أنفسهم ليأتوا من مشارق الأرض ومغاربها وعلى أعلى مستوى ممكن للتدارس والمزيد من التعارف والحوار والعشرة. أن المغرب فخور بكونه استضاف لمدة خمسة أيام شخصيات مثل هذه تمثل شعوبا مثل الشعوب التي تمثلها.

بلدكم الثاني وإننا لنرجو لكم وأنتم تشدون الرحال إلى أوطانكم العودة بالسلام والرجوع في الوئام ونرجو لكم ولنا جميعا اجتماعات متكررة مثل هذه تمكننا من أن نضع على محك الأخوة والصراحة والحقيقة أراءنا وتصوراتنا وتحليلاتنا.

بعونه حتى نكون في مستوى المسؤوليات.

وختاما أريد أن يستجيب الله سبحانه وتعالى لدعائنا هذا الذي نجده في آية من كتابه الحكيم حين يقول : ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا﴾ صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.



قادة الدول العربية يتابعون أعمال المؤتمر باهتمام

نصّ البيان الختامي

الصّادر عن مؤتمر القمّة العربي الطارئ

الذي انعقد بمدينة الدار البيضاء

تأكيد الأسس التي قامت عليها خطة السلام العربية التي أقرها مؤتمر القمة العربي الثاني عشر بفاس

المصادقة على قرارات هامة من أجل السلام في الشرق الأوسط والخليج

فيما يلي نص البيان الختامي الصادر عن مؤتمر القمة العربي الطارئ الذي انعقد بمدينة الدار البيضاء تحت رئاسة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في الفترة ما بين 23 و26 ماي الجاري :

بمبادرة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية وبدعوة من جلالته انعقد مؤتمر القمة العربي غير العادي في مدينة الدار البيضاء أيام 17 ـ 20 شوال 1409 الموافق 23 ـ 26 مايو 1989.

ورحب المؤتمر في جلسته الافتتاحية بوفد جمهورية مصر العربية برئاسة فخامة الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية وباستئناف جمهورية مصر العربية وباستئناف مصر لعضويتها الكاملة في جامعة الدول العربية وفي جميع المنظمات والمؤسسات والمجالس التابعة لها وعبر عن اقتناعه بأن وجود جمهورية مصر العربية في مكانها الطبيعي بين شقيقاتها العربيات سيساهم في تعزيز العمل العربي المشترك ودعم مسيرة التضامن ووحدة الصف العربي لما فيه خير الأمة العربية وعزتها وازدهارها.

وأعرب المؤتمر عن تقديره للكلمة التوجيهية التي ألقاها جلالة الملك الحسن الثاني في الجلسة الافتتاحية والتي أكد فيها المعاني القومية النبيلة التي ينطوي عليها انعقاد المؤتمر ورسم فيها آفاق مستقبل العمل العربي المشترك وتعزيز مؤسساته وتطويرها. كما رحب بالبيان الذي ألقاه فخامة الرئيس محمد حسني مبارك. وقرر اعتبار الخطابين وثيقتين من وثائق المؤتمر.

ونتيجة للاتصالات التي تمت بين أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء الدول العربية واستجابة لمبادرة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية رئيس المؤتمر تمكن القادة من ازالة الخلافات التي كانت تعكر العلاقات بين بعض الدول العربية مما أسبغ على أشغال المؤتمر جوا من المصالحة والوفاق والأخوة والتضامن.

وبروح من المسؤولية القومية وشعورا منه بدقة المرحلة التي تجتازها الأمة العربية درس المؤتمر أهم القضايا والتحديات التي تواجهها الأمة العربية :

القضية الفلسطينية :

- فحيى المؤتمر انتفاضة الشعب الفلسطيني المباركة وعبر عن اكباره واعتزازه لأبطالها الصامدين وترحم على شهدائها الأبرار الذين رووا بدمائهم الزكية أرض فلسطين المباركة وقرر الاستمرار في تقديم كافة أنواع الدعم والمساندة لها حتى يتمكن الشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد من الاستمرار في مقاومته وتصعيد انتفاضته الباسلة ضد الاحتلال الإسرائيلي.

- وأدان المؤتمر جرائم الاحتلال الإسرائيلي وممارساته ضد الشعب العربي في الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة ودعا مجلس الأمن إلى تحمل مؤولياته تجاه تلك الجرائم والممارسات بما في ذلك إمكانية فرض العقوبات على إسرائيل.

- وحيى المؤتمر نضال المواطنين السوريين في الجولان السوري المحتل ونضال المقاومة الوطنية اللبنانية في جنوب لبنان ضد الاحتلال الإسرائيلي.

- وأكد المؤتمر الأسس التي قامت عليها خطة السلام العربية التي أقرها مؤتمر القمة العربي الثاني عشر بفاس وأكدها مؤتمر القمة العربي الطارئ بالجزائر وهي الأسس التي تهدف إلى تحرير الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة منذ سنة 1967 من الاحتلال الاسرائيلي وتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه الوطنية الثابتة بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته الوطنية المستقلة بعاصمتها القدس بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد وحشد الطاقات العربية في مختلف المجالات تحقيقا للتوازن الاستراتيجي الشامل لمواجهة المخططات الاسرائيلية العدوانية ولصيانة الحقوق العربية.

- ورحب المؤتمر بقرارات الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني وأكد دعمه لمبادرة السلام الفلسطينية المستندة على خطة السلام العربية وعلى الشرعية الدولية وأشاد بالتجاوب الدولي الإيجابي معها.

- وبارك المؤتمر قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وأعرب عن عزمه على توفير كل مقومات الدعم والمساندة لها وعبر عن تقديره للدول الصديقة التي اعترفت بها رسميا وناشد باقي دول العالم الاعتراف الكامل بالدولة الفلسطينية وتمكينها من ممارسة سيادتها على ترابها الوطني.

- وأيد المؤتمر عقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط بمشاركة الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن وجميع أطراف الصراع بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني بهدف التوصل إلى تسوية شاملة وعادلة للصراع العربي الإسرائيلي على أساس قراري مجلس الأمن الدولي رقم 242 (1967) و338 (1973) وكافة قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة وكذلك الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني والاتفاق على ضمانات أمنية لجميع دول المنطقة بما فيها دولة فلسطين وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وفقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 194 واعتبار جميع قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ذات الصلة مازالت توفر شروطا للشرعية الدولية تضمن حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة.

الملك الحسن الثاني للتحرك وإجراء الاتصالات الدولية المناسبة باسم جامعة الدول العربية بغية تنشيط عملية السلام والمشاركة في الإعداد للمؤتمر الدولي.

- ودعم المؤتمر الموقف الفلسطيني في موضوع الانتخابات بأن تتم بعد الانسحاب الاسرائيلي من الأراضي الفلسطينية المحتلة، وبإشراف دولي في إطار عملية السلام الشاملة، حيث إن المخطط الإسرائيلي يهدف إلى ضرب الانتفاضة وتجاوز منظمة التحرير الفلسطينية والحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني. وأكد المؤتمر ضرورة التمسك بإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة ووضع الأراضي الفلسطينية المحتلة تحت إشراف الأمم المتحدة لفترة مؤقتة لتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير المصير.

مشكلة لبنان

وعبر المؤتمر عن قلقه البالغ لما يجري في لبنان الدولة العضو المؤسس لجامعة الدول العربية الذي شارك على الدوام في تعزيز العمل العربي المشترك والدفاع عن القضايا العربية وساهم بإشعاعه الحضاري وعطائه الفكري والثقافي في إثراء الثقافة العربية والعالمية.

ودرس المؤتمر باهتمام كبير الوضع المأساوي الذي يعيشه لبنان ومضاعفاته وأثاره على الوحدة اللبنانية وعلى الأمن القومي للأمة العربية وأكد ضرورة مواصلة العمل العربي من أجل الوصول إلى حل يعيد إلى لبنان استقراره وأمنه ويحفظ عروبته وسيادته ووحدته الترابية.

وطالب المؤتمر كافة الأطراف اللبنانية باحترام وقف إطلاق النار بصفة فورية دائمة وكاملة وذلك وفق قرار مجلس الجامعة الصادر في 1989/4/27.

وأشاد المؤتمر بالجهود التي بذلتها اللجنة السداسية العربية وحث جميع الأطراف اللبنانية على التعاون في سبيل الوصول إلى المصالحة الوطنية الشاملة وتحقيق بمختلف جوانبها.

وعبر عن التزامه بالمحافظة على وحدة لبنان وعروبته وصيانة أمنه واستقلاله وسيادته ورفض أية محاولة وتقسيمه وجدد التزامه بتقديم المساعدة على إعادة بناء اقتصاده الوطني.

وأكد المؤتمر مجددا القرارات العربية المتعلقة بالتضامن القومي مع لبنان من أجل مساعدته على الخروج من محنته وإنهاء معاناته الطويلة وإعادة الأوضاع الطبيعية إليه وتحقيق الوفاق الوطني بين أبنائه ومساندة الشرعية اللبنانية القائمة على الوفاق.

وقرر المؤتمر تشكيل لجنة مكونة من جلالة الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية ومن حضرة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية ومن فخامة الرئيس الشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وخولها الصلاحيات الشاملة والكاملة لتحقيق الأهداف التي أقرها المؤتمر لحل الأزمة اللبنانية.

وتتولى هذه اللجنة القيام بالاتصالات والإجراءات التي تراها مناسبة بهدف توفير المناخ الملائم لدعم أعضاء مجلس النواب لمناقشة وثيقة الإصلاحات السياسية وإجراء الانتخابات الخاصة برئاسة الجمهورية وتشكيل حكومة الوفاق الوطني على أن يتم ذلك في غضون فترة أقصاها ستة أشهر كما أعلن المؤتمر عن استعداده للانعقاد عقب هذه الفترة للنظر فيما تم تنفيذه وفي التطورات التالية إذا ما تطلب الأمر ذلك.

كما قرر المؤتمر دعم الجهود اللبنانية دوليا في سعيها لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي اللبنانية ودعم بسط سيادة الدولة اللبنانية كاملة على كافة التراب اللبناني بهدف حماية أمنها واستقرارها بقواتها الذاتية.

وأكد المؤتمر رفض الاحتلال الإسرائيلي للأراضي اللبنانية وأدان الاعتداءات الإسرائيلية المستمرة على أرض

لبنان وسيادته وشعبه ودعا مجلس الأمن الدولي إلى العمل على تنفيذ قراراته رقم 425 و508 و509 القاضية بالانسحاب الفوري الكامل غير المشروط لقوات الاحتلال الاسرائيلي من الأراضي اللبنانية.

السلام بين العراق وإيران

واستعرض المؤتمر التطورات التي طرأت على الوضع بين العراق وإيران منذ دورته الأخيرة في الجزائر وأعرب عن ارتياحه العميق لتوقف القتال ولبدء المفاوضات تحت رعاية الأمين العام للأمم المتحدة من أجل التوصل إلى تسوية شاملة وعادلة ودائمة لهذا النزاع.

وإيمانا من المؤتمر بأن وقف إطلاق النار يجب أن يكون نقطة انطلاق للوصول إلى إقامة السلام الشامل والدائم والعادل بين العراق وإيران واستقرار الأمن والسلم في المنطقة فقد أعرب المؤتمر عن أمله في الاسراع بالانتقال من حالة وقف إطلاق النار إلى مرحلة إقامة السلم وترسيخ الأمن والاستقرار ودعا إلى بذل الجهود الدولية والاقليمية من أجل تنشيط وتكثيف المفاوضات المباشرة تحت رعاية الأمين العام للأمم المتحدة بقصد إقامة السلام على أساس تطبيق قرار مجلس الأمن 598 لسنة 1987 باعتباره خطة سلام وبهذا يضمن حقوق العراق وسيادته على أراضيه ومياهه وعدم التدخل في شؤونه الداخلية وضمان أمن الخليج العربي وحرية الملاحة في مياهه الدولية وعبر مضيق هرمز لكافة السفن دون اعاقة وفقا لاتفاقية قانون البحار المعقودة في إطار الأمم المتحدة.

وشدد المؤتمر على ضرورة التصدي لكل المحاولات الرامية إلى عرقلة أو تأخير تطبيق قرار مجلس الأمن 598 على حساب الحقوق الوطنية والقومية العربية.

وأكد المؤتمر تضامنه الكامل مع العراق في الحفاظ على وحدة وسلامة أراضيه وحقوقه التاريخية في سيادته على شط العرب وأيد الدعوة إلى تكليف الأمم المتحدة لتطهير شط العرب وجعله صالحا وآمنا للملاحة.

ولاحظ المؤتمر بقلق بقاء مأساة أسرى الحرب وعدم المباشرة بإطلاق سراحهم وتبادلهم برغم توقف العمليات الحربية الفعالة منذ مجلس الأمن 598 لسنة 1987 واتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949 الخاصة بأسرى الحرب. ودعا المؤتمر الأمم المتحدة وسائر المنظمات والهيئات الدولية إلى اتخاذ ما في وسعها من إجراءات من أجل إطلاق سراح أسرى الحرب وإعاداتهم إلى أوطانهم بدون ابطاء إنهاء لمعاناتهم ومعاناة أسرهم.

وأشاد المؤتمر بالجهود التي يبذلها الأمين العام للأمم المتحدة. وأعلن تأييده لمساعيه الهادفة إلى تحقيق تسوية عادلة وشاملة ودائمة للنزاع تؤدي إلى استتباب السلم والأمن في منطقة الخليج العربي.

تنقية الأجواء العربية

وأولى المؤتمر موضوع تنقية الأجواء العربية كامل اهتمامه وعنايته وجدد إيمانه بضرورة التضامن بين الدول العربية ونبذ الخلافات وأكد أن العمل العربي المشترك هو السبيل الوحيد لمواجهة المخاطر والتحديات التي تحدق بالأمة العربية.

وفي هذا السياق رحب المؤتمر بقيام مجلس التعاون العربي واتحاد المغرب العربي إلى جانب مجلس التعاون لدول الخليج العربية ورأى أن هذه التجمعات الجهوية جاءت لتحقق أحلام الأجيال الماضية ولتأخذ بيد الأجيال القادمة في معركة النمو والازدهار مسلحة باختياراتها وتصميماتها.

وأكد المؤتمر تمسك الدول الأعضاء بجامعة الدول العربية إطارا مؤسسيا شاملا للعمل العربي المشترك عملت هذه الدول فيه وستظل عاملة فيه متشبثة بروح ميثاق الجامعة وأهدافه ومقوماته الأساسية. وعبر المؤتمر عن ثقته بأن المؤسسة القومية الأم وهذه التجمعات سوف يكمل بعضها بعضا وأن أي تجمع يجب أن يكون حافزا على الاتصال والترابط وتعزيز العمل المشترك. ومن أجل مسايرة

التطورات التي يشهدها الوطن العربي رأى المؤتمر ضرورة تطوير التنظيم الإداري والهيكلي للجامعة وإعادة النظر في مشروع تعديل ميثاقها حتى يأتي التعديل مستشفا آفاقا جديدة ومرسخا شمولية دور الجامعة في العمل العربي المشترك ووضع مسيرته. وأكد المؤتمر ضرورة التزام وسائل الإعلام العربية بالمقاييس الأخلاقية والقومية وابتعادها عن المهاترات وتأجيج الخلافات تطبيقا لميثاق الشرف الإعلامي العربي.

وأكد المؤتمر قراره بإدانة العدوان الأمريكي على الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ومساندته لها في وجه التهديدات المتواصلة ضد أمنها وسلامتها وعبر عن دعمه وتأييده لسيادة ليبيا على خليج سرت طبقا للمواثيق الدولية.

وعبر المؤتمر عن ارتياحه لانتصار شعب ناميبيا وبدء مسيرة حصوله على استقلاله الوطني.

وأكد المؤتمر تضامنه الكامل مع شعوب الجنوب الافريقي وإدانته لسياسة التمييز العنصري وللتحالف بين الكيان الصهيوني ونظام بريتوريا العنصري.

وجدد المؤتمر استنكاره للارهاب بجميع أنواعه وأشكاله ومصادره وأكد على ضرورة الاعتماد على الوسائل المشروعة التي أقرتها المواثيق الدولية والتمسك بمبادئ الحق والعدل والشرعية الدولية في سبيل الدفاع عن المصالح الوطنية وتحقيق الأهداف النبيلة.

وبمناسبة انعقاد مؤتمر القمة تلقى جلالة الملك الحسن الثاني رئيس المؤتمر رسائل من كل من قداسة البابا يوحنا بولس الثاني وفخامة الرئيس جورج بوش وفخامة الرئيس ميخائيل غورباتشوف وفخامة الرئيس فرانسوا ميتران ومعالي السيد فيليبي غونزاليس رئيس الحكومة الاسبانية ومن الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة السيد خافير بيريز دي كويار يعبرون فيها عن تمنياتهم بأن تكلل أعمال المؤتمر بالنجاح في حل المشاكل التي يواجهها العالم العربي.

وسجل المؤتمر بارتياح تنامي سياسة الوفاق الدولي وعبر عن أمله في أن يساعد هذا التطور الإيجابي على إشاعة الأمن والسلام وتحقيق الرفاه والازدهار في مختلف أرجاء العالم.

وعبر المؤتمر عن تقديره الكبير لمبادرة جلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية إلى الدعوة لعقد هذا المؤتمر وللجهود التي بذلها جلالته لتوفير فرص نجاحه وأشاد بالحكمة والتبصر اللذين أدار بهما جلالته أعمال المؤتمر واللذين أديا إلى إنجاح هذا المؤتمر وإلى صدور قراراته التاريخية التي ستعزز التضامن العربي وتدعم مسيرة العمل العربي المشترك وتساهم في تحقيق ما تصبو إليه الأمة العربية من تقدم ومنعة.

وتوجه المؤتمر بالشكر والتقدير والاكبار للشعب المغربي الشقيق لما أحاط به الوفود من حفاوة وتكريم.

النّدوة الصّحافية لجلالة الملك

بالقصر الملكي بالرباط بعد انتهاء أشغال المؤتمر

عقد جلالة الملك الحسن الثاني ندوة صحفية بالقصر الملكي بالرباط تناولت نتائج القمة العربية الطارئة التي انعقدت بالدار البيضاء من 23 إلى 26 ماي الجاري.

وفي بداية هذه الندوة ألقى جلالة الملك الكلمة التالية.

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه،

حضرات السادة،

جرت العادة أن يعقد رئيس الدورة بمجرد انتهاء القمة ندوة صحفية أولا لإبداء فلسفة ومنهجية القمة وثانيا للرد على أسئلة الصحافيين محاولا أن يكون شموليا وأن يشفي غليل السائلين في إطار الممكن قوله.

إن القمة ـ ولله الحمد ـ مرت في جو عربي محض لم تكن تسيطر عليها لا هيمنة روحية ولا تأثير مذهبي بل كان منبع القمة وطريقها وفلسفتها التطرق إلى المواضيع العربية ـ العربية قبل كل شيء.

وإذا كانت هذه القمة قد أخذت منا الوقت الطويل ـ ربما كانت أطول قمة عرفناها ـ فما ذلك إلا دليل كما سبق أن قلت على أن الجسد العربي متحرك وخلاق وقمين بأن يأخذ الوقت الضروري نظرا لأهمية الظروف التي نجتازها ولجسامة المشاكل التي تدارسناها.

ويمكن أن نقول أن التفاؤل بعد انتهاء هذه القمة لم يكن تفاؤلا مظهريا فقط ولم تكن ابتسامات إخواني وأشقائي الملوك والرؤساء والأمراء ابتسامات الأدب واللياقة بالنسبة لمضيفهم بل كان انشراحهم وابتسامهم وارتياحهم منبعه وسببه الارتياح العميق الذي أحسنا به كلنا حينما رأينا أنه ليست هناك أية مشكلة لم تقدر العبقرية العربية أن تتغلب عليها.

وبعد ذلك أجاب جلالة الملك على أسئلة الصحفيين.

● سؤال إذاعة البحر الأبيض المتوسط الدولية.

صاحب الجلالة الآن وقد انتهت القمة العربية الطارئة بأخذ قرارات حاسمة في مواضيع حساسة كيف تتصورون خطة التحرك العربي بخصوص النزاع العربي الاسرائيلي لمرحلة ما بعد القمة.

☆ جواب جلالة الملك مما لاشك فيه أن خروج القمة إلى ميدان التطبيق والتحرك ليس بالشيء السهل ولا بالشيء الذي لا شأن له بل بالعكس ـ كما رأيتم في كل لجنة من اللجنتين المنبثقتين عن مؤتمر القمة يوجد رئيس دولة أو



في الندوة الصحفية التي عقدها جلالة الملك عقب انتهاء المؤتمر



جانب من الصحفيين يستمعون تصريحات وتوجيهات صاحب الجلالة رئيس المؤتمر.

رؤساء دول وهذا يدل على أن الارتجال والخفة والنزق كلها ممنوعة علينا.

المهم في ما يخص الملف الفلسطيني أنه يوجد له الآن مكتب كتبت على بابه القضية الفلسطينية فمن أراد أن يأتي بشيء معقول فهو ليس في حاجة إلى أن يستدعى فليطرق الباب وسيفتح له على شرط أن لا يكون ذلك من باب المناورات ولكن من باب المعقول.

مصير لبنان

● سؤال جريدة السياسة الكويتية.

صاحب الجلالة لقد وضع الزعماء العرب بين أيديكم مصير قضية لبنان وفلسطين وهي مسؤولية تاريخية لم تضعها الأمة العربية في يد زعيم قبلكم فهل يحق لنا أن نتصور منهج المعالجة المشرقي التقليدي الذي أدى إلى تطويل الحلول لعقود وسنوات طويلة سيجري بعد الآن تغييره على يدكم.

● جلالة الملك ما هي الضمانة لكي لا تتحول قمة الدار البيضاء إلى مثيلاتها من القمم السابقة التي كانت قراراتها باستمرار فاقدة لإمكانية التنفيذ وشكرا.

☆ جواب جلالة الملك أولا يجب أن أضع النقط على الحروف فأنا لست رئيسا للجنة المكلفة بالقضية اللبنانية فقد اقترح إخواني تقديرا منهم على - حد تعبيرهم - لبعض الخصال التي يتوفر عليها صديقهم ومضيفهم أن أكون رئيسا للجنة لبنان فرفضت رفضا باتا وقلت لن أقبل إلا إذا كانت اللجنة بدون رئيس وبمشاركة فلان وفلان وفلان وذلك لسبب واحد وهو أن ضميري لن يسمح لي برئاسة هذه اللجنة لأنني ربما - وهذه حقا ثغرة لا تغتفر - أقلهم خبرة في هذا الميدان ولهذا أصبح تسيير قضية لبنان أولا بين اللبنانيين وثانيا بين يدي القمة الثلاثية لتعينهم وتساندهم لإيجاد الحل والحل لا يمكن أن ينبثق إلا عن اللبنانيين وعلينا نحن أن نعهدهم وتتعهدهم ونقف إلى جانبهم وأن نسهل لهم الحوار حتى يتمكن لبنان من أن يخرج من الحالة المزرية والمسيئة والأليمة التي يعيشها إلى حالته الطبيعية ألا وهي التساكن بين الأديان والأجناس وفي إطار دستور يجب أن يأخذ بعين الاعتبار ماطرا في المنطقة من تغيرات وبالأخص بالنسبة للبنان نفسها وعليهم قبل كل شيء أن يصمموا العزم على وقف إطلاق النار وعلى فتح الموانئ ليتأتى لهم آنذاك أن يخططوا مصيرهم في جو من الاطمئنان والحرية وهذه المناشدة هي مناشدة القمة كلها ومناشدة جميع الشعوب الممثلة في القمة وغير الممثلة فيها.

وأقول لإخواني اللبنانيين ستجدون منا كل العون والدعم ولن نترك بابا إلا وطرقناه ولن نترك أي فرصة تمر علينا ولكن عليكم يا إخواني في لبنان أن تعلموا شيئا خطيرا جدا وهو أنه إذا فشلت هذه اللجنة لا قدر الله فلا أرى ولسنا نرى نهائيا ما هي المرحلة التي ستتلو هذه اللجنة للخروج بلبنان من ورطته وحربه الداخلية التي مرت عليها أكثر من خمسة عشر سنة.

فما علينا نحن إلا أن نعطيكم يا أبناء لبنان القلب والوقت والجهد والابتكار والاستماتة ولكن المعول الأساسي وهذا أقوله للشعب اللبناني الشقيق هو إرادة اللبنانيين في الصلح والتساكن وحقن الدماء.

● سؤال: إذاعة فرنسا الدولية:

صاحب الجلالة رغم النداء الذي وجهته القمة العربية فإن القصف في لبنان ما يزال متواصلا. وأود أن أعرف ما هي الإجراءات الملموسة التي تعتزم اللجنة الثلاثية التي

أنتم عضو فيها اتخاذها على الفور قصد تعزيز وقف إطلاق النار ومحاولة التمهيد لتسوية الأزمة اللبنانية.

* **جواب جلالة الملك :**

من المؤكد أن الأزمة اللبنانية جد معقدة في تنوع مشاكلها وبالاخص في طول مدتها ذلك أن الأمور السلبية شأنها في ذلك شأن الأمور الايجابية إما أن تعطي أشواكاً أو ثمارا. إذن فالخمسة عشرة سنة من التناحر بين الإخوة لن تيسر الحل أو بالأحرى البحث عن إيجاد الحل. وقد يكون من الطيش بل من العبث الاعتقاد بإيجاد طريق الحل أو مفتاحه لأننا في جميع الأحوال أمام حالة جراحية وكما تعلمون فإنه حتى بالنسبة لنفس العملية يضطر الجراح دائما قبل بدء العملية بحكم طول أمد المرض والسوابق المرضية للمريض والبيئة المحيطة به للبحث عن طريقة جديدة لمباشرة العملية. وهكذا ينبغي علينا في بداية الأمر أن نتحاور فيما بيننا نحن الثلاثة ونتبادل الأفكار والمعلومات وإذذاك فقط يمكننا أن نجد حلا.

فمن المؤكد أن هناك العديد من الأطراف سواء داخل لبنان أو خارجه ليست لها مصلحة في وقف الصراع.

ولهذا أتوجه في هذا الصدد إلى اللبنانيين أنفسهم وأؤكد لهم أنه يتعين عليهم التحلي بالصبر وأن ينددوا هم أنفسهم بأولائك الذين لا يحترمون إرادة القمة التي هي - وأكرر ذلك - إرادة تحقيق المصالحة كما ينبغي علينا نحن أيضا في اللجنة أن نتحلى بالصبر وأن نتجنب الاستفزاز لأنه عندما سيتم الإعلان عن وقف إطلاق النار بصفة رسمية ستكون هناك استفزازات من دون شك. لكني أعتقد أننا سنتوصل في النهاية إلى تجاوز المشكل لأننا في نهاية المطاف نجد أمامنا سوريا والعراق وهما بلدان مسؤولان عضوان في الجامعة العربية ومنظمة الأمم المتحدة ويوجد ضمن هذين المعسكرين عدد من المكونات. وكل المكونات التي توجد في لبنان تخضع إما لسوريا وإما للعراق وهنا ينبغي أن نكون واضحين علما بأن الشرط الذي وضعناه في المؤتمر لقبول تحمل هذا العبء هو أننا نريد الصراحة والشفافية وإذا ما اعترضتنا من هذه الجهة أو تلك بعض الصعوبات فسنكون أول من يتخلى عن المهمة. وهكذا إذن فبمجرد البدء في المسلسل وعرضه على الأطراف المعنية سواء بصورة جماعية أم بصورة فردية سيكون بإمكاننا إذذاك معرفة طبيعة الدعم الذي سيقدم لنا وقيمته والطريقة التي سنوظفه بها.

ولكن ينبغي بصفة خاصة ألا تثبط عزيمة اللبنانيين ـ وخاصة ذوي النيات الحسنة ـ كما ينبغي على أعضاء اللجنة ألا ييأسوا بمجرد إطلاق قذيفة بعد يوم أو يومين أو ثلاثة أو أربعة أيام لأنه ينبغي أن نعلم أننا لم نتوصل بعد إلى إيجاد السبيل وعندما نتوصل إلى ذلك سنطلب التزاما صارما وأتمنى ذلك لأنني أعرف الرئيسين الأسد وصدام ولست الوحيد الذي يعرفهما فهما غنيان عن تقديمهما للمجموعة الدولية. ولا يمكنهما أن ينضما إلى مسلسل المصالحة اللبنانية دون التفكير مليا في العواقب الوخيمة لاستمرار العنف.

الخطة العربية حول فلسطين

* سؤال : صحيفة (البيان).

مولاي صاحب الجلالة أستأذنكم في طرح سؤالين السؤال الأول يتعلق بالخطة العربية حول فلسطين التي اتفقت عليها القمة الاستثنائية التي اتخذتم المبادرة بعقدها ونظمتموها وقدمتموها إلى النجاح. إن القمة الاستثنائية

وضعت ثقتها في صاحب الجلالة وكلفتكم مع زملاء لكم بالتحضير للمؤتمر الدولي للسلام في الشرق العربي. فهذه مهمة كما قلتم صعبة ودقيقة خاصة وأن العرب قدموا كل التنازلات التي كان بإمكانهم أن يقدموها في إطار الحفاظ على الشرف والكرامة وأن الأمر يتعلق الآن بـإسرائيل وحلفائها الذين عليهم أن يقدموا بدورهم تنازلات. سؤالي كيف ترون يا مولاي العمل لتهيء هذا المؤتمر وبالخصوص استعمال الموقف الذي تقارب بكثير بين العظميين وهو التقارب الذي عكسته الرسالتان الموجهتان إلى جلالتكم من طرف الرئيسين جورج بوش وميخائيل غورباتشوف.

السؤال الثاني : يخص يا مولاي النزاعات والخلافات بين العرب والتطاحنات الدموية بين الأشقاء اللبنانيين. مما ميز هذا المؤتمر أنه أدى إلى تصالح بين أطراف عربية كانت تتطاحن وعلى خلاف فيما بينها إلى حد الساعة. هل تعتقدون يا مولاي أن هذه التصالحات صادقة وثابتة وعميقة أم هي سطحية كما حصل في الماضي وهل أنتم متفائلون يا مولاي في ما يخص مستقبل التصالح العربي.

* جواب جلالة الملك :

سأبدأ بالجواب على السؤال الثاني :

مما لا شك فيه وكما صرح به جميع رؤساء الدول في الجلسات المغلقة لم يبق هناك أي مجال لا من باب الواقع ولا من باب المنطق لاستمرار الخلاف الدموي بين العرب كيفما كانوا. لنأخذ مثلا دور سوريا. أن سوريا تقول دخلت إلى لبنان بقرار شرعي وقد تعبت في لبنان ومستعدة للخروج منه على شرط أن يكون التوازي القانوني في الشكل وفي العمق هو الذي يخرجني من لبنان. بمعنى يجب على اللبنانيين أن يكونوا برلمانهم ويختاروا رئيس جمهوريتهم الذي سيعين الوزير الأول وعليهم آنذاك أن يطلبوا من سوريا الخروج من لبنان. هذا هو التصور السوري وهذا التصور وإن كان مشروطا ومعقودا بشروط كثيرة وجلها موضوعة عليه نقطة استفهام يدل أولا وقبل كل شيء على أن سوريا ملتزمة بالخروج. ومن جهة أخرى يقول الجانب العراقي عن مساندته لعون أن هذا الأخير هو القوة الشرعية ويمثل السلطة الشرعية فلهذا يعينه ويقف وراءه. فما رأيت وما أحسست به - لأنه كما يقول النبي ﷺ «أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر» ما رأيت وأحسست به سواء أنا أو إخواني الآخرين يدل على أن الأطراف المعنية تواقة جدا إلى الراحة والسلم. فالعراق ليس في مصلحتها ولا في إرادتها بعد النزيف الذي وقع لها في الحرب العراقية الإيرانية أن تستمر في لبنان بهذه الشوكة في قدمها التي وإن كانت لا تدمي كثيرا فخطرها كبير. وسوريا التي عليها أن تبقى صامدة أمام العدو المشترك والتي عليها أن تعزز جيشها وتقويه ليس في مصلحتها كذلك أن تتعب جيشها في عمليات بوليسية وشرطية الشيء الذي يضر جدا بمعنوية الجيوش والشيء الذي ليس مطابقا لمهمة الجيش لا ضباطا ولا ضباط صف ولا جنود.

إذن يمكننا أن نقول باعتماد عبارات منطقكم - السيد علي يعتة - أن جميع العناصر العلمية والموضوعية موجودة هنا لأن نشق في أن هذه التخاصمات والتطاحنات سوف تنقص بين العرب خطوة بعد خطوة.

أما بالنسبة للسؤال الأول فإنه مما لاشك فيه أن مهة هذه اللجنة - التي أترأسها أنا عبد ربه - فيما يخص القضية الفلسطينية هي مهمة خطيرة جدا. أقول خطيرة جدا لأنه حتى ولو اتفق العظميان على أن حل القضية الفلسطينية يجب أن يكون في إطار المؤتمر الدولي فليس معنى هذا أنهما اتفقا لا على المراحل ولا على الشكل ولا على متى ولا على أين ولا على من سيشارك من



العاهل المغربي ينصت لسؤال احد الصحفيين.

الجانب العربي ومن لا يشارك. المهم هو أننا قرأنا إرادة مكتوبة من الرئيس بوش ومن الرئيس غورباتشوف ومن الرئيس ميتران ومن قداسة البابا ومن الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة تعكس رغبة أكيدة لحل المشكلتين اللبنانية والفلسطينية. هذه مبادئ بقيت قضية التطبيق. وقد استعملتم لفظا لا يعجبني حينما قلتم إن العرب تنازلوا. إن العرب لم يتنازلوا لأن مطلبهم بقي هو مطلبهم الذي كان دائما إعطاء الشعب الفلسطيني حرية تقرير مصيره وإعطائه أرضا ليستقر فيها الشعب الفلسطيني بحدوده وعلمه وسيادته. وإذا ظهر أن هناك تنازلات فهي ليست تنازلات في الجوهر ولا في الغاية فما هي إلا مرونة أكثر حتى نساير النهر العالمي وحتى لا نظهر أننا نكتفي بالعرقلة فقط وأننا لسنا إيجابيين. وأخيرا ماذا كان عمل المؤتمر. لقد كان عمله قبل كل شيء أن يثبت إرادة الفلسطينيين التي انبثقت عن مؤتمرهم أخيرا والتي اعترفت بجميع القرارات التي قرأتموها في البيان المشترك. الآن على الجانب الآخر أن يجيب. وأقول أنه لم تبق للجانب الآخر أي مبرر للتماطل ولربح الوقت. فكل وقت مضى وفات إلا وهو في صالح العرب لا في صالح إسرائيل. فإذا نحن عرفنا كيف نسير أمورنا بدون اقدام أكثر مما يمكن وبدون تخاذل أو ترددات فلي اليقين أننا سنصل. وبالطبع نحن الشعوب العربية وبالأخص شعوب المغرب العربي تعلمنا أن الخروج من حالة الاستعمار إلى حالة الاستقلال يتطلب ككل عمل ثوري أن يقفز المطالب بحقه في وقت ما وفي ظرف ما القفزة اللازمة وأن يتحدى خطرها لكي لا يأخذ من تلك المخاطر إلا الجانب الإيجابي ولا يقع في خضم السلبيات. فحسب تجربتنا في المغرب وفي تونس وفي الجزائر يأتي ظرف للقفزة الثورية. والثوري الحقيقي هو الذي يزن تلك القفزات كما قال لينين ببيض النمل. فيحنما يستقر عنده الرأي يجب أن يقفز تلك القفزة. وبدون حظ صغير من المخاطرة لا يمكن للمرء أن يحقق أي شيء ولا سيما في مستوى بلد ووطن.

انسحاب القوات الإسرائيلية

• سؤال مجلة العالم الصادرة بلندن

صاحب الجلالة هل ترون إمكانية انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي اللبنانية قبل انعقاد المؤتمر الدولي المقترح وهل ترون إمكانية الحصول على ضمانات دولية بهذا الشأن شكرا صاحب الجلالة.

* جواب صاحب الجلالة.

والله كما قلت ليست لدينا خطة لأنه بمجرد ما انتهى المؤتمر قررنا مع الأخ الرئيس أبو عمار أن نأخذ شيئا من الوقت لنبتعد من المشكل وحتى نتمكن من تحليله ودراسته بعيدين عن الضوضاء وعن الارتجال وإذا كانت هناك خطة كما قلت أنت فمن مصلحتنا نحن أن لا تكون لنا خطة الآن.

لقد قلت أنه مكتوب على باب المكتب الفلسطيني هنا بالرباط ـ هنا مكتب حل النزاع العربي الإسرائيلي. فمن كان جديا ومعه شيء جدي فليطرق الباب وسنتدارس معه الموضوع بكل وضوح وبكل صراحة علما منا بأن هذه اللجنة ليست مفوضة ألف في المائة فاللجنة وضعت فيها ثقة ولكن عليها دائما كلما ظنت أنها حققت مرحلة مهمة أو أنها وقفت أمام حائط من جليد أن ترد الخبر والأمر إلى موكلها وهو الشيء الذي سنحاول أن نعلمه مع الرئيس أبو عمار بالمرونة اللازمة وبالصبر الضروري مع اعتبار ما يمكن

تفويته وما لا يمكن تفويته فالمرء عندما يدخل في مفاوضات لا يدخل على أساس أن يأخذ كل شيء وأن لا يعطي أي شيء المهم هنا أن نضع في حقيبة ما يمكن أن يعطى مقابل ما نريد أن نأخذ دون أن يمس ذلك بجوهر القضية الفلسطينية وتحقيق الوطن الفلسطيني للفلسطينيين وتحقيق تقرير المصير للفلسطينيين وفي تحقيق أمنيتهم الغالية العزيزة التي هي مطمح ومطمع للبشر كله وهي أن يمكنهم يوما ما أن يخرجوا من جيوبهم هويتهم الحقيقية سواء كانت في جواز السفر أو في تأشيرة أو في ورقة تعريف أن من حقهم أن تكون لهم جمهورية فلسطينية أو كما أرادوا أن يسمونوا ينبغي أن يمكن أن يقال فلان فلسطيني وهذه الهوية لا يمكن لأحد أن ينازعهم فيها فلهذا أنا متفائل علما بأنه لا يمكن للمتشائم أن يتعاطى للسياسة فمن كان متشائما في نفسه وفي طبعه فليبتعد عن هذه المهنة وليبحث له عن عمل آخر أما السياسة وتدبير الأمور حتى داخليا وكيفما كان حجم البلد وكيفما كان حجم المشكل خارجيا لا بد في العقار أن يكون حظ كبير من التفاؤل.

سأزور اسبانيا في شهر شتنبر

• سؤال التلفزة الإسبانية

أود أن أطرح على جلالتكم سؤالين.

أولا : بما أنكم تشكلون مجموعة بلدان معتدلة داخل الجامعة العربية فلماذا فسحتم المجال لسوريا لتخرج منتصرة من القمة وذلك بعدم مطالبتها بسحب قواتها من لبنان.

ثانيا : لقد تلقيتم عدة دعوات لزيارة اسبانيا ولم تزوروها بعد فما هو السبب.

⁎ جواب جلالة الملك

سأرد على سؤالكم الثاني فورا وبشكل تلقائي أعتقد أن زيارتي لاسبانيا تقررت في شهر شتنبر لقد استقبلت ببالغ السرور رئيس الحكومة الإسبانية الذي تربطني به صداقة قديمة وأمكننا الحديث بكل هدوء وبعيدا عن كل برتوكول وأعتقد أن الظروف ستكون مواتية لتتم الزيارة في شهر شتنبر.

وبالنسبة للسؤال الأول يجب أن تعلموا شيئا وهوأنه عندما نجتمع على مستوى رؤساء الدول فهناك أمور ينبغي احترامها ومن بينها الإقناع وأؤكد على هذا الإقناع فلم يسبق أبدا أن رأينا رئيس دولة عربيا كان أو أسيويا أو أمريكيا شماليا أو جنوبيا أو أوروبيا عوقب وأبعد لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات لأنه لم يكن حكيما فليس لدينا أية وسيلة غير الإقناع والتضامن لإرغام شخص ما على القيام بما لا يريد القيام به وذلك بأن نشرح له أننا إذا كنا قد طلبنا منه أن يقوم بهذا الشيء أو ذاك فما ذلك إلا لكوننا نحبه ولكوننا نعتبر أن النصيحة التي نقدمها له لا نستهدف من ورائها كبته بل على العكس تخليصه من عدد من المشاكل وإذن ينبغي في مثل هذه الحالات اعتماد الإقناع والحكمة وبصفة خاصة إقامة العلاقات على أساس اللباقة فلا ينبغي إطلاقا مهاجمة رئيس دولة بشكل مباشر مهما يكن وخاصة عندما يكون صديقا كما يجب تجنب الحساسيات والتحدث بحكمة والتحدث على الدوام عن المستقبل وذلك لأن الماضي ليس دائما مشجعا وعلى العكس من ذلك يشجع المستقبل بما ينطوي عليه من قواعد وخيال على الاسترسال في الحديث.



مجموعة من الصحفيين يتزاحمون حول قاعة الاجتماعات في منافسة حامية على الصور والتصريحات.

مشكل التوتر بين موريتانيا والسينغال والوضع في جنوب السودان

• سؤال جريدة الشرق الأوسط.

لوحظ أن البيان الختامي لم يشر إلى مسألتين يعتقد أن هناك ارتباطا بينهما وأعني التوتر القائم بين موريتانيا والسنغال والوضع في جنوب السودان إذ أن المنطقتين تعرفان ظاهرة تسترعي الانتباه وتكمن في صدام يبدو وكأنه عربي إفريقي عوض التساكن المفترض.

صاحب الجلالة هل جرى البحث في هاتين المسألتين خلال القمة وما هو تحليل جلالتكم للوضع في المنطقتين وشكرا.

* جواب صاحب الجلالة.

إنه سؤل وجيه وفي محله وسأجيبك بسؤال لنفرض لا قدر الله أن المغرب قرر وضع ملف الصحراء المغربية في يد الجامعة العربية كان في الإمكان أن يكون ذلك كارثة فالجامعة العربية هي الآن بصدد تطوير ميثاقها ومراجعته وليس من مصلحة الجامعة أن نطرح عليها مشكلا يمكن أن تجد حلها في منتديات عالمية أخرى فلو قررنا مثلا أن ندرس الملف السنغالي الموريتاني كجامعة عربية فنسجد أنفسنا محرجين جدا لأن موريتانيا عضو في الجامعة العربية ويجب علينا آنذاك جميعا أن نحترم التضامن العربي وإذا فعلنا هذا فسنكون واقفين بجانب دولة افريقية ضد دولة افريقية مسلمة تحبنا ونحبها وسندخل آنذاك السلالية والعنصرية بين الأبيض والأسود أن علينا نحن أن نصلح ذات البين بين الطرفين بالقول والعمل معا وقد تطرق لهذا المشكل الرئيس الحالي لمنظمة الوحدة الافريقية الرئيس موسى تراوري كما تدخلنا نحن في المغرب العربي في شهر رمضان فأول عمل قامت به دول المغرب العربي الكبير كان عملا سلميا أخويا حيث ذهبت لجنة مكونة من المغرب والجزائر وتونس وليبيا لزيارة موريتانيا والسنغال على أساس أننا لا نريد أن نعرف من الظالم ومن المظلوم ومن الغالب أو المغلوب فالله خلقهما هكذا منذ قرون وعليهما أن يتعايشوا هكذا لا سيما وأن منبع المشكل كان بسيطا جدا وهو مرور رعاة ابل من حدود وطن إلى وطن آخر بحثا عن المرعى.

وقد قرر الطرفان بمجرد أن تهدأ الأمور أن ينكبا على دراسة الخارطة وأن يحاولا بجدية أن يحلا هذا المشكل الشائك موضوع الحدود الموريتانية السنغالية.

أما فيما يخص في السودان فمرة أخرى يجب على هذه التجمعات الدولية كانت عربية أو أسيوية أو أوروبية أن تعلم أنه ليس لها فقط لا النصح أو التحفظ القوي أما استعمال السلطة أو الأمر بالقيام بعمل ما فهذا ليس من صلاحيتها ولا سيما وأن المشكل قبل كل شيء في السودان مشكل داخلي يصعب التسلط أو التطفل عليه اللهم إذا طالب الخصمان في بلد عربي بأن يتحاكما لدى الجامعة أو لدى بعض أعضاء الجامعة.

آنذاك يمكن للجامعة أن تنظر في الموضوع ولكن مادامت القضية سودانية سودانية ولم يلجأ أي طرف من الطرفين إلى تحكيم الجامعة العربية والقبول مسبقا بما حكمت به فإن الأمر سيكون من باب التطفل الذي هو في غير محله وربما سيزيد المشكل تعقدا.

المهم أن ينتصر الفلسطينيون

• سؤال وكالة الأنباء البرتغالية.

صاحب الجلالة لقد قمتم بدور مهم جدا في الحوار الأوروبي العربي ونعلم أن جلالتكم تقيم علاقات متميزة مع

عدد من رؤساء الدول والحكومات في أوروبا كما أن لكم علاقات طيبة مع الولايات المتحدة الأمريكية كما تعلم أن للمغرب جالية يهودية جد هامة يوجد من ضمن أفرادها بعض المسؤولين الاسرائيليين.

وبناء على ذلك أعتقد أنه بإمكانكم الاضطلاع بدور جد هام لحمل إسرائيل على التجاور والتعاون.

وأورد أن أعرف إذا كان بإمكان جلالتكم القيام بمساعي بهذا الخصوص لدى أصدائكم الأروبيين والأمريكيين.

واسمحوا لي جلالة الملك بأن أطرح سؤالا شبيها بالسؤال الذي طرحه زميلي الاسباني فمعروف أن الرئيس سواريس وجه إليكم الدعوة لزيارة البرتغال.

٭ جواب جلالة الملك إني سأتوجه من اسبانيا إلى البرتغال لقد تمت تسوية هذا الأمر مما لا شك فيه أنه يجب على المرء أن يكون منطقيا مع نفسه فالمشكل العربي الاسرائيلي ليس بالمشكل البسيط بل أنه معقد لكن بمجرد ما تقبل معالجة مشكل ما عن طريق الحوار بدل الحرب ينبغي قبول هذا المشكل بكل ما ينطوي عليه من صعوبات لست أدري كيف سنبدأ ولا كيف نتصرف لكننا في جميع الأحوال أنا شخصيا والرئيس عرفات ومجلس رؤساء الدول الذين صادقوا على مقررات القمة عازمون على السير في طريق السلام ومقتنعون بأن السلام سيتحقق لكن لا ينبغي علينا أن نقول منذ البداية أننا لن نتناول هذا المشكل لأنه شائك بل أعتقد أنه علينا أن نحاول القيام بذلك وإذا لم ننجح نحن فسيكون هناك آخرون قادرون على تحقيق ذلك فالعالم العربي ولله الحمد غني بالرجال والعبقرية العربية جد متنوعة.

فهناك أشخاص آخرون غير الحسن الثاني في إمكانهم تسوية هذا المشكل ويمكن القول أنه تم البدء فكما هو الشأن بالنسبة لسباق الخيل هناك دائما حصان ينطلق هو الأول ويضحي به من أجل أن يفوز الآخرون أن المهم هو أن ينتصر الفلسطينيون وأن أقوم بالمهمة المناطة بي بوعي وذكاء.

- سؤال... التلفزة السعودية.

صاحب الجلالة... تفضلتم قبل أيام مع أخيكم خادم الحرمين الشريفين بافتتاح معرض الحرمين الشريفين في مدينة الدار البيضاء. الان يلاقي هذا المعرض إقبالا كبيرا جدا من الشعب المغربي الشقيق. كيف تنظرون جلالتكم إلى أهمية إقامة هذا المعرض الخاص بالأماكن المقدسة على أرض المملكة المغربية خاصة وأنه جاء متزامنا مع انعقاد القمة العربية الاستثنائية التي عقدت مؤخرا في مدينة الدار البيضاء.

٭ جواب جلالة الملك... إن العلاقات بين المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية ليست وليدة اليوم فقد كانت منتظمة دائما وبالأخص منذ قرنين. فافتتاحنا لمعرض الدار البيضاء بمعية أخينا جلالة الملك فهد كان مناسبة لنا للاطلاع على عدة وثائق أو حجج تاريخية كان الجانبان يجهلانها. فمن حسن الحظ ومن حسن الطالع أن يتم هذا الافتتاح فور اختتام مؤتمر القمة وأن يصادف وجود جلالة الملك فهد بعين المكان.

أما التعاون بين البلدين فلا يمكن أن يوصف لأنه تعاون مزيجي يشمل التاريخ والعلاقات الشخصية والمصالح المشتركة كما يشمل جميع العناصر التي من شأنها أن تدفع بهذا التعامل السعودي المغربي إلى الأمام.

دور مصر في القمة

• سؤال... جريدة السفير.

لابد أن نطرح سؤالا عن مصر. فما هو الدور الذي لعبته مصر في هذه القمة سواء بالنسبة للقضية اللبنانية أم القضية الفلسطينية ؟.

*** جواب جلالة الملك... هذه مدة لم نر مقعد مصر العزيزة حيا متحركا وطرفا في المحادثات والمناقشات، وكان دور مصر على لسان صديقنا وأخينا العزيز فخامة الرئيس صديقنا وأخينا العزيز فخامة الرئيس حسني مبارك هو الدور الذي عهدناه فيها ألا وهو ترجيح العقلانية على الوجدانية وقبل كل شيء البحث عن عقدة المشكل حتى يمكن للإنسان أن ينطلق لحل تلك العقدة. فكان دور مصر كجميع إخوانها دورا إيجابيا ونزيها. ولكن دورها الأكبر هو أن كرسي مصر لم يبق فارغا. ولي اليقين أن العرب سوف ينتفعون في المستقبل أكثر وكثير من مشاركة شقيقتهم العزيزة الجمهورية المصرية والتي على رأسها رجل يتم احترامه لأنه رجل وديع ومع الكرامة وليس ديكتاتوريا ورجل يستحق كل تقدير.**

ولي اليقين أن هذه بداية، وأن مصر ستفاجئنا كل يوم إن شاء الله كعادتها بتدخلات وتدخلات تكون كلها دائمة صائبة.

القراران 242 و338

• سؤال وكالة أنباء الصين الجديدة :

صاحب الجلالة : كانت القمة بفضل مبادرة صاحب الجلالة وهنا لو سمحت يا صاحب الجلالة أريد أن أطرح سؤالين :

• السؤال الأول : لقد أعلن المؤتمر اعترافه بالقرارين 242 و338 كقاعدة لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي فهل تعتقدون يا صاحب الجلالة بأن هذا البيان يعتبر خطوة إلى الإمام بالمقارنة مع قمة فاس أو إذا كان الجواب بنعم ففي أي ناحية ؟

• السؤال الثاني : أعلن المؤتمر تأييده لمبادرة السلام الفلسطينية فهل يمكن أن نفهم من هذا أن المبادرة الفلسطينية مقبولة باعتبارها مبادرة سلام عربية ؟

* جواب جلالة الملك :

مما لا شك فيه أن عدة دول عربية قبلت القرارين 242 و338 ولكن اعترافنا السابق كان اعترافا سلبيا غير أنه حينما اعترف بهما الفلسطينيون الذين هم أصحاب القضية أصبح اعترافنا بهذين القرارين اعترافا ديناميكيا وإيجابيا أكثر.

وقد تتبعنا جديا أعمال المجلس الوطني الفلسطيني. وعلينا أن لا ننسى أن المقاومة الفلسطينية كجميع الحركات التحريرية قليلا ما تحسم خلافاتها بالتصويت الديمقراطي بل يكون عادة تغلب هذا الجناح على الجناح الآخر بتصفيات جسدية. أما في دورة المجلس الوطني الفلسطيني الأخيرة فقد حصل هذا الشيء العجيب. فمنظمة التحرير الفلسطينية التي لها تيارات عديدة لكنها تضم جميع الذين يقاتلون ويناهضون ويقولون لا للاحتلال الإسرائيلي بعدما قررت أن تعترف بالقرارات أرادت لا كخلق داخلي بالنسبة لها فقط بل كذلك لإعطائها صورة جديدة على أعمالها وتفكير ذويها أن يتم ذلك بالتصويت.

وهذا كما قلت نادرا جدا في حركات التحرير. فالقوي عادة ما يأكل الضعيف والمتطرف يصفي المعتدل هنا لا فإذا نحن ذهبنا بهذا المخطط الجديد لمنظمة التحرير الفلسطينية سنذهب مسلحين بأغلبية ساحقة من الذين يتحكمون في مصير فلسطين.

وهذه القوة قوة المشروعية وهذا مهم جدا هي التي تجعلنا نقول لمن أراد أن يكون فلسطينيا أكثر من الفلسطينيين. لا يا سيدي أن أهل مكة أدرى بشعابها والقرار قد اتخذ علنا وعلى مرأى ومسمع من الناس واتخذ بالأغلبية إذن لا ينبغي أن نكون فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين. والمهم أن قرارهم واقعي ومحرج لاسرائيل لأن اسرائيل هي المحرجة الآن. وأخيرا فإن هذا القرار يحترم موضة القرن العشرين وهي موضة الديمقراطية.

فالقرار الفلسطيني قرار ممتاز جدا لأنه يقوم بتغليب العقل على العواطف وبإعطاء الرجحان للأغلبية على الأقلية. وهذا شيء يريح أصدقاء الفلسطينيين حيث انهم لا يجدون أنفسهم في حرج حينما يدافعون عن قضيتهم.

تغييرات جوهرية في المعطيات

• سؤال جريدة «الحياة» اللبنانية التي تصدر بلندن :

صاحب الجلالة حدثت تطورات في المدة الأخيرة في الموقف الأمريكي حيال أزمة الشرق الأوسط وقد تجلت هذه التطورات أولا في فتح حوار فلسطيني أمريكي وثانيا في المقترحات التي تقدم بها جيمس بيكر فيما يتعلق برفض فكرة إسرائيل الكبرى. فهل وضع المؤتمر في الاعتبار مثل هذه التطورات وكيف تتصورون حدوث تطور في الموقف الأمريكي لجهة الضغط على إسرائيل ؟

* جواب صاحب الجلالة : هذه الإجابة ستكون آخر جواب أنني أظن بأنها ستكون شاملة.

لماذا استدعينا قمة استثنائية لقد استدعيناها لأنه منذ سنة تحركت جميع الأطراف إلا الطرف العربي. فمنذ المؤتمر الأخير للفلسطينيين في الجزائر وقعت تغييرات جوهرية في المعطيات. أولا أقرت منظمة التحرير الفلسطينية بشجاعة احترامها لمبادئ عالمية لا يمكن نهائيا أن يوجد فيها أدنى فل ثانيا قررت أمريكا فتح الحوار مباشرة مع منظمة التحرير ثالثا تقرر الإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية. هذه هي العناصر التي دفعت إلى الدعوة لعقد قمة استثنائية علما بأن البعض أكد أنه لا يوجد شيء طارئ ففي لبنان يتحارب اللبنانيون منذ خمسة عشر عاما وسيبقون يتحاربون. كما أن الفلسطينيين قالوا كلامهم وهذا ليس أمرا طارئا. ولكن كانت هذه أقلية فعلا كل الدول تكلمت فالاتحاد السوفياتي أبدى نظره وأمريكا أبدت نظرها وأوروبا قالت ما قالت وتوجت الكل بلقاءين للأخ ياسر عرفات وبعد للرئيس ياسر عرفات الأول في مدريد حيث قابله ملك اسبانيا والثاني في باريس حيث استقبله الرئيس فرانسوا ميتران. أن أعمال الحكماء تنزه على البعث وهذه ارهاصات وإشارات بل أكثر من إشارات فهي استدعاءات للحوار. فكان حقيقة من الاجرام أن يبقى العرب كل واحد ساكت أمام تحرك العالم كله للنظر في الملف الفلسطيني بعيون كأنها لم تعرفه من قبل ولم تعلم ما فيه من قبل. بنظر جديد وفكر جديد بحيث يجب الآن على الفلسطينيين وعلى من معهم ولما أقول الفلسطينيين أعني منظمة التحرير ولما أقول من معهم عبد ربه صديقهم من قديم. أن يأخذوا بعين الاعتبار هذا كله وبالأخص مقررات الدار البيضاء لأنها مقررات تساندهم قبل كل شيء. فعلا وقع النقاش في الجلسات المغلقة وهذا ليس سرا ولكن حول ماذا وقعت المناقشة. لقد وقعت في بعض الأحيان وكانت حادة حول ما إذا كان تخطيط الفلسطينيين تخطيطا جيدا أم لا.

لقد ضيعنا وقتا كبيرا لإيجاد النعت اللائق بمخطط الفلسطينيين. هل هو قبيح أم جميل وهل



الملك الحسن الثاني يتحدث خلال مؤتمره الصحفي

هو قابل للتطبيق أم خيالي. أخيرا وقفنا وقفة واحدة عند هذا الحد وقلنا للفلسطينيين أنتم أصحاب القضية ولا يمكن للإنسان أن يتطرق لمشكل لبنان ومشكل فلسطين دون أن يرى أطفال الحجارة أو أطفال الأطلال وأطفال الهدم وأطفال التخريب وأطفال الموت. فإذن قضية فلسطين مدعمة الآن بفضل هذا اللقاء لا لأنه انعقد في المغرب فالفضل يرجع قبل كل شيء لرؤساء الدول. فكما قلت لهم أنا واحد منكم وأنا لست في منصة الرئاسة بل في منصة الإدارة فقط. فكلكم رؤساء هذه القمة. لقد كان ينقص التحرك الفلسطيني المباركة والتبريك العربي. فالحمد لله منظمة التحرير أخذت هذا الربح وهو الحوار مع أمريكا والمساندة من روسيا والسفر الرسمي إلى اسبانيا وباريس. هذا شيء كان ينقصها وهذا شيء حقيقة كان لا يعقل. لقد جاء الاخوان ليس حماسا ولا ارتجالا بل عملوا خمسة أيام في الصباح والليل وبعدما عملوا خرجوا بقرار نهائي وحاسم على أنهم يباركون مخطط الفلسطينيين وخطواتهم وبهذا يزيدونهم شرعية على شرعية.

أشكركم جميعا على انتباهكم. وعلى العموم فقد كانت المواضيع عميقة ولا أقول كثيرة. ومهنتكم هي السؤال والحالة هذه أن مهنتي ليست دائما هي الجواب. فلهذا البعض منكم سيخرج ربما بإحساس الحرمان فأنا أعتذر له. وأرجو لكم مقاما طيبا في بلدكم الثاني. والسلام عليكم ورحمة الله.

في رسالتين إلى جلالة الملك من الرئيسين الأمريكي والسوفياتي

بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربي الطارئ بمدينة الدار البيضاء توصل جلالة الملك الحسن الثاني برسالتين إحداهما من الرئيس السوفياتي ميخاليل غورباتشوف والأخرى من الرئيس الأمريكي جورج بوش، وقد تناولت الرسالتان الوضع في الشرق العربي وسبل التسوية السلمية. وفيما يلي نص الرسالتين :

رسالة الرئيس الأمريكي جورج بوش

صاحب الجلالة :

في الوقت الذي تهيؤون فيه لقمة الدار البيضاء أود أن أقاسمكم بعض التأملات التي تهم مواضيع ذات اهتمام مشترك. إن جيمس بيكر عاد لتوه من موسكو حيث أبلغ تأييدنا لسياسة البيروسترويكا السوفياتية والغلاسنوست وللطريقة الجديدة للتفكير وكذا رغبتنا في المضي قدما انطلاقا من التقدم الذي تم إحرازه منذ 1985 واهتمامنا بتوسيع جدول الأعمال للتطرق إلى مشاكل جديدة.

كما أن زيارته أتاحت الفرصة لإجراء مباحثات بناءة بخصوص الشرق الأوسط بما فيه النزاع العراقي الإيراني ولبنان وعدة مواضيع أخرى.

وكما أكدنا ذلك للسوفيات فإننا مقتنعون بأننا في حاجة لخلق جو سياسي في الشرق الأوسط يؤدي إلى إجراء مفاوضات مثمرة. إن المصالحة بين الأطراف تتطلب مساعي ملموسة لتخفيف التوترات وتحويل العنف إلى حوار سياسي. إن الانتخابات - إذا ماجرت طبقا لمسلسل سياسي يؤدي إلى مفاوضات تهم الوضع القانوني النهائي للأراضي - ستمنح إمكانية تحقيق تقدم فالاقتراح الإسرائيلي يقبل إمكانية التفاوض السياسي الذي سيعالج في المطاف الوضع الدائم للأراضي المحتلة.

وقد أوضح وزير الشؤون الخارجية السوفياتي السيد شيفرنادز أن بلاده لم ترفض الاقتراح الإسرائيلي واعترفت أنه تضمن عناصر إيجابية غير أن بعض النقط تحتاج إلى توضيح.

ومن جهتنا فإننا نعتقد أن الاقتراح الإسرائيلي يمكن أن يساهم في إقامة حوار بناء بين الإسرائيليين والفلسطينيين يهم الأراضي المحتلة.

إن قمة الدار البيضاء تمنح للجامعة إمكانية تدعيم آفاق السلم بتزكية الإجراءات المتخذة من طرف زعيم منظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات بقبول القرار رقم 242 والاعتراف بحق إسرائيل في الوجود وكذا نبذ الإرهاب بطريقة لا لبس فيها.

إن المؤتمر يمكن أن يؤكد مساندته للانتخابات وإذا لم يتوصل إلى ذلك فعليه على الأقل أن يتجنب إجراءات ليس من شأنها إلا أن تضيف عراقيل جديدة للعراقيل التي ما زلنا نواجهها.

صاحب الجلالة :

إنني على يقين من أن قمة الدار البيضاء ستتوصل تحت قيادتكم النيرة إلى نتائج ستدعم عمل أولئك الذين بدأوا مسلسل السلم وتتيح المرونة الضرورية لتشجيع الحل التوافقي.

وإن عودة مصر إلى الجامعة العربية من شأنها أن تدعم جهودكم في هذا الصدد.

إن البيان الأمريكي السوفياتي المشترك حول لبنان كان موضع اهتمام كبير وإن الولايات المتحدة تواصل بقوة تشجيع مبادرة الجامعة العربية لمساعدة لبنان وهو ما يتيح ونحن مقتنعون بذلك آفاق أفضل لوضع حد للمعارك والتوصل إلى حل سياسي لسلم دائم يتضمن المصالحة الوطنية وانسحاب جميع القوات الأجنبية.

ونأمل أن يدعم المؤتمر هذه المساعي وأن يقوم بالخصوص بكل ما في وسعه لتمكين مراقبي الجامعة العربية من القيام بمهامهم في أقرب وقت ممكن.

صاحب الجلالة :

في الوقت الذي بدأتم فيه الرهان الذي تواجهونه أود أن أوكد لكم التزامي بمسلسل السلام في الشرق الأوسط. واعتقد أنه بمساندة رجل دولة محنك مثلكم يمكن تحقيق تقدم إذ عملنا سويا لتحقيق هذا الهدف.

ومع أجمل متمنياتي بنجاح جهودكم أرجوكم يا صاحب الجلالة أن تتفضلوا بقبول أصدق مشاعر احترامي.

جورج بوش

رسالة الرئيس السوفياتي ميخائيل جورباتشوف

رسالة الرئيس السوفياتي ميخائيل غورباتشوف :

صاحب الجلالة :

اسمحوا لي أن أحييكم من صميم فؤادي وأن أحيي في شخص جلالتكم جميع المشاركين في مؤتمر القمة العربي الطارئ بمدينة الدار البيضاء الذي يعتبره الاتحاد السوفياتي حدثا هاما لا على الصعيد الإقليمي فحسب، ولكن أيضا على الصعيد الدولي، وإننا إذ نتوجه بالخطاب إلى الحاضرين في هذا الاجتماع. إنما نفعل ذلك بدافع من التقاليد الراسخة القائمة على روابط الصداقة والتعاون السوفياتي العربي وبحكم جهودنا المشتركة الرامية إلى إحلال سلام عادل وشامل في ربوع الشرق الأدنى.

والشيء الذي لا يخلو من دلالة في هذا المقام هو أن مؤتمر القمة العربي الطارئ يجتمع في ظروف تمتاز بتعاظم الاتجاه العالمي نحو إقامة العلاقات الدولية والاقليمية على أساس نظام جديد يطبعه العمل على تدمير الأسلحة النووية وغيرها من أسلحة الإبادة الجماعية، والسعي إلى حل النزاعات الإقليمية، والانتقال من مرحلة المواجهات إلى مرحلة التعامل البناء والتعاون على تحقيق التنمية، وليس في إمكان ولا من حق أي منطقة في العالم أن تظل في هذا الظرف الدقيق بمعزل عن هذا المسلسل الهادف إلى تنقية المناخ الدولي. وقد أصبح الشرق الأدنى نفسه يلج شيئا فشيئا في هذا الطريق السلم.

ونحن نرى أن الشروط التي تتيح التقدم نحو السلام في المنطقة قد أصبحت الآن متوافرة، وان اتفاقا واسعا قد حصل على عقد مؤتمر دولي في شأن الشرق الأدنى، وهذا التحول الملاحظ في الرأي العام العالمي لم يأت عرضا، فهو قبل كل شيء ناتج عن صمود وبطولة الفلسطينيين في الضفة وغزة الذين يواصلون منذ ما يزيد على سنة ونصف انتفاضة سلمية باسلة ضد الاحتلال الإسرائيلي، تلك الانتفاضة التي تحظى بمساندة حازمة من الشعوب العربية والدول الاشتراكية وغير المنحازة والرأي العام في الشرق والغرب على حد سواء، وهذا ما لا تخفى أهميته. وقد كان من بين العوامل التي ساعدت على تمهيد السبيل في اتجاه السلم بالمنطقة، المواقف المتوازنة البناءة التي اتخذتها منظمة التحرير الفلسطينية وكانت حافزا جديدا أدى إلى تحريك الجهود السياسية المبذولة لتسوية المشكلة.

ومع هذا كله، لا يخفى اننا لم نقم بعد بكل ما علينا أن نقوم به، وإن قطار التسوية وإن كان على استعداد للانطلاق فإنه لم ينطلق بعد، ولهذا يجب علينا أن نكثف الجهود، وأن نسعى إلى عقد المؤتمر الدولي مستخدمين لذلك كل ما لدينا من قوة وإمكانات وجميع ما نملكه من وسائل. ومن المعروف أننا قد اقترحنا عدة تدابير عملية للتهيء للمؤتمر الدولي، كان من بينها استخدام آليات منظمة الأمم المتحدة، ونحن لا نرفض تدابير أخرى قد تقترح في هذا المجال بشرط أن تتجه في الطريق السوي، لأن المهم في نظرنا هو أن نشق طريق التسوية جميعا

بجهودنا المشتركة، وبسلوك سبيل الحوار، وتوسيع دائرة التفاهم. ولا يخفى أن توحيد كلمة العرب يكتسي أهمية خاصة لضمان نجاح قضية التسوية، ولهذا نأمل أن يتوقف مؤتمر القمة لصياغة قاعدة تجمع عليها كل الأقطار العربية لعلاج هذه المشكلة ذات الأهمية الحيوية، وعلى العموم فإن الصراحة تفرض علينا أن نقول أن التنسيق الوثيق بين الأقطار العربية كان وسيظل عاملا من العوامل الأساسية التي تساهم في ضمان الاستقرار والسلم في المنطقة.

إن تجاوز الخلافات بين الأقطار العربية مطروحة بصورة حادة وآنية نظرا إلى الحالة السائدة في لبنان حيث يتسبب التناحر بين الاخوة في إراقة الدم العربي، وهذا ما يجعل وقف حرب الإبادة التي يشنها اللبنانيون بعضهم على بعض، وإقرار الكف عن إطلاق النار في أقرب وقت ممكن، على رأس الأولويات التي يجب الاهتمام بها، وذلك وحده كفيل بتمهيد السبيل للسير بخطى عملية نحو تحقيق الوفاق في لبنان، وفتح حوار بناء قار بين مختلف الطوائف اللبنانية، كما أنه أيضا على جانب كبير من الأهمية من وجهة-تكثيف الجهود الهادفة إلى تطبيق الانسحاب الكامل للجيوش الإسرائيلية من الأراضي اللبنانية ووضع حد لتدخل إسرائيل في شؤون لبنان الداخلية.

إننا في الاتحاد السوفياتي نساند كامل المساندة الجهود السلمية التي تبذلها اللجنة السداسية المنبثقة عن الجامعة العربية ونقدرها حق قدرها، ونرى من الضروري أن يحظى نشاطها بمساندة عربية تتقوى أكثر فأكثر وأن يحاط بتفاهم بين الأطراف اللبنانية، حتى يتسنى الاحتفاظ بلبنان دولة موحدة، ويمكن صيانة استقلاله ووحدة أراضيه.

وهناك مشكلة عويصة تشغل بال العرب والاتحاد السوفياتي على حد سواء ويتعلق الأمر بعدم تسوية النزاع العراقي الإيراني الذي لا يزال يتطلب مجهودا أكبر ليتاح لمسلسل المفاوضات بين بغداد وطهران أن ينتهي إلى نتيجة مرضية بعد الصعوبات التي أحاطت ببدايته.

ولا يسعني أن أغفل التطرق إلى مشكلة حادة مستعجلة، هي مشكلة أفغانستان، التي نشأ حولها وضع تفرض علي الصراحة أن أقول إنه وضع خطير يحمل في طياته عواقب غير متوقعة، وقد كان يبدو في ضوء إبرام اتفاقات جنيف وتقيد الاتحاد السوفياتي والحكومة الأفغانية بها تقيدا كاملا ان ليس هناك ما يمنع الأطراف الأخرى من العمل على إعادة الحالة إلى طبيعتها وإتاحة الظروف المناسبة لإجراء مصالحة وطنية أفغانية، ولكن الواقع يختلف عن هذا التصور، فقد ازداد التدخل الخارجي في شؤون أفغانستان الداخلية، وتصاعد النشاط العسكري ضد الشعب الأفغاني، وظهرت محاولات للتلاعب بمصيره لتحقيق مطامح إقليمية أو أغراض أنانية، وعلى كل حال فستكون عاقبة من يؤججون نار الحرب وخيمة كما يشهد بذلك التاريخ. ومن جهة أخرى يدل سير الأحداث على أن محاولات قلب الحكومة الشرعية لجمهورية أفغانستان بقوة السلاح لا تستند إلى أساس، وان ليس هناك بديل معقول عن إجراء تسوية سياسية من خلال تأليف حكومة تعتمد على قاعدة واسعة.

ونحن موقنون بأننا كلما أسرعنا في إعادة توجيه الوضع في أفغانستان نحو السلام سنساعد على توفير آفاق أفضل لمنطقة واسعة من الشرقين الأوسط والأدنى.

وفي الختام، أود أن أعبر عن أملي في أن يساهم مؤتمر القمة العربي بالدار البيضاء مساهمة تليق بأهميته في حل المشكلات التي تواجه أقطار وشعوب الشرق الأدنى، وأتمنى للمشاركين فيه أكبر النجاح، وتحقيق ما تطمح إليه شعوبهم من سعادة وازدهار.

وتفضلوا، صاحب الجلالة، قبول عميق تقديري.

ميخائيل غورباتشوف

رسالة إلى جلالة الملك
من الأمين العام للأمم المتحدة السيد بيريز دي كويار

إن اجتماع هذه القمة ليعد من أهم اللقاءات ويزيد في أهميتها أن يسجل عودة مصرة إلى حظيرة الجامعة العربية.

بعث الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة السيد بيريز ديكويار برقية إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أكد فيها ضرورة مساهمة العالم العربي الموحد في إيجاد حل شامل للقضيتين الفلسطينية واللبنانية.

وفيما يلي نص هذه البرقية :

صاحب الجلالة :

بمناسبة انعقاد الاجتماع المهم الذي يفتتح اليوم بالدار البيضاء أبى إلا أن أوجه إلى جلالتكم وإلى ضيوفكم تحياتي الحارة مشفوعة بتمنياتي بالنجاح.

إن اجتماع هذه القمة ليعد من أهم اللقاءات ويزيد في أهميته أن يسجل عودة مصر إلى حظيرة الجامعة العربية إنه حدث ذو مغزى خاص لا سيما في الظروف التي يجتازها الشرق الأوسط.

ولقد سجلت بغاية الاهتمام أن جدول أعمال هذا الاجتماع يشتمل على موضوعين يستقطبان حاليا اهتمامي وهما النزاع العربي الإسرائيلي وأزمة لبنان.

إن الواجب يفرض علينا أن نعير هذين المشكلتين أهمية مستعجلة إذا أردنا أن نعهد للسلام والاستقرار في هذه الناحية.

فمن جهتي ومنذ بضعة أشهر لم أخف أسفي على ما يتصف به رد الفعل الدبلوماسي من البطء والتهاون والضعف إزاء الديناميكية التي أثارتها الانتفاضة كما أنني لم أتوان في بذل الجهود التي قمت بها من أجل وضع مسلسل للتشاور في مجلس الأمن وبكيفية خاصة بين الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن وسأتابع هذه المجهودات بالرغم من الصعوبات التي ألاقيها وسأظل مقتنعا بأن من مهام مجلس الأمن أن يتولى زمام المبادرة للجهود المبذولة

242 و338 آخذة بعين الاعتبار الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني ومنها حقه في تقرير مصيره.

ومما يسهل هذه التسوية دعوة مؤتمر دولي تحت رعاية الأمم المتحدة مع مشاركة كل الأطراف المعنية.

وفي لبنان نلاحظ منذ شهر شتنبر من السنة الفارطة أن المؤسسات الشرعية أُصيبت بشلل متصاعد إلى درجة أن أجهزة الدولة انحلت ولم تبق تؤدي مهمتها.

إن هذه الوضعية التي انضاف إليها سقوط القنابل المكثف بطريقة عشوائية ما بين منتصف مارس وبداية شهر مايو أيقظت من جديد الاهتمامات التي يوحي بها إلى المجتمع الدولي مستقبل لبنان والحالة اليائسة للسكان المدنيين.

على هذه الناحية.

ولهذا بقيت على اتصال وثيق مع رئيس اللجنة الوزارية العربية المكلفة بالأُزمة اللبنانية الشيخ صباح أحمد الجابر الصباح ولم أتوان قط عن تأكيد تأييدي التام المطلق وإنه لمن الضروري أن تصان وحدة وسيادة لبنان ووحدته الترابية واستقلاله.

إنني لسعيد أن يدرس اجتماع القمة مشكلة الخلاف العربي الإسرائيلي وأزمة لبنان.

إن مساهمة العالم العربي موحدا هي ضرورية لإيجاد حل شامل لهاتين القضيتين.

وختاما أرجو من جلالتكم قبلو تأكيد فائق تقديري وعظيم اعتباري.



رسالة إلى جلالة الملك من قداسة البابا

في رسالة إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني من قداسة البابا : من واجبي أن أرفع إلى علم جلالتكم مشكل لبنان المؤلم موجها نداء حارا من أجل القيام بالمساعي الضرورية لمنع التدمير الذي يهدده أتوجه للعلي القدير أن يشمل جلالتكم ومهمتكم النبيلة بكامل رعايته وغزير بركاته.

بعث قداسة البابا يوحنا بولس الثاني برسالة إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة انعقاد القمة العربية الاستثنائية هذا نصها :

صاحب الجلالة :

إن هناك مخططا سيؤدي إلى تدمير لبنان ويجري ذلك أمام أنظار العالم ويتحمل مسؤولية ذلك كله المجتمع الدولي كما لا يخفى على جلالتكم.

إن تتابع الأحداث واستمرارها منذ سنين تعود إلى تدخل قوات مسلحة للدول المجاورة الأمر الذي أصبح معه وجود لبنان في خطر اليوم.

ومنذ سنين عديدة أعطى هذا البلد أروع مثال للتعايش السلمي مع جميع المتساكنين فيه من مسلمين ومسيحيين على أساس المساواة في الحقوق واحترام مبادئ التعايش والديمقراطية.

وإن مستوى فظاعة هذا المخطط المؤسف الرامي إلى تخريب الوطن اللبناني ليقوم شاهدا عليه ما تتعرض له هذه البلاد باستمرار من هجوم مسلح متواصل عنيف ودام تركز على مدينة بيروت.

وزيادة على هذا ومنذ عدة شهور فإن العقبات تنصب لتحول دون انتخاب رئيس الجمهورية.

إن مثل هذه الأحداث تناشد جميع المؤسسات السياسية ورؤساء جميع المؤسسات الدولية لكي تتحمل مسؤوليتها أمام هذه الوضعية المفجعة.

إننا نجد أنفسنا أمام خطر يهدد سلامة الحياة الدولية إنه تهديد أخلاقي ومما يزيد في الحسرة والألم أن دولة ضعيفة تتحمل قساوة دولة أقوى منها.

وفعلا وفي الحياة الدولية أيضا فإن مبدأ تحريم اعتداء القوي على الضعيف مبدأ له قيمته ووزنه.

وإن المعتدي الذي يتصرف هكذا لهو ظالم أمام الله الحكم الأعلى وكذلك أمام تاريخ الإنسانية.

إن الخطيئة الأخلاقية لتقع على كاهل كل من يشاهد مثل هذه الأحداث ويعايشها ثم لا يقوم بواجبه في الدفاع عن المستضعفين مع أنه قادر على ذلك.

لذلك رأيت من واجبي أن أرفع إلى علم جلالتكم هذا المشكل المؤلم موجها نداء حارا من أجل القيام باستعجال بالمساعي الضرورية لمنع التدمير الذي يهدد لبنان منتهزا هذه المناسبة لأتوجه إلى العلي القدير أن يشمل جلالتكم ومهمتكم النبيلة بكامل رعايته وغزير بركاته.

قداسة البابا يوحنا بولس الثاني

من الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران

وجه الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران رسالة لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ضمنها نداء إلى حكمة جلالته في أن تدشن قمة الدار البيضاء «مرحلة حاسمة في مستقبل لبنان» مؤكدا «مساندته بما سيقرر ويتعهد به من عمل في سبيل هذه الغاية».

وفيما يلي نص هذه الرسالة :

صاحب الجلالة :

في الوقت الذي تفتتح فيه أعمال القمة العربية الطارئة تحت رئاسة جلالتكم أرى من الواجب أن أعرب لكم عن اهتمامي وتقديري لأعمال الجامعة العربية ولجنتها السداسية متمنيا لها النجاح في المهمة المنوطة بها.

وكما تعلم جلالتكم فإن فرنسا لم تدخر أي جهد للبحث عن حل للأزمة التي تجتازها لبنان وزيادة على المساعدة الإنسانية الموجهة لجميع اللبنانيين بذلت جهودا مكثفة لتذكير المجتمع الدولي بمسؤولياته كما تدخلت لدى هيأة الأمم المتحدة للغاية نفسها ولدى أمينها العام.

ولقد سهرت شخصيا على أن تكون المبادرات الدبلوماسية التي قمنا بها منسجمة مع الجهود التي تبذلها الجامعة العربية ومقوية لها.

وإني لمسرور بأن أرى رؤساء الدول العربية ينكبون على دراسة قضية لبنان الذي يحتل مكانة مرموقة في قلب فرنسا في الوقت الذي يعيش فيه هذا البلد مرحلة عصيبة من تاريخه.

إن إعانة لبنان اليوم هي قبل كل شيء الحصول على وقف القنبلة ووضع حد نهائي لإطلاق النار وقفا كاملا ومحترما. ثم بعد ذلك وبفضل هذه الهدنة إقامة حوار ضروري بين الطوائف اللبنانية جوارا يكون متحررا من جميع الضغوط الخارجية. وأخيرا المساعدة على عودة المشروعية الدستورية وذلك بانتخاب رئيس للجمهورية الذي هو رمز الوحدة الوطنية والبدء بالإصلاحات السياسية التي يقدر الجميع أهميتها وضرورتها.

إنني أتمنى بحرارة أن تساهم أعمالكم في أن يعود إلى لبنان استقلاله الكامل ووحدته الوطنية وسيادته التامة على كافة ترابه.

إن لبنان المتصالح المسترد لأمنه وطمأنينته والحر في اختياراته لن يكون أي تهديد لأحد وعلى العكس فسيصبح عاملا للاستقرار في منطقة مضطربة بسبب كثير من النزاعات منذ زمن طويل.

إني أوجه نداء إلى حكمة جلالتكم - التي برهن عنها وأعطى الكثير من الأمثلة عليها - من أجل أن يدشن هذا المؤتمر الطارئ مرحلة حاسمة في مستقبل لبنان وإنني أؤكد لجلالتكم تأييدي ومساندتي والاعتماد علي شخصيا في كل ما سيقرر ويتعهد به من عمل في سبيل هاته الغاية.

وختاما أرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول فائق تقديري وخالص مودتي».

فرانسوا ميتران



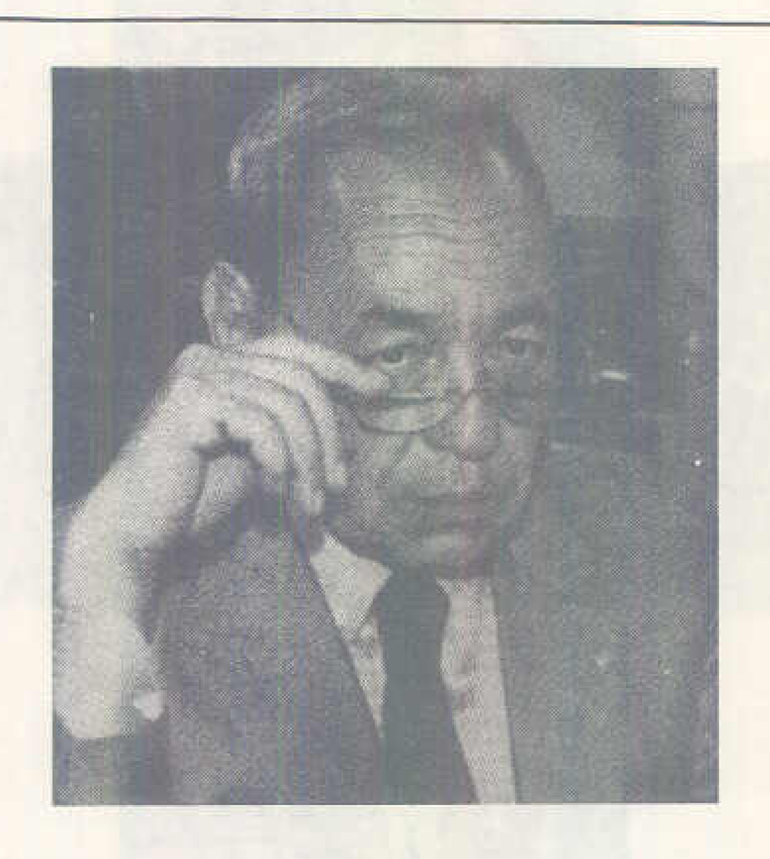
الحزب الاجتماعي البلجيكي يهنئ صاحب الجلالة

بعث رئيس الحزب الاجتماعي المسيحي لا يكسيل «بروكسيل» السيد إدوارد أوتار برقية إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربي الطارئ للدار البيضاء هذا نصها :

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب أمير المؤمنين رئيس دورة جامعة الدول العربية.

إن الحزب الاجتماعي المسيحي لا يكسيل - بروكسيل يهنئ جلالتكم على مبادرتكم لصالح السلم في لبنان ويأمل أن تضع هذه المبادرة حداً للمجازر التي يتعرض لها السكان اللبنانيون.

روبورتاج مصوّر عن الجلسة الافتتاحية لأشغال القمّة الاستثنائية بالدار البيضاء

































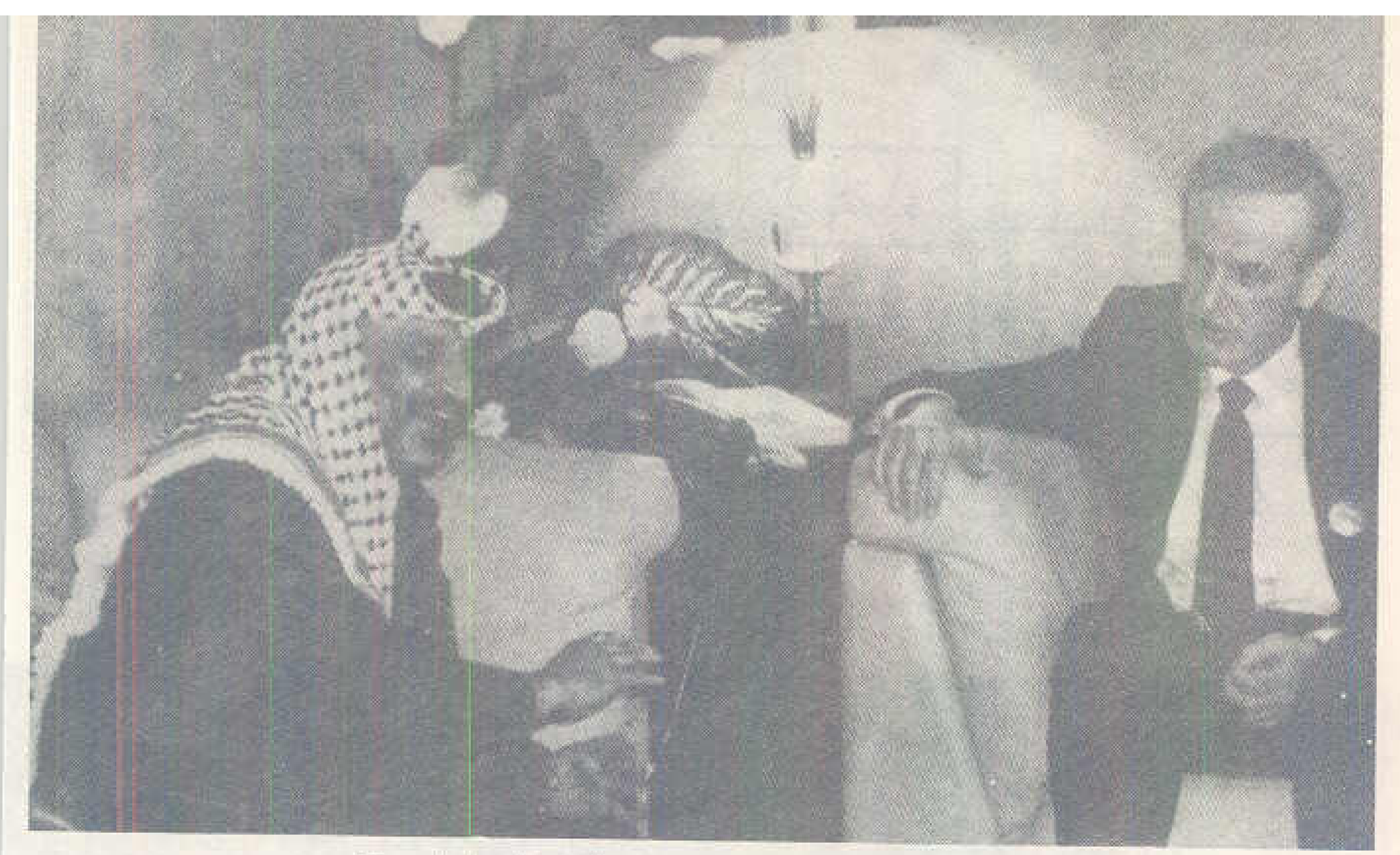



في قمّة الدار البيضاء

لقاءات المصالحات ودعم وحدة الصفّ العربي



الرئيس الليبي معمر القذافي يرفع يده تحية للصحفيين وخلفه الرئيس المصري حسني مبارك في طريقهما معا إلى قاعة الاجتماعات لحضور الجلسة المغلقة للقمة الطارئة



في امتداد لاجواء الوفاق والمصالحة دار هذا الحوار بين الرئيس الأسد والرئيس عرفات



بعد قطيعة دامت عشر سنوات عاد الرئيسان مبارك والقذافي للحوار وظهرت هذه اللقطة النادرة

الملك الحسن الثاني لدى استقباله الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات.

حوار على هامش القمة يجمع بين الرئيس الجزائري والرئيس السوري حافظ الأسد والزعيم الليبي معمر القذافي والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات.



الملك الحسن الثاني في حديث هامس مع الرئيس مبارك لدى وصوله إلى القصر الملكي لحضور الجلسة المغلقة



الرئيس العراقي صدام حسين لدى وصوله الدار البيضاء حيث كان في استقباله الملك الحسن الثاني



الملك الحسن الثاني عاهل المغرب وإلى يمينه الرئيس المصري حسني مبارك لدى وصوله إلى المغرب

مؤتمرات القمّة العربيّة السّابقة

مؤتمر القمة العربي الأول : القاهرة : 13 ـ 17 ـــ 1 ـــ 1964.

مؤتمر القمة العربي الثاني : الاسكندرية : 5 ـ 11 ـــ 9 ـــ 1964.

مؤتمر القمة العربي الثالث : الدار البيضاء : 13 ـ 18 ـــ 9 ـــ 1965.

مؤتمر القمة العربي الرابع : الخرطوم : 29 ـــ 8 ـــ 67 إلى 2 ـــ 9 ـــ 1967.

مؤتمر القمة العربي الخامس : الرباط : 21 ـ 23 ـــ 12 ـــ 1969.

مؤتمر القمة العربي السادس : الجزائر : 26 ـ 28 ـــ 11 ـــ 1973.

مؤتمر القمة العربي السابع : الرباط : 26 ـ 29 ـــ 10 ـــ 1974.

مؤتمر القمة العربي الثامن : القاهرة : 25 ـ 26 ـــ 10 ـــ 1976.

مؤتمر القمة العربي التاسع : بغداد : 2 ـ 5 ـــ 11 ـــ 1978.

مؤتمر القمة العربي العاشر : تونس : 20 ـ 22 ـــ 11 ـــ 1979.

مؤتمر القمة العربي الحادي عشر : عمان : 25 ـ 27 ـــ 11 ـــ 1980.

مؤتمر القمة العربي الثاني عشر : فاس :

الشطر الأول 25 ـــ 11 ـــ 1981.

الشطر الثاني 6 ـ 9 ـــ 8 ـــ 1982.

مؤتمر القمة العربي الاستثنائي بالدار البيضاء غشت 1985.

مؤتمر القمة العربي الاستثنائي بعمان نونبر 1987.

مؤتمر القمة العربي الاستثنائي بالجزائر يونيو 1988.

تقدم "دعوة الحق"

أبحاثا ودراسات
وقصائد وعواطف
وآمالا ومشاعر

بمناسبة الذكرى الستين لميلاد

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني

نصره الله

نبذة عن حياة

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني

نصره الله

ولد صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية بالقصر الملكي بالرباط يوم فاتح صفر 1348 هـ موافق 9 يوليوز 1929 م وينحدر من سلالة النبي محمد ﷺ، واعتلى عرش أجداده يوم 3 مارس 1961، وبذلك يكون الملك الواحد والعشرين في الدولة العلوية التي تأسست في أواسط القرن السابع عشر.

وقد حرص والده جلالة المغفور له محمد الخامس على تلقين ولي العهد تكوينا شاملا يأخذ بالثقافة العربية الإسلامية، والتراث الثقافي المغربي، كما عمل على تأهيله للقضايا السياسية وإعراف الملكية، ومبادئ السلطة.

درس صاحب الجلالة القرآن الكريم وتعاليم الدين الحنيف بالقصر الملكي، على يد الفقهاء والعلماء، وبعد ذلك، دخل المدرسة المولوية.

- 1947 : أحرز على شهادة الباكالوريا بامتياز.
- 1951 : أحرز على شهادة الإجازة في الحقوق.
- 1952 : نال دبلوم الدراسات العليا في القانون من جامعة بوردو بفرنسا.

ابان صاحب الجلالة عن وطنيته ومساندته لحركة التحرير الوطني، وهو لازال ابن الخامسة عشرة، عندما شارك ورفاقه بالمدرسة المولوية، في المظاهرة التي نظمت بالمشور، في الوقت الذي كانت فيه المظاهرات التحريرية تندلع في جميع ربوع المملكة، عقب تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال في شهر يناير 1944، مما أساء إلى سلطات الحماية، التي أعلنت معارضتها لمساندة مولاي الحسن للوطنيين.

ساهم صاحب الجلالة بمجهود متواصل إلى جانب والده والشعب المغربي في مكافحة الاستعمار ومجابهته، وفي سنة 1953 كان خير رفيق لوالده في غياهب المنفى السحيق بكورسيكا ومدغشقر.

فبراير 1956 : شارك إلى جانب والده في المفاوضات مع فرنسا بشأن تحرير المغرب.

ماي 1956 : عينه والده قائدا عاما للأركان العامة للقوات المسلحة الملكية.

يونيو 1956 : مثل المغرب في المفاوضات مع الحكومة الاسبانية لاسترجاع المناطق المحتلة.

9 يوليوز 1957 : تم تنصيبه وليا للعهد.

1956 ـ 1959 : دعم جلالته الثورة الجزائرية، وشارك جلالته في المفاوضات مع الحكومة الفرنسية بشأن تسوية المشكل الجزائري.

عمل صاحب الجلالة على توحيد المغرب وتدعيم استقلاله، حيث حرر إقليم طرفاية سنة 1958 وإقليم سيدي ايفني سنة 1969.

1961 : شارك إلى جانب والده في المؤتمر الأول «لمجموعة الدار البيضاء».

يعتبر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني من دعاة السلم في العالم وبفضل مجهوداته، استطاع المغرب أن يقوم بدور طلائعي في المنظمات الدولية والجهوية.

شتنبر 1961 : ألقى جلالته خطابا تاريخيا أمام القمة التأسيسية لدول عدم الانحياز.

1969 (شتنبر) : دعا إلى عقد أول مؤتمر إسلامي احتضنه المغرب برئاسة جلالته بعد إحراق المسجد الأقصى.

1972 : (يونيو) ترأس القمة الإفريقية التاسعة، المنعقدة بالرباط.

1974 : ترأس القمة العربية بالرباط وقد كان لجلالته خلال هذا المؤتمر، دور كبير في اتخاذ القرار التاريخي، الذي اعتبر منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

16 اكتوبر 1975 : أعلن جلالته تنظيم المسيرة الخضراء، التي فاجأت العالم واعتبرت حدث القرن، شارك فيها 350.000 ألف متطوع من الرجال والنساء، انطلقوا من جميع جهات المملكة نحو الصحراء المغربية، لصلة الرحم مع إخوانهم، مسلحين بكتاب الله عز وجل، وعلى اثرها تم جلاء الاستعمار الإسباني عن الصحراء المغربية.

1981 يونيو حفاظا على وحدة المنظمة الإفريقية، أعلن جلالة الملك أمام القمة 18 الإفريقية بنيروبي قبول إجراء استفتاء بالأقاليم المسترجعة.

1979 : انتخب رئيسا للجنة القدس المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي.

1982 (شتنبر) : ترأس صاحب الجلالة مؤتمر القمة العربي المنعقد بفاس، والذي مكن الملوك والقادة العرب من الاتفاق على خطة موحدة للسلام بشأن القضية العربية، وقد ترأس جلالة الملك اللجنة السباعية، التي انبثقت عن المؤتمر، لتقوم بشرح مقررات القمة العربية والتعريف بها لدى مجلس الأمن، وفي هذا الصدد قام بزيارة لواشنطن على رأس هذه اللجنة في اكتوبر 1982، أجرى خلالها محادثات مع الرئيس الأمريكي وألقى خطابا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة.

1984 (يناير) ترأس مؤتمر القمة الإسلامي الرابع الذي انعقد بالدار البيضاء.

1985 (7 غشت) ترأس مؤتمر القمة العربي الطارئ المنعقد بالدار البيضاء.

- شارك صاحب الجلالة في عدد من المؤتمرات الدولية وخاطب الجمعية العامة للأمم المتحدة عدة مرات دفاعا عن قضايا التحرر والسلام الدوليين.

- في أبريل 1989 وجه جلالة الملك الدعوة لعقد قمة عربية طارئة بالدار البيضاء خلال شهر ماي دعما للثورة الفلسطينية وعملا من أجل إيجاد حل للكارثة اللبنانية.

من مؤلفات صاحب الجلالة كتاب (التحدي) الذي تم طبعه بست لغات (العربية، الفرنسية، الإنجليزية، الإسبانية، التركية والصينية)..

وصاحب الجلالة أب لخمسة أبناء :

صاحبة السمو الملكي الأميرة للا مريم، ازدادت في 26 غشت 1962.

صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد، ازداد في 21 غشت 1963.

صاحبة السمو الملكي الأميرة للا أسماء، ازدادت في 29 شتنبر 1965.

صاحبة السمو الملكي الأميرة للا حسناء، ازدادت في 19 نونبر 1967.

صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، ازداد في 20 يونيو 1970.

دراسة جلالة الملك الحسن الثاني وشبابه

للأستاذ محمد الفاسي

إن الكلام على العباقرة وتحليل عناصر شخصياتهم، يحتاج إلى الاطلاع المباشر على أحوالهم وأعمالهم، وخصوصا على ظروف تكوينهم أيام دراستهم، وملكنا المعظم الحسن الثاني نصره الله من هؤلاء العباقرة الأفذاذ الذين لهم أثر عميق ليس فقط على مصير مملكته، ولكن على جمع الكلمة بين البلاد العربية والإسلامية وقد أتاح لي المولى تعالى أن أعرفه منذ نعومة أظفاره، وبالضبط منذ قريب من خمسين سنة حيث شرفني والده المقدس بالله أستاذا له ومربيا.

ينتسب صاحب الجلالة الحسن الثاني، ملك المغرب إلى الأسرة العلوية التي وردت على المغرب في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، من مدينة ينبع النخل الواقعة قريبا من ساحل البحر الأحمر من الجزيرة العربية، واستقرت بمدينة سجلماسة من جنوب المغرب وهي أسرة تنحدر من صلب النبي ﷺ وهو من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. وجلالته هو الحادي والعشرون من ملوك هذه الأسرة التي ابتدأ حكمها للمغرب في منتصف القرن الحادي عشر الهجري «منتصف القرن السابع عشر الميلادي».

وقد ولد جلالته بالرباط، بعد زوال يوم الثلاثاء 1 صفر الخير 1348 هـ 9 يوليوز 1929 م، وكان والده المرحوم محمد الخامس موجودا يوم ذاك بفرنسا في زيارة رسمية فلما وصله الخبر أمر بتسميته الحسن تفاؤلا باسم جده السلطان العظيم مولاي الحسن الأول.

وقد اعتنى والده بتربيته وتعليمه وأشرف بنفسه على جميع مراحل تعليمه من بدايتها إلى نهايتها أدخل أولا سنة 1934 إلى كتاب قرآني ملحق بالقصر حيث شرع في تعلم الكتابة وحفظ القرآن، وتلقي المبادئ الدينية.

ثم شرع يتلقى تعليما ابتدائيا عصريا سنة 1936 إلى أن نال شهادته الابتدائية سنة 1941 وبدأ يتلقى تعليمه الثانوي بمعهد أنشأه له والده قرب القصر واختار للتعليم فيه نخبة من كفاة الأساتذة المغاربة والأجانب، كما اختار للتعلم معه نخبة من نجباء التلاميذ أخذوا من أوساط مختلفة ومن مدن متعددة، ولم يراع في اختيارهم إلا جدهم في التعلم، واستقامتهم الخلقية وكفايتهم الفكرية.

وقد كان هذا الامتزاج مع أبناء وطنه الذين جاؤوا من أوساط مختلفة مدعاة ليتعرف على أحوال بلاده ويحب أبناءها.

وقد كان كما قدمنا لكاتب هذا المقال حظ كبير بتعيينه من قبل والده المعظم أستاذ الأمير الفتى ومربيا له حيث كنت أدرس له ولرفاقه تاريخ الإسلام وتاريخ المغرب وبعد انخراطه في كلية الحقوق كنت ألقي عليهم درسا في تاريخ التشريع الإسلامي ودرسا في تاريخ الدولة العلوية خصوصا تاريخ الملك العظيم المولى إسماعيل إذ كنت لم أستطع ذلك عندما وصلنا في برنامج المدرسة المولوية إلى تلك الحقبة بسبب إلقاء القبض علي ونفيي إلى الصحراء. وفي أيام العطل كنت أصاحبه إلى الدار البيضاء وإلى إفران حيث كانت العائلة الملكية تقضي هذه العطل.

☆ ☆ ☆

وقد مكنتني هذه الظروف المواتية من معرفة ما حباه الله به من مواهب في سائر الميادين ومن المعلوم أن العظماء تظهر نجابتهم منذ نعومة أظفارهم وهكذا تراه في المدرسة مثال التلميذ اليقظ المتكل على ذكائه لفهم ما يلقى عليه واستيعابه، وقد لا حظت مرة أنه لا يعطي الانتباه اللازم لما أقوله، فنبهته، وقلت له : إنني أراك لا تعير كل انتباهك لما أشرحه لك، فأجابني، بلى، فأجبته، إذا كان الأمر كما تقول، فأعد علي ما ألقيته عليكم، فأخذ يملي علي مما كنت قلته بألفاظ من عنده غير التي كنت استعملتها كما عودتهم لتنمية ملكة الارتجال عندهم، ومن ذلك الوقت تيقنت أن استعداده للتحصيل استعداد فطري فريد.

ومن مظاهر نبوغه وعبقريته في هذه الحقبة أنه كان يحب الاطلاع على كل شيء والمزيد من المعرفة.

وهكذا كنت في أيام العطل أقضي معه الساعات الطوال وهو يلقي علي أسئلة حول شتى المواضيع عن الأدب وتاريخ الحقب التي لم نكن درسناها بعد وعن قبائل المغرب وتقاليده وعوائده وعن الأدب الشعبي والأمثال المغربية وعن الموسيقى. ولما كنا نخرج للتفسح في غابات إفران لا يفتر عن السؤال عن النباتات والحيوانات مما دفعني أنا بنفسي للرجوع إلى هذه المواضيع في الكتب المختصة لألبي رغبته.

وعندما بلغ الرابع عشر من عمره أخذ يهتم بالقضايا السياسية خصوصا أيام الكفاح الذي كان يخوضه والده المعظم مع شعبه لانتشاله من ربقة الحماية ونيله استقلاله وسيادته.

وبعد هذه الارتسامات عن طفولة ملكنا الملهم نرجع إلى سير تعلمه. فما زال يقطع مرحلة التعليم الثانوي حتى حصل بتفوق على شهادة البكالوريا وفي خريف سنة 1948 التحق بمعهد الدراسات القانونية بالرباط لمتابعة تعلمه العالي وكان المعهد المذكور تابعا إذ ذاك لكلية الحقوق بجامعة بوردو. وفي هذه المرحلة من دراسته يبرهن كذلك على كفاية واقتدار نادرين إذ كان يجتاز الامتحانات بتميز حتى نال الإجازة النهائية في الحقوق سنة 1951 والأزمة قائمة على قدم وساق بين والده المعظم والسلطات الفرنسية.

وخلال سنواته الدراسية الثانوية والعالية أخذ والده الملك المحنك رحمه الله يدربه على شؤون السياسة والحكم وقواعد الملك ليهيئه لمسؤولياته المستقبلة وهذا من مزايا النظم الملكية التي تعتبر أن تسيير الممالك ليس من الأمور التي ترتجل ويتولاها من ليس له سابق معرفة بأساليبها الدقيقة ولكنها كسائر المهن تتعلم ويتدرب عليها من سيتولاها منذ صغر سنه حتى إذا طلع على العرش ولي عهد حمل مشعل أسلافه بكيفية طبيعية ووجد نفسه على علم بواجباته نحو أمته ونحو تراث أجداده.

وإن الحسن الثاني تخرج على يد والده من مدرسته المتسمة بالوطنية والإخلاص في العمل لخير البلاد والعباد والتشبث بمبادئ الإسلام السامية ومحبة الشعب والسعي في إسعاده مع معرفة قضاياه ومطامحه، وملكنا المعظم وطني غيور شارك سرا وعلانية في النضال الوطني حتى إنه عند المطالبة بالاستقلال شارك بنفسه في مظاهرة مع الوطنيين بالتواركة، فلما بويع بعد وفاة والده محرر المغرب ورائد استقلال الشعوب الإفريقية أمكنه بما أوتي من مواهب فذة أن يسير بأمته إلى ساحل النجاة في كل الميادين وأن يطبق تلك التعاليم الجليلة التي اقتبسها من والده ومن

تجاربه الخاصة الناتجة عن المسؤوليات المختلفة التي اضطلع بها وهو ولي عهد المملكة المغربية.

ويطول المجال في تعداد أعماله ومواقفه في هذا الميدان وقد تكفلت بشرحها في كتاب عن منجزات عهده السعيد نشرته أو ستنشره وزارة الإعلام بمناسبة بلوغ جلالته الستين سنة أطال الله عمره ووفقه في كل أعماله لخير البلاد والعباد وأثلج صدره بسمو ولي العهد الأمير الجليل سيدي محمد الذي رباه على نفس المبادئ التي يتميز بها وحفظ صنوه الأمير المحبوب مولاي رشيد وكافة أفراد العائلة الملكية الشريفة.

الرباط : محمد الفاسي



الحجة الحسنية

للأستاذ
أحمد مجيد بنجلون
مستشار قانوني بالديوان الملكي

﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾. صدق الله العظيم.

إن مناقب جلالة الحسن الثاني أكثر من أن تحصى، وأن فضائله أوفر من أن تعد، وعبقريته أسمى من أن توصف، وإباءه أقوى من أن ينعت، وطموحه إلى رقي وإسعاد شعبه الشكور أشهر من أن يذكر أو يمجد، وعلمه أنصع من أن يثير الإعجاب ويفرض التقدير، وأخلاقه نموذجية لأنها أخلاق القرآن، وعطفه متناهي إلى حد العفو، وكرمه حاتمي الكم والكيف، ومنجزاته تتحدى القرون والأجيال، وشغفه بكل فرد من أفراد أمته يتعدى البحار في عمقها والجبال في علوها وشموخها والضمائر في صودها، والألوية في نصاعتها وبهائها.

☆ ☆ ☆

إنه الملك الفاتح حيث إنه لم يكتف بالعمل على تحقيق الوحدة الترابية التي أصبحت واقعا ماديا ملموسا بفضل عزيمته التي لا تلين وإرادته التي لا تعرف التردد ولا الوهن وبعد نظره الذي خطط بإمعان وتبصر فأنجز بحكمة ودراية وفعالية، وجلد لم ينفع ضده لا المؤامرات المحبوكة، ولا الجهل المركب ولا لا مبالاة الغير ولا عناد الخصوم وصبر وأناة قهر عدم الإدراك وإقناع الباحثين وجلب العطف والتقدير. لم يكتف بالعمل على تحقيق الوحدة الترابية المنشودة، ولكنه كان أيضا الفاتح للقلوب لأنه ألف الأمة ووحد الكلمة وحقق التضامن الشعبي، وغرس بذور المحبة والإخاء فأينعت وترعرعت حتى جنى الشعب ثمارها وأصبح المغاربة يتكلمون نفس الكلام، ويطمحون إلى تحقيق نفس الغايات والأهداف، والمرامي والمقاصد، وهل من دليل على ذلك أقوى وأنصع مما جاء في الفصل الثامن عشر من الدستور الذي يؤكد على أنه يجب على جميع المغاربة أن يتحملوا متضامنين التكاليف الناتجة عن الكوارث التي تصيب البلاد، وكذلك في مدونة الأحوال الشخصية التي تصدع بأن للمعوز من المغاربة حق في مال من له فضل.

☆ ☆ ☆

إنه الفاتح للأذهان والأرواح والعقول لأنه فتح باب المعرفة على مصراعيه للشباب، فكانت المدارس والمعاهد والكليات يحج إليها من كل حدب وصوب، من توفرت فيهم إرادة التحصيل وبغية التعليم والتكوين، فولجوها بدون تمييز. ودخلوها من غير أداء أي رسم أو نفقة، وحصلوا على العلم النافع والتعليم المجدي، مكونين من أنفسهم مواطنين

صالحين، مؤهلين لخوض معركة الحياة، وحاملين لواء المناعة والكرامة، على استعداد تام للمشاركة في ذلك الجهاد الأكبر الذي دعا إليه ملكنا الراحل جلالة محمد الخامس قدس الله روحه، فكانوا بذلك خير خلف لخير سلف، تحدوهم آكد الرغبات في النفع والانتفاع، لفائدة أمة ضحت بكل ما لديها في سبيل استقلالها، فصار من حقها أن تنتظر من أبنائها نفس التضحية على درب الانتفاضة الخلقية والملحمة الاجتماعية والاقتصادية.

☆ ☆ ☆

أخذ جلالة الحسن الثاني، منذ تربعه على عرش أجداده الميامين، بزمام الأمور، بروح المومن المجاهد، والقائد المقدر لمسؤوليته، والملك المعتز بشعبه ووطنه، والقائد الواعي بثقل العبء الملقى على عاتقه، فتحدى الأوضاع والأحداث، ووجه عنايته لكل الجهات، وعلى مختلف المستويات، في إباء وطموح، حتى أصبح شعبنا من خير الأمم، وجيشنا مثالا يقتدى، وأرضنا قلعة السلم والاستقرار، ونعم المغرب والمغاربة بجو الفضيلة ومناخ المناعة والكرامة.

ولقد تحقق كل هذا بفضل طموح جلالته، وتبصره، ووعيه بالمواقف والمشاكل، وحرصه الأكيد على إيجاد الحل المناسب والمخرج المجدي، واتبع الطريق الوحيد الذي كان من شأنه أن يضمن النجاح، تلك المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

واتباعا لما يهدي إليه هذا المبدأ السامي، كان جلالته يحتكم حتى مع خصومه لقول خالق الكون في كتابه المبين : ﴿**فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم، فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**﴾ صدق الله العظيم.

☆ ☆ ☆

منذ أن تسلم جلالته دام له النصر والتمكين مقاليد الحكم، استند في مبادراته ونشاطه على تعاليم ديننا الحنيف شكلا وموضوعا، فعمل على تكريم الفرد وحماية حقوقه ومكتسباته، مخصصا للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، وحريصا على أن يتوفر كل ذي حق على حقه، وفي أسلوب يجعل من المشاورة ركن الزاوية، ومن تبادل الرأي العنصر الأساسي قبل اتخاذ القرار.

لقد عرف المغرب ثلاثة دساتير، وكلها خضعت لنفس الأسلوب ولذات المسطرة. فجلالته يهيئ المشروع، ثم يعرضه على الأفراد والأحزاب لإبداء الملاحظات حوله، ثم على الشعب الاستفتاء. وفي كل مرة، يؤكد جلالته في الخطاب الملكي الذي يلقيه بالمناسبة أنه على استعداد كامل لتعديل المشروع على ضوء الملاحظات المدلى بها. وهكذا صرح جلالته في الخطاب الذي ألقاه يوم 17 يبراير 1972 بقوله : «**فقل كلمتك شعبي العزيز بكل حرية وبكل نزاهة، ولك أن تبتدئ الحملة بقول لا أو بقول نعم بكل حرية ابتداء من غد وستكون نهاية الاستفتاء متم شهر فبراير إن شاء الله، وأملي في الله سبحانه وتعالى سوف يلهمك سواء السبيل**».

أما الدستور نفسه فهو في مواده وفصوله مرآة لتلك الروح المسالمة والإرادة الحكيمة التي تجعل من تبادل الرأي وإيثار أحسن الحلول والاستناد على قيم الإسلام وأخلاق القرآن منطلقا للتقنين وطريقا قويما للاختيارات إن الدستور المغربي يؤكد دون تردد جميع المبادئ الإسلامية التي تدافع عن الحرية وتدعو إلى المساواة، وتصون الحقوق وتساعد على أن يقوم المواطن المغربي بدوره كاملا في التشاور والحوار، دون أن يكون معرضا لأي نوع من أشكال التأثير والاضطهاد. أما المؤسسات الدستورية فهي مؤهلة لتقوم بدورها على الوجه الأكمل. ولا أدل على ذلك مما جاء في المواد : 66 و 67 و 68 من الدستور ذلك أن مجلس النواب يصوت على المشاريع المعروضة عليه ثم يرفعها إلى جلالة الملك ليصادق عليها، إلا أنه من حق جلالته أن يطلب من مجلس النواب أن يقرأ قراءة جديدة كل مشروع أو اقتراح قانون. وتطلب القراءة

الجـديـدة بخطـاب، ولا يمكن أن ترفض هـذه القراءة الجديدة، وللملك بعد ذلك أن يستفتي شعبه بمقتضى ظهير شريف في شأن كل مشروع أو اقتراح قانون بعد أن يكون المشروع أو الاقتراح قد قرئ قراءة جديدة، اللهم إلا إذا كان نص المشروع أو الاقتراح قد قبل أو رفض بعد قراءته قراءة جديدة بأغلبية ثلثي الأعضاء الذين يتألف منهم مجلس النواب.

☆ ☆ ☆

وشاءت إرادة الخالق، وشاء طموح العرش والشعب أن نحقق استقلال البلاد وانعتاق الأوطان والأفراد، فأدينا ثمن التحرير، ولم نحصل على ابعاد المستعمر حتى انغمرنا في معركة استرجاع أجزاء أراضينا السليبة. فخاض ملك البلاد تلك الملحمة الخالدة التي حررت طرفاية ثم سيدي إفني، لا باللجوء إلى القوة أو السلاح، ولكن بالاستناد على نفس الأسلوب الحسني، أسلوب الحوار، أسلوب المباهلة، وجاء دور الصحراء...

إن من عاش المراحل التي قطعتها قضية الصحراء عن قرب ليدرك مدى فعالية الجهاد الأكبر الذي خاضه جلالة الحسن الثاني بعزيمة لا تلين وبيقظة لا تعرف انقطاعا وبروية وصبر وجلد، وبإيمان كامل بأن الحق يعلو ولا يعلى عليه، وبإرادة توثر النقاش وتفضل طريق السلم، وتجنح إلى المباهلة أمام المحافل الدولية ـ وعرضت القضية على الأمم المتحدة، فنوقشت مرارا وتكرارا. ومرت السنون تلو السنين، وكانت المجادلات حادة، والمناقشات طويلة وصعبة. ولكن جلالته قابل العناد بالأناة والصبر، فلم يهن ولم يضجر، واستمر في خطته المعهودة. ولما وصلت القضية إلى الطريق المسدود، دعا حفظه الله إلى التحاكم أمام محكمة العدل الدولية فأصدرت ذلك الرأي التاريخي الذي اعترف بحق المغرب فكانت المسيرة الخضراء الخالدة التي استمدت روحها من وجدان جلالته ومن إيمانه بصلاحية الطرق السلمية. ودخلنا الصحراء، تنفيذا لنتيجة الحوار والتحكيم.

☆ ☆ ☆

وفي نفس الوقت، كان جلالته يعير القضايا العربية والإسلامية والدولية الأهمية التي تقتضيها رسالته كملك، ومهمته كعربي مسلم، فامتاز بمؤهلاته التي جعلت منه الوسيط المتميز، وتدخل بين الأشقاء والأصدقاء لنصرة الوئام والوفاق، وحصل على تلك النتائج الإيجابية التي أقنعت الخصوم، وارتاح لها الأحباء، والتي امتازت بوفرتها واختلاف ميادينها.

☆ ☆ ☆

لقد عشنا هذه السنة ميلاد اتحاد المغرب العربي، كما احتضنت بلادنا بالدار البيضاء القمة العربية الاستثنائية التي وصفها الملاحظون والمشاركون بأنها قمة التصالح، قمة الوحدة، قمة الإخاء، وفي هذا الصدد أكد المؤتمر على الخصوص: «ونتيجة للاتصالات التي تمت بين أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء الدول العربية واستجابة لمبادرة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية ورئيس المؤتمر تمكن القادة من إزالة الخلافات التي كانت تعكر العلاقات بين بعض الدول العربية مما أصبغ على أشغال المؤتمر جوا من المصالحة والوفاق والأخوة والتضامن».

إنها نتائج تلك السياسة الحكيمة لجلالة الحسن الثاني العظيم.

وإننا إذ نحتفل بعيد ميلاد جلالته، فكلنا شكر وامتنان لخالق الكون الذي وهبنا ملكنا المثالي، ولجلالته الذي قاد سفينتنا إلى شاطئ النجاة، وقلدنا وسام الكرامة، بفضيلته وشغفه بشعبه المتفاني في حبه.

الرباط ـ أحمد مجيد بن جلون



لم يكن الشباب في هذا العصر فئة متميزة بشكل مطلق، عن باقي الشرائح الاجتماعية، فمشكلاتها وقضايا الرئيسية ليست متشابهة في ظاهرة وجوهرها على نفس النسق الذي تبدو فيه اهتمامات شباب العصر الحاضر وحالاته النفسية. فقد كان الأسلوب التربوي يختلف كليا عما هو عليه حاليا، وهو أسلوب كان يقتضي أن يرتبط الأبناء بآبائهم لفترة من شبابهم فضلا عن مرحلة الطفولة والمراهقة، ثم إن الشباب يندمج بعد ذلك مع الكبار رأسا خارج الأسرة وحيثما حل، فمطلوب منه أن ينضبط، وقد يبدأ الانضباط مرنا ويتصاعد حسب الخلايا التي يتأطر فيها الشاب حتى يصبح طاعة عمياء كما هو الشأن لدى الطرق الصوفية حيث كلمة شيخ الطريقة لا تناقش، فالشباب لم تكن لديهم إطارات مغلقة للعمل والتفتح خاصة بهم إلا ما ندر، فهم غالبا مع الكبار، وإن كانت إطارات القيادة والتسيير من الشباب أنفسهم كثيرة في شتى المجالات، ثم إن الشباب الواعي يشعر دائما بانتمائه إلى الأمة التي يشاركها العقيدة ويرى أن عليه واجب خدمتها بالشكل الذي يستطيع أن يخدمها به، وهذه الأمة التي تتكون من مجتمعات عديدة مفتوحة، هي أيضا ترحب بهذا الشباب الواعي، والعامل المنتج، حيثما حل، وفي حدود الإمكانات المحلية، من غير ترتيبات إدارية أو رسمية.

ويتكون الوعي الثقافي لدى الشباب، انطلاقا من الأسرة التي يكون ربها واعيا هو نفسه، وربما عالما أو رجل دين، وقد تشاركه ربة البيت نفس المزايا وغالبا بتأثير منه أو من أسرتها الأصلية، ثم يتخذ صورة أوسع في حلقات الدروس بالجوامع، والتي هي مفتوحة لكل المستويات، وتتكامل هذه التوعية أو تتخذ بالأحرى صورة تأطير منظم وموجه، داخل التشكيلات السياسية والطرقية.

☆☆☆

والواقع أن فئة كبيرة من الشباب تكتسب بموازاة التكوين الثقافي الديني أو بدونه ثقافة رياضية عسكرية عن طريق فن الفروسية الذي يمكن تلقينه سواء في الأوساط القبلية أو بظاهر المدن بالنسبة لسكانها، وكثيرا ما يتلقن الشباب فن الرماية أيضا، وفي عدد من المدن توجد ميادين خصصت للرماية، وهذه الثقافة العسكرية تكون عادة بتوجيه من الآباء زعماء القبائل والحركات السياسية المسلحة، كما تكون بعناية السكان المحليين بالمدن، فضلا عن ضرورة الفروسية داخل الجيوش النظامية.

☆☆☆

وتوجد دائما شريحة كبرى من الشباب اللاهي الذي يعيش في شبه فراغ على هامش المجتمع النشيط من إخوانه، وهذه الفئة اللاهية تجد مشجعاتها غالبا في المدن

الكبرى وبالأخص في عدد من العواصم، وربما تغافلت السلطة أو شجعت هي نفسها هذا الشباب الضائع، على أن يقتل شبابه في الانحراف بدلا من أن يشغله في تقوية البناء الحضاري للمجتمع الذي ينتمي إليه، فلم تفعل السلطة الأموية شيئا يذكر لخير شباب المدينة الذين كانوا يقضون وقتهم لدى القيان وبينهم من ينتمون لأسر كبرى، وبغداد كانت تعج بالبواخير والخمارات التي تردد عليها الماجنون وبينهم أدباء وشعراء، وكان مسموحا لغير المسلمين بفتحها ومحرما على المسلمين التردد عليها، لكن الليل كان وقتا مختارا لهذه الفئة، كما أن العديد من المنازل كانت تشهد سهرات حمراء ما جنة تجمع بين الخمر والطرب والرقص وحتى الشعر، وقصة أبي حنيفة مع جاره المخمر معروفة، وكان أبو حنيفة يحسن إليه ولا يؤذيه، وفي مصر تدخلت شخصية يمنية كبيرة لدى الوالي عبد العزيز بن مروان حتى لا يعاقب جماعة من الشباب اعتقلوا متلبسين بتعاطي الخمر. وكان الفيلسوف الرازي في بداية شبابه يطرب ويعزف على العود ثم تخلى عن ذلك. وإذا كان الرازي يمثل جيل الشباب الذي يمارس على نفسه تجربة اللهو والمجون لفترة قصيرة ثم يتخلى عن التجربة في الوقت المناسب، فإن جيلا آخر قد تجرفه التيارات المتناقضة ويتوزع بينها فهو إما وسط تيار ديني متطرف أو معتدل، أو يلجأ إلى اعتناق أفكار تخالف تماما ما كان يعرفه وما شب عليه، ويتحدث ابن جبير عن فئة من شباب صقلية ذكورا وإناثا كانوا يلجأون إلى التنصر والتطارح على الكنيسة لمجرد سوء تفاهم مع أحد الوالدين. وكان ذلك خلال القرن السادس والإسلام يشهد احتضاره بهذه الجزيرة.

☆ ☆ ☆

ولكن هذه السلبيات لا يمكن أن تحجب وجود فئات أخرى من الشباب فيهم المغامرون والمولعون بالأسفار والذين ساروا بعيدا في اكتساب المعرفة وغيرهم ممن لهم إسهام ملموس يشكل ما في الحياة العامة، فالغالبية العظمى من الرحالة والتجار الذين دونوا مذكرات عن أسفارهم، والمثقفين الذين أسهموا بكتابات قيمة في المجال الجغرافي وتنقلوا من أجل ذلك بأنفسهم عبر البلدان والبقاع كانوا شبابابدأوا مغامراتهم في سن مبكرة من شبابهم كابن بطوطة وابن فضلان وابن حوقل.

☆ ☆ ☆

وفي مجال التدريس ظهر عدد كبير من النبغاء والمتضلعين وهم أحيانا في العقد الثالث، ففقيه الشام تاج الدين عبد الرحمن الفزاري المصري برع في المذهب الشافعي واشتغل به وله بضع وعشرون، وحرر الفتاوي في الثلاثين بل إن شبابا من نفس المذهب أفتى وهو ابن اثنتين وعشرين وهو ابن المرحل صدر الدين العثماني المصري. وتأهل ابن تيمية إمام المذهب الحنبلي للتدريس والفتوى وهو دون العشرين. والأمثلة عديدة جدا في هذا المجال بين الشباب وقد كان التدريس يمثل بدون شك أعلى نسبة بين الإطارات العاملة بالمدن خاصة، وهو يبدأمن مهمة التأديب وينتهي بالتدريس بالمساجد والمدارس. وفي هذه المؤسسات قد يحظى المدرس بكرسي دائم ورواتب ومخصصات محترمة.

ويحظى عدد من الشباب باحتلال مناصب المسؤولية العليا إما لتشجيع من الدولة أو لكفايات نادرة وقع اكتشافها بمحض الصدفة، أو لوساطات ناجحة، ولا ريب أن الشباب الإسلامي شهد أهم فترات تشجيعه لشغل المسؤوليات العليا في صدر الإسلام بالذات، ولقد عين كل من علي ومعاذ بن جبل في مسؤوليات قضائية خلال العهد النبوي وهما أصغر من تولى مثل هذه المسؤوليات حينذاك.

وأدار أسيد بن عتاب شؤون مكة بعد فتحها وهو في مطلع العقد الثالث، ولم يكن راتبه اليومي إلا درهما، وكان مع ذلك معتزا بهذا المبلغ الزهيد وهو يمثل على رأس أشرف بقعة إسلامية، النبي العظيم محمد ﷺ. وكان حازما ضابطا ذلت له رقاب قريش على كبريائها، وكذلك كان من الشباب الذين تولوا أمر مكة واليمن خلال القرن

الخامس أبو كامل علي الصلحي اليمني والذي حول الدعوة من العباسيين إلى الفاطميين، ووصف بأنه أظهر العدل والإحسان عند دخوله مكة «وطابت قلوب الناس له، ورخصت الأسعار، وكان شابا أشقر اللحية أزرق العينين.. وكان متواضعا، إذا اجتاز بقوم سلم عليهم بيده».

وتذكر الروايات الأدبية أن عمر بن عبد العزيز عين واليا حديث السن على بعض الجهات، فقيل له إن هذا الشاب لا يستطيع ضبط الولاية، فكان رد الفتى وقد أحاطه الخليفة علما برأي مستشاريه :

وليس يـــزيـــد المرء جهـــلا ولا عمى
إذا كـــان ذا عقـل، حـــداثـــة ســـنـــه

☆☆☆

وتولى شريح الكندي القضاء منذ عهد عمر شابا، واستمر فيه حتى انسحب منه عن سن عالية في العهد الأموي، وكان إياس بن معاوية من قضاة الشباب في بدايته خلال العهد الأموي، وعرف بجرأته وصلابته في الحق وهو بعد غلام، وتولى يحيى بن أكثم قضاء البصرة وهو في سن العشرين، وبذلك يكون أصغر من تولى هذه المسؤولية بكيفية رسمية. وهذا لا ينفي أن القضاء يحتاج إلى تجربة سابقة. وقد كانت هذه التجربة تكتسب عادة من طاريق ممارسة مهمة التوثيق أو عضوية مجلس المشاورين أو العمل إلى جانب القاضي في الكتابة أو في النيابة.

☆☆☆

وكان أخطر المناصب شأنا على الصعيد الإسلامي أو القطري هو منصب الخلافة أو الملك وما يندرج تحتهما. ولم يكن عنصر الشباب المبكر ناجحا إلا في حالات نادرة جدا في مثل هذه المسؤوليات، خصوصا إذا كان المسؤول محاطا بمن يهيمن عمليا وبكيفية سلبية على مقاليد الأمور. وقد اتجه الأمين العباسي اتجاها مناقضا للمصالح العليا بتأثير من والدته، فأطيح به في وقت وجيز وهو في سن العشرين، وسجل التاريخ الجهادي بالأندلس أسوأ هزيمة على المسلمين في بداية القرن السابع، على يد المستنصر الموحدي الشاب، بسبب الاحتكار المفرط للسلطات التي كان يتمتع بها أحد وزرائه. ولكن ـ عبد الرحمن الداخل، تمكن بشيء من الحزم والذكاء وهو في أوائل العقد الثالث، من أن يضع أسس الدولة الأموية بالأندلس. وهو بالدرجة الأولى كان منشغلا بخصومه من المسلمين، بينما الأمير السلجوقي الشاب بالأناضول كيقباذ يقضي وقته في ملاعبة الكلاب والسباع والتلذذ بتسليطها على الناس، والتتار يهاجمون بلاده فيصالحهم بالمال والرقيق وكلاب الصيد.

☆☆☆

أما سواد الفئات الشابة العاملة خارج إطارات النخبة فتكونها المجموعات التالية :

1 ـ صغار الموظفين وقطاع الجيش والأمن.

2 ـ الصناع والعمال والحرفيون.

3 ـ الفلاحون.

وصغار الموظفين هم جماعة الكتاب ومن في حكمهم كصغار القيمين على الخزائن والمنفذين الأوامر في درجة دنيا من غير أن تكون لهم مبادرة أو مسؤولية. وأهم هذه الفئة كتاب الدواوين الذين يعملون نساخا أو محررين ثانويين سواء على مستوى الإدارة المركزية أو الإقليمية. وقد يسعد الحظ بعضهم للوصول إلى رئاسة ديوان وحتى إلى ولاية اقليمية. والجيش النظامي هو فيما عدا قواده خصوصا كبارهم لا يتقاضى في الغالب إلا رواتب بسيطة وقد يسد نقصه بإقطاعات تخصه بها الدولة. وكثيرا ما يستولى القواد على مخصصات الجند أو بعضها في الأنظمة المحلية وحتى خلال عصر الخلافة، وموظفو الأمن هم قبل كل شيء حماة الأمن في المدن. وعالمهم تكتنفه الأسرار، بما في ذلك أوضاعهم المادية. وهم في ظروف انحطاط الميزانية، وبالأخص في غياب مراقبة صارمة وتسيير نزيه، يعتمدونه أو عدد كبير منهم على الرشوة والهدايا والابتزاز.

والصناع فئتان، إحداهما أرباب الصناعات كالنسيج والصابون والورق والنقش عموما. وهم المسؤولون الأولون والأخيرون في معاملهم، ثم مساعدوهم وقد يلقبون بالصبيان

أو الغلمان، حتى ولو كانوا فتية يافعين، وغالبية هؤلاء يحتفظون بالتبعية لرب المعمل أو الصنعة، فإذا هلك خلفه أحدهم أو من كان أحظاهم بثقته، مع إدخال نظر الورثة في الاعتبار. وغالبية العمال من فئة الشباب. وهم في أوراش البناء وكسح الباخ والأنشطة الملاحية وقطع الأخشاب وما إلى ذلك، وهناك عدد من الحرفيين الذين يعملون بكيفية مستقلة كعدد من صغار التجار وكالأبارين والجزارين والحمالين وغيرهم.

أما مجتمع الفلاحين فتساهم فآته الشابة في الأعمال الزراعية وغراسة البساتين وجر القنوات وأعمال الري واستثمار الغابات وتنميتها وإحيائها... ويلحق به مجتمع الصيادين المحترفين الذين يتخذون من القنص والصيد وسيلة لكسب عيشهم، ومن ذلك فهو مجتمع له خصوصياته وطرائقه في الحياة.

☆ ☆ ☆

وكل هذه الفآت بمختلف أصنافها تضم أشخاصا من عدة أجيال. غير أن الفآت الشابة تكون نسبة عالية في فترات السلم من جهة، وفي الأعمال الجماعية والتنفيذية من جهة أخرى. وعندما يفتقد عنصر الشباب فإن هذا يؤدي حتما إلى انحطاط المردود الاقتصادي بشكل مرعب أحيانا، وليس هناك خير من الحروب المدمرة لابتلاع عشرات الألوف من الفآت الشابة كما هو الشأن في الحروب الصليبية وهجمات التتار والمغول. فالشباب إما أن يفنى قتلا أو يقع تحت الأسر، وبالتالي يسترقه العدو بعيدا عن وطنه وتقاليده. وليس نادرا أن يتحدث المؤرخون عن خروج الشباب لمجابهة الحرب، وبقاء النساء والولدان والشيوخ وحدهم بعيدين عن ساحة الوغى. وعندما حلت نكسة العقاب بالأندلس سنة 609 هـ ظهر فراغ هائل في اليد العاملة المغربية حتى خلت مناطق عديدة وأقفرت من كل نشاط زراعي كما سجل ذلك ابن خلدون. وقد أدى التمزق السياسي والمذهبي العالم الإسلامي إلى انعدام التنسيق بين القوى العاملة لا سيما الشابة التي تحتاج إلى عناية السلطات ومساعدتها حتى تسهم بشكل إيجابي وشامل في البناء الحضاري للأمة الإسلامية وحتى لصالح المجتمع البشري.

☆ ☆ ☆

والواقع أن القطيعة بين السلطة والشباب كانت أقوى منها في الغالب بين السلطة وجيل الكهول والشيوخ. فالسلطة تتخذ من توجيهات الدين، عن صدق أو باطل، وبالطريقة التي تفهمها هي فقط، ذريعة لقمع الحركات المناوئة، وبالتالي لتهميش قطاع كبير من الشباب على أن حالات كثيرة من سلوك سبيل الحوار كانت تبدو بين فترة وأخرى كومضات وسط ظلام من العداء المزمن، وهذه الحالات تمثل الوجه الحقيقي للإسلام كما هو واضح من النصوص القرآنية التي يشغل الحوار العقائدي منها شطرا ملحوظا ومنطقيا، بقدر ما تدعو هذه النصوص إلى أن يكون هذا الجدل بالتي هي أحسن.

☆ ☆ ☆

وعندما يفتح باب الحوار بين السلطة والحركات المناوئة، فهو نادرا ما يخرج عن قضايا الحكم في شكلها وجوهرها، إلى جانب الحوار العقائدي النظري. وفي أول ثورة سياسية في عهد الخليفة عثمان وضع مشكل توزيع الثروات وأشهر أبو ذر الغفاري أفكاره عن انتزاع المال من الأغنياء لصالح الفقراء، لكن مثل هذه المبادئ تهم مجموع الأمة بكل قطاعاتها، وظلت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية مرهونة باختيارات السلطة. وذلك أن الحركات الثورية في مجملها لم يكن لديها في هذه الأوضاع بالذات رأي واضح مسطور تنطلق منه في مجابهتها للسلطة، لكن بعض الحركات التي تحولت إلى أنظمة حكم حقيقية كالفاطميين والموحدين والإباضية عموما، كانت لها مخططات بنيوية وتقاليد برزت أكثر فأكثر بعد مرحلة نشأتها. وكل هذه الحركات اعتمدت إلى حد كبير في مرحلة انطلاقها ومرحلة اندفاعها على عنصر الشباب كقوة مناضلة بصرف النظر عن صيغة ما تومن به. غير أن أيا منها

لم يجانب سبيل العنف من أجل كسب المزيد من المؤيدين غير المقتنعين.

☆☆☆

إن مراجعة لمرحلة ما قبل الخلافة العثمانية انطلاقا من صدر الإسلام تجعل الدارس يستخلص مدى اتساع الحركات التي استقطبت عشرات الألوف من الشباب عبر ثمانية قرون ونصف يمكن تشطيرها إلى ست مراحل :

- القرن الأول : بروز حركة الخوارج، ومرحلة التعارف بين الهويات العقائدية الناشئة.

- القرن الثاني : اتساع التحرك الشيعي والعلوي (نسبة إلى علي بن أبي طالب).

- القرن الثالث : حركة الزنج وبداية القرامطة.

- القرنان، الرابع والخامس : الحركات الباطنية عموما.

- القرن السادس : المذهب التومرتي عبر المغرب الإسلامي.

- من القرن 7 إلى 9 : اتساع المد الصوفي والطرقي.

☆☆☆

واستقطبت كل هذه الحركات شرائح من الشباب قد يسهل التعرف على مدى ضخامتها باعتبار رقع تحركها. وإذا كان المجال هنا لا يتسع لتحليل مبادئ هذه الحركات، فإنه يمكننا على الأقل، استخلاص عبرة رئيسية من وجود قاسم مشترك بينها يمتد أو يبرز ابتداء من القرن الثاني لينتهي إلى آخر مرحلة. وهذا القاسم المشترك هو الانتماء إلى النسب العلوي أو انتحاله بشكل ما، فحتى مرحلة المد الصوفي نجد أعدادا لا حصر لها ممن انتحلوا الصلاح والتصوف أو اندمجوا فيهما ينتسبون إلى البيت العلوي، وبدون شك، فإن السواد الأعظم من الأمة الإسلامية كان يخص الرسول ﷺ بالتبجيل والمحبة الصادقة ويعبر عن ذلك بطرق مختلفة. وهو ينقل جزءا من مشاعره هاته إلى السلالة النبوية ويتخذ لذلك أسبابا لا تحصى، كوقف العقارات والمبرات وإهداء الفتيات إلى الأشراف، والتبرك بهم في المجالات الاقتصادية وما إلى ذلك، ومن ثم كانت السلطات الإسلامية غالبا ما تأخذ بعين الاعتبار هذه الروح السائدة. وكذلك فعلت حركات سياسية عديدة وإن كان بينها من ثبت انتماؤه فعلا إلى البيت النبوي، على أن الأشراف لم يكونوا كلهم ولا حتى معظمهم، على وفاق مع أساليب العنف التي انتهجتها الحركات الثورية ضد الأبرياء من الأفراد الذين لا صلة لهم بالسلطة والمسؤولية.

☆☆☆

ومهما يكن من أمر، فقد وجدت شرائح الشباب الغاضبة، نفسها داخل هذه الحركات، ولو أن الفآت الصوفية والطرقية تختلف في مفاهيمها وأساليب عملها عن باقي الحركات. فعندما انتهى دور الحركات المسلحة والسياسية ذات المبادئ الواضحة، لم يعد لدى الشباب من اختيار أهم من الزوايا وجماعات الفقراء والطرق الصوفية يتأطر فيها على يد المشايخ وأساتذة التصوف والصلحاء. والحركة الصوفية كانت دائما تحت تصرف الفآت من مختلف الأعمار ومنذ وقت مبكر من الإسلام، لكن اكتسبت قوة عظيمة بعد القرن السادس، أي بعد سقوط الخلافة العباسية وهجمة التتار، وهي بذلك كانت نوعا من البديل السلمي عن الحركات المسلحة والغالية التي نشطت في القرون الماضية. على أن فريق الصلحاء والزهاد كثيرا ما اختار الثغور الإسلامية المواجهة للعدو، لحماية المنطقة الإسلامية في ظل الجهاد، والانشغال بالعبادة ونشر العلم والتربية الصوفية أيام السلم كما كان الأمر في ثغور الشام ورباط المنستير. أي أن فريق المرابطين كان نضاله بالنفس والعقيدة.

☆☆☆

وواضح أن هناك فريقا من الشباب الذي اندمج في الحركات الثائرة عن اقتناع، وآخر انجرف إليها كرد فعل ضد الجمود أو الجور، وثالثا ناهضها كليا، وهكذا فإذا كان الفاطميون قد خططوا للاستيلاء على السلطة شرقا وغربا

فقد جابهتهم مقاومة اختلفت حدتها حيثما حلوا، غير أن عنصر الشباب في دمشق برز مناهضا للوجود الفاطمي بشكل خاص. وأطلق المؤرخون على هذا العنصر لقب الأحداث غالبا، والشباب أحيانا، ويفهم من هذا وجود مراهقين بينهم. ففي أواخر 359 قاد الهاشمي أبو القاسم بن أبي يعلى بدمشق جموع الشباب فطرد الوالي الفاطمي وأعاد دعوة بني العباس، ثم ما لبث الفاطميون أن استعادوا السلطة بفضل المغاربة الذين كثيرا ما كان المؤرخون يدخلون المصريين في عدادهم، وفي 364 ظهرت قوة الشباب بدمشق حتى مع وجود سلطة والي الفاطميين، وصار للشباب هيمنة حقيقية على المنطقة مما أدى إلى تدخل الأتراك من العراق برغبة من أشراف دمشق وشيوخها فزحزحت السلطة الفاطمية مؤقتا عن دمشق. وفي 376 قاد شاب اسمه قسام الحارثي حركة الشباب بدمشق، وهيمن على أمورها، فاضطر الفاطميون إلى ردع الحركة بنجدة من مصر، وفي بداية عهد الحاكم ظهر الشباب مرة أخرى كقوة شديدة البأس فقمعت بصرامة متناهية وقتل رؤساء الحركة وبضعة آلاف من أنصارهم.

☆ ☆ ☆

وقد بدأ المهدي بن تومرت ثورته ضد الانحراف الديني وهو في بداية العقد الثالث من عمره. وكانت أفكاره بعيدة عن الاقليمية، فقد عمل على تغيير المنكر في مكة وفي مصر وكل المغرب الإسلامي. وأغلبية أصحابه جماعة العشرة كانوا في سن الشباب، وقد دبر انطلاقته مع عبد المومن في المغرب الأوسط. وكانت مخططات هذه الحركة التي قادها شباب مثقفون واعون، من أنجح المخططات في إقامة دعائم دولة قوية، لكن تطبيق هذه المخططات لم يؤت ثماره إلا بعد أن نضجت تجارب الباقين على قيد الحياة من خلفاء ابن تومرت. والظاهر أن حركة ابن تومرت قد وجدت نوعا من التعاطف الذي تجاوز حدود المغرب الإسلامي، لا سيما من مجتمع الشباب الذي يتطلع إلى التجديد والتغيير. ومن ثم نجد ابن الأثير يتابعها بدقة متناهية، كما أن ابن تيمية بعد مرور فترة طويلة يعلق عليها في فتاويه. وهناك آخرون كثيرون كتبوا عن ابن تومرت وحركته.

☆ ☆ ☆

وأهم حركة اجتماعية استقطبت الشباب لعدة قرون هي حركة الفتوة التي اكتسحت معظم الشرق الإسلامي. ويظهر أن هذه الحركة كانت تصحيحا لحركة العيارين بعد أن اجتاز هؤلاء مرحلة عدم الاستقرار بسبب جمعهم بين الطموحات السياسية وأعمال النهب وحتى اللصوصية، وبالنظر لأن كلتا الحركتين اعتمدت على عنصر الشباب في التسيير والتنفيذ بوجه عام، فلنبدأ بحركة العيارين، وهي أولاهما من حيث الأسبقية إلى الظهور.

☆ ☆ ☆

فالبلاذري يتحدث عن نشاط الصعاليك والدعار وانتشارهم في منطقة الجبل بأقصى إيران شمالا، حيث جعلها من هذه الناحية ملجأ لهم وحوزا أيام المهدي العباسي. ثم استفحل أمرهم أيام الرشيد مما أدى إلى توجيه نجدات لتقوية الحاميات الموجودة. فالصعاليك في هذه الأحداث لم يكونوا مجرد عصابات صغيرة أو أفرادا لا يؤبه لهم، بل كانوا مجتمعا منظما أو قريبا من التنظيم لأن تعليمات الخلافة طلبت من الحاميات أن تتجمع في مراكز أنشئت خصيصا، بدلا من بقائها موزعة وهم كانوا أشبه بمقدمة مباشرة لظهور العيارين أو تجمعهم بشكل منظم أثار اندهاش المسعودي ولو أنه بعيد العهد عن هذه المرحلة، وهكذا يصف المسعودي الوقائع التي جرت بين أنصار الأمين والمأمون سنة 198، وكان العيارون إلى جانب الأمين، وكانوا كما قال، عراة يرتدون التبابين (سراويل قصيرة) والميازر، وقد اتخذوا درقا وخوذا من الخوص، ويحملون في أعناقهم الجلاجل والصوف الأحمر الأصفر، وعلى كل عشرة منهم عريف، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب، وعلى كل عشرة نقباء قائد، وعلى كل عشرة قواد أمير.

وفي سنة 201 يتحدث الطبري عن فساق الحربية والشطار بدلا من العيارين، والحقيقة أن الوصف واحد. وهو يتناول نشاطهم ببغداد والكرخ ويذكر أنهم آذوا الناس وأظهروا الفسق وقطعوا الطريق، كما اختطفوا الغلمان والنساء. وكانوا يذهبون مجتمعين إلى القرى ويستولون على أموالها. أما المثير في المسألة فهو أنهم في هذا الوقت المبكر من عصر القوة الخلافية كانوا يحظون برعاية «السلطان» لأنهم كانوا بطانته. ولا نعرف من هو السلطان هل هو الخليفة نفسه أو مسؤول يقوم مقامه. وكان هؤلاء الشطار يقومون بأعمال جبائية وضحاياهم من المارة وأصحاب السفن وركابها وأصحاب الدواب، وحيث إن السلطة العليا كانت تشجع هذا العمل بسلبيتها فقد قام الفضلاء من سكان كل حي ودعوا عامة سكان بغداد إلى التوقف عن أداء كل ضريبة لجماعة الشطار، وأتت التعبئة النفسية أكلها مؤقتا. والواقع أن بغداد كانت لا تزال تعيش فترة عدم استقرار بسبب ثورة ابراهيم بن المهدي.

☆ ☆ ☆

ويقدم المسعودي تفاصيل مهمة عن الوقائع التي جرت بين العيارين وخصومهم المامونية بعد خلع الأمين، حتى لقد نوه بهم الشاعر علي الأعمى حيث يقول :

معشر في جواشن الصوف يغـد
ون إلى الحرب كالليوث الضواري
ليس يدرون ما الفرار إذا ما الأبـ
ـطال عادوا من القنا بالفرار
واحـد منهم يشـد على ألفيـ
ـن، عريان ماله من إزار
ويقـول الفتى إذا طعن الطعنـ
ـة : خذها من الفتى العيار !

☆ ☆ ☆

وكان العيارون وهم شبه عراة يقاتلون بمخالي الحجارة وخوذ الخوص ودرق الحصر ورماح القصب وأعلام الخرق وبوقات القصب وقرون البقر.

وحسب المسعودي فقد حشدوا مرة أخرى مائة ألف وهم ينفخون في بوقات القصب وقرون البقر. وأخيرا تغلب عليهم أنصار المامون وفيهم الجند النظامي الذي يستعمل أسلحة فتاكة بما فيها المنجنيق.

وفي سنة 364 استفحل أمر العيارين وأخذوا الخفارة على الدواب والأسواق ونسب إليهم إحراق بعض الأسواق وأظهروا سلطتهم، وبعد هذه السنة بالذات تغلب عيارو دمشق عليها وتولى زعيمهم قسام الحارثي المذكور فيما سبق تقسيم الأراضي بين أنصاره ثم صالح الفاطميين بعد ذلك، ويدل هذا التدبير من عياري دمشق على أنهم لم يكونوا مجرد عصابة إرهابية، بل إن تحركهم يمثل طموحا إلى إعادة توزيع الثروة وإفادة الجهات المحرومة.

☆ ☆ ☆

على أن عياري بغداد اتجهوا غالبا إلى إحراق الأسواق وكبس الدور لا سيما دور الكبار، مع فرض الضرائب على ضحاياهم. وقد يتسع خطرهم إلى درجة توقف الناس عن أداء فريضة الحج، وإن كان يدخل في عمليات التهديد عناصر من غيرهم. وسجل الذهبي في «العبر» انضمام عدد من الهاشميين إليهم. والأرجح أن هذا كان احتجاجا على خروج النفوذ عن البيت الهاشمي لصالح العنصر الفارسي، ومع هذا كان العيارون ينفذون القتل في خصومهم أو فيمن لا يستجيب لمطالبهم، وذهبوا إلى إحراق دار الشريف الراضي وكان ثريا مع مكانته الاجتماعية. ويذكر الذهبي في أحداث 416 هـ أنهم كانوا يمشون أثناء الليل بالشمع والمشاعل، وهذا يعني أنهم كانوا يمارسون نشاطهم علانية وبنوع من مباركة بعض الجهات المسؤولة، وكانوا يقصدون منطقة الكرخ التي تتوفر على أسواق تجارية عظيمة فيحرقونها، وقد يحدث أن ينشط الأتراك والعيارون معا في هذه العمليات، بل قد تشارك معهم الفآت الشعبية، ولا يمكن تفسير مثل هذه التصرفات الجماعية إلا بوجود غضب الفآت القاعدية على الطبقة المسيرة والميسورة واستنكارها للحيف الضرائبي وللجور وإهمال حقوق الأطراف

المستضعفة، كما كان الانتقام يتجدد ضد الشيعة الذين يستوطن كثير منهم الكرخ، حتى إن دار الشريف الراضي أحد كبار النقباء على الشرفاء وقع نهبها سنة 422 بعد أن أحرقت قبل هذا التاريخ بسنوات. وهكذا أصبحت حركة العيارين تجد مساندة مباشرة من القاعدة وحتى الجند التركي أو بعضها خلال القرن الخامس، ويوحد بين هؤلاء جميعا نفورهم من النفوذ البويهي الفارسي. وقد شهدت سنة 424 أحداثا مقلقة حيث استولى العيارون على أموال التجار، وأخذوا من واحد منهم ما يعادل عشرة آلاف دينار. وكبسوا الدور، وأحرقت أماكن بما فيها أسواق ومساجد وقتل صاحب الشرطة، وأهانوا السلطان جلال الدين، ونشأت حرب أهلية حقيقية بين العيارين وخصومهم. ورد العيارون بعض ما استولوا عليه، غير أنهم لم يترددوا في كبس دار واعظ معروف هو ابن العلواء. ويؤكد ابن تغري وهو مؤرخ تركي أن العيارين تواطأ معهم الأتراك سنة 426 وكانوا يخرجون ليلا ويقومون بغاراتهم المعتادة. وأفطر العيارون في رمضان نهارا وكل ذلك بمواطأة الأتراك، واستولى العيارون هذه السنة على العاصمةبشكل شبه مباشر فلم يبق للخليفة ولا للسلطان معهم حكم كما يقول ابن تغري، وقبض أحد القواد أربعة من العيارين فعمد هؤلاء إلى القبض على أربعة من مساعديه وهددوا القائد علانية بإحراق داره وقتل مساعديه إذا لم يطلق سراح العيارين الأربعة وأنجزت الصفقة لصالحهم، فقد تلاشى دور السلطة بشكل يثير أكثر من تساؤل، فهل ارتضت السلطة لنفسها أن تنعزل بهذه الصورة كليا عن القواعد الغاضبة، أم أن دورالعيارين كان أحظى لدى الجماهير ؟

☆ ☆ ☆

وعندما استعاد الأتراك نفوذهم ببغداد وانتهى دور بني بويه، أصبح العيارون في مواجهة مع الأتراك وواصلوا نشاطهم في نهب دور الأسر الكبرى بما فيها القصور الخليفية وأصبح أهل الغربية ببغداد يساندون حركة العيارين بشكل غير مباشر، وارتبطت ثورة العيارين سنة 532 هـ بغلاء الأسعار وانتشار الظلم، وعمد هؤلاء إلى ابتزاز الأموال والأمتعة علانية، وأدى الأمر إلى هجرة السكان عن بغداد بأعداد كبيرة إلى الموصل، لم تمكننا السلطة من تصفية عدد من زعماء العيارين فتوقف الشغب مدة، ثم عاد بعد قليل وقد أصبح لابن أحد الوزراء وأحد أصهار السلطان دور في تشجيع فتنة العيارين وحمايتها لأنها كانا يتقاضيان نصيبا من موارد النهب الذي يمارسونه.

☆ ☆ ☆

ويبدأ نشاط العيارين في التراجع ببغداد خلال العقود اللاحقة من القرن السادس، على أنه كان لهم وجود بسائر العراق وحتى خارجه حيث يبرز نشاطهم بخراسان لفترة من القرن الخامس، وكان انطلاقهم من طوس وأبيورد وهددوا نيسابور بالنهب، غير أن السكان والسلطة المحلية تساندوا لمحاربيهم ووقف نشاطهم وإذا كان ابن الأثير لايذكر العيارين بهذا الوصف في بداية انطلاقهم بخراسان فإنه ينعتهم بالمفسدين ويتحدث عن إعدام عشرين ألفا من أهل طوس بعد التغلب عليهم. وقد كانت نيسابور من أعظم المراكز التجارية في العالم الإسلامي، وفي أحداث 432 يتحدث ابن الأثير عن تفاقم شر العيارين بنيسابور «فهم ينهبون الأموال ويقتلون النفوس ويرتكبون الفروج الحرام».

☆ ☆ ☆

إن حركة العيارين (المتشردين بالمعنى اللغوي Vagabonds) لم تقتصر على المشرق ولا على العالم الإسلامي، فقد كانت موجودة بشكل أو بآخر في عدة أقطار، حيث يوجد دائما فريق من هؤلاء المحرومين والذين يحتاجون إلى المساعدة من غير أن يترددوا في الحصول عليها بالقوة لتتخذ صورة ابتزاز قد يصحبه التشكيل وحتى القتل أحيانا، وقد انتشر ما يشبه حركة العيارين المنظمة والتي سبق الحديث عنها، بفرنسا منذ أواخر القرن 14/8م وخلال الذي يليه ولكن هؤلاء العيارين الفرنسيين الذين هم أيضا شباب، ليس لهم تكوين مهني ولا روابط عائلية، وقد لجأوا إلى اللصوصية في جماعات تبلغ العشرينات من الأفراد وحتى المآت، وانضم إليها المهاجرون البؤساء من القرى، بل حتى رهبان لامورد لهم،

الأرياف فإن العصابات تكونها جماعات أرستوقراطية عسكرية ويعيش قائدها غالبا في الغابات والحصون، وتقوم بنهب المناطق المجاورة، لكن خطرها كان دون خطر جماعات المدن، لأن الجماعات الأرستوقراطية لم تكن تمارس نشاطها هذا على نطاق واسع وباستمرار.

ويمكن استخلاص بعض الاستنتاجات عن حركة العيارين بعد أن عرفنا شيئا عن نشاطاتها :

1 - إن حركة العيارين تعاونت مع الترك ضد الفرس، ثم ناهضت الترك أيضا وبذلك فإنها لا تخلو من توجهات عربية كما اتضح من تعاونها مع الأمين في أول انطلاقها.

2 - أنها ألحت بالغارة عدة مرات على حي الكرخ ببغداد وهو عظيم في أهميته التجارية، وتجمع رئيسي لسكنى الشيعة، وكان الشيعة هدفا للعيارين غير مامرة، والشريف الراضي لم تسلم داره من النهب والإحراق مرتين على الأقل، ولا ريب أن التعاطف الفارسي ولو بشكل غير علني مع الشيعة كان من دواعي غضب العيارين.

3 - حركة العيارين تخلط بين أعمال اللصوصية والإرهاب ومقاومة الظلم والبذخ بشكل يكون الذين يؤدون فيه الثمن هم طبقة الموسرين قبل غيرهم، وكانت الجماهير تساندهم أحيانا بكيفية علنية.

4 - كثيرا ما ارتبط نشاط العيارين بأزمة اقتصادية كارتفاع الأسعار وندرة المواد وضعف القوة الشرائية.

5 - إن الحركة كانت تجد سندا في بعض الأحيان حتى من شباب أرستقراطي كانضمام جماعة من الهاشميين إليها وابن أحد الوزراء خلال القرن السادس الهجري، وهذا لا يعني نزاهة الحركة، بل يؤكد وجود أطراف مناهضة للسلطة وهي قريبة منها، وذلك إما لأغراض سياسية أو استفادة مادية.

6 - إن الغموض يسود زعماء الحركة عبر تاريخها، فأسماؤهم قلما يقدمها المؤرخون الذين يكتفون بالألقاب أو فرسا : قد يكون هذا في ظروف خاصة ولأسباب نجهلها. وفي القرن الرابع نجد زعيم الحركة بالشام عربيا هو قسام الحارثي. وببغداد عربيا على الأرجح هو عزيز البابصري، وفي القرن الخامس عربيا ببغداد عرف بالبرجمي (نسبة إلى قبيلة البراجم)، وهو الذي قاد حركة عارمة ببغداد وناصرته الجماهير وطالبت بأن يخطب له يوم الجمعة، وفي القرن السادس ابن بكران الذي استفحل أمره بالعراق.

وهؤلاء الزعماء يطلق عليهم مصطلح المقدمين. ونادرا ماينجو أحدهم من نهاية مأساوية.

☆ ☆ ☆

ومن مجتمع الشباب أيضا، تكونت جماعات أخرى أكثر تنظيما وأوضح مقاصد. وهي جماعات **الفتوة** التي اكتسحت الجزء الأكبر من العالم الإسلامي، ولكنها جماعات تلبس لباس الفضيلة وتتولى خدمة الآخرين، وهي مناقضة في أكثر من وجه لحركة العيارين التي تفوح منها ريح عربية وتصب اهتمامها الملح، على مركز الخلافة، وهذا مع العلم بأن الفتوة والعيارية اختلطت لبعض الوقت.

☆ ☆ ☆

ويفسر الجوهري لفظ الفتوة بالسخاء والكرم، فالفتى هو الشباب، وهو أيضا، السخي الكريم، والجوهري عاش ومات في القرن الرابع، فأصل الفتوة كحركة اجتماعية هو الكرم والإحسان. والكرم صفة عريقة لعدد من المجتمعات القبلية الشرقية، وبالأخص العربية، ويحاول جيرارد زالنغر ان يرجع بنظام الفتوة إلى أصول رومانية، وبطرق ملتوية غامضة، حيث نشطت جماعات عديدة في ظل الأمبراطورية الرومانية ونذرت نفسها لأغراض مختلفة كما يقول هذا الباحث، ومنها جماعات الصناع وقدماء المحاربين ومنظمات الشباب وغيرها، وانضم إلى هذا المجتمع القديم عدد كبير من العرب المستقرين، فأخذ عددا من مثلهم ثم طورها بحيث سدت حاجاته الخاصة وبكيفية

لم يعهدها العرب القدامى، احتفظ العرب المستقرون بمثل الفتى على الطريقة الجديدة.

والحق أن الخيال يحتل دورا جيدا في هذا التصور :

1 ـ لأن هناك فاصلا كبيرا بين نظام الفتوة في الإسلام، أو بين ظهوره على الصعيد الشعبي وبين العهد الروماني.

2 ـ لأن الفتوة الإسلامية نفسها اتخذت بضعة أطوار قبل استقرارها واتجاهها في منحى ديني :

فالعيارون الذين ظاهروا رسميا في أواخر القرن الثاني ارتدوا سراويل الفتوة في فترة غير محددة من العصر العباسي حيث نرى زعيمهم بالعراق سنة 522 يلبس أنصاره سراويل الفتوة. واستمر زعماء العيارين وربما بموازاة غيرهم من جماعات الفتوة يتولون هذا الاختصاص حتى أبطل ذلك الخليفة الناصر العباسي فكتب إلى الأمراء والملوك أن يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا له سراويلها باسمه وينتسبوا إليه في رمي البندق وقد تولى الناصر من 575 إلى 622. ويقتضي شرب كأس الفتوة أن المرشح للانخراط في الفتوة يحضر مجلس الفتيان فيديرون بينهم مشربة ماء ممزوج بملح ويشرب منها الجميع. ويدعى مجلسهم بالدسكرة. ويتولى نقيبهم نزع لباس المرشح وإلباسه لباس الفتوة خصوصا السراويل، والظاهر أن الاشتراك في شرب الماء والملح كناية عن مشاطرة الجماعة طريقة عيشها والالتزام بمبادئها، أما ارتداء لباس موحد، فتأكيد للامتثال والتميز عن الهيئات الاجتماعية الأخرى، وهناك التزامات أخلاقية وأدبية واجتماعية يلتزم بها الفتى المنخرط كالصدق والأمانة وأداء الفرائض واجتناب المحارم واحتمال الأذى والقيام بالمعروف والاجتماع على السنة. ولا يبدو الالتزام بهذه الشروط الاجتماعية والأخلاقية إلا بعد زمن الناصر العباسي، بل الأصح أن هذه الالتزامات خرجت كليا عن خطة فتية العراق وظهرت بين صنف آخر من نظام الفتوة كما سيأتي. ففتية العراق وبالأخص بغداد كانت تتشبه في اللباس فئة العيارين، كما هو واضح من عبارة ابن خلدون في وصف الناصر العباسي حيث يقول عنه : «...وكان مع ذلك، كثيرا ما يشتغل برمي البندق واللعب بالحمام المناسب (الأصيل)، ويلبس سراويل الفتوة شأن العيارين من أهل بغداد». فقد منع الناصر على غيره الصدارة على جماعة الفتوة، ولكن هذه الفتوة الناصرية هي فتوة شكلية وتقتبس من العيارين لبس السراويل، ثم إن المنخرطين فيها يشتغلون ببعض الهوايات التي منها رمي البندق.. والبندق كرات من الطين أو الحجارة أو الرصاص، وغيره، وأصل اللعبة فارسي، ويدعونها بالجلاهقات (ج.جلاهق). ويرمى البندق عن الأقواس، وظهرت اللعبة بين العرب منذ أواخر عهد الخليفة عثمان.

☆ ☆ ☆

وعلى هذا كان الفتية لزمن طويل من تاريخ الإسلام حتى القرن السابع على الأقل، يقومون ببعض الألعاب والهوايات المشتركة، ويقول ابن الأثير إن الناصر أبطل الفتوة في البلاد جميعها إلا من يلبس منه سراويل ويدعى إليه. وبأية صفة، فنحن نجهل الكثير عن نظام الفتوة قبل القرن السابع : هل اصطبغ بالدين ؟ هل زاول نشاطا يذكر في المجال الديني ؟ ولكن عبارة (الاجتماع على السنة). والتي ساقها ابن تيمية، كما سبق، في شروط الفتى، تستوقفنا، لأن العيارين كثيرا ما قاموا بحملات ضد الشيعة، ولكن، ليس في اندفاعاتهم ما يدل على أن لهم خطا سنيا، وقبل استئناف الحديث عن مظاهر التطور الديني لجماعة الفتية لابد من استبعاد أية علاقة تاريخية بين نظام الفتوة من حيث هو، ونظام الفروسية الأوربي، وترجع الفروسية الأوربية في المجال الاجتماعي إلى أصول أثينية، حيث إن طبقة الفرسان بأثينا كانت ذات وضع اجتماعي متين، بالإضافة إلى قوة الفرسان العسكرية، وكان الرومان لايختارون لهذه القوة إلا من توفر له دخل معين، ونشأت طبقة اجتماعية لدى الرومان بموازاة هذه القوة حتى أصبحت لها مكانة اقتصادية متميزة وتحتل مناصب، عليا، لكن هذه النظام اضمحل بعد ديوكلتيان، وفي العصر الوسيط كان الفرسان هم المحاربون بالخيل في مقابل المشاة، وكان الفرسان يوظفون في حاشية السادة وحاشية

الملك، وعلى هذا فقد اختلط الفرسان بطبقة الأشراف ثم انفصلوا شيئا فشيئا عنها تبعا لقوانين عليا، وابتداء من القرن الحادي عشر يتحول الشاب من النبلاء إلى طبقة الفرسان في حفل خاص. وتدخل الكنيسة في ترتيبات الحفل. وعلى الفارس حينئذ أن يمتثل لعدد من الالتزامات الأخلاقية والدينية. ويدعى هذا النظام بـLadoublement، وخرج من طبقة الفرسان عدد كبير من الأبطال المحاربين لا سيما في القرنين 15/14م (ـ 9 هـ). ويبقى الأصل الديني أو الكنسي لنشأة طبقة الفرسان في العصر الوسيط أهم عنصر لإبراز هذه الطبقة وتطورها. وذلك أن جماعة من التجار الإيطاليين حصلوا في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي على ترخيص من السلطات المصرية بإنشاء بعض المؤسسات الفندقية لصالح الحجاج المسيحيين، ببيت المقدس، وحملت المؤسسة الأولى اسم القديس يوحنا بابتيست. وبهاتكونت جماعات من الرهبان كانت ذات تكوين عسكري فروسي وتقود النصارى إلى سوريا وأنحاء فلسطين، وأصبح النظام يحظى بمباركة البابا وله قواعده وترتيباته، ومنها حماية المتضعفين والقيام بالواجبات الدينية ولهذه الطبقة شأن خلال الحروب الصليبية.

☆ ☆ ☆

فنظام الفروسية الأروبي يعتمد كأداة عمل، على الخيل، ويستخدم الأساليب العسكرية ويغامر في الحروب، ويرتبط رسميا وعمليا بالكنيسة، أما نظام الفتوة الإسلامي فليس حربيا، بل هو نظام سلمي، وهو لا يعتمد على ركوب الخيل بالضرورة ولكنه ابتداء من القرن السابع يرتبط بالزوايا وينفتح بشكل خاص على الغرباء والوافدين. ويمثل نوعا متقدما من النظام الكشفي. وصحيح أنه وجد لدى المسلمين من عهد متقدم، أي ابتداء من القرن الأول نظام المرابطة بالثغور، وهو نظام يقتضي التطوع للاستقرار بالمراكز المتاخمة لحدود العدو أو التي يمكن أن يقصدها العدو (كالموانئ)، ويكون المرابطون عند هجوم العدو أول من يتقدم لمدافعته، بل ويقومون بهجمات على مراكز حدوده، وفي فترات السلم يتفرغون للعبادة والاستماع إلى دروس الأساتذة المرابطين، فهذا النظام انبثق من نظام الفروسية الوسيطي. وكان شائعا في كل العالم الإسلامي ولم تسبق إليه خراسان كما ظن زالنغر في دراسته المشار إليها وكما يؤدي إليه كلامه. فنظام المرابطة بالثغور الإسلامية ينتهي شرقا إلى الهند وحتى تركستان وينتهي غربا بالأندلس والسواحل الأطلسية في وقت مبكر كما سبق، ويحصل المرابطون على مساعدات مادية وأوقاف مستديمة.

ووجدت الفتوة متسعا من الكلام في كتابات الصوفية منذ القرن الرابع. وعندما ألف ابن المعمار كتابا للناصر عن الفتوة قدم توضيحات عن تصوره للفتوة، حيث لا نعلم في الواقع كيف كان يمارس النظام قام قبل الناصر، ومن توضيحات ابن المعمار، أن المنخرط في نظام الفتوة يجب أن يكون فتى ذكرا مسلما، ولا يشترط أن يكون حرا وتجوز عضوية الذمي لكن بكيفية مؤقتة حتى يسلم كما يجوز عضوية ذوي المهن المتواضعة، ولا يجوز أن يكون الفتى مدمن خمر وجابيا أو كاهنا أو قاضيا أو مقامرا أو مشعوذا. ويفقد فتوته مرتكب الكبيرة والمتمادي في الصغائر، ويستتاب، فإن تمادى قتل. ويطلق على الفتية رفقاء أورفقة، وينتظمون في أحزاب، وكل حزب يتألف من بيوت، وكبير الفتيان يتعهد المريد ويشده بمنطقة ويسقيه كأس ماء ملح، وفي مرحلة ثانية يلبسه السراويل. وحسب هذا المصدر فإن نظام الفتوة قبل الناصر العباسي تفرق إلى طوائف كالرهاصية والخليلية والنبوية فخرجت هذه الطوائف عن خط الفتوة كما مارسه حماتها الأولون منذ سلمان الفارسي. ومهما كان من نسبة الفتوة إلى علي وحاشيته، وهو أمر يرفضه ابن تيمية الذي يبعد عليا عن الطائفية والتحزب، فإن الناصر في الواقع لم يكن المسؤول الذي يمكن أن يكون قد أنقذ نظام الفتوة لأنه هو نفسه كان مضطربا في سلوكه يجمع بين الشيء ونقيضه، وربما كان تشبيهه بالحاكم الفاطمي أولى. بل إن ابن خلدون يعتبر مجرد انشغاله برمي البندق ولبس زي الفتوة دليلا على هرم الدولة العباسية وانهيار سلطاتها. ولكن مهما كان

الأمر فإن القرن السابع دخل على الأمة الإسلامية بتجارب جديدة ومحن بالغة السوء. ومن ثم كانت ردود الفعل في تحرك روحي واجتماعي شامل كان من مظاهره تعميم نظام الوقف وانتشار الطرق الصوفية والإقبال على الحج وانتشار ظاهرة الإحسان والتعاطف الاجتماعي، وظاهرة تكريم الأشراف والتبرك بهم مشرقا ومغربا ولو أن الظاهرة قديمة أصلا ثم هناك الاحتفال بالمولد النبوي وانتشار السماع والذكر في الحلقات وحتى الرقص المرفق بأغان دينية. وفي هذا النطاق تماما برزت الفتوة على أوسع نطاق عرفته، منذ القرن السابع وما بعده.

☆ ☆ ☆

ويمكن أن نتعرف الآن بدقة على نظام الفتوة كما عايشه ابن بطوطة في القرن الثامن عبر عدة أقطار. ومن أهم مناطق انتشار جماعات الفتوة، والتي زارها هذا الرحالة، منطقة الأناضول، والفتيان يدعون بالأخية، وهم في كل مكان بالأناضول، أو الروم كما كانت تدعى، ويتكونون من جماعات مهنية تنشئ لنفسها زاوية لاستقبال الغرباء وإكرام الضيوف وممارسة الشعائر الدينية وطقوسها الخاصة. وتجمع موارد الزاوية من الدخل اليومي لأفراد المهنة من الشبان والعزاب الذين يقضون نهارهم في العمل حتى العصر، ثم يقصدون مقدمهم ليسلموه دخلهم أو ما اتفقوا عليه معه، ويتكفل هو بشراء الطعام اليومي وتجهيز الزاوية، وإذا لم يحضر مسافر أو غريب تناول الفتيان طعامهم. وزار ابن بطوطة زاوية بأنطالية على ساحل المتوسط وهي تضم نحو مائتي منخرط مهني، كما زار مدينة اللاذقية حيث تنازع فريقان من الفتيان على إكرام ابن بطوطة ورفاقه، ولزم في النهاية إجراء قرعة لترتيب الأسبقية. وتولى مقدم الزاوية بنفسه خدمة الرحالة، وبعد الطعام قرئ القرآن وأخذ الفتيان في الرقص والسماع، وفي قوليه وجد ابن بطوطة قاضيها مقدما لزاوية كبيرا من الفتيان، ولهم كما قال بسند في الفتوة يتصل إلى الخليفة علي، وتلبس السراويل عندهم كما نلبس خرقة الصوفية.

وفي سيواس التي قال إنها من العراق وهي في الحقيقة متوغلة في بلاد الروم (الأناضول) وجد نفس الترحيب، وتجري العادة حينما حل، أن يدخل الضيف الحمام قبل أن يدعى لتناول الطعام. وفي (برصة) صادف حلول ابن بطوطة يوم عاشوراء حيث نزل بزاوية الفتى شمس الدين، فحضر مأدبته الكبيرة (الجفلى) كبار القواد ووجوه المدينة، وألقى الواعظ مجد الدين الفوتوي درسا مؤثرا. وكان هذا الواعظ زاهدا صواما ولا يعيش إلا من كديمينه، وقد تاب على يده جماعة. وكان الحفل مصحوبا بالرقص والسماع. وفي بولي (ما بين أنقرة وقسطموني شمال تركيا) سجل ابن بطوطة عناية الفتيان بالغرباء إلى حد إيقاد النار باستمرار زمن الشتاء في زواياهم ليصطلي بها الضيوف والقيمون عليها. ويعلق ابن بطوطة على كرم الأخية (الفتيان) بقوله : **﴿فلله درهم من طائفة، ما أكرم نفوسهم وأشد إيثارهم، وأعظم شفقتهم على الغريب وألطفهم بالوارد وأحبهم فيه !...﴾.**

وقارن ظاهرة إكرام الضيوف فيما بين شيراز وأصفهان وبلاد الروم فوجد أن فتية الروم أعظم سخاء وأوفر عناية.

☆ ☆ ☆

ومن جولة ابن بطوطة بين زوايا تركيا والشام، وبين أوساط الفتيان بالذات يتضح أن تنظيمات الفتوة حتى على صعيد القطر الواحد، تتميز فيما بينها أحيانا ببعض المميزات الخاصة، ومن ذلك فتح الباب للقضاة في بعض الجهات، والتعامل مع السلطات الحاكمة في جهات أخرى وتجمع فيما بينها ظاهرة إكرام الغرباء والوافدين، ومن مبادئها المشتركة، محاربة الظلم والفتك بالاشرار بمن فيهم طغاة الشرطة. وظاهرة الإيواء والإطعام انتشرت بين زوايا المغرب الإسلامي أيضا، فضلا عن وجودها قديما في الرباطات والخوانق، ومنذ نشأة جماعة الصفة في العهد النبوي، وحيث إن النقابات المهنية وغيرها تخصصت بزوايا تجمع ضمن نظام الفتوة بين العمل الديني والاجتماعي وحتى جانب من العمل السياسي، فتكون قد جمعت بين

مزايا نظام العيارين (دون مساوتهم)، ومزايا الرباطات العريقة دون أن يتخلى منخرطوها عن العمل الدنيوي ودون أن يكون لهم إسهام رسمي في العمل العسكري، وبذلك فإن نظام الفتوة إسلامي في شكله وجوهره، فمنذ نشأة الإسلام نذرت طبقة القراء نفسها لحماية الدين وتآزرت فيما بينها، والمسلمون تعلموا إنشاء جماعات سياسية عقائدية وتنظيمها وتحديد أهدافها، فليس غريبا أن تتجمع مهنهم في المكان وفي النشاط الاجتماعي والديني.

وهكذا يبدو مجتمع الشباب عنصر حركة إيجابية في اتجاه المجتمع وداخله، بقدر ما شدّت عنه فئات أخرى لم تجد مناخا حسنا لنشاط أفضل وأفيد.

الرباط : إبراهيم حركات



حضور التراث في الخطاب السياسي لدى ملوك المغرب

جلالة الملك الحسن الثاني نموذجاً

للدكتور عبد الهادي التازي

هناك ظاهرة مطرفة في التاريخ الدولي للمغرب، وخاصة في الوثائق التي تتصل بهذا التاريخ من رسائل وخطابات، ومعاهدات واتفاقيات وعلى مر العصور منذ ظهور الإسلام بهذه الديار....

وهكذا فلابد أن نلاحظ أن الذين يتراسلون أو يتعاهدون، يستشهدون بآيات من القرآن الكريم أو بأحاديث نبوية، وربما استدلوا ببيت من عيون الشعر العربي يجدون فيه سندا لأطروحتهم أو دليلا يرشدهم إلى الطريق، وأخيرا ربما نجدهم يستحضرون مثلا من الأمثال العربية أو حتى الدارجة التي تساعدهم على أداء ما يخالجهم من أفكار وآراء وأغراض....

ومن الواجب القول بأن هذه الظاهرة تبرز أكثر فأكثر عند المغاربة منها عند المشارقة إذا ما حاولنا أن نقوم بمقارنة أو مفارقة بين الخطاب السياسي هنا وبينه هناك، ولا يمكن أن يجد المرء تفسيرا لذلك سوى أن المغاربة كانوا - في نظري - أحرص من غيرهم على الاستشهاد بالنصوص باعتبار أن ذلك مما يشد أزرهم ويقوي حجتهم ! لاحظنا هذا فيما تناهى إلينا من آثار في عهد الولاة وفي عهد الأدارسة والمرابطين والموحدين، سواء منهم المقيمون بمراكش أو المقيمون بتونس... وكذا على عهد بني مرين وبني وطاس ثم دولة السعديين والدولة العلوية...

وأعتقد أن الإشارة لكل ذلك الماضي تكفي في هذه المناسبة، بل إنها دعوة مني لكل الذين يهمهم الأمر حتى يعودوا إلى تلك الرسائل والاتفاقيات ليقرأوا فيها آثار ذلك التراث العربي والإسلامي...

وحسبي في هذه الفرصة أن أقتصر على تصفح بعض الصفحات وبعض البنود التي تتضمنها الاتفاقيات الدولية على عهد العلويين لنعرف إلى أي مدى تبلغ ثقة المغاربة بأنفسهم وبلغتهم وبدينهم...

وهكذا فإذا كانت التكتلات من أجل حقوق الإنسان أو الرفق بالحيوان عند الدول الحديثة اليوم، نتيجة لصراع طبقي، فإن هذه القضايا في العالم الإسلامي مرتبطة ارتباطا عضويا بمبادئ الإسلام الحنيف الذي يجعل مثل هذه القضايا في صدر مشغلاته، ويجعل شعار التعاون والتضامن من أهم أهدافه...

الملك محمد الثالث بتاريخ 7 شعبان 1191 الموافق 16 شتنبر 1777 والذي يتناول أساسا أولا : قضية الأسرى التي كانت تشغل بال الرأي العام الأروبي والأمريكي... ثانيا : قضية البلاد المتضررة بالجفاف والتي أصبح سكانها يشتكون الجوع والخصاص، في هذا التصريح الذي عم على سائر الدول الموجودة على ذلك العهد، سنقرأ هذه العبارات :

«يعلم من هذا الكتاب الكريم أسماه الله وأعزه أننا عقدنا هذه العقدة التي تضن الاستلزام بهذه الفصول المذكورة في هذا الكتاب لما رأينا في ذلك من الصلاح والسداد والرفق للجانبين، وذلك على سبيل الدوام والتأييد إن شاء الله...».

وبعد أن يخصص هذا التصريح البند الأول والثاني والثالث والرابع للقضاء على الرق والأسر بشتى الوسائل، يعرض الفصل الخامس للأزمات التي قد تتعرض لهاالشعوب نتيجة لشحة الماء وهنا نجد أن (التصريح) ينص نصا على أنه يجب أن لا يميز بين مسلم ونصراني عندما يتعلق الأمر بتقديم المساعدة للجائع والمحتاج.... لأن الأرواح عند الله سواسية... بل إن الحيوانات العجماء نفسها يصبح لها نفس الحق الذي للإنسان فيجب أن تصلها المساعدة...

والمهم عندي هنا أن أذكر أن التصريح بعد أن يؤكد أن هلاك المخلوقات أمر محظور في الإسلام بعد ذلك يستدل بحديث نبوي شريف يقول : **«في كل ذي كبد حراء أجر»**.

ومن المهم أن نعرف أن هذا الحديث الشريف الوارد في هذا العقد ترجم إلى سائر اللغات التي تتكلمها الدول المتعاقدة مع المغرب على هذه البنود : هولاندا ـ السويد ـ فرنسا ـ طوسكان ـ إسبانيا ـ موسكو إلخ...

هكذا كانت تصاغ وتحرر المعاهدات الدولية للمغرب وعلى نحو هذا كانت المخاطبات والمراسلات مع رؤساء الدول وقادة الأمم حيث كنا نجد دائما الرسائل تبتدئ الصيغة التي استعملها نبي الإسلام وهو يخاطب القياصرة والأكاسرة «السلام على من اتبع الهدى»...!

وقد كان مما استوقف كثيرا ملوك ورؤساء الدول ما يحتوي عليه الختم الملكي، فعلاوة على اسم العاهل نجد بيتا من بردة الإمام البوصيري التي تحظى عند المغاربة بمنزلة سامية منذ القديم، أليس أن ابن خلدون وجد فيها ما يستحق أن يهدى إلى تيمورلنك عندما اجتمع به في دمشق ؟!.

هذا البيت هو :

ومن تكن برسول الله نصرته
إن تلقه الأسد في آجامها تجم

☆ ☆ ☆

ولننتقل بعد هذا لوثيقة من مئات الوثائق التي تعود لعهد السلطان مولاي الحسن (الأول)، ويتعلق الأمر بالرسالة التوجيهية التي خاطب بها رئيس الوفد المغربي لدى المؤتمر الدولي بمدريد الذي عالج عام 1297 = 1880 قضية الحمايات القنصلية.

لقد ورد في هذه الرسالة عدد من الأمثال فيها الدارج، وفيها الفصيح، وكلها يحتوي على دلالات دقيقة ومعاني سامية :

سنقرأ في هذه الرسالة تحذير الوفد المغربي من أن يقع في مأزق أقبح وأفظع مما كان عليه الحال، وبهذا الصدد تقول الرسالة : «في المثل كمن غسل دما بدم» أو «جاء يطبه فأعماه» أو «ذهب ليطلب قرنين فراح بلا أذنين» !

ولابد أننا ندرك الوقع الذي يشعر به المغاربة المكلفون بتلك المهمة وهم يسعمون في أقل من سطرين إلى ثلاثة أمثال كلها يعبر عن دقة الموقف وضرورة الاستعداد لمواجهة الظروف...

☆ ☆ ☆

وقد سمع المواطنون كثيرا مما تضمنته خطب المغفور له جلالة الملك محمد الخامس سواء أثناء فترة النضال الوطني أو عندما استرجع المغرب استقلاله، فقد كانت خطبه كلها تحتوي في كثير من الأحيان على عدد من الآيات أو الأحاديث النبوية التي كان لها وقعها الكبير في نفوس المواطنين المغاربة الذين يتشبثون ـ كما نعلم ـ بكل ما يتصل بالإسلام والعروبة...

☆ ☆ ☆

والآن فماذا عن الكلمات والندوات والخطابات التي استمعنا إليها **طوال الثلاثين سنة** الماضية من جلالة الملك الحسن الثاني.

ولابد قبل أن نأخذ في استعراضها أن نذكر بأنها وحدها تعطي فكرة دقيقة عن الزاد الثقافي الكبير الذي يتوفر عليه العاهل المغربي، ليس الزاد المحدود المحلى ولكنه الزاد الواسع العالمي... علاوة على المادة الإسلامية والعربية...

وأعتقد أن دراسة هذا الجانب من حياة العاهل المغربي تساعد جيدا على معرفة أكثر وأعمق لشخصية الملك الحسن الثاني، وبالتالي فإنها تضع أصابعنا على مفاتيح عبقرية هذا الملك الذي دوى صيته عبر القارات، والتي أصبحت كلماته مثلا يضرب في المرويات وأصبحت توجيهاته حكما تروى بين الناس، ولكي نعرف بصدق ما كان يجرى على لسانه من شعر وحكمة ومثل... ينبغي أن نذكر هنا **أن الملك الحسن ينتمي إلى خمسة أحياز** كانت هي أصول مآثره وآثاره : حيز العالم الإسلامي، حيز العالم العربي، حيز القارة الافريقية، حيز الفكر الغربي (بالغين) وحيز الوطنية المغربية.

☆ ☆ ☆

وهناك ظاهرة تميز بها تكوين العاهل وطبعت تربيته، ربما خفيت على البعض ولكن الملاحظين يولونها أهمية بالغة، تلك أن جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله «اختار أن يتلقى ولي عهده ما يجب أن يتلقاه من حقول المعرفة داخل البلاد، على علماء متمكنين من مادتهم، سواء أكانوا مغاربة أو غير مغاربة، حتى يتمكن جلالة الوالد من أن يتتبع عن كثب مراحل تلقى ابنه لمختلف العلوم واللغات، وحتى يظل ولي العهد على صلة كاملة بالواقع المغربي...

وهكذا يمكن أن نتصور من هو هذا الذي أسهم بحظ وافر في إنشاء افريقيا الحرة، والذي رأيناه يتزعم العالم الإسلامي والعربي ويتحدث ـ بلسانهما ـ إلى العالم الآخر، ورأيناه يصل بين قارة وأخرى، سمعنا عن مغرب المؤسسات والمنشئات وعن مغرب السدود...

إنها كلمات تضمنها نطقه طوال هذه الفترة من التاريخ فيها ما كان يتردد **أكثر من مرة** على لسانه وفيها ما كان وليد المناسبات العابرة... ومع ذلك فإنها تعبر بصدق عن مشاغله واهتماماته»...

☆ ☆ ☆

وتتنوع تلك الاقتباسات تنوعا شيقا يتطلب منا دراسة أعمق وأوفق...

هنا جانب الآيات القرآنية الكريمة التي كان يجد فيها سنده وحجته للاقناع... بلغت هذه الآيات زهاء مائتين وخمس وأربعين آية... وهنا جانب الأحاديث النبوية التي وصل عددها إلى نحو من مائة حديث شريف عالجت مختلف مناحي الحياة...

إلى جانب هذا نجد أنه يستعين في بعض الأحيان باقتباسات من التوراة ومن الانجيل... ولا يتردد في الإتيان بفقرات من مأثور الحكم الاغريقية والصينية والفارسية علاوة على عظماء العالم من القارة الأروبية والقارة الأمريكية والأسيوية...

☆ ☆ ☆

وسأقتصر في هذه المناسبة على الاقتباسات العربية من أمثال وحكم وأشعار تعطي فكرة عن البيئة التي نشأ فيها، وعن المؤهلات التي صنعت شخصيته، وأخيرا عن

الجوانب التي جعلت منه عاهلا للمغرب... وسأبتدئ بالكلمات النثرية ثم آتي على الأشعار الواردة مرتبة جميعها على الحروف الهجائية على ما هي مرسومة في بداية الكلمة من غير أن نرجع إلى أصل الكلمة...

وعلى ما عهدناه في الاستشهاد بالآيات والأحاديث من وجود أكبر قسط من الآيات والأحاديث مما يتصل بسياسة الراعي وتوجيه الرعية[1] نجد الأمر كذلك في المثل والشعر...

حرف الألف :

أخذ العصا من الوسط.

إذا ضربك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر.

الأرض تبلع والأرض تنفع وما يهلكنا إلا الدهر.

الأرواح جنود مجندة.

اكلوا لأن آباءهم عملوا ويعملون لياكل أبناؤهم.

أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه.

إن لم تشغلهم اشتغلوا بك !

إنما الأمور بخواتمها.

إن الشعوب لا تموت بالفقر ولكن تموت بالذل.

أعقل الناس أعذرهم للناس.

إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن (من كلام الحسن البصري الذخيرة لابن بسام ج 2 ق 1 ص 9 القاهرة 1942).

أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

إن الشعب المغربي أسد لا يمكن ترويضه إلا بقيادة حكيمة وإذا ما قيد بالحديد فإنه يكسر قيده ويفترس من يقوده !

الإفراط أخو التفريط.

أفعال العقلاء تصان عن العبث (تكرر الاستشهاد بها إلى آخر ندوة صحفية 9 مايه 1989).

الأسلوب هو الإنسان (پاسكال).

أهل مكة أدرى بشعابها (تكررت مرارا إلى 9 مايه 1989).

حرف الباء :

البحر إذا تفرق يرجع سواقي.

البحر من ورائكم والعدو أمامكم.

بلغ السيل الزبى (تكرر...).

حرف التاء :

تحركوا ترزقوا !

التربية سبقت الكتاب أو (الجامع).

التفكير السليم في الجسم السليم.

تفسير الواضحات من المفضحات.

حرف الجيم :

الجغرافية هي وحدها العنصر الثابت في متغيرات التاريخ (ترددت كثيرا (بسمارك).

حرف الحاء :

حب الوطن من الإيمان

حتى زين ما خطاتو لولا[2]

الحرب آخر مرحلة في المعركة

الحكم على الشيء فرع تصوره (ترددت مرارا)

الحق يؤخذ ولا يعطى !

---

1) من الآيات التي تكرر الاستشهاد بها : (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث والآية : ادفع بالتي هي أحسن... ومن كلام النبوة الذي تردد مرارا : «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس، كذلك حديث المتعبد المنقطع للمسجد الذي يعوله آخر يعتبر عند الله أعبد من الأول !

2) مثل عامي مغربي يعني أن كل جمال لابد أن تجد فيه عيبا يعبر عنه الناس بقولهم : لولا أنه كان كذا وكذا ولولا أنه لم يكن كذا...

حرف الخاء :

خذ لا ترد للقاع توصل[3]

خليها اليوم يظهر كيف تكون غدا !

خسرنا سعدنا بيدنا

خير الكلام ما قل ودل...

حرف الدال :

الدار قبر الدنيا (حكمة مغربية)

درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة (تكرر الاستشهاد بها)

دوام الحال من المحال

الدين المعاملة (قاعدة فقهية تردد الاستشهاد بها مرارا وتكرارا)

حرف الراء :

رب احفظني من أصدقائي أما أعدائي فإني أتكفل بهم !

ركوب أخف الضررين...

حرف الزاي :

زاد في الطين بلة.

زرعوا فحصدنا ونزرع فيحصدون أو غرسوا فأكلنا ونغرس فيأكلون (تردد مرارا وتكرارا).

الزمان كشاف.

حرف الكاف :

كبرها تصغر

كل بشهوتك والبس بشهوة الناس

لكل داخل دهشة

كل ما لم يحرم فهو حلال

كل نقمة في طيها نعمة

لكل فرس كبوة ولكل سيف نبوة

كلكم في الهواء سواء

لكل وقت دولة ورجال

حرف اللام :

لا إفراط ولا تفريط (تكرر الاستشهاد بها).

لا حد للكمال ولا نهاية للفضيلة (تكرر الاستشهاد بها مرارا وتكرارا).

لا دخان بدون نار.

لا قياس مع وجود الفارق (تكرر الاستشهاد بها).

لا يجوز إعطاء الشيء وأخذه.

لا يقال السيف أمضى من العصا.

الله ينجيك من المشتاق إذا فاق !

لو لم يكن هناك أشخاص لشراء المسروق لما وجد لصوص !

لو قسمت المحيط لصار سواقي وأودية.

ليس من رأى كمن سمع !

ليس في الإمكان أبدع مما كان

ليس هناك شغل سخيف ولكن هناك أناس سخفاء (مثل فرنسي).

اللي بغا سيدي علي بوغالب تيبغيه بقلالشو[4]

اللي بغاها كلها يخليها كلها.

حرف الميم :

ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل.

وما آفة الأخبار إلا رواتها.

ما حك جلدك مثل ظفرك (تكررت مرارا).

ما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

---

3) يعني إذا كان لك مبلغ من المال تأخذ منه كل يوم من غير أن تفكر في إعادة ما أخذته، فإنك لا محالة ستصل إلى القاع أي النهاية.

4) سيدي علي بوغالب أحد صلحاء فاس، ضريحه يحتوي على جملة من القلالش والتوابع، فعلى من يحبه أن يتحمل توابعه !

ما لا يدرك كله لا يترك بعضه.

ما ضاع حق وراءه طالب.

متلف الشيء غارمه.

من أحبك أبكاك.

من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم.

من تجانس تجالس.

من تجرأ لك تجرأ عليك.

من لا يتقدم يتقهقر.

ما لم يتعلم أن يطيع لا يمكنه أن يطاع !

من سار على الدرب وصل.

حرف النون :

الناس على دين ملوكهم (ترددت كثيرا).

تخرج الوسع من الضيق.

حرف العين :

العاجز من لا يستبد.

العاقل لا يظلم فكيف إذا كان أمة (جمال الدين الأفغاني).

عبد مشرط الحنك (تعبير مغربي يعني التفاني في الطاعة).

العداوة موجودة والصواب يكون :[5]

العدل أساس الملك

العلم إذا أعطيته كلك أعطاك بعضه وإن أعطيته بعضك لم يعطك شيئا (تكررت مرارا).

العلم بدون ضير خراب للإنسان.

عندما تعاني بريطانيا من ألم في الكبد فإن أمريكا تصاب بالصداع !

عند الصباح يحمد القوم السرى.

حرف الفاء :

فاقد الشيء لا يعطيه.

الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها (تكرر الاستشهاد بها).

فرق تسد.

فرش لأولاد الناس فاين يباتو أولادك !!

الفصاحة تسخر من الفصاحة.

في بعض الأحيان يكون الأحسن عدو الحسن.

في طي كل نقمة نعمة.

حرف القاف :

القافلة تسير والكلاب تنبح...

قربنا في بعدنا... (محمد الخامس).

قلبنا معك وسيوفنا مع معاوية !!

حرف السين :

السب سلاح العاجز.

«سفيه سلا» يلزمه الحجر...!

حرف الواو :

الواقع لا يرتفع (تكرر الاستشهاد بها مرارا).

الوطن غفور رحيم (سعد زغلول).

وقف حمار الشيخ في العقبة !

حرف الياء :

يد الله مع الجماعة.

يد واحدة لا تصفق (ذكرت مرارا).

يزع الله بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن (للحسن البصري (الذخيرة لابن بسام ج 2 ص 9.

يظهر حنة يديه أو يوري (يعني يفشر).

---

5) كلمة (الصواب) تعني في الدارجة المغربية المجاملة والأدب.

يمكن أن نعمل كل شيء بالبندقية إلا أن نجلس عليها !

يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر (قمة القاهرة 1964).

يوم لنا ويوم علينا.

☆☆☆

أما عن النظم والشعر فهناك أيضا حصيلة مهمة تحتاج هي الأخرى إلى شروح وتعاليق.

والمهم أن نشير إلى أنها تعالج مختلف المواضيع وتعطي فكرة جد كاملة عن شمولية ثقافة العاهل الذي نجده يستشهد بأبيات من صميم الأدب العربي كما يستشهد بأبيات من متون الفقه الإسلامي وأحيانا من عيون الفلسفة والتصوف...

مما أبتدئ بحرف الألف :

واجتاح ذاك البحر يطفح موجه

وطوى غوارب ذلك التيار

اليوم صرحت النوائب كيدها

فينا وبأن تحامل الأقدار

☆☆☆

إذا بلغ الرضيع لنا صبيا

تخر له الجبابر ساجدينا

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقد تكرر الاستشهاد بهذا البيت

☆☆☆

وإذا الحسن بدا فاسجد له

فسجود الشكر فرض يا أخي !!

☆☆☆

إذا كان رب الدار للطبل ضاربا

فلا تلم الصبيان في حالة الرقص !

وقد تكرر الاستشهاد بهذا البيت :

☆☆☆

وإذا لم يكن من الموت بد

فمن العجز أن تموت جبانا

☆☆☆

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا

فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وقد تكرر كذلك الاستشهاد بهذا البيت مرات كثيرة...

☆☆☆

إذا مت ظمئانا فلا نزل القطر

وهو تتمة للشطر الذي يبتدئ هكذا :

معللتي بالوصل والموت دونه

☆☆☆

وإن بليت بشخص لاخلاق له

فكن كأنك لم تسمع ولم يقل !

☆☆☆

من نظم ابن عاشر في الفقه :

أن تعبد الله كأنك تراه

«تتمة للشطر الأول الذي يقول»

وأما الاحسان فقال من دراه

«ثم ذكر الشطر الأول من البيت الموالي :

إن لم تكن تراه إنه يراك

☆☆☆

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقد تكرر الاستشهاد بهذا البيت لأمير الشعراء أحمد شوقي.

☆☆☆

أعلـل النفس بـالآمـال أرقبهـا
مـا أضيق العيش لولا فسحة الأمل

☆☆☆

أشارت بطرف العين...
وتتمتها : خيفة أهلها إشارة محزون ولم تتكلم...

☆☆☆

حرف التاء :

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن !
وهو تتمة الشطر الذي يبتدئ هكذا :
ما كل ما يتمنى المرء يدركه...

☆☆☆

تلـك آثـارنـا تـدل علينـا
فـانظروا بعـدنـا إلى الآثـار

☆☆☆

لأبي نواس :

تعجبيـن مـن سقمـي
صحتـي مـن العجـب !!

☆☆☆

تقليل ماء وتيامن الإنا (الشطر الأول من أرجوزة ابن عاشر تتمته : والشفع والتثليث في مغسولنا.

☆☆☆

حرف الجيم :

جهـد الصبـابـة أن تكـون كمـا أرى
عين مسهـدة وقلب يخفـق[6]

حرف الخاء :

الخيـل والليـل والبيـداء تعرفني
والسيف والرمـح والقرطـاس والقلم

حرف الدال :

دع المكـارم لا ترحـل لبغيتهـا
واقعـد فـإنـك أنت الطـاعم الكـاسي
وقـد تكرر الاستشهـاد بهـذا البيت في عـدد من المناسبات.

حرف الراء :

الرأي قبـل شجـاعـه الشجعـان
هـو أول وهي المحـل الثـاني
وقد تكرر الاستشهاد به مرات عديدة.

☆☆☆

رب ثاو يمل منه الثواء (عجز لبيت يبتدئ هكذا) :
آذنتنا ببينها أسماء...

حرف الظاء :

وظلم ذوي القربى أشـد مضـاضـة
على المرء من وقـع الحسـام المهنـد
وقد تردد الاستشهاد بهذا البيت مرارا وتكرارا.

البوصيري :

ظلمت سنـة من أحيى الظـلام إلى
أن اشتكت قـدمـاه الضر من ورم

حرف الكاف :

كاد المعلم أن يكون رسولا (عجز لبيت لأحمد شوقي يبتدئ هكذا : (قف للمعلم وفه التبجيلا).

☆☆☆

كـانت مـواعيـد عرقـوب لهـا مثـلا
ومـا مـواعيـده إلا الأبـاطيـل !

☆☆☆

6) للمتنبي من قصيدته التي مطلعها : أرق على أرق ومثلي يارق...

وكرهو بسملة تعوذا... إلى أن قال ابن عاشر في نظمه :

تشبيك أو فرقعة الأصابع

تخصر تغميض عين تابع

☆ ☆ ☆

وكذب قاله سفهاء قوم

وحل بغير قائله العذاب

☆ ☆ ☆

كل صعب على الشباب يهون

هكذا همة الرجال تكون !

من قصيدة للرئيس علال الفاسي.

☆ ☆ ☆

كلام الليل يمحوه النهار !

المتنبي :

كلما أنبت الزمان قناة

ركب المرء في القناة سنانا !

حرف اللام :

لو بغير الماء حلقي شرق

كنت كالغصان بالماء اعتصاري

☆ ☆ ☆

فلو كان حسنا واحدا لوصفته

ولكنه حسن وثان وثالث !

☆ ☆ ☆

ليس الغبي بسيد في قومه

لكن سيد قومه المتغابي !

☆ ☆ ☆

فلو كان لي عمرو عمرو وثالث

لكانوا لكم بذلا وما أنا أبخل !

حرف النون :

تغر بإبعاد الردى وهو صادق

وتطمع من وعد المنى وهو كاذب

حرف الصاد :

صاح هذي قبورنا تملأ الرحب

فأين القبور من عهد عاد

خفف الوطء ما أظن أديم الأر

ض، إلا من هذه الأجساد

وقبيح بنا، وإن قدم العهد

هوان الآباء والأجداد

حرف القاف :

فقسا ليزدجروا، ومن يك حازما

فليقس أحيانا على من يرحم !

وقد تردد ذكر هذا البيت مرارا وتكرارا

حرف السين :

سقف بيتي حديد

ركن بيتي حجر

فاعصفي يا رياح

وانتحبي يا مطر

لست أخشى خطر !

وتردد الاستشهاد بهذه الأبيات في عدد من المناسبات

حرف الهاء :

وهل أنا إلا من غزية أن غوت

غويت، وأن ترشد غزية أرشد

وقد كان أول استدلال بهذا البيت في القمة العربي الأول بالقاهرة عام 1964 هنيئا لك العيد الذي أنت عيده....

هو الماء يعز على قابض

ويمنع زبدته من محض

حرف الياء :

ويـأتيـك بـالأخبـار من لم تبع لـه
بتـاتـا ولم تضرب لـه أي موعـد

☆☆☆

يـا أخت خير أخ يـا بنت خير أب
كنـايـة بهمـا عن أشرف النسب

☆☆☆

وبعـد فلطـالمـا تلقيت أسئلـة من بعض السـادة الـديلوماسيين عن الحضور التراثي للعـاهل المغربي في معظم الوثائق الدولية... وقد كنت أجد الجواب في صنيع السلف الصالح من الملوك الذين وجدنا أن جلالة الملك الحسن الثاني يقتفي أثرهم بل إنه ضرب الرقم القياسي في ذلك الحضور الذي يؤكد به الوجود المغربي، ويعطي الدليل تلو الدليل على أن هذه البلاد كانت وستظل ملاذا للإسلام وملاذا للعروبة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها...

الرباط : عبد الهادي التازي



اهتمامات أمير الشعراء أحمد شوقي بالشباب وتربيته

للدكتور محمد عبد الغني حسن

ما وجدت شاعرا عربيا معاصرا أولى الشباب اهتمامه ورعايته، وعانى التخاطب معهم، وكابد النصيحة لهم، وألف في أشعاره الحديث إليهم، كما فعل أحمد شوقي - رحمه الله - فإن ديوانه **يحفل بالشباب، ومدحهم، والأمل فيهم، والنصح لهم**، حتى في المناسبات التي قد يكون الخطاب فيها إلى الشباب بعيد الاحتمال. ولكن حب (شوقي) للشباب وتعليق الآمال عليه يجعله يخلق من المناسبة سبيلا إلى الحديث عن الشباب والتحدث إليهم.

وقد تكون المناسبة التي يختارها الشاعر أحمد شوقي للحديث إلى الشباب مناسبة رثاء. وهنا يخرج الشاعر من جو البكاء والدموع ومن جو الحزن على الراحل وتعداد مآثره إلى جو الإشادة بالآباء والأجداد شبابا وكهولا، ولا يفوته **هنا أن يقدم** الشباب على الكهول، وهو ترتيب إذا روعي فيه السن والزمن من ناحية، فقد روعي فيه الاعتبار والتقدير من ناحية أخرى، كما في مرثيته للشهيد البطل عمر المختار حيث يقول :

تلك الصحاري غمد كل مهند
أبلى، فأحسن في العدو بلاء،
وقبور موتى من شباب أمية
وكهولهم لم يبرحوا أحياء

☆ ☆ ☆

وحين استشهد جماعة من الشباب طلبة العلم المصريين مغتربين في أوربا في حادثة قطار مشئومة بإيطاليا سنة 1920، وجدها شوقي فرصة مواتية للمقارنة بين المشيب والشباب. فالمشيب ليس مركبا للعلا ولا هو من خيولها. والمشيب لا يشجع على شجاعة ولا يقدم على جود، ولكنهما مظنة الشباب ونتاجه، فيقول :

وكل شباب أو مشيب رهينة
بمعترض من حادث الدهر مغتال
وما الشيب من خيل العلاء، فاركب الصبا
إلى المجد، تركب متن أقدر جوال
يسن الشباب البأس والجود للفتى
إذا الشيب سن البخل بالنفس والمال

ولا يقف شوقي في مرثيته لشهداء القطار عند حد الموازنة بين اقدام الشباب وجوده، وخوف المشيب وبخله،

ولكنه ينتهز فرصة استشهاد أحد عشر طالبا في سبيل العلم فيقول موجها نصحه إلى شباب النيل :

ويـــا نشـــأ النيـــل الكريم عـــزاءكم
ولا تـــذكروا الأقـــدار الا بـــاجمـــال
عليكم لـــواء العلم فـــالفـــوز تحتـــه
وليس إذا الأعـــلام خـــانت بخـــذال
إذا مـــال صف فـــاخلفـــوه بـــآخر
وصـــول مـــاع، لا ملـــول، ولا آلي
ولا يصلـــح الفتيـــان لا علم عنـــدهم
ولا يجمعـــون الأمر أنصـــاف جهـــال

☆ ☆ ☆

وفي رثاء شوقي للزعيم مصطفى كامل الذي اختطفه الموت في سن الشباب يتخلص الشاعر من موقف البكاء إلى موقف إحياء الشعور الوطني بين شبان البلاد، فيقول مخاطبا الفقيد :

أخلـع على مصر شبـــابـــك عـــاليـــا
والبس شبـــاب الحـــور والـــولـــدان
فلعـــل مصرا من شبـــابـــك ترتـــدي
مجـــدا تتيـــه بـــه على البلـــدان
علمت شبـــان المـــدائن والقرى
كيف الحيـــاة تكـــون في الشبـــان

☆ ☆ ☆

وينتزع الشاعر أحمد شوقي من كبار الأحداث والذكريات مناسبة للتحدث إلى (الشباب) ونصحهم وتذكيرهم بسير العظماء من أسلافهم. ففي الموشح الأندلسي الذي نظمه شوقي لذكرى عبد الرحمن الداخل المعروف بصقر قريش يخاطب شوقي شباب الشرق ـ ولا يخص شباب النيل ـ قائلا :

يـــا شبـــاب الشرق عنوان الشبـــاب
ثمرات الحسب الـــــــــزاكي النمير
حسبكم في الكرم المحض اللبـــــاب
سيرة تبقى بقـــــاء ابني سمير
في كتـــاب الفخر (للـــداخـــل) بـــاب
لم يلجـــــه من بني الملـــــك أمير

☆ ☆ ☆

وكثيرا مـا كـان شوقي يعتقد في براءة الشباب وسماحته وطهارته إلى حد أن الله لا يرد دعاءهم. ففي قصيدته التي افتتح بها عهد عودته من المنفى بالأندلس يقول :

وحيـــا اللـــه فتيـــانـــا سماحـــا
كســـوا عطفي من فخر ثيـــابـــا
مـــلائكـــة إذا حفـــوك يـــومـــا
أحبـــك كـــل من تلقى، وهـــابـــا

ثم يخاطبهم قائلا :

شبـــاب النيـــل إن لكم لصـــوتـــا
ملبى حين يرفـــع مستجـــابـــا
فهـــزوا العرش بـــالـــدعـــوات حتى
يخفف عن كنـــانتـــه العـــذابـــا

☆ ☆ ☆

وفي قصيدته التي نظمها بمناسبة مشروع (ملنر) البريطاني يخاطب الشبان ويشير إلى جهودهم قائلا :

يـــا نشـــأ الحي، شبـــاب الحمى
ســـلالـــة المشرق من نجبـــه
بني الألى أصبـــح أحـــسانهم
دارت رحى الفن على قطبـــــه
مـــوسى وعيسى نشـــأ بينهم
في سعـــة الفكر وفي رحبـــه
مـــا نسيت مصر لكم برهـــا
في حـــازب الأمر وفي صعبـــه...

☆ ☆ ☆

وما فتئ شوقي في كثير من قصائده مادحا للشباب مشيدا بمآثرهم وجهودهم في خدمة بلادهم، فحين أطلقت مصر سراح المسجونين من الشباب 1924 على يد سعد زغلول قال شوقي من قصيدة ألقيت في حفل تكريمهم :

قـــالـــوا : أتنظم للشبـــاب تحيـــة
تبقى على جيـــد الـزمـــان قصيـــدا ؟
قلت : الشبـــاب أتم عقـــد مـــآثر
من أن أزيـــدهم الثنـــاء عقـــودا
قبلت جهـــودهم البـــلاد، وقبلت
تـــاجـــا على هـــامـــاتهم معقـــودا..

☆☆☆

وطـالمـا حض شوقي الشباب على ركـوب العظـائم والإقدام على جلائل الأعمال. فهو ينصح الشباب أن يركبوا المخاطر كما ركبها الرحالة أحمد حسنين فيقول :

قـل للشبـــاب بمصر : عصركم بطـــل
بكـل غـــايـــة اقـــدام لـــه ولـــع
أس الممـــالـــك فيـــه همـــة وحجى
لا الترهـــات لهـــا أس ولا الخـــدع
ان الشبـــاب غـــد، فليهـــدهم لغـــد
وللممـــالـــك فيـــه النـــاصح الـورع
لا يمنعنكمـــــو بر الأبـــــوة أن
يكـون صنعكمـــو غير الـــذي صنعـوا

☆☆☆

ولا يدع شوقي مناسبة تمر دون أن ينتهزها بـالنصح للشبـاب ونصح ولاة الأمـور بتربيتهم وبنـائهم على أسس متينـة من الخلق والـدين، وتنشئتهم نشـأة صـالحـة. ففي قصيدته المشهورة التي نظمها لتكريم المعلم والعلم يخاطب المعلمين قائلا :

ربـوا على الانصـــاف فتيـــان الحمى
تجـــدوهم كهف الحقـــوق كهـــولا
فهـو الـــذي يبنى الطبـــاع قـويمـــة
وهـو الـــذي يبني النفـوس عـــدولا

☆☆☆

وفي قصيدته الجريئة العظيمة التي يلوم فيها رياض باشا على مدحه وتملقه للورد كرومر معتمد بريطـانيا في مصر سنة 1904، يعاتبه على أنـه ترك نصيحـة الشبـان والطلاب وتحذيرهم من الاستكانة للمستعمر فيقول :

فهـــلا قلت للشبـــــان قـــولا
يليـق بحـــافـل المـــاضي الهمـــام ؟
يبث تجـــــارب الأيـــــام فيهم
ويـــــدعـــو الرابضين إلى القيـــام
خطبت على الشبيبـــــــة غير دار
بـــأنـــك من مشيبـــك في منـــام !!

☆☆☆

والمتتبع لشعر شوقي كلـه يرى أنـه لم يمـل في أكثر المواقف من مخاطبة الشباب، والتوجه إليهم بـالنصح تـارة، والفخر بهم تـارة أخرى، وكـأنمـا كـان يتخـذ هـذا التفـاخر بالشباب سبيلا إلى حمله على أن يزيد من طاقاته، ويوسع من أمد اهتماماته. ففي مشروع القرش الـذي نهض بـه بعض من كرام الشبان سنة 1932 قال شوقي من قصيدة يخاطب بها الشباب :

فتيـــة البـــوادي عرفنـــا صـــوتكم
مرحبـــا بـــالطـــائر الشـــادي الغرد
هـــو صـــوت الحـــق لم يبـــغ، ولم
يحمـــل الحقـــد، ولم يخف الحســـد
وخـــلا من شهـــوة مـــا خـــالطت
صـــالحـــا من عمـــل إلا فســـد

☆☆☆

وطـالمـا وجـد الشـاعر شوقي في الشبـاب الأمـل المرتجى، وكثيرا مـا كـان يجعـل أمـل البـلاد معلقـا عليهم ومنـوطـا بهم. ففي الحفـل الـذي أقيم بفندق شبرد تكريمـا للأساتذة الشبان عبد الملك حمزة، واسماعيل كـامل، وعوض البحراوي ينظم شوقي قصيدة يفتتحها بقوله :

وطن يرف هـــوى إلى شبـــانـــه
كـــالروض رقتـــه على ريحـــانـــه
هم نظم حليتـــه، وجـــوهر عقـــده
والعقـــد قيمتـــه يتيم جمـــانـــه

يرجو الربيع بهم، ويأمل دولة
من حسنه ومن اعتدال زمانه
من غاب منهم لم يغب عن سمعه
وضيره، وفؤاده، ولسانه...

☆☆☆

وكثيرا ما كان يدعو الله أن يطيل في عمره، ويمد في أجله، حتى يرى روائع الشباب أكثر وأكثر، فعندما حيا الطيارين الفرنسيين : (فدرين) و(بونيه) بمناسبة قدومهما طائرين إلى مصر لأول مرة سنة 1914 خاطب شباب مصر بقوله :

يا شباب الغد : وأبناء الفدا
لكم، أكرم وأعزز بالفداء
هل يمد الله لي العيش عسى
أن أراكم في الفريق السعداء ؟
وأرى تاجكمو فوق السهى
وأرى عرشكمو فوق (ذكاء) ؟

ولم يدع هذه السانحة تمر دون أن يوجه النصح إلى الشباب قائلا :

إنما مصر إليكم، وبكم
وحقوق البر أولى بالقضاء
عصركم حر، ومستقبلكم
في يمين الله خير الأمناء
لا تقولوا : حطنا الدهر، فما
هو إلا من خيال الشعراء
هل علمتم أمة في جهلها
ظهرت في المجد حسناء الرداء ؟
باطن الأمة من ظاهرها
إنما السائل من لون الأناء...
فخذوا العلم على أعلامه
واطلبوا الحكمة عند الحكماء
واقرأوا تاريخكم واحتفظوا
بفصيح جاءكم من فصحاء

أنزل الله على ألسنهم
وحيه في أعصر الوحي الوضاء
واحكموا الدنيا بسلطان فما
خلقت نضرتها للضعفاء...
واطلبوا المجد على الأرض فإن
هي ضاقت فاطلبوه في السماء.

وهل نجد تربية للشباب أسمى من هذه التربية التي وضع الشاعر شوقي منهجها في هذه الأبيات السابقة ؟ فهو يحض الشباب على العلم فإن الأمة الجاهلة لا تظهر في المجد حسناء الرداء، ويحض على قراءة التاريخ الخاص بالأمة حتى يعتز الشباب بانتسابهم إلى أمة عريقة، ويحض على تعلم اللسان الفصيح والبعد من العامية والعجمة، - وكأنه كان - رحمه الله - يتنبأ بأحوالنا اليوم - ويحض على صون القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين، ويحض على الاستمساك بالقوة، وطلب المجد في أي مكان.

☆☆☆

ولا يخص شوقي بالنصيحة شباب مصر، أو شباب النيل، أو شباب الشرق، ولكنه يعمم النصح ويمد أطنابه إلى جارة عربية مثل الشام. ففي قصيدته (دمشق) يوجه الخطاب إلى فتية الشام قائلا :

شيدوا لها الملك وابنوا ركن دولتها
فالملك غرس، وتجديد، وتبيان
لو يرجع الدهر مفقودا له خطر
لآب بالواحد المبكى ثكلان
الملك أن تعملوا ما استطعتموا عملا
وأن تبين على الأعمال اتقان
الملك أن تخرج الأموال ناشطة
لمطلب فيه إصلاح وعمران
الملك تحت لسان حوله أدب
وتحت عقل على جنبيه عرفان
الملك أن تتلاقوا في هوى وطن
تفرقت فيه أجناس وأديان

وليس شوقي في نصائحه لشباب الشام متطفلا على مائدة غيره، أو مقتحما غير أهله وطنه، فقد كان (رحمه الله - ينظر إلى العالم العربي وأقطاره - من زمن بعيد - نظرة واسعة كان من آثارها هذا الشعور الموحد الذي نشعر به اليوم، والذي كان لشعراء العروبة المحدثين والمعاصرين فضل كبير في دعمه وتمكينه.

وهذا الشعور بجمع الشمل ولم الصفوف كان شوقي يدعو الشباب إليه في مصر، وفي الأقطار العربية التي منيت على يد الاستعمار بصدع كبير. ففي المؤتمر الوطني الذي دعا إليه سعد زغلول، وأقيم بدار محمد محمود (باشا) سمعنا شوقي سنة 1926 يخاطب الشباب قائلا :

قـل للبنين مقـال صـدق، واقتصـد
ذرع الشبـاب يضيـق بـالنصـاح
أنتم بنـو اليـوم العصيب نشـاتمـو
في قصف أنـواء وعصف ريـاح
ورأيتمـو الـوطن المـؤلف صخرة
في الحـادثـات وسيلهـا المجتـاح
وشهـدتمـو صـدع الصفـوف، ومـا جنى
من أمر مفتتـات، ونهى وقـاح :
صـوت الشعـوب من الـزئير مجمعـا
فـإذا تفرق كـان بعض نبـاح

☆ ☆ ☆

ولقد كان الشاعر أحمد شوقي والدا حكيما في تربية الشباب ومعالجة بعض مشاكله - فحين رأى موجة من الطلاب الشباب تنتحر - منذ نصف قرن - لأسباب واهية لا تجيز التخلص من نعمة الحياة ومن حق الحياة، رأى أن واجبه يقتضيه أن يوجه النصيحة إلى الشباب ليدلهم على حماقة هذه البدعة الطارئة ومخالفتها للشرائع والعقل والفطر السليمة، فقال من قصيدة رائعة :

نشـأ الخير : رويـدا، قتلكم
في الصبـا النفس ضـلال وخسر
لـو عصيتم كـاذب اليـأس، فمـا
في صبـاهـا ينحر النفس الضجر
تضجر اليـأس من الـدنيـا، ومـا
عنـدهـا من حـادث الـدنيـا خبر..
فيم تجنـون على آبـائكم
بين إشفـاق عليكم وحـذر ؟
وتعقـون بـلادا لم تـزل
ألم الثكـل شـديـدا في الكبر ؟
فمصـاب الملـك في شبـانـه
كمصـاب الأرض في الـزرع النضر
ليس يـدري أحـد منكم بمـا
كـان يعطي لـو تـأنى وانتظر !!!

☆ ☆ ☆

وفي قصيدة أخرى للناشئة رسم الشاعر شوقي دستورا كاملا لسلوك صحيح قويم في الحياة. فنصح الشباب بعبادة الله بعقل، والإيمان به كإيمان العجائز، وبالعلم، والقراءة - وخاصة قراءة التاريخ - والنشاط، والصدق، والأمانة، والشجاعة، واحترام الأديان، والصبر على المكاره، وعمل الخير، والكرم، ومعاملة الناس بالإحسان، وطلب الحق، وذكر الموت وصيام رمضان، والصوم عن غيبة الناس، والصلاة مقرونة بالخوف من الله، والحج إلى بيت الله، وإلى بيوت الفقراء لوصلهم بالعطاء والزكاة مع التوسع فيها. وهي أرجوزة طويلة جمع فيها كثيرا من قواعد السلوك، وأصول التربية للناشئة والشباب. ومن العجيب أنه نهى فيها الشباب عن الميسر والخمر، ولكنه نصحهم بالعشق مع التعفف، فإن من لم يعشق لم يدر معنى اللذة !! واسمعه هنا يقول :

واترك الخمر لمشغـوف بهـا
لا يرى منـدوحـة عن شربهـا
وعن الميسر مـا استطعت ابتعـد
فهـو سـل المـال، بـل سـل الكبـد

وتعشـــــــــق، وتعفف واتـــــــــق

صـــــادرى اللـــــذة من لم يعشـــق !

وهو هنا في مدار نصيحته السابقة للشباب الذي يتغرب في طلب العلم، ولعله هنا يدور في مدار الشاعر القديم الذي يقول :

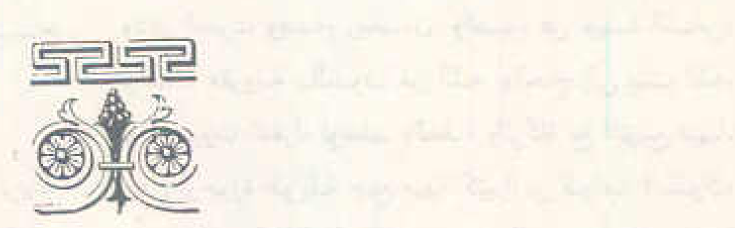
إذا أنت لم تعشق، ولم تـــك ذا هـوى،

فكن حجرا من جـــامـد الصخر جلمـــدا

ومن الغريب أيضا أن شوقي استعمل لفظ (العشق) في رسالته هذه للشباب، مع أنه لم يقع في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية إلا في حديث سويد بن سعيد (من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد) كما ذكر ابن قيم الجوزية في كتابه (روضة المحبين).

وأيا ما كان الأمر فقد كانت اهتمامات الشاعر أحمد شوقي بالشباب وتربيته ومعالجة مشكلاته كثيرة وواضحة.

محمد عبد الغني حسن



العرش المغربي

ضد الأدعياء والمتمهدين عبر العصور

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

المهدوية هي ادعاء رجل أنه هو المهدي المنتظر وقد جمع أبو نعيم صاحب الحلية نحوا من أربعين حديثا في الموضوع أكملها السيوطي ثمانين في كتابه[1] ودحض ابن خلدون في مقدمته هذه الأحاديث ملاحظا أن الحق الذي ينبغي أن يتقرر (أي في قضية المهدي) لديك أنه لا تتم دعوة من الدين والملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله... وعصبية الفاطميين بل وقريش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق[2]....

وقد ادعى المهدوية رجال على رأسهم محمد المهدي بن تومرت وقد هدم مراسيم المهدوية الأمير إدريس بن المنصور الملقب بالمامون عام 626 هـ / 1228 م حيث دخل مراكش بمليشيته المسيحية المكونة من خمسة عشر ألف فارس وربوبهم من اشبيلية وقد لعن المهدي على المنبر ودعاه بالغوي المذموم بدل الإمام المعصوم، ومحا اسمه من النقود ودورها، واستأصل البربرية من الأذان ثم جاء ولده وخليفته عبد الواحد الملقب بالرشيد الذي تولى في آخر يوم من عام 629 هـ فأعاد المراسم المهدوية[3]

وقد ورد في المعجب أن المامون صرح بشكه في الدعوة الموحدية وأعلن استخفافه بقواعدها ومعتقداتها مثل عصمة المهدي[4].

وحاول تجديد سنة مهدي المغرب محمد بن عبد الله الجزيري[5].

وقد أكد أحمد بن عبد القادر التستاوتي أن المهديين ثلاثة : مهدي الموحدين، واثنان آخر يظهران، أحدهما أول القرن الثاني عشر والثالث والأخير أول الثالث عشر[6].

وقد سجنه المولى اسماعيل لاتهامه بالمهدوية وممن ادعاها :

- الجيلالي الروكي مدعى المهدوية من عرب سفيان قتل عام 1278 هـ / 1861 م.

---

1) الحاوي للفتاوي.
2) التاريخ م : 7، ق 3، ص 589.
3) تاريخ المغرب - عبد العزيز بنعبد الله ج 1 ص : 131.
4) المعجب لعبد الواحد المراكشي ص 291 ط : القاهرة 1949.
5) الوافي بالوفيات للصفدي ج : 3 ص : 350.
6) الإعلام للمراكشي، ج 158/2.

أظهر الخوارق والتف حوله الأوباش وافتتنوا به فوجه إليه السلطان أخاه المولى الرشيد لمقابلته ففر إلى زرهون حيث قتله أحد الاشراف الأدارسة داخل قبة المولى إدريس واحتز رأسه ويده ووجهها إلى المولى محمد بن عبد الرحمن فعلقهما بجامع الفنا وسيق أنصاره إلى السلطان.

- بوشوشة الجزائري أو المهدي المنتظر ظهر في صيف 1285 هـ / 1869 م ولجأ إلى (تيديكلت) حيث جمع حوله كثيرا من اللاجئين الجزائريين الذين فروا من الحكم الفرنسي إلى الصحراء ومعظمهم من (ورغلة) وقد قام معهم عام 1286 هـ / 1870 م بالغارة على القليعة ومتليلي ثم عاد إلى تيديكلت عندما هزمه الفرنسيون في الأغواط.

- العباس بن صالح الصنهاجي ادعى أنه رسول الفاطمي[7] (قتل 686 هـ / 1287 م).

- عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس المعروف بالمهر كان من طبقة العلماء بالأندلس حضر مجلس يعقوب المنصور وظهر بعد المنصور في جزولة حيث انتحل الإمامة وادعى أنه (القحطاني) المراد بقوله عليه السلام لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصا يملأها عدلا كما ملئت جورا فبعث الناصر من قتله حوالي 600 هـ / 1203 م[8].

- عبد الله الكرسيفي قام عام 1148 هـ / 1735 م باسم المهدوية بسوس فاقتحم أكادير عنوة أصدر ظهيرا حرر به أهله الكرسيفيين عام 1150 وقد بايعه أهل اكرسيف فذهب مع حملته إلى المغرب وقتل بسوس.[9]

وكان ابن الفرس هذا قد نظم قصيدة قال فيها :

قولوا لأولاد عبد المومن بن علي

تأهبوا لوقوع الحادث الجلل

قد جاء فارس قحطان وسيدها

ووارث الملك والغلاب للدول

والناس طوع عصاه وهو سائقهم

بالأمر والنهي بحر العلم والعمل[10]

وقد وهم ابن الأبار فجعل اسم والده ابراهيم وجده محمدا وابن الخطيب جعل اسم جده عبد الرحيم وابن خلدون جعل اسم والده عبد الرحمن.

- محمد بن ابراهيم ابن عامر الحميري المعروف بالمهدي[11].

- محمد بن أحمد الشرادي ادعى أيضا أنه المهدي المنتظر.

- محمد بن اسماعيل المسناوي الجراري الكوراري (1064 هـ / 1654 م) ادعى المهدوية خلال جولة في الشرق والغرب فلم يتم له أمر ورجع إلى كورارة بعد أن أقام مدة في مصر[12].

- محمد وعلى الشريف بتقلا الثائر بسوس عام 1167 هـ / 1753 م (ادعى المهدوية وأخرج طبول ذي القرنين من ماسة)[13].

- المهدي بن محمد بن أحمد الشرادي الزراري 1293 هـ / 1876 م. في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام عظم ناموس المهدي بن محمد الشرادي الزراري حتى صار يعرض بأنه المهدي المنتظر خاصة بعدما غلب المولى سليمان وقدانتهب ركب الحجاج الوارد من السوس فأوقع بهم السلطان في فر قالة من أعمال أزمور عام 1244 هـ / 1828 م ثم توجه إلى آسفي ثم الزاوية الشرادية فرماها بالقذائف من إعداد المعلم محمد بن عبد الله ملاح السلاوي وعددها 280 قذيفة كلها في وسط الزاوية وفر المهدي

---

7) الإعلام للمراكشي، ج : 6 ص : 14.
8) الاستقصا ج : 1 ص : 190.
9) الاتحاف، لابن زيدان ج : 4 عن «تاريخ الضعيف»، المعسول ج : 17، ص : 86.
10) راجع ابن خلدون، والاستقصا / الإعلام للمراكشي ج : 6، ص : 70.
11) الإعلام للمراكشي ج : 5 س : 87، نقلا عن معجم الشيوخ مرتضى الزبيدي.
12) نشر المثاني ج : 1 ص : 208.
13) تاريخ الضعيف ص : 156، خ.

وبعث السلطان بعياله إلى مكناسة فنزلوا بدار القائد محمد بن الشاهد البخاري وقد مات المعلم السلاوي في الوقعة وشرد السلطان أهل قصبة الشراردة ففرق مساجينهم بالرباط ومكناسة وفاس ثم نقلهم بعد سنة إلى بسيط أزغار وجمع إليهم كل إخوانهم المنتشرين في القبائل.

ونزل المهدي في آيت باعمران بولتيتة عند مرابطها محمد أعجلي الباعمراني ثلاث سنوات ثم تشفع لدى السلطان مسامحه وأرجعه إلى أهله بمكناس ثم ولاه على إخوانه وتوفي عام 1293 هـ[14].

ـ المهدي الفاطمي عبيد الله الذي اعتقل في سجلماسة عام 296 هـ / 908 م[15].

ـ متنبئ تلمسان الذي قام عام 237 هـ / 851 م وهو مؤذن بناحية تلمسان وادعى النبوة وتأول القرآن على غير وجهه ونهى عن قص الشعر وتقليم الأظفار ونتف الإبطين والاستحداد وأخذ الزينة وعدم تغيير خلق الله واتبعه الغوغاء فتعقبه أمير تلمسان حيث فر إلى الأندلس وقتل بها[16] (الاستقصا ج 1 ص 77).

وقد كان البعض يزعم بأن نابليون هو المهدي المنتظر (حسب رسالة تقولات الترك ص 111) وهو إدعاء ركيذ وقد تجرأ على التنبؤ في عهد الرسول عليه السلام :

1) الأسود العنسي باليمن.

2) مسيلمة الكذاب باليمامة.

3) طليحة بن خويلد في بني أسد : ارتد[17].

وإلى هذا أشار الشاعر :

أتت سجاح، وولاها مسيلمة
كذابة من بني الدنيا وكذاب

وأشار الذهبي في العبر «فيها (أي 161 هـ / 777 م إلى ظهور (عطاء المقنع) الساحر الملعون الذي ادعى الربوبية بناحية (مرو) واستغوى خلائق لا يحصون وأرى الناس قمرا ثانيا في السماء كان يرى إلى مسيرة شهرين[18].

وأشار الذهبي أيضا في عام 163 هـ / 779 م إلى (سعيد الجرشي) الذي قتله المهدي في حصار حصن (عطاء المقنع) وكان يقول بالتناسخ وأن الله تحول إلى صورة آدم، ولذلك سجدت له الملائكة ثم تحول إلى صورة نوح ثم إلى غيره من الأنبياء والحكماء ثم إلى صورة أبي مسلم الخراساني ثم إلى صورته... فعبده خلق وقاتلوا دونه... واتخذ وجها من ذهب ولذلك قيل له المقنع[19].

أبو عزة الهبري من «هبرة» بطن من «سويد» وهم عرب بني مالك بن زغبة الهلاليين، كان بخط الرمل فتبعه أو باش من أعمال وجدة عام 1291 هـ حيث أغار على محلة السلطان الحسن الأول بآيت شعروسن ومعه سعيد بن أحمد الشغروسني فصوبت المحلة مدافعها نحو المغير فاعتقل عدد منهم وفر الهبري إلى الصحراء حيث قبض عليه أهل قبيلة بني كلال على أربع مراحل من تازة وساقوه إلى السلطان فسجنه بفاس[20] أحمد ابن الأشهب قام بفاس وذكر ميارة أن حديثا ورد فيه في الجامع الكبير للسيوطي[21].

ـ التويزري المهدي المنتظر المزعوم[22].

ـ حاميم جبل قرب تطوان بقبيلة بني حسان ظهر فيه حاميم بن من الله بن حريز بن عمر بن رحفو أبو محمد قتله في معمورة جند الناصر الأموي عام 315 هـ / 927 م.

حث التف حوله خلق كثير صنع وقد ادعى النبوة في مجكسة لهم قرآنا بالبربرية وشرع شرائع وأحل أكل الأنثى من الخنزير وكان يلقب بالمفتري.

---

14) الاستقصا ج : 4 ص : 180، ج : 8 ص : 160 ط : الدار البيضاء، الإعلام للمراكشي ج : 7 ص : 272 ط : الرباط.

15) تاريخ ابن خلدون ج : 4 ص : 70 ج : 3 ص : 765.

16) الاستقصا ص : 77، ج : 1.

17) تاريخ ابن خلدون ج : 2 ص : 844.

18) ج : 1 ص : 235.

19) ص : 240.

20) الاستقصا ص 4/243.

21) الاستقصا ج 3. ص 123.

22) مقدمة ابن خلدون م. 1 ص : 584 (ط : بيروت).

كان له ولدان محمد الذي كني به وعيسى الذي كان ذا قدر جليل وفد على الناصر وأبوه هو من الله أبو يخلف وأخته هي (دبو) كاهنة[23]. وقد هجاه الكفيف الطنجي الشاعر[24].

- الخياط بن هود السلاوي.

- أخو الثائر محمد بن هود الذي يسمى بالهادي وثار ضد عبد المومن بن علي حيث قتل عام 542 هـ / 1147 م وقد قامت برغواطة آنذاك ضد الموحدين وانضم الخياط إليهم.

صالح بن طريف البرغواطي المتنبئ ظهر حوالي 127 هـ / 744 م وادعى النبوة بتامسنا بين سلا وآسفي وبرغواطة من بطن من المصامدة على ما حققه ابن خلدون ويكنى والده طريفا وأبا صبيح وهو من قواد ميسرة المضغرى قام بعده بأمر برغواطة وتنبأ أيضا وشرع الشرائع فولى مكانة ابنه صالحا الذي شهد مع والده حروب ميسرة وسمى نفسه صالح المومنين وقد فصل (صاحب الاستقصا) هذه التشريعات المنتحلة ووصف قرآنهم المزعوم وشعائرهم وقد خرج إلى المشرق بعد أن ملك سبعا وأربعين سنة واعدا بالعودة فتوارث الناس ضلالته إلى أواسط القرن الخامس[25].

(دبو أو دبوسة) : الكاهنة أخت حاميم بن من الله الذي ادعى النبوة في جبل حاميم بغمارة قرب تطوان عام 315 هـ / 925م وكان الناس يستغيثون بها في الحروب والقحط.

صالح بن عبد الله رجل بربري دخل العراق ودرس شيئا من النجوم وأصاب في أكثر أحكامه ثم عاد إلى المغرب حيث ولد فدعا البربر إلى الإيمان وزعم أنه رسول إليهم[26] (مسالك ابن حوقل ص 56).

عمر كلخ شلخ : رجل صعلوك بمراكش آثار فتنة عام 1181 هـ / 1767 م وكان ينتسب إلى الشيخ أبي العزم أبي رحال ويظهر للعامة الكرامات فالتفوا حوله وكان شعار الأوباش من عصابته «كلخ شلخ» فسيق إلى السلطان وقتله في نفس الوقت[27].

عمرو بن سليمان الشيظمي المعيطي المعروف بالسياف وبالمريدي قتل عام 890 هـ / 1485 م كان من تلامذة سيدي محمد بن سليمان الجزولي صاحب (دلائل الخيرات)، وعند موت الشيخ عام 870 هـ / 1465 ثار (السياف) بدعوى الانتقام ممن سم الشيخ من الفقهاء فتتبعهم حتى قتلهم ودعا لنفسه وسمى أصحابه المريدين (وهي أحق أن تكون بفتح الميم حسب الإمام زروق) وسمى مخالفيه الجاحدين وربما ادعى النبوة وأخرج جثمان الشيخ الجزولي وصار يقدمه في حروبه داخل تابوت واستمرت فتنته عشرين سنة قيل قتلته زوجته التي هي زوجة بنت الشيخ الجزولي لزندقته[28].

قرقوش (الحاج...) : رئيس أرمني ثائر ظهر ببلاد غمارة والهبط عام 993 هـ / 1585 م وتلقب بأمير المومنين وكان أول أمره حايكا فتزهد وتبعته العامة فقتل وحمل رأسه إلى مراكش[29].

محمد الكتامي الغماري المتنبي المعروف بابن أبي الطواجين ثار بغمارة عام 625 هـ / 1227 م انتحل صناعة الكيمياء وادعى النبوة وشرع الشرائع اغتاله البربر وقد قتل الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش [30].

محمد بن عبد الله بن العاضد وهو من العبيديين والعاضد هو آخر خلفائهم بمصر ثار عام 600 هـ / 1203 م بجبال ورغة من حوز فاس فقتل وعلق رأسه بباب الشريعة

---

23) ابن خلدون التاريخ ج : ص : 444، المغرب : للبكري ص : 101، الاستبصار ص : 190 الأنيس المطرب ص : 66، الاستقصا ج : 1، ص : 83.

24) الجذوة ص : 52.

25) الاستقصا ص : 1/51.

26) مسالك ابن حوقل ص : 56.

27) الاستقصا ج : 4 ص : 105 . الإعلام للمراكشي ج : 7 ص : 866 خ.

28) الاستقصا ج : 2 ص : 161.

29) نزهة الحادي لليفرني ص : 138 / الاستقصا ج : 5 ص : 117.

30) الاستقصا ج : 1 ص : 197، الإعلام للمراكشي ج : 6، ص : 383.

بفاس وأحرق جسده في اليوم كمل فيه بناء سور فاس على يد الناصر الموحدي وركبت مصارعه فسمى الباب باب المحروق بعد أن كان يسمى باب الشريعة وفي عام 610 هـ ثار ولد المحروق بجبال غمارة وادعى أنه الفاطمي فقتله الناصر.

وقد ثار ولده أيضا في غمارة عام 610 هـ[31].

محمد بن هود بن عبد الله الماسي السلاوي الهادي المتنبي.

محمد الأندلسي الظاهري.

قتل وصلب برياض الزيتون بمراكش 980 هـ / 1572 م تظاهر بالزهد واستهوى الناس وطعن في أئمة المذاهب ناحيا منحى ابن حزم الظاهري فأمر السلطان الغالب بالله بقتله[32].

محمد العربي الخمسي المعروف بأبي الصخور الغماري مرابط كان له صيت بجبال غمارة كان يظهر التنسك ويثير العامة ضد السلطان سيدي محمد بن عبد الله فقتله عام 1172 هـ / 1758 م ورفعت برأسه إلى فاس وولى الباشا الباشي على قبائل عمارة والأخماس وأنزله بشفشاون[33].

محمد والحاج اليموري.

في عام 1197 هـ / 1782 م ادعى هذا الرجل الولاية وتكلم في المغيبات والتف حوله جهلة البربر وأغرى ءايت يمور بجيرانهم من قبائل العرب وكانوا آنذاك بسلفات فحاربهم قائد سفيان محمد الهاشمي السفياني الذي عبر إليهم نهر سبو ولكنه انهزم وقتل فعظم أمر هذا الدعي فبعث السلطان من قبض عليه وقتله[34].

ميسرة المضغري :

ثورة البربر حول طنجة 122 هـ / 739 م كانت بقيادة ميسرة المضغري الخفير وهي ثورة لم تكن ضد العرب ولا الإسلام بقدر ما كانت ثورة ضد بعض أمراء بني أمية لأن المولى ادريس بن عبد الله الكامل دخل بعد ذلك بنصف قرن فاحتبلت به كل القبائل البربرية.

- المهدي المنتظر (يخرج عام 683 هـ / 1284)[35].

الرباط : عبد العزيز بنعبد الله

31) الاستقصا ج : 1 ـ ص : 191.
32) الاستقصا ج : 3 ص : 23.
33) الاستقصا ج : 4 ص : 94.
34) الاستقصا ج : 4 ص : 113.
35) مقدمة ابن خلدون م : 1 ص : 555 (ط. بيروت) أدعياؤه بالمغرب (ص : 584).

- «المهدي والمهديون».
لعبد الحفيظ الفاسي 5 كراريس / د.م :623.

- «المقصد الأسنى في المهدي الأقني» (في ترجمة عبد الرحمن بن سليمان التراري).
- على الملا القاري الهروي المكي الحنفي بن سلطان محمد، له (رسالة في الإمام المهدي المنتظر).
(خع : 924).
(راجع رحلة ابن أبي محلي حيث تحدث عن المهدي المنتظر) حسب ابن عربي، مقدمة.

طلحة بن البراء

مثل أعلى للشباب في حب الرسول والبر بالوالدين

للأستاذ عبد المنعم قنديل

من صغر سنه وحداثة عمره.. فإنه ضرب أعلى مثل في حب الرسول والبر بالوالدين.. كان يتوق إلى لقاء الرسول ﷺ.. ليبايعه على الإسلام.. ويصبح من الشباب المسلم الذي يجاهد بنفسه في سبيل الله.. وذات يوم أراد أن يحقق هذه الأمنية.. فانطلق إلى المسجد فوجده حافلا بالمهاجرين والأنصار.. يستمعون إلى حبيبهم المصطفى ﷺ... فأخذ مكانه في مؤخرة الصفوف، حيث يجلس الصبية الغلمان..

ولما فرغ رسول الله ﷺ، من حديثه، وبدأ الصحابة يأخذون طريقهم إلى خارج المسجد... اقترب طلحة بن البراء من رسول الله، وأخذ يقبل يديه في شغف ومحبة... ويقول له : أنا طلحة بن البراء ابن عمر... جئت لأبايعك على الإسلام... فمرني بما أحببت... لا أعصي لك أمرا... وينظر الرسول إلى هذا الغلام الذي أقبل عليه يطلب مبايعته، ويربت كتفه قائلا : «وإن أمرتك بقطيعة والديك ؟». فيرد طلحة «لا»... لأن له أما يبرها أشد البر... ويحبها أعمق الحب... ولا يتصور أن يصبح عاقا لوالديه... فيكرر عليه الرسول العبارة السابقة... ويكرر طلحة الرد نفسه... ولكنه في المرة الثالثة قال : «نعم»... لأن حبه للرسول كان أقوى من حبه لوالديه... ولعله... الذين ينطبق عليهم الحديث الشريف : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»...

وحين نطق طلحة بكلمة «نعم» ابتسم في وجهه الرسول وقال له : «يا طلحة... **إنه ليس في ديننا قطيعة رحم**... ولكن أحببت ألا يكون في دينك ريبة»...

خرج طلحة من مجلس الرسول بعد أن أسلم وحسن إسلامه... وقرر أن يعد نفسه للمهمة الكبرى... وهي الجهاد في سبيل الله... كان يخرج كل يوم إلى بقعة خارج المدينة، ممهدة كساحات الشباب... ويتدرب مع الصبية والغلمان على فنون الحرب... ووسائل القتال... وكان كل صبي يتمنى أن يكون مثل ابني عفراء اللذين قتلا أبا جهل في يوم بدر... رغم أنهما صبيان حدثان لم يبلغا مبلغ الشباب... كان مصرع أبي جهل على يدي صبيين عملا بطوليا خارقا، وآية من آيات الله... وكان حديث المهاجرين والأنصار... كما كان إسلام طلحة بن البراء

بالصورة التي تم عليها... موضع إجلال الشيوخ والشباب... كان درسا من دروس الحب في الله ورسوله... ودرسا من دروس البر بالوالدين... وحين تذكر درجات المحبين لرسول الله ﷺ... يتبوأ طلحة بن البراء قمة عالية بين أحباب النبي...

وقد شاء الله أن تكون حياة طلحة قصيرة الأمد... إلا أنها عامرة بكل صنوف الحب والوفاء والبر والمثل العليا... كان لا يتواني يوما عن التدرب على السلاح... ولا يتخلف يوما عن الصلاة خلف الرسول... وكان يحفظ من القرآن الكريم ما تتسع له واعيته الباطنة... ومن تعاليم الإسلام ما يقدر على حفظه واستيعابه... وكان يتعجل اليوم الذي يأذن له فيه الرسول بالاشتراك في قتال المشركين...

إلا أن المنية عاجلته قبل أن يقاتل في سبيل الله... فقد مرض مرضا شديدا، وكان ذلك في فصل الشتاء... وكان يصاب بين الساعة والساعة بإغماء وغيبوبة... ونمى إلى النبي ﷺ أن طلحة مريض... فذهب ليعوده فوجده قد أشرف على الموت... فقال لأهله : «إني لا أرى إلا طلحة مقبوضا. فأذنوني به وعجلوا... فإنه لا ينبغي لمسلم أن يحبس بين ظهراني أهله... وإن أفاق فأرسلوا إلي»...

وعند منتصف الليل أفاق طلحة... فسأل أهله : هل عادني النبي ﷺ...؟ فقالوا له : نعم... وأخبروه بما قاله الرسول... فقال لهم : إذا مت الساعة فلا ترسلوا إلى النبي... لأني أخاف عليه من اليهود... كما أخاف أن تلسعه دابة... أو يصيبه شيء... ولكن أقرئوه مني السلام... وقولوا له : فليستغفر لي... ثم أخذ يردد الشهادتين، وهو يلفظ أنفاسه في أناة وسكينة وهدوء...

كان طلحة بن البراء حتى في لحظات موته... لا يفكر إلا في الرسول... كان يخشى عليه من أي سوء... وآثر أن يموت ويدفن دون أن يحضر الرسول... مع أنه كان يتمنى أن يلقي النبي عليه نظرة الوداع... ولكن حبه للنبي أقوى من كل أمنية... وأعظم من كل رغبة...

قام أهل طلحة بدفنه ليلا قبل أن يطلع الفجر... ولما خرج الرسول للصلاة... أخبروه بموت طلحة... فأدى صلاة الفجر... ثم صحب أصحابه إلى حيث يوجد قبره وصفهم حول القبر... ورفع يديه وقال : «اللهم ألق طلحة تضحك إليه... ويضحك إليك»...

وهكذا انتهت حياة الصحابي الصغير... بعد أن ضرب أروع الأمثال في حب الله ورسوله... وبعد أن خلف في الدنيا عبير الحب والبر والوفاء...

عبد المنعم قنديل

جلالة الحسن الثاني

بين الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر

للدكتور إدريس العلوي
رئيس جامعة القرويين

تتجدد أيامنا وأمانينا وتستعيد شبابها وفتوتها كلما هل علينا عيد الشباب المجيد، فيتجدد معها الماضي السعيد بكل مفاخره وأمجاده، وهو يتردد على الشفاه في الملتقيات والمنتديات، وتتجدد أصالتنا الخالدة فيما يجد من عمران وثقافة وفن، وفيما يتوطد من علائق وروابط بداخل بلادنا أو بخارجها، بالأفراد أو بالجماعات إنسانية كانت أم اجتماعية أصلها ثابت وفرعها في السماء. كلما هل علينا عيد الشباب المجيد تجددت آمال الغد الباسم وارتسمت من جديد خضراء يانعة، تفوح فتوة وأصالة، تعطر الآفاق، وتحمل في ثناياها عطر الخير والنماء والعطاء.

في مثل هذا العيد تحققت مشاريع ومشاريع وأصبحت أكاليل يزهو بها مجدنا الشامخ.

في مثل هذا العيد سطرت الأقلام بمداد الفخار والصدق أنبل المواقف وأروع البطولات التي شهدها مغرب الشباب، مغرب الأصالة والتجديد، مغرب الديمقراطية والوطنية الحق.

في مثل هذا العيد السعيد، وفي مثل هذا اليوم المشهود من تاريخ المغاربة تقف جميعا وقفة وفاء وولاء، وقفة إجلال وإكبار للأدوار والمهام الجسيمة التي اضطلع وما فتئ يضطلع بها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على مستويات عديدة تتمثل فيها العبقرية الفذة التي أوتيها جلالته والتي هي في الواقع، نتاج كفاح متواصل وثقافة عميقة، وذكاء متوقد، وجهاد مستمر، وصبر دؤوب على مواجهة المحن والملمات بإيمان كبير، وثقة في الله، وتمسك عميق بالمسؤولية وواجبات الأمانة وحقوق الرسالة.

ذلك أنه عندما تبدو بشائر طلائع الذكرى تلوح تقتضي بوادرها المشرقة من الفكر الوطني أن يغوص في أعماق التاريخ المغربي سابرا أغواره، مكتشفا أسراره ودرره، وأن يتجول بالخصوص في أطوار تاريخ العرش العلوي المجيد منذ النشأة ومرورا بكل المعارك والمواقف والأحداث والوقائع التي عاشها المغرب في ظلال هذا العرش المكافح الذي ليس كالعروش لأنه ينفرد بالعبقرية المبدعة وبالنضالية المثالية، وبالاستمرارية في الجهاد المقدس من أجل بناء أمجاد الشخصية المغربية.

ولأنه ميثاق ديني وروحي وعقائدي، ولأنه قائم على رباط البيعة والولاء بين الملك والشعب في علاقة محبة صوفية وروحية، صنعت معارك الاستقلال والتحرر والتشييد والبناء، وصنعت عطاءات الخير والبركات.

ولأنه شعار الاستمرار والقوة والتحدي والصمود، ورمز العمل المتواصل من أجل إقرار العدل والحق وخدمة مصالح الرعية والبلاد.

وإذا ما ذكر الذاكرون اسم هذا العرش العلوي المجيد واسم هذا البلد العريق المتميز بشخصيته الأصيلة وقيمه المثلى، وحضارته الغنية، وتحدياته الحكيمة، ذكروا مرآة الشخصية المغربية المجسد للفكر والسلوك المغربيين، الحريص على استمرار الأصالة المغربية في شتى المناحي جلالة الحسن الثاني المحفوظ بالسبع المثاني، فلقد عمل حفظه الله منذ توليه قيادة هذه الأمة على خدمة الشعب ورعاية حقوق المواطنين صغيرهم وكبيرهم، محافظا على المكاسب القومية معاهدا على بذل أقصى جهده لتحقيق تقدم هذه الأمة ورفائها، وما يفتأ جلالته في كل مناسبة يجدد العهد، ويذكي الطموح، ويوقد العزائم والرغبات، ويحث على ضرورة التماسك والتلاحم من أجل الاستمرار في البناء، بناء المغرب الموحد، وكسب الرهان في كل ميدان، والتزم جلالته بالعهد الذي أعطاه، وأفنى الشعب روحه وطاقاته في خدمة المساعي الحميدة التي خطط لها مليكه المفدى، فكان التلاحم بين العرش والشعب صورة من صور الأصالة المغربية تجلت بوضوح في موقفين عظيمين يشهد التاريخ أنهما عديما المثال.

- **الصورة الأولى :** تتجلى في ثورة الملك والشعب وتحرير البلاد من الاستعمار ومخلفاته تلك الثورة العظيمة التي جسدت أروع مظاهر الالتحام العميق والوثيق بين العرش العلوي المجيد، والشعب المغربي الوفي لمبادئه السليمة في الدفاع عن كرامة البلاد ومقدساتها والتي كانت أبرز المعالم التاريخية التي أظهرت للعالم أجمع أكبر تضحية قدمها ملك في سبيل كرامة شعبه وحريته، وأنبل صور الإخلاص والوفاء سجلها شعب من أجل الدفاع عن الشرعية وحماية المقدسات والمقومات. حيث أدركت الحركة الوطنية فيها ما يجب أن يكون ضمن مبادئها الأولى ذلك أن اقتران المطالبة باستقلال المغرب بالمطالبة بعودة أبي الوطنية جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، ورفيقه في الكفاح جلالة الملك الحسن الثاني وكل أفراد الأسرة الملكية الشريفة ميزت تاريخ المغرب النضالي من أجل الاستقلال لأنها أوضحت الأبعاد الحقيقية لذلك الاستقلال الذي ليس بعدا جغرافيا أو سياسيا، وإنما في عمقه تجسيد حي للوجود الأصيل للأمة، وإذا كانت ثورة عشرين غشت 1953 الذي عاش منذ البداية أحداثها وأبعادها ومعاناتها جلالة الحسن الثاني حفظه الله وهو آنذاك ولي للعهد بجانب والده محمد الخامس رحمه الله «قد شكلت بداية النهاية للتواجد الاستعماري بالبلاد، فإنه من الثابت أن مظاهر التنسيق الكامل بين العرش والحركة الوطنية التي تبلورت عبر مناهضة الظهير البربري في بداية الثلاثينات ثم من خلال تقديم وثيقة الاستقلال سنة 1944، وعبر الزيارة التاريخية لجلالة المغفور له محمد الخامس إلى طنجة سنة 1944، وقيام ولي العهد آنذاك جلالة الحسن الثاني بزيارة تطوان التي كانت بمثابة التأكيد على وحدة البلاد بالاستناد إلى ما كانت تعرفه من تقسيمات لمراكز النفوذ الاستعماري».

وكان جلالة الحسن الثاني أبرز ثمرة لكفاح والده جلالة محمد الخامس رحمه الله رعاها منذ الطفولة فأحسن رعايتها. وبعد أن أنهى دراسته في القانون سنة 1952 واكتمل نضجه الفكري بفضل سهر والده رحمه الله الذي دربه على قواعد الملك، وآداب الحكم في خضم صراعه ضد الاستعمار، فأصبح الأمير الفتي بذلك مؤهلا لخلافة والده بإجماع الأمة المغربية التي التمست هيأتها الوطنية من جلالة محمد الخامس تنصيبه وليا للعهد فتم ذلك في حفل رسمي بالمشور الملكي بالرباط يوم 9 يوليوز 1957 حيث تسلم الأمير العالم ظهير توليه وسام الاستقلال فابتهجت الأمة بذلك».

وفي خضم المعركة الحاسمة لمناهضة الاستعمار وإحباط مزاعمه كان ولي العهد غضون ذلك كله يرتب ويخطط ويربط الصلات، ويجس النبض هنا وهناك ويرسم

مع والده الهمام الوجهات المختلفة لمواجهة كل الاحتمالات، وحين بدأت سلسلة المظاهرات الاحتجاجية بالمغرب التي جرت فرنسا إلى القيام بحركة إبادية قتلت فيها الأبرياء وسجنت الزعماء وأوقفت الصحف الوطنية وأقدمت على خلع رمز الأمة المؤتمن على سيادتها عن العرش وقادته إلى المنفى مع ولي عهده وباقي الأمراء والأسرة المالكة، ظل ولي العهد طوال المنفى أمين سر والده، وعضده الأيمن، وخبيره المحنك في حين انطلقت الشرارة الأولى لثورة عارمة استفحل فيها الفداء وانبرى الشعب الوفي للعرش بكامله يطالب في مظاهرات صاخبة وحملات دائبة برجوع جلالة الملك وولي عهده، إلى أن عاد الملك الظافر إلى الرباط حاملا وثيقة الاستقلال في خضم من الأفراح كللت ثورة الملك والشعب.

☆☆☆

واستعاد المغرب إستقلاله بفضل تلاحم العرش والشعب ووضعت الترتيبات الأولى لأسس الإدارة الاستقلالية، فكان ولي العهد الهمام المخطط والمدبر والخبير الذي أشرف على تنظيم الجيش المغربي الذي جعل منه قوة وطيدة في طليعة قوات العالم الثالث، وتولى ولي العهد نفسه رئاسة أركان حربها العامة في حياة والده الذي كان قائدها الأعلى.

☆☆☆

وأبى صاحب الجلالة المرحوم محمد الخامس إلا أن يلقي بأعباء السلطة التنفيذية لوارث سره وولي عهده فعينه رئيسا للحكومة، ولما انتقل جلالة محمد الخامس إلى جوار ربه راضيا مرضيا، وتقلد الأمانة من بعده جلالة الحسن الثاني الذي أجمعت الأمة على توليته عرش المغرب فنهض بأعباء المسؤولية مستهدفا ما بدأه والده الكريم لتقوية مركز المغرب الدولي وإحلاله المقام الأمثل والمكانة اللائقة بأمجاده بين الأمم والشعوب، وما كان ذلك ليتم إلا بالانكباب على تجديد صرح الدولة ودعم مقوماتها بكفاءة نادرة، وعزيمة وثابة.

مولاي للشعب أنت القصد من أزل
أنت المنى وبك الأمجاد تكتمل

حققت للشعب ما يرقى به وبدا
في عزة لم تنل من حظها دول

ما مثلكم في الجهاد اليوم من أحد
فالله يلهمكم والنصر يكتمل

☆☆☆

«لا يستطيع أحد أن ينكر أن الفترة التي اعتلى فيها جلالة الحسن الثاني عرش المغرب تعتبر من أدق الفترات في حياة العالم عموما وحياة المغرب خصوصا، فقد صادف منذ تتويجه فترة زاخرة بالأحداث مليئة بالتعقيدات في الداخل والخارج، والفترات التي تكون من هذا النوع غير العادي هي التي تضع على محك الاختبار شخصية الحاكمين وهي التي تكشف الستار عن مدى أهليتهم وقدرتهم على الاضطلاع بالمهام الثقيلة التي ألقيت أعباؤها على كواهلهم، وهي التي تبين إلى أي حد يمكنهم أن يتمكنوا من ضبط أنفسهم وهم في غمرة الزوابع والأعاصير ونحمد الله على أن الحسن الثاني قد اجتاز هذا الامتحان العسير بأكبر حظ من النجاح والتقدير، وسيشهد التاريخ أن نجاحه لم يكن وليد الصدفة العمياء، ولا وليد البحث العامض، ولكنه مع توفيق الله وإعانته وليد خصال بارزة، واستعدادات ممتازة، وتربية مثالية تعاورت كلها على إبراز شخصيته وفرضها على الظروف».

☆☆☆

«وهكذا وحينما تولى جلالة الملك قيادة البلاد كانت أمامه إلى جانب المسؤولية التي يتحملها بصفته ملك البلاد هذه الوصية التي تركها له جلالة والده في الرسالة التي

وجهها إلى الشعب بمناسبة تنصيب صاحب السمو الملكي مولاي الحسن وليا للعهد في 9 يوليوز 1957 ويقول فيها : «يا بني : أوصيك بالمغرب بلدك الكريم، ووطنك العظيم مستقر الجد والوالد، ومستودع الطارف والتالد... فحافظ على استقلاله، ودافع عن وحدته الجغرافية والتاريخية ولا تتساهل في شيء من حريته، ولا تتنازل عن قلامة ظفر من تربته، وإياك أن تقبل المساومة عن أمنه وسلامة سكانه وإذا داهمته الأخطار أو تهددته الأعداء فكن أول المدافعين وسر في طليعة المناضلين».

هذه الوصية كانت تجسيدا للمسؤولية، وتكريسا للعمل الذي أخذ جلالة الملك الحسن الثاني على نفسه أن يقوم به بعد أن تولى العرش، وكانت شعلة تنير له الطريق في الجهاد الأكبر الذي يخوضه جهاد بناء الاستقلال، وقد تحمل جلالته مسؤولياته بعهد منه إلى شعبه في أول خطاب له بعد أن ولي العرش قال فيه : «وإني أعاهد الله وأعاهدكم على أن أضطلع بمسؤولياتي وأؤدي واجبي طبق مبادئ الإسلام وقيمه السامية، وتقاليدنا القومية العريقة ومقتضيات مصلحة الوطن العليا، كما أعاهد الله وأعاهدكم على أن أدافع عن حوزة الوطن واستقلاله وسيادته وأحرص على وحدته وإعلاء شأنه بين الدول».

☆ ☆ ☆

وفعلا واصل جلالة الملك الحسن الثاني بعد وفاة والده رحمه الله مسيرة النضال والكفاح والجهاد الأكبر، بعزم صادق وإرادة صلبة لتحقيق الأهداف العليا للبلاد، أهمها تخليص المغرب من التبعية الفكرية للاستعمار، ومن المرض والفقر والجهل دون إغفال للرسالة الكبرى التي حمله إياها والده رحمه الله وهي تحرير الأجزاء المغتصبة من البلاد فكان في مساعيه السامية مثالا للتؤدة والرشد.

ووفاء لوصية والده الخالدة، وبالعهد الذي التزم به من جلالته حفظه الله أن يدافع عن وحدته الترابية والتاريخية وأن لا يتنازل عن قلامة ظفر من تربته، وأن يدافع عن حوزة الوطن، واستقلاله وسيادته، ويحرص على وحدته، إستمر جلالته مفكرا ومدبرا ومخططا لاسترجاع صحرائه لكن بوسيلة سلمية بعيدا عن الحرب والتخريب والدمار وإراقة الدماء.

وبفضل ما أوتيه من حكمة، وما وهبه الله من موهبة خارقة وعبقرية مدهشة، تفتقت هذه العبقرية عن الحدث العظيم، حدث المسيرة الخضراء، - **وهذه هي الصورة الثانية** - التي يحدثنا التاريخ من خلال إطارها عن عبقرية جلالة الحسن الثاني التي وجهت قدرتها إلى تحسيس المواطن بقوة إيمانه، وبما يمكن أن يتفجر من هذا الإيمان القوي من أصالات تحقق الهدف وتصل إلى الغايات، وتشارف المقاصد والمرامي مهما بدت مستحيلة.

حققت آمال البلاد جميعها ... بمسيرة التوحيد والقرآن
ودعوت شعبك للجهاد فسارعوا ... بنفوسهم لبوك والأبدان
لولاك ما اكتحلت هناك عيوننا ... عزا يدوم على مدى الأزمان

إنها ملحمة لفتت الأنظار إليها من كل جهة، واسترعت الانتباه إلى حجمها الروحي والمعنوي والمادي من كل بقعة في العالم، ذلك لأنها لم تكن ملحمة أساسها القوة والغلبة ولم يكن هدفها تحقيق مطمع من المطامع التي هيمنت على السياسة والاستراتيجية الدولية المعاصرة ولم تكن - أخيرا - ملحمة بدون مبادئ ولا قيم وأصالة تتعلق بماضي أمة وتاريخ شعب تلاحما بعرشهما أقوى تلاحم وأوثقه.

ومن المسلم به أن انتفاضة الشعب المغربي والعرش العلوي سواء من خلال عشري غشت أو من خلال المسيرة الخضراء معجزة القرن، قد حققت الكثير ليس للمغرب فحسب بل للعديد من الشعوب التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار والتي استفادت من تجربة الشعب المغربي التي تكاملت لتصبح فلسفة بسيطة في مفهومها وعظيمة في

مراميها تقشت في وعي الإنسان كتراث أصيل قبل أن تدون في سجلات التاريخ.

إن التاريخ المغربي حافل بالأمجاد والانتصارات المتعاقبة على جميع الأصعدة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا بفضل الالتحام الوثيق بين القمة والقاعدة، فبهذا العهد الموصول بين العرش والشعب استطاع المغرب كما قال جلالة الملك : «تذليل المشاكل، وبه استرجعنا السيادة المغصوبة، واستعدنا الكرامة المسلوبة، وبه نعيد بناء صرح الوطن لبنة فوق أخرى، وبه نتسلح لدرء المخاطر، وتوقي المكاره، وبه نتزود لقطع ما ينتظرنا من مراحل وأشواط».

وبفضل الثقة المتبادلة بين الملك ورعيته وتجاوبهما المطلق وعملهما المشترك المنسجم المتجانس أمكن تحقيق المعجزات وتذليل الصعاب والسير بالمملكة إلى ساحل النجاة.

وحين نستقرئ تاريخ العهد الحسني الزاهر من عمر جلالة الملك الحسن الثاني أطال الله بقاءه وأدام عزه ونصره نجد أن المسؤوليات التي تحملها في خضم جهاده الأكبر لبناء الاستقلال وبناء المغرب الجديد : «مسؤوليات ضخمة ومستمرة ضخامة طموح جلالته وطموح شعبه وضخامة ما تفرضه الحياة الجديدة من تطور ورقي، وضخامة التحدي للمشاكل المستعصية التي تواجهها البلاد، مسؤولياتها أعظم من ممكناتها، وحاجاتها أكبر من وسائلها المادية والتقنية والبشرية».

☆☆☆

فإذا ما ذكرت هذه الذكرى الغالية إقترن بها ذكر معاني الخير والبر والإحسان، وتسارع إلى الأذهان الانجازات العظيمة سواء منها التي تحقق أو التي ما تزال في الطريق إنجازات المعابد الدينية، والمعاهد العلمية، والمراكز التقنية، وتخطيطات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والاستثمارات الفلاحية والسياحية، وتصميمات التقدم والرخاء والرفاهية، وتشريعات المصالح العمومية وتحركات السهر على الحدود الوطنية والمعالم الإسلامية وتشييد المجالس والجامعات والكليات والمستشفيات وتعبيد الطرق والمطارات، وإقامة السدود والتنقيب عن المعادن والثروات الباطنية، كذلك نعم المغرب في ظل الملكية الدستورية بتجربة ديمقراطية رائدة، وتعددية حزبية لا مثيل لها في دول العالم الثالث.

وبفضل الثقة المتبادلة بين الملك ورعيته، وتجاوبهما المطلق، وعملهما المشترك المنسجم المتجانس أمكن تحقيق المعجزات، وتذليل الصعاب والسير بالمملكة إلى ساحل النجاة.

☆☆☆

إنه العاهل الكريم الذي يعطي من وقته الكثير للسهر على مصالح أمته، ونحن نرى ونلمس ثمرة جهاده، فهو دائما يحث ويدعو إلى حفز الهمم للعمل المجدي والتمسك بحبل الله المتين، فالشباب عمدة الأمة وعدتها وهو حفظه الله يعرف ويدرك ما للشباب من دور خطير في كل أمر، فكل من يريد لبلاده التقدم يتحتم عليه الاهتمام بالشباب وإعداد الشباب، والاعتماد على الشباب، لهذا نراه نصره الله «منذ نعومة أظفاره وهو يهتم بشؤون الشباب، ويخطب فيهم ويوجههم في كل مناسبة، ونذكر من بين هذه المناسبات وهو مازال في عنفوان شبابه وفي مرحلة صباه أن النجابة والذكاء كانت تبدو عليه تارة من لمحاته المشرقة، وتارة أخرى مما يصدر عنه من أقوال وأعمال يندهش أمامها المفكرون، إن هي إلا الفطرة السليمة التي قد تطبع الإنسان وراثيا أو يؤتاها تلقائيا وعن موهبة، فهذا خطابه ـ بجامعة القرويين ـ يوم حل ركاب المغفور له محمد الخامس ـ بفاس أثناء رحلته ـ طيب الله ثراه إلى موطن أجداده المنعمين في 20 ربيع الثاني عام 1360 هـ 1941 م، بعد هذا التاريخ بخمسة عشر يوما زار فيها الملك المقدس مدارس فاس، وكتاتيبها ومستشفياتها وملاجئها، وفي مقدمتها جامعة القرويين ساعة الدراسة حيث تتبع الحلقات الدراسية واحدة تلو الأخرى وألقيت

بتلك المناسبة كلمات وقصائد رائعة ـ كان من أروعها ـ خطاب ولي العهد (مولانا الحسن) ونصه : «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله، أما بعد، فخير ما يبدأ به الكلام حمد الله الذي يسر لنا أن نجتمع في هذا المسجد العتيق، والمعهد الأنيق الذي طالما انشق منه نور الإيمان، وتبلج بأفقه صبح الإسلام ولاحت من صحوته أشعة الإحسان ـ معهد القرويين ـ الذي نرجو من الله الكريم أن يثمر فيه الأعمال حتى ندرك بفضله كل الآمال ـ معهد القرويين ـ الذي يرجو سيدنا المنصور بالله أن يكون للأمة المغربية حوضا تستقى منه المعارف الدينية والمعلومات الدنيوية التي تكون للجميع مبعث السعادة ومصدر العرفان».

وكخطابه أيضا في 17 يونيه 1943 بمناسبة تدشين المدرسة القرآنية، بزقاق الحجر من فاس الفيحاء. ذلكم الخطاب الرائع الذي احتوت بعض فقراته ما نصه :

«فإقامة هدي القرآن هي السبيل الوحيد لنجاتنا دنيا وأخرى وهي سبب فوزنا إن كنا ممن يروم الفوز، وهي وسيلة نجاتنا إن بحثنا حقا عن وسائل النجاة، فلنرجع إذن للجد والعمل، ولنهجر الاتكال والكسل سبيل السلف إلى مناهل العلم ـ أيها الشباب وقد تيسرت لكم لتحصيله كل الأسباب ـ إحفظوا القرآن وتعلموا العلم لتتدبروه كما أمرنا به الباري جل جلاله : ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾.

خطاب يفيض دررا وغررا لا يلبث يبث في النفوس وعيا ويقظة، خاصة الشباب، ومن سيد الشباب.

☆ ☆ ☆

ونذكر قوله أيضا حفظه الله وهو يخاطب الشباب سنة 1952 موجها إليهم نداء سياسيا قال فيه : «قد يصعب علينا معشر شباب المغرب الادعاء بأننا جديرون بكل إطراء وثناء، فكل ما نأمله في هذا الطور هو التشجيع والاعتناء وعلى من حنكتهم تجارب الحياة أن يأخذوا بيد شبيبتها إلى الإمام فيدلوها على أقوم السبل لتسلكها وينبهوها إلى المهاوي لتجتنبها، عليهم أن يرشدوا هذا الجيل الجديد إلى رسالة الشباب المقدسة...».

ثم يضيف قائلا : «إن المغرب أصدقائي لا يزال ينتظر منكم شتى الجهود، إن المستقبل يتطلب منكم أن لا تركنوا للجمود والركود».

ثم زاد حفظه الله قائلا : «فإذا لم يكن بإمكاننا اليوم أن نزاحم أبناء الشعوب الأخرى في ميادين الإنتاج المادي فإنه بإمكاننا أن ندلو بدلونا في ميادين الفكر والثقافة والأدب والفلسفة.

☆ ☆ ☆

ونذكر من بين ما نذكر بمزيد الاعجاب والتقدير والتعظيم «يوم قدم جلالته رفقة والده المنعم وحكومته الموقرة إلى مدريد للتفاوض مع إسبانيا من أجل استقلال شمال المغرب ووحدته، فخطب حفظه الله في حفلة التكريم التي أقامها له الطلبة والجالية المغربية بمدريد وبحضور جماهير غفيرة من المغاربة والإسبان والأجانب، فما أن انتهى الأمير الشاب من خطابه حتى اهتزت القاعة من التصفيقات الحارة وكان الحضور قد أخذوا من بلاغة وفصاحة هذا الشاب العظيم والجميع يريد أن يتشرف بمصافحته من الإسبان والأجانب ويهنئون المغاربة ويطمئنونهم على مستقبل المغرب الذي أنجب هذا القائد فزاد ذلك من اعتزازنا وافتخارنا وعشنا أسعد الأيام في حياتنا، وقد تغيرت نظرة الأجانب نحو المغرب والمغاربة عندما سمعوا ولمسوا بأنفسهم الحقائق التي تبرهن على عظمة المغرب من خلال أميره».

☆ ☆ ☆

ويقول جلالته أيضا موجها ورائدا ومصلحا : «إن من حسن حظ شباب هذا الجيل أنه يترعرع في ظل الاستقلال المستعاد، والحرية المستردة والكرامة المسترجعة وأن سبل الانطلاق أمامه ممتدة، وأن آفاق تطوره متسعة وأن مستقبله بالتالي يلوح بشارات البشائر فليتذكر وهو يستفيد من

تضحيات السابقين، وينعم بهذا التحرير أن الجيل الماضي نشأ في المحنة، وعارك الأحداث، وعاش في ظلمات العهد البائد وأن كل شيء كان يرشح نخبته لأن تكون ذبح الفداء، وثمن الحرية، لولا عزمها وإيمانها وصبرها ومثابرتها التي طوت بها تلك الصفحات المظلمة، وأعادت بها شباب هذا الوطن غضا طريا لينعم جيلنا بحصيلة تلك العهود، ويغنم فوائد تلك الجهود».

إن تكوين الحسن الثاني المتين، وعبقريته الفذة قد تفاعلا معا وأعطيا لجيلنا الشباب دستورا روحيا وضع به أيدينا على حقيقة فترة الشباب، وواجباتها ومشاكلها وحلولها. ففي كل عيد شباب، وفي مناسبات عدة، كان جلالة الملك يخاطب الشباب في شؤونهم ويهتم بمصالحهم، ويفكر في مستقبلهم وحياتهم بمختلف مجالاتها يقول جلالته : «إن من الجناية على الشباب بل من الخطر على أمة من الأمم أن تبقى مواهب أبنائها مكبوتة لا تقدر على الظهور، وسواعدهم عاطلة لا تجد سبيلا إلى العمل».

حقا إن رعاية الشباب مسؤولية وأمانة، فتكوينه ربح واستثمار ورعايته وتعهده بشغله بما ينفع صيانة له من التردي في المهالك والشغب والمهاترات وربما من الانزلاق في متاهات لا تعود عليه ولا على وطنه بخير في أحسن الأحوال.

وقد كان رائد الشباب أعزه الله، وفيا في تعهده لهذا الشباب فبنى له المدارس التي احتضنته وهو في اليفاعة أو دونها، وأسس له المعاهد العليا والمؤسسات الجامعية التي أكملت تثقيفه وتوجيهه وفسح له بالتشريع مجالات الحرية، فتعددت لديه الجمعيات الثقافية والاجتماعية والرياضية، وأدت هذه الأخيرة دورا كان له مفعوله في ملء فراغ الوقت الثالث لدى شبابنا.

ونشهد جلالته منذ توليته يقوم ببوادر شخصية جريئة ترتبط بمجموع آرائه وفلسفته الحكيمة، فهو يعلن افتتاح حملة التوعية الدينية بالمدارس، ويفتتح عملية الكتاتيب القرآنية، ويبادر بتسجيل فلذة كبده صاحب السمو الملكي ولي العهد سيدي محمد في ٧٤ـة روادها، ويجعل من عيد الشباب يوم عمل من أجل التنمية الاجتماعية، ويسن الخدمة العسكرية الاجبالية التي قال عنها في إحدى خطبه : إنها مجال «يتلقى خلالها شباب يقدمون من مختلف الآفاق وينالون في مدة من الزمن تكوينا يبث في نفوسهم مبادئ صالحة، ويستفيدون منه عند انتهاء فترة الخدمة العسكرية بما يكتسبونه من خبرة ومعرفة».

☆ ☆ ☆

كما أعلن جلالته نظام الخدمة المدنية الاجبارية ولم تقف تعليمات جلالة الحسن الثاني ومنجزاته عند هذا الحد، فقد أثار انتباه وزارة التعليم والشبيبة والرياضة إلى ضرورة الاهتمام بالزمان الثالث وأوقات الفراغ لدى الشباب والتلاميذ والطلبة بصفة عامة، وواصل الاهتمام بالرياضة ومهرجاناتها الوطنية والدولية وتشجيع الأبطال المغاربة فيها، ولم يغفل جلالته جانب المرأة المغربية لإيمان جلالته بفعالية دورها ومشاركتها في تكوين الأجيال والرجال وإعدادهم للمستقبل وحملها مسؤولية التوعية، وذلك بتأسيس الاتحاد النسائي المغربي ويلخص العاهل الكريم مراميه من وراء تأسيس هذا الاتحاد في الرسالة الملكية الموجهة إلى عمال أقاليم المملكة المتعلقة بالموضوع فقد جاء فيها على الخصوص : «إننا نؤمن أن المرأة بلغت في بلادنا درجة من الوعي والنضج تؤهلها للقيام بذلك الدور، وتجعلها قادرة على تحمل تلك المسؤوليات، وإن الحقوق التي تتمتع بها لتفرض عليها أن تقوم في الميدان الاجتماعي بواجباتها، وأن تكون شريكة الرجل في الحملة التي تشنها على الجهل والتخلف، وعليها فوق هذا أن تقود حركة التوعية داخل الأسر والبيوت للتعريف بمشاريع الدولة ومخططاتها».

☆ ☆ ☆

لقد حرص جلالة الملك في كل المناسبات على أن يولي لقضايا الشباب الكثير من الاهتمام، وحرص دائما على أن يرتقي بالشباب المغربي ويكرمه ويفسح المجال أمامه لتكون مشاركته فعالة وسبيلا نحو تطوير المجتمع وتحديث مقومات المغرب الجديد، وكانت مبادرات جلالته المتوالية في جهوده المبذولة حفظه الله لصالح الشباب تتوج أخيرا بتلك التدابير السامية التي اتخذها جلالته لإصلاح نظام الامتحانات في التعليم الثانوي، وخلق فكرة الأكاديميات للقيام بهذا الدور الإيجابي كشعار جديد لمرحلة جديدة يلعب فيها الشباب المغربي الدور الريادي، ويستطيع من خلالها مسايرة حركة التطور والانسجام مع خصوصيات الحاضر وضرورات المستقبل.

وكذا انطلاق الخطة الوطنية سنة 1984 التي تستهدف إصلاح التكوين المهني وجعله وسيلة فعالة لدعم خطوات التنمية، وتوسيع قاعدة المشاركة الشبابية في الخلق والاندماج في مسلسل النماء «حيث إن تكامل مجال التعليم بالتكوين المهني وتلازمهما يعتبر مظهرا واضحا يؤكد على سلامة الاختيارات المغربية، وعنوان لمنظور يستند على أن مقومات النجاح والاستمرارية والمساهمة الجماعية لبلورة التطلعات وتكريس الطموحات لا تتأتى دون جعل كل القطاعات المنتجة مسايرة لمستلزمات الشباب ومواكبة للركب الحضاري».

إن عيد الشباب إذن عيد التعبئة العامة والعمل المتواصل من أجل بناء المغرب الجديد.

☆☆☆

ويسرني وقد أوشكت في هذا المقال على التمام، أن أجعل مسك الختام قول جلالة الملك نصره الله في خطاب عيد الشباب لسنة 1987 «فإذن إلى الإمام لفتح آفاق جديدة أمام شبابنا، وإلى الإمام لفتح السبل المجدية التي بعد فتحها لن يبقى أي باب مسدود أمام أي شاب من شبابنا، علينا أن نتسلح ونعمل ونكد لهذه الغاية علما منا أن الله سبحانه وتعالى لن يخيبنا وسيكلل أعمالنا بالنجاح، وسيثيبنا سبحانه وتعالى على ما يعلمه في قلوبنا ونياتنا «إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا».

فتحية وهنيئا لرائد الشباب جلالة الحسن الثاني بميلاده الميمون السعيد.

وتحية للشباب المغربي في عيد الشباب المجيد.

مراكش : إدريس العلوي العبدلاوي

صور من ماضي الحماية

للدكتور عبد الله العمراني

يحتفل المغرب بالعيد الستيني لميلاد صاحب الجلالة مولاي الحسن الثاني ـ ويحلول هذا العيد السعيد، تسنح فرصة طيبة لاسترجاع بعض الذكريات، واستحضار صور من ماضي عهد الحماية البائد، صور فيها الحلو، وفيها المر، فيها السار، وفيها الضار، وفيها العظة والعبرة على كل حال.

يقول الكاتب الأمريكي دوكلاس أشفورد Ashford ـ في كتابه عن المغرب : «عرف المغرب في القرن العشرين ثلاثة أساليب من الحكم : في بداية القرن وخلال الألف سنة تقريبا عرف حكومته المركزية التقليدية (المخزن) بأشكالها المتعددة، ومن سنة 1912 إلى أوائل 1956 عرف حكم الحماة، وفيه تركزت السلطة في يد الدولتين الحاميتين : فرنسا وإسبانيا، وفي العشرين سنة الأخيرة من هذه الفترة اتسم الحكم بتزايد الهيجان الوطني تزايدا مرا وفعالا، بلغ الأوج في المغرب المستقل اليوم».[1]

☆ ☆ ☆

وقبل التفرغ للحديث عن تلك العشرين سنة، نود إلقاء نظرة على عهد الحماية كله، أما ما بعده، فالمغرب فيه على خير ما يرام : قاده أولا محرر البلاد جلالة المغفور له سيدي محمد الخامس، وقاده ثانيا خلفه ووارث سره مولاي الحسن الثاني، وكلاهما عاهل كريم، وسياسي عظيم، ورجل دولة Statesman حكيم، شهد ويشهد له العالم أجمع (عربه وعجمه، شرقه وغربه) بالشفوف واللباقة والكياسة وحسن السياسة، وبالعبقرية الخلاقة، وهي خصال حميدة عالية، لا تتوافر في رجل دولة، إلا ويكون النجاح حليفه في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

☆ ☆ ☆

بعد أن احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830، وفرضت حمايتها على تونس سنة 1881، شرعت تعمل كل ما في وسعها لإيقاع المغرب في شباك سيطرتها الاستعمارية، فعقدت مع دول أوروبية استعمارية منافسة، اتفاقيات ودية، ومعاهدات تراض ومقايضة في السنوات 1904 ـ 1906 ـ 1910 ـ 1911، وأخذت تثقل كاهل المغرب بالسلفات والقروض التي لم يكن يستلم منها إلا القليل، وصارت

1) Polical Change in Morocco, p. 3

تشاكس، وتستفز، وتشجع الفتن الداخلية، حتى إذا تحرك الشعب، أو عزت إلى صاحب الجلالة مولاي عبد الحفيظ (1908 ـ 1912) أن يطلب نجدة جندها وحمايته، وكانت في ذلك «تسرحوا في ارتغاء» كما قال المثل العربي.

وأخيرا أظهرت صك الحماية، وطلبت من السلطان أن يمضيه، فإذا أبى وما طل وهدد بالتنازل عن العرش، لم تقبل تنازله إلا بعد الإمضاء، وأخيرا، وفي الثلاثين من مارس 1912 أمضى السلطان الصك. وبعد أقل من أربعة أشهر (29 يوليو) قام نائب برلماني في مجلس النواب الفرنسي ووصف اتفاقية الحماية بأنها «الاتفاقية الخطيرة، اتفاقية التدليس والغش والخداع»، وزاد فقرأ على النواب احتجاجا قويا صارما صادرا من مولاي عبد الحفيظ، جاء فيه : «نؤكد أنه لم يسبق أن وقعت استشارة جلالتنا من قبل، ومن المعلوم أن المغرب دولة ذات مميزات تامة السيادة. ولا يمكن تحديد مصير سبعة ملايين من المسلمين دون النظر بعين الاعتبار إلى مشاعرهم السلالية والدينية، والواقع أن جنابنا الشريف يمثل شعبا لم يسبق استعماره قط، كما أنه لم يكن خاضعا لأي سلطة أجنبية، ولا مستعبدا من طرفها، ويتعلق الأمر بامبراطورية ظلت متمتعة بكامل الاستقلال منذ قرون وأجيال».[2]

وفي تاريخ لاحق (11 أغسطس 1912) تنازل السلطان رسميا، وغادر مدينة الرباط للعيش في أوروبا، حيث بقي إلى أن توفاه الله في فرنسا يوم الأحد 22 محرم 1356 (4. 4. 1937)، ولعل من المفارقات السياسية العجيبة أن مولاي عبد الحفيظ هدد فرنسا بالتنازل عن العرش، فلم تقبل تنازله إلا بعد أن أمضى صك الحماية، بينما سيدي محمد الخامس الذي أبى إمضاء ظهائر إصلاح مزعوم، هددته فرنسا بالتنازل فلم يقبل، وفضل النفي والإبعاد عن عرشه ومسقط رأسه هو وولي عهده مولاي الحسن إلى المنفى السحيق، ولكن، لمن كان يمكن أن يتنازل، وولي عهده كان معترفا بولايته رسميا، وكان يدعى له ـ مع والده ـ في خطب الجمعة، منذ سن الثانية ؟

كان في إمكان محمد الخامس أن يمضي الظهائر، ويكون إمضاؤه الواقع تحت الضغط عديم القيمة القانونية، ولكنه رحمه الله أبى أن يتخلى عن شعبه ساعة الحرج، أو أن يخون «البيعة» التي طوق بها الشعب عنقه عن رضى واقتناع وطيب خاطر.

بعد إمضاء صك الحماية، ثار الشعب وهاج، واعتقد البعض أن السلطان لم يمضه، وأن الفرنسيين أعلنوا ذلك تمويها وتدليسا، وصار الكتاب والمؤرخون يعتمدون النص الفرنسي دون النص العربي الذي كان ممضى في الواقع، لكن تحت الضغط، ونتيجة التهديد.[3]

فشبت الحرب الكونية الأولى (14 ـ 1918) فكان لزاما أن يهدأ المغاربة نسبيا، وإلا لفقت ضدهم التهم السياسية، فزج بهم في غياهب السجون، أو علقوا في حبال المشانق. شارك الجنود المغاربة في الحرب إلى جانب فرنسا، انتصارا لقضية الحلفاء، وتكبد المغرب عادة ما تتكبده الشعوب أثناء الحروب، لكن، لم ضحى المغرب بدماء أبنائه في حرب لا ناقة له فيها ولا جمل ؟ ولم كان أبناؤه يقاتلون في جبهات القتال بشجاعة لا نظير لها كما قيل ؟

لا شيء، فقد تم النصر للحلفاء، وعقد مؤتمر السلام في فرساي Versailles سنة 1919، وعقد مؤتمر سان ريمو San Remo بإيطاليا سنة 1920، ولكن دون أن يجد جديد، وبقيت «دار لقمان على حالها، بل كان جزاء المغاربة الذين ضحوا بدماء أبنائهم : الحكم المباشر، التضييق والمضايقة في مختلف المجالات، انتهاج (السياسة البربرية) سياسة التفرقة العنصرية بين سكان المغرب : العرب

2) الحسن الثاني ملك المغرب : التحدي، ص. 18.
3) نشر النص العربي للمعاهدة لأول مرة في كتاب (التحدي) 319 ـ 323.

والبربر، محاولة تنصير أبناء المغرب، محاربة اللغة العربية في عقر دارها، فتح باب الهجرة على مصراعيه لاستقبال المعمرين الفرنسيين وتمليكهم خير الأراضي الزراعية الخصبة...الخ.

وبدأت المقاومة المسلحة فنشبت حرب الريف التحريرية بقيادة الزعيم المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، فكبد الإسبانيين أولا والفرنسيين ثانيا خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، «وصمد الريفيون أمام دولتين أوروبيتين، مما يعتبر حالة نادرة في تاريخ الحروب الاستعمارية لا في شمال افريقية وحدها، بل في قارتي افريقية وآسيا عموما... ويكفي الريفيين فخرا أنهم قادوا هذه الحرب في وجه ثلاثة ماريشالات هم : ليوطي وبيتان وبريمو دي ريفيرا، وأربعين جنرالا، والقوات الأساسية لدولتين أوروبيتين، بل لقد استقدمت هاتان الدولتان بعض المرتزقة من الطيارين الأمريكيين حتى تستخدم أحدث وسائل قاذفات القنابل في الحرب».[4]

أثناء الحرب الريفية، وبالضبط في يوليو 1924 قابل المراسل الأمريكي Webb Miller الدكتاتور الإسباني الذي نصب نفسه مقيما عاما لإسبانيا بالمغرب ميكيل بريمو دي ريفيرا M. Primo de Rivera فصرح له قائلا : «لقد هزمنا عبد الكريم، فهو يتمتع بمزايا واسعة : الأرض، وتعصب الأتباع. جنودنا مرضى بالحرب التي خاضوا غمارها لعدة سنين، ولا يرون لماذا يجب عليهم أن يحاربوا ويموتوا من أجل شريط من الأرض في قطر عديم القيمة، إنني سأنسحب إلى هذا الخط (الإشارة إلى خط تطوان - مقر الإقامة العامة - الممتد شمال منطقة الحماية الإسبانية). وأستمسك فقط بطرف من هذا القطر. إني - شخصيا - في صالح الانسحاب الكلي من افريقية (يعني المغرب) والسماح بها لعبد الكريم، لقد أنفقنا ملايين لا تحصى من البسيطات في هذا المسعى ولم نجن من الأمر سنتيما. فقدنا عشرات الالوف من رجال قتلوا من أجل قطر لا يستحق شيئا، ولكننا لا يمكننا أن ننسحب كلية، لأن انكلترا لن تسمح بذلك، إذ لها نفوذ كبير على الملك، وأنت تعرف أن الملكة أميرة انكليزية، انكلترا تخشى - إن نحن انسحبنا - أن تحتل فرنسا القطر، وتحول دون التحكم الإنكليزي في مضيق جبل طارق، فالمضيق جد حيوي بالنسبة لمصالح الامبراطورية البريطانية : الهند وأستراليا، انكلترا تريد أن يبقى القطر المقابل لجبل طارق في يد دولة ضعيفة مثل إسبانيا، ولا تريد أن تكون هناك دولة قوية مثل فرنسا».[5]

تم التغلب على الحرب التحريرية الريفية، واستسلم زعيمها سنة 1926 ليقذف به إلى مدغشقر : Madagaxar أولا ثم ريونيون : Réunion ثانيا، ولكن فلول المجاهدين استمروا يجاهدون إلى سنة 1927، ولما انتهى أمرهم، خطب جنرال إسباني كبير ليعلن أن المقاومة انتهت تماما، وأن الحماية الاسبانية لشمال المغرب ستبدأ الآن، والآن فقط.

في هذه السنة بالذات (18 نوفمبر 1927) يعتلى سيدي محمد الخامس عرش آبائه وأجداده، وبعد ما يقرب من تسعة عشر شهرا (1929/7/9) يطل على هذا الكون أمير سعيد سيعتلى العرش أيضا ونعنى به صاحب الجلالة الحسن الثاني الذي نحتفل اليوم بعيد بلاده الستين - أطال الله بقاءه -.

☆ ☆ ☆

وبانتهاء عهد المقاومة المسلحة، ابتدأ عهد المقاومة السياسية المسالمة، فأسست الأحزاب، وأنشئت الجرائد والمجلات الناطقة باسمها : وقدمت مطالب الشعب المغربي إلى المسئولين، وقامت المظاهرات، وقدمت الاحتجاجات، وطولب بتغيير المنكر عموما، وبنشر التعليم، وتفقيه أبناء

4) الدكتور صلاح العقاد : المغرب العربي : الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، ص. 288.

5) (نقلا عن David S. Woolman : Rebels in the Rif, pp. 131, 132 (Miller, p. 159

الشعب وخصوصا في المدن الرئيسية. وفي هذا الجو السلمي، يطيب لنا هنا أن نلجأ إلى سلاح آخر مسالم هو سلاح الاستعارة والمجاز، فنزعم أن الوطنية في المغرب قائمة على أعمدة وأركان، وأنها كانت بمثابة جامعة : University تعليمية كبرى تقوم على تلقين الروح الوطنية، وترعاها، وتسهر على بثها بين الأوساط الشعبية بوساطة خمسة مراكز عظيمة الأهمية هي :

1) **رياسة الجامعة Rectorship :** مقرها القصر الملكي في الرباط العاصمة، ويستقر فيها الرئيس سيدي محمد الخامس وكبار معاونيه وفي مقدمتهم ولي العهد مولاي الحسن بن محمد. ومن رياسة الجامعة يقع الإشراف السياسي الوطني ـ الظاهر أو المستتر ـ على سائر الكليات التابعة للجامعة، والمؤتمرة بأمر رئيسها. وللرياسة فرع في تطوان ستقع الإشارة إليه بعد قليل.

2) **كلية الرباط :** أساتذتها هم مسيرو (الكتلة الوطنية). وطلابها هم سائر الأتباع المنبثون في مدن المغرب وقراه : سلا، فاس، مكناس، الدار البيضاء، مراكش، وغيرها. ولما كثر الأتباع، وتشعبت الأمور والآراء، انقسمت الكتلة الوطنية إلى (الحزب الوطني) الذي صار فيما بعد يحمل اسم (حزب الاستقلال)، وإلى (الحركة الوطنية) التي صارت فيما بعد تحمل اسم (حزب الشورى والاستقلال). ولا يعزب عن البال أن كل هذه الهيئات السياسية الوطنية، كانت تعمل على تنفيذ أوامر الرياسة، وتسعى ـ جاهدة ـ في سبيل خدمة البلاد، والعمل على إحلالها المحل اللائق بها في مصاف الدول المستقلة الراقية.

3) **كلية باريس :** يعمرها ويسيرها الطلاب المغاربة الدارسون في العاصمة الفرنسية، ومن ثم أتيح لهم الدفاع عن وطنهم، والاتصال بأحرار المفكرين، وبعض المسئولين الفرنسيين، حتى إذا عادوا إلى بلادهم، انضموا إلى إخوانهم العاملين في كلية الرباط.

4) **كلية تطوان :** وهي تابعة لفرع الرياسة الذي مقره القصر الخليفي بتطوان، ويستقر فيه الرئيس صاحب السمو مولاي الحسن بن المهدي خليفة جلالة السلطان، من فرع الرياسة كان الإشراف على كلية تطوان التي كانت ـ أيضا ـ تخدم البلاد، وتعمل طبق مقتضيات السياسة الوطنية العليا، كان جهازها الإداري أشبه شيء بجهاز كلية الرباط، فأساتذتها هم مسيرو (الكتلة الوطنية)، وطلابها هم الأتباع المنبثون في مدن المنطقة وقراها، وإذ تشعبت الكتلة الوطنية إلى (حزب الإصلاح الوطني) و(حركة الوحدة المغربية) ظل العمل الوطني جاريا على مقتضى الحال من السعي في سبيل خدمة الوطن والمواطنين، والنهوض بمستواهم في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع.

5) **كلية القاهرة :** كان يشغلها ويسيرها الطلبة المغاربة الدارسون في الجامعات المصرية، ومنهم بعض طلبة (بيت المغرب : مقر البعثة)، كان الطلبة بمثابة سفراء وطنيين، يمثلون بلادهم، ويغتنمون الفرص والمناسبات للتعريف بها، وشرح قضيتها، والاحتفال بأعيادها الوطنية مثل عيد جلوس السلطان (18 نوفمبر) من كل عام، في القاهرة تأسست (جبهة الدفاع عن مراكش) وكانت كلمة مراكش في مصر والشرق تعني المغرب. وتأسست كذلك (جمعية الدفاع عن مراكش)، وكانت الجمعيتان تعملان في انسجام وتعاون ملحوظ، بيد أن وجود جمعيتين طلابيتين مغربيتين تعملان لهدف واحد، لم يرق في عين (المرشد العام) لجمعية (الإخوان المسلمين) المرحوم الأستاذ حسن البنا، فما كان منه إلا أن استدعى إلى داره مجموعة من الطلبة المغاربة ـ وهذه ـ فيما أعتقد ـ معلومات تنشر لأول مرة. كان الجمع بهدف التوحيد وإدماج الجمعيتين تحت اسم واحد اتفق على أن يكون (رابطة الدفاع عن مراكش) التي تحولت فيما بعد إلى (مكتب المغرب العربي).

حدث الاجتماع بدار (المرشد العام) في وقت كانت فيه مصر تستعد لعقد مؤتمر في الاسكندرية للنظر في أمر تأسيس جامعة League للدول العربية، ولعدم توفر الرابطة على المال اللازم لبعث وفد إلى المؤتمر، تكفل طلبة من تطوان : محمد ابن عبود، عبد الرزاق القادري، عبد الله

العمراني بالسفر إلى الاسكندرية على نفقتهم الخاصة، وهناك قابلهم وكيل وزارة الشؤون الخارجية المصري المكلف بالإعداد للمؤتمر الدكتور محمد صلاح الدين وشرحوا له الغرض من مقدمهم فرحب بهم، وطمأنهم ووعدهم خيرا، واجتمع المؤتمر، وأصدر (1944/9/7) ما عرف بـ (بروتوكول الاسكندرية) الذي كان مقدمة لعقد مؤتمر في السنة القادمة لتأسيس (جامعة الدول العربية) التي تأسست بالفعل في 1945/3/22، وبمجرد عودة الوفد إلى القاهرة، استدعى السفير الاسباني الطالب العمراني واتهمه بالكتابة في الصحف ضد إسبانيا، الأمر الذي هو ليس في صالحه كما قال. وواضح أن السفير كان مخطئا، لأن من شأن الصحف أن تغطي أخبار المؤتمرات وتذكر كل ما يجري فيها، أو لأن الذي بلغه الخبر، بلغه إياه مشوشا مهوشا.

من الواضح أن العقد Decade الرابع من القرن العشرين (الثالث من عمر الحماية) كان حافلا بالأحداث ففيه احتل الألمان فرنسا (1940) وجاء المقيم العام الفرنسي بالرباط مسيو موريس يستطلع رأي صاحب الجلالة فطمأنه قائلا : «إننا أصدقاء فرنسا، كنا الأصدقاء في أيام قوتها وازدهارها، ونحن اليوم لازلنا أصدقاءها في محنتها ومصيبتها، فليس من طبع المسلم وليس من طبع المغربي أن يخون عهد الصداقة، فلتكن الحكومة الفرنسية مرتاحة البال فيما يخص المغرب».[6]

وفي سنة 1943 اعتدى طيران (فرنسا الحرة) القابعة حكومتها في لندن، على برلماني سوريا ولبنان، فهاج العالم العربي وماج، وقامت بالقاهرة مظاهرات واحتجاجات اشترك فيها طلبة (بيت المغرب) بعلمهم الأحمر ذي النجمة الخضراء، وفي السنة ذاتها نزل الحلفاء بالدار البيضاء، ووعد رئيس الولايات المتحدة جلالة السلطان بتحرير المغرب عندما تضع الحرب أوزارها، ولكن قبل ذلك مات الرئيس فذهب وعده أدراج الرياح.

وفي 11 يناير 1944 قدم الوطنيون ـ بالاتفاق مع صاحب الجلالة ـ وثيقة المطالبة بالاستقلال للمسئولين الفرنسيين ولممثلي (الحلفاء) في الرباط. وفي 18 نوفمبر من نفس السنة احتفلت (رابطة الدفاع عن مراكش) بعيد العرش فأقامت سرادقا أمام بيت المغرب بالقاهرة، واستدعت إلى الحفل الأساتذة والشخصيات العربية الإسلامية.

وفي أبريل 1947 زار جلالة السلطان مدينة طنجة زيارة ترمز إلى وحدة المغرب وتثبيت سلطة العرش المشروعة، ولكن الإقامة العامة عمدت إلى تدبير (مذبحة الدار البيضاء) لتعرقل الزيارة عبثا : «وعلي أن أقول : إن والدي قد استقبل في منطقة الحماية الفرنسية، كما استقبل في منطقتي الحماية الإسبانية والدولية بحمية وحماس لم نتصورهما من قبل».[7]

منذ مطالبة المغاربة بإلغاء الحماية، واستبدالهم استراتيجية «الاستقلال قبل الإصلاح» باستراتيجية «الإصلاح قبل الاستقلال»، والحرب ـ المعلنة أو غير المعلنة ـ قائمة بين القصر الملكي وبين الإقامة العامة. تكررت زيارات السلطان إلى باريس وفي كل مرة يقدم مذكرة تطالب بإلغاء الحكم المباشر، وتعلن أن «قميص» الحماية أصبح ضيقا وقصيرا لا يلائم «ذات» المغرب الكبير الراشد، ولكن مطالبه لم تكن تلقى الآذان المصغية. وتكررت كذلك المؤامرات المدبرة من طرف الإقامة العامة المدعمة من المعمرين الفرنسيين الذين كانوا يسعون حتى لعرقلة الإصلاحات الضرورية وتأزمت الحالة سنة 1951 في عهد المقيم العام الجنرال جوان الذي كان يخطط لخلع السلطان، مما دفع حكومة المملكة المصرية إلى بعث وفد

---

6) محمد الرشيد ملين : نضال ملك، ص. 7 ـ 8.

7) الحسن الثاني ملك المغرب : التحدي، ص. 61.



الاحتفال بعيد العرش 1944/11/18 وظهر من أعضاء الرابطة السادة : 1. عبد الله الغرالي 2. عبد المجيد بنجلون 3. أحمد بن ثابت 4. محمد الوزاني 5. أحمد بن المليح 6. العربي بناني 7. محمد بنعبد الله 8. علال التشوتي 9. عبد السلام بناني 10. المهدي ساير 11. أحمد بنعبود، والباقي مدعوون مصريون وشرقيون.



الوفد الصحافي مع سمو الخليفة

على يمين سموه : محمود أبو الفتح بك صاحب جريدة (المصري) محمد زكي عبد القادر صاحب مجلة (الفصول) محمد عبد القادر حمزة صاحب جريدة (البلاغ)، وعلى يساره زكرياء لطفي جمعة مندوب جريدة (الزمان) حبيب جاماتي مندوب (دار الهلال).

صحافي مهم لاستشفاق الحالة بالمغرب، واستقصاء الحوادث من كثب، وبما أن السلطان الفرنسية بالرباط لم تكن تسمح بمثل هذه الزيارة، فإن الوفد الصحافي المصري توجه إلى تطوان، وقابل سمو الخليفة مولاي الحسن بن المهدي. وفي تطوان وجد الوفد الصحفي مبتغاه.

ولم تفلح مساعي الجنرال جوان، وجاء الأمر من باريس - آخر الأمر - بالتخلي عن وظيفة «المقيم العام»، وباستلام وظيفة أخرى عسكرية في (منظمة حلف شمال الأطلسي)، وبما أنه لم يكن في استطاعته عصيان الأمر، فإنه أشترط أن يخلفه في المنصب صديقه الجنرال كيوم. وكذلك كان.

وتبلغ الحالة السياسية في المغرب أقصى درجات الحرج والتأزم والخطورة، ويتم - آخر المطاف - الاعتداء على العرش المغربي العتيد في يوم عرفة التاسع من شهر ذي الحجة الحرام 1372 الموافق للعشرين من أغسطس 1953، واسودت الدنيا في أعين الشعب، وامتنع المؤمنون من الإنصات للدعاء في خطبة العيد وفي خطبة الجمعة لدمية نصبها الفرنسيون سلطانا جديدا، وامتنعوا عن ذبح أضحية العيد، وأبت منطقة حماية اسبانيا أن تتخلى عن سلطانها الشرعي، وطالب الناس برجوع محمد الخامس إلى عرشه، وتفننوا في إغاظة الفرنسيين فادعوا أنهم يرون صورة السلطان في وجه القمر كل ليلة، واعتقد المراقبون الاجانب أن فرنسا - الدولة العظيمة الآن - لا يمكنها الرجوع عن قرارها الحاسم، ولكن يبدو أن قرار الشعب المغربي كان أشد حسما وعزما، حيث فتح باب الفداء والمقاومة فرجع محمد الخامس في 16 نوفمبر 1955، وتفاوض في باريس لإلغاء الحماية رسميا (2 مارس 1956)ب وتفاوض مع مدريد في أبريل التالي، ومر بتطوان في طريق عودته فأنشدت في (راديودرسة) قصيدة تفضل جلالته بأخذ نسخة منها. وقد جاء في القصيدة الطويلة ما يلي :

وبقينا - مولاي - نخلص ودا
ووولاء رغم العدو جفائه

شعبك الباسل المكافح دوما
ظل يدعو مجاهرا بدعائه :

أن يعاد المليك حرا كريما
لبلاد الجدود، مهد إوائه

☆ ☆ ☆

فلتعش عاهلا عظيما لشعب
محض الود خالصا من ريائه

وليعش نجلك الأمير سعيدا
وجميع الآمال طي ردائه

تطوان : عبد الله العمراني

مواعيد ولقاءات مع التاريخ

للأستاذ عبد القادر زمامة

ـ إذا كانت هناك للوثائق والمستندات التي تحتفظ بها الكتب والسجلات حجج دامغة يتمسك بها الدارسون والباحثون في هذا العصر. وفي كل عصر... فإن لذاكرة الأمم والشعوب ـ زيادة على ذلك ـ قدرة استيعابية تسجل الأحداث، وتصنف الوقائع. وتربط اللاحق منها بالسابق... وما ذاك إلا وسيلة من وسائل قائمة. من أجل التوثيق والإثبات أولا... ثم استخلاص النتائج وأخذ العبر ثانيا...

ـ حتى إذا دار الفلك دورته العادية. وأخمدت عوامل الزمان جذوة الطموح والابتكار. تحولت تلك القدرة الاستيعابية في ذاكرة الشعوب والأمم إلى قوة افعة... تحرك السواكن... وتهز الضمائر... وتكشف الستائر... عن ماض يتجدد... وأمل ينبعث... وآفاق تتسع... وإشعاعات تبدد حجب التناسي والنسيان...! وفكرة وحدة المغرب العربي. بهذا العنوان. وبغيره من العناوين. في شكلها ومضمونها. من الفكر التي عاشت وتعيش في ذاكرة شعوبنا. منذ أقدم العصور. قبل أن تعيش في وثائقها من التاريخ. وسجلاتها من الحضارة. وصورها من العمران، ونصوص الإشادة بها. في شعر الشعراء. وكتابة الكتاب. وخطابة الخطباء...!

ـ فنحن في هذا العصر. وبهذه الروح الوطنية. وبهذه الأساليب العلمية المدروسة، نتعامل مع فكرة ذات مضمون. وحقيقة ذات جذور... كما نتعامل ـ في العمق ـ مع مجتمع بشري حي. خضع لتطورات التاريخ. ومعطيات الطبيعة، في السهول. والجبال. والصحاري. والشواطئ. يعيش في وطن مترامي الأطراف. ولا تعرف أقسامه حدودا طبيعية. تحول دون التكامل والتعاون...

ـ فأبناء هذا المجتمع ـ في جميع مراحل تاريخهم ـ أدركوا بكيفية واضحة. عناصر وحدتهم. ولمسوها في كل شيء يحيط بهم. وكونوا فكرة عن أصولهم وفروعهم. وأخلاقهم. وعاداتهم. ومعاملاتهم الإنسانية وأنظمتهم الاجتماعية... وبذلك ضمنوا لأنفسهم استمرارية طويلة الأمد. جابهوا بها تحديات التاريخ...

ـ كما أن هذا المجتمع البشري تعرض أثناء مسيرته التاريخية. لعدة تيارات وافدة. في شكل موجات بشرية. بعضها يحمل معه ثقافة وحضارة. وبعضها يحمل معه العنف. والاستعباد. والنهب...!

ـ وهنا تظهر عبقرية هذا المجتمع وعبقرية أبنائه. حيث إنهم عند التعامل مع التيارات الوافدة استفادوا. فكريا. وحضاريا. وعمرانيا. ولكنهم لم يفقدوا شخصيتهم. ولم ينسوا أنهم أبناء أمة واحدة، متعاونة في السراء. والضراء...!

ـ وهذه هي النتيجة التي نستنتجها حينما ندرس الرصيد التاريخي. والحضاري. الذي خلفه المد القرطاجني ثم الروماني. والبيزنطي. على اختلاف الأساليب. والأهداف. والمطامع. التي استعملها هؤلاء، في تعاملهم مع هذا المجتمع... في أحقاب التاريخ...

☆ ☆ ☆

ـ وحينما جاء الإسلام إلى هذا الوطن. كان يحمل رسالة الحضارة والنظام. كما يحمل رسالة الإيمان. والعلم. والعدل. والمساواة، والمشاركة في الحقوق والواجبات. فالإسلام في أقطار المغرب العربي. = وهذا ما يشهد به مؤرخون سابقون. ولا حقون. في مختلف الاتجاهات = أعطى تاريخيا وحضاريا. قوة جديدة لفكرة وحدة المغرب العربي. حيث إنه ـ في العمق ـ أضاف إلى عوامل الوحدة. والتكامل في هذا الوطن. عاملين قويين : العقيدة واللغة...

ـ وهكذا يتجلى واضحا أن مجتمعنا في أقطار المغرب العربي. يوم أضاف إلى عوامل وحدته عامليه : العقيدة. واللغة. قد تحول تحولا كاملا نحو السبيل التي أدت به إلى مكانته المتميزة. حضاريا. وتاريخيا. وثقافيا بين الشعوب...

ـ وإذا قارنا بين قائمة أعلام. من مجتمعنا في أقطار المغرب العربي كانت قد صهرتهم في بوتقتها ديانات، وثقافات. وحضارات. ولغات قبل الإسلام، وبين قائمة أعلام من نفس المجتمع اتخذوا الإسلام دينا. والعربية لغة. فإننا نجد الأولى ضعيفة هزيلة. كما وكيفا... رغم أن جهات معينة. من المؤرخين الأروبين. حاولت. وتحاول. بواسطة الأبحاث والدراسات. أن تضخم من عدد هؤلاء الأعلام. وتحيطهم بهالة من التقدير والتنويه. لتجعل منهم أمثلة يحتذيها آخرون...

ـ أما الثانية. التي أسهمت في ميادين المعرفة. والثقافة. في ظل الإسلام. والعربية. فإن التاريخ بكل ما يملك من وثائق. ومستندات لم يحط إلا بأقل القليل منها. ممن ربطوا حلقات الفكر. والمعرفة والثقافة. وتركوا من الآثار. والمؤلفات. والتلاميذ. داخل بلادهم. وخارجها... ما لا يزالون يذكرون به وإلى الآن. في كل من طرابلس. والقيروان. وتونس وبجاية. وتلمسان. وفاس، وسبتة، ومراكش، وأغمات، وسنقيط، وغيرها من مدن وأقاليم المغرب العربي...

ـ وانطلاقا من فكرة وحدة المغرب العربي، نجد عند استقراء مشاهدات الرحالين. الذين زاروا بلادنا عبر العصور... وأقوال المؤرخين، والجغرافيين. الذين وصفوا الإنسان. والتربة. والطبيعة، والآثار، والمعالم، وتحدثوا عن دول قامت. ومدن أست. وعلوم ازدهرت، ومذاهب انتشرت... نجدهم يجسدون فكرة المغرب العربي. ويقدمونها. واضحة للعيان، في معالم تظل شاخصة في المدن. والحصون. والأسوار. والقلاع. والمساجد. والمدارس. ومجالس العلم، وخزائن الكتب. وطرق المواصلات. ورحلات الشيوخ. والتلاميذ. بين مدن وأقاليم المغرب العربي. لربط سند العلم. واستكمال عناصر المعرفة. والاطلاع على ما جادت به قرائح الكتاب والشعراء. وما خطته أقلام أئمة العلم في الموضوعات المختلفة...

ـ وبرهن أبناء المغرب العربي عن وحدتهم واتحاد اتجاهاتهم حينما أسهموا بذكائهم ومعرفتهم في إقامة صرح الحضارة الإسلامية في كل من الأندلس وجزائر البحر الأبيض المتوسط... وسجلت كتب التاريخ أنماطا من عبقرتهم العلمية. والأدبية. والفنية هناك...!

ـ وكان من حتميات التاريخ، أن تدخل مشاعر الوحدة. وفكرة الوحدة. مرحلة أخرى. وهي مرحلة الإعداد

لمشاريع وحدة عملية، تضم أقاليم المغرب العربي على صورة ما...

- وعند تحليل تلك المشاريع. والتأمل في تجاربها المتعددة. ينبغي - موضوعيا - أن نستعمل مقاييس تناسب ما كان معروفا في تلك العصور. وأن نتفهم المقاصد. والأهداف. البعيدة التي كانت تحرك تلك المشاريع. وتدفع القائمين بها إلى خوض غمرات تلك التجارب... إذ أننا إذا لم نفعل. ونظرنا فقط إلى المظاهر البارزة، والوسائل المستعملة، خرجنا بنتائج عكسية. وجانبنا الموضوعية. في حكمنا...

- فإن الشعور العام الذي كان عند المفكرين. هو أن أقطار المغرب العربي - لقربها من أوربا - كانت هدفا لأطماع معروفة. تتطور. وتتشكل...! وسلامتها. واستقرارها. لا يتمان. الا في ظلال قوتها. ووحدتها في إطار معين...!

- وقد نمت في التاريخ عمليات، لإقامة وحدات معروفة.. استعملت أساليب وطرقا. لا مجال لذكرها الآن... ويكفي أن نرجع إلى كتب التاريخ المتوسط. والحديث... لنعرف طبيعة تلك الأساليب والطرق...

- فالذين فكروا قبلنا في إقامة وحدة عملية في أقطار المغرب العربي على صورة ما. بناء على مقتضيات أشرنا إليها باقتضاب... يجب - موضوعيا وتاريخيا - أن ننصفهم... وقد استوعبنا في نصوص التاريخ. ظروفهم، وأهدافهم، ووسائلهم. وقارنا بينهم وبين من فكروا - في التاريخ المتوسط والحديث - في إقامة وحدات، ما تزال تعطي ثمارها إلى الآن... فتجارب الوحدة. وأساليبها. لم تكن تهدف إلى تغيير جغرافية البلاد. ولا إلى طي صفحات من تاريخها المجيد. بل بالعكس. إذا تعمقنا في تفهم الأحداث، وسوابقها ولواحقها. عرفنا الحقيقة واضحة. لا تحجبها الأهواء ولا تعتمها الأوهام... كما يقع - مع الأسف - في أبحاث ودراسات - تحليلا وتركيبا - تستعمل الجزافية في حكمها بدل الموضوعية، والهوى بدل المنطق...

- وجاء عهد الاستعمار الأوربي - بعد صراعات عنيفة - وأخضع أقطارنا لمشاريعه. وتخطيطاته. وأساليبه. واستعمل في كل قطر سياسة مدروسة. قدر أنها كافية لفصله. فكريا. وروحيا. ووطنيا، عن الوحدة التي ينتمي إليها...!

- ولكن هذا التقدير ظهر عمليا. أنه وهم من الأوهام. شغل أقلام. وأفكار. وأوقات. عدد كبير من الأفراد. والهيئات. كانت الإدارة الاستعمارية تعتمد عليهم وتستشيرهم. وتتخذ من أبحاثهم. ودراساتهم سندها في تصريف شؤون هذه الأقطار...

- وظهر جليا بعد الحرب العالمية الأولى - ولا سيما في العشرينات، والثلاثينات التي قامت خلالها عدة أحداث في وطننا. كانت أصداؤها مرددة في جميع أقطار المغرب العربي - أن هناك وعيا وطنيا مشتركا. أخذ يتبلور بعد تلك اللقاءات. التي كانت تتم بين نخبة من الشباب الوطنية. في أرض الوطن. وفي أراضي الغربة. وعلى صفحات الكتب. والمجلات والجرائد والنشرات. وفي حلقات الدروس. بتونس. وفاس والقاهرة وباريس وغيرها...

- وظهرت جرائد. وجمعيات. وهيئات. وشخصيات ذات إشعاع فكري ووطني. وكلها كانت تسير في خطوط متقاربة. أو متوازية. لكن مشاعر الوحدة. كانت هي القاسم المشترك. فنجد في الجريدة الواحدة. وفي المجلة الواحدة. مقالات. وقصائد. وأناشيد، بأقلام ينتمي أصحابها إلى أقطار المغرب العربي كله...!

- ومن دون أن نفصل أسماء الجمعيات والهيئات. والشخصيات. المرموقة في هذه الحقبة. والجرائد والمجلات. والكتب التي ظهرت. وكأنها ملتقى أو منبر للوطنية. والإصلاح. والتوجيه، فإننا نذكر على سبيل المثال ثلاثة أحداث. هزت المشاعر الوطنية. وأظهرت فكرة وحدة المغرب بارزة في تضامن أبنائه ووعيهم بالمصير الذي يخطط سرا وعلنا لبلادهم...!

- وهذه الأحداث هي :

- عقد المؤتمر «الافخارستي» بتونس.

- الاحتفال سنة 1930 م بمرور مائة سنة على احتلال الجزائر.

- إعلان الظهير البربري سنة 1930 بالمغرب...

- وقد كانت هذه الأحداث المتقاربة في زمنها، النقطة التي أفاضت الكأس، وفجرت طاقات السخط والتذمر، حيث إن الشباب الوطني تقدم في الأقطار الثلاثة، يخوض معركة المواجهة الموحدة، دفاعا عن مقدساته الدينية والوطنية... كما أنه خاض معركة أخرى خارجية، للتعريف بالأوضاع التي تعانيها أقطار المغرب العربي، والظروف القاسية التي يعيش فيها أهل هذه الأقطار...

- وهكذا تكون هذه الأحداث، وما أعقبها من تعاون وثيق بين هيئات الشباب الوطني، حدا فاصلا في تاريخ المغرب العربي، حيث بداجليا أن أقطار المغرب العربي، أو افريقيا الشمالية، كما كان يعبر عنها إذ ذاك، بلغت في صراعها مع الاستعمار، الدرجة التي وحدت الاتجاه، وضمت الصفوف، وأقنعت الأفراد والهيئات أن معارك المصير آتية لا ريب فيها...

- وأثناء الحرب العالمية الثانية، وبعدها بقليل تطور الوضع وأصبحت فكرة وحدة المغرب قضية ذات وجود عملي في برامج، ومكاتب وهيئات، تتحمل على عاتقها مسؤولية الدفع بها داخليا، وخارجيا وبكل الوسائل لتأخذ طريقها إلى الأهداف المنشودة، بعد أن تغيرت الأوضاع السياسية، وتكونت المنظمات الدولية والاقليمية، ولكل منها وسائل ومنابر لإعلان حقيقة ما تعانيه الشعوب المستضعفة، من استغلال واستعباد...

- وحققت أقطارنا بفضل كفاحها الداخلي، ونضالها الخارجي، استقلالها الوطني، وسجل التاريخ لكل قطر، صفحات من الأحداث المشرقة، التي رفعت رأس بنيه عاليا بين الأمم والشعوب...

- وكان المنطق السياسي، المبني على خبرة وتجربة، يعلم أن استقلال أقطارنا، ينبغي أن يكون وسيلة عملية للتعاون، والتكامل، والوحدة...!

- وكانت ثمرة هذا المنطق تتجلى واضحة في الأماني المشتركة بين أفراد، وهيئات، شعوبنا، التي لها ذاكرة، تستحضر الماضي... ومطامح تستهدف المستقبل المشرق، الذي ينتظر مجتمعنا...

- ويابى الله إلا أن يتم نوره...!

- ويسبغ على أقطار المغرب العربي نعمته...!

- ويابى التاريخ المغربي إلا أن يجعل من هذه السنة : (1989 م) سنة مباركة ذات إشعاع وطنية، تحتفل فيها الأمة المغربية المجيدة بالذكرى الستين لميلاد جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله :

- موحد التراب الوطني...

- ومحقق فكرة المغرب العربي...!

- وكم للتاريخ من مواعيد...!

- وكم له من لقاءات...!

فاس : عبد القادر زمامه

الحضور المغاربي في الشعر المغربي

شباب متجدد

للأستاذ عبد الجواد السقاط

لعل من بين ما تميز به الشعر المغربي منذ عهوده الأولى إلى اليوم، ارتباطه بأبرز الأحداث السياسية والاجماعية، سواء منها ما عرفته الساحة الداخلية المحدودة، أو ما تعاقب من وقائع وأحداث خارج هذه الحدود، إن على مستوى القارة الإفريقية، أو مستوى غيرها من القارات.

وإذا كان هذا الارتباط كما قدمنا قائماً بيعديه. العمودي / الزمني، والأفقي / الجغرافي، فإنه يدل دلالة قاطعة على ما يتمتع به المغاربة من وعي حضاري أصيل، وما ينتظمهم من إحساس غامر بضرورة الوحدة والتكتل، سواء على المستوى العربي، أو الإسلامي، أو الإنساني بوجه عام، وكأن لسان حالهم يردد بيت أمير الشعراء :

كلما أن بالعراق جريح
لمس الشرق جنبه في عمانه[1]

☆ □ ☆

ولعل منطقة المغرب العربي الكبير، من أبرز المناطق حضورا في هذا الشعر المغربي، إذ أن حضورها فيه قديم قدم تاريخ هذه المنطقة، خصوصا وأنها عرفت والمغرب علاقات سياسية وحضارية عتيقة وعميقة، كانت ولا تزال تمد بعناصر المتانة والقوة، وتتعهد بدماء التجدد والتطور، تلك التي انتهت بقادتها إلى المصادقة على إنشاء اتحاد المغرب العربي في عاصمة الموحدين مراكش، في السابع عشر من شهر فبراير من السنة الجارية.

وغير عازب عن ذاكرة التاريخ أن هذه العلاقات التي كانت قائمة بين المغرب الأقصى ومنطقة الشمال الإفريقي عموماً، قد توجها ذلكم التبادل الثقافي والفني، وذلكم الاحتكاك العلمي والأدبي الذي كان يتم بين علماء وأدباء المنطقة، نستحضر منها على سبيل المثال في فجر الدولة العلوية الشريفة، العالم المغربي عبد الرحمن الجامعي الفاسي[2] الذي «اشتغل في تلمسان بتدريس مادتي النحو والبيان»،[3] والذي «قدم إلى مدينة تونس، وتصدر للتدريس بالجامع الأعظم : جامع الزيتونة، وكان له درس عظيم، ومحفل جسيم، ومدحته العلماء، وشكرته الطلبة وأثنوا عليه»،[4] كما نستحضر الشاعر المغربي محمد بن

1) الشوقيات لأحمد شوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج 2، ص 193.

2) من مواليد عام 1087 هـ.

3) «عبد الرحمن الجامعي الفاسي» مقال للأستاذ محمد المنوني بمجلة دعوة الحق، عدد خاص بعيد العرش المجيد لعام 1974، ص 78.

4) نفس المقال السابق، ص 80.

زاكور الفاسي[5] الذي تتلمذ بالجزائر على نخبة من علمائها، استعرضهم في كتابه «نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان»،[6] واستجازهم مادحا ومنوها، كما تدل على ذلك قصيدته في مفتي الجزائر محمد بن سعيد بن إبراهيم جاء في بدايتها :

قد آن أن ينجز الوعد الذي وعدا
من لا نرى حازما قد حازه أحدا
ومن حوى العلم والمجد الصراح معا
ومن روى عن أبيه البر والرشدا
سمي خير الورى مفتي الجزائر من
من بحره اغترفت أحبارها مددا[7]

ولا ننسى في مقابل هذا الثناء والمدح، أن نورد ما أثبته صاحب الحلل البهية عن السلطان العلوي المولى رشيد الذي «قصده بعض طلبة الجزائر فامتدحه ببيتين وهما :

فاض بحر الفرات في كل قطر
من ندى راحتيك عذبا فراتا
غرق البأس فيه والتمس الفقـ
ـر خلاصا فلم يجده فماتا

فوصله بألفين وخمسين دينارا».[8]

وإذا كان هذا الاحتكاك قد استمر مثمرا مخصبا على توالي الأجيال، فلعله قد بلغ ذروته في العهد الحسني الزاهر الذي نقتصر من بين مكرماته في هذا المضمار على الإشارة إلى استقطاب نخبة من علماء الشمال الإفريقي للمساهمة - إلى جانب غيرهم من علماء المغرب وخارجه - في إحياء الدروس الحسنية الرمضانية من أمثال العالم التونسي الحبيب بلخوجة، والعالم الجزائري محمد الأكحل شرفاء، والعالم الليبي إبراهيم عبد الله رفيدة، بما تتيحه هذه المساهمة من تواصل وتدارس.

وبالعودة إلى الساحة الشعرية بالمغرب، والفضاء الذي كانت الأقطار المغاربية تشغله فيها، نستطيع التأكيد على أنه كان فضاء واسعا رحبا، خاصة فيما يتعلق بتجاوب هذا الشعر المغربي مع الأحداث المغاربية الكبرى، ما كان منها سياسيا أو اجتماعيا أو غير ذلك، ليس في فترة محدودة أو ظرف معلوم، وإنما ذلك على امتداد الفترات واتصال الظروف، مما يدفعنا إلى القول بأن هذا الحضور المغاربي في الشعر المغربي ظاهرة لم تدركها الشيخوخة فتضمحل وتموت، ولكنها على العكس من ذلك، تتميز بالشباب المتجدد، والفاعلية المتصلة، في تحد قوي لكل عناصر التنقيص أو الفتور.

ففي العصر الإسماعيلي مثلا كان القطر الجزائري يعيش تحت وطأة الاحتلال الأجنبي بكل قسوته وطغيانه، الشيء الذي كان يحز في نفوس المغاربة، ومن بينهم الشاعر أبو محمد البوعناني[9] الذي أنشد قصيدة في تهنئة المولى إسماعيل بفتح سبتة مطلعها :

ألا أبشر فهذا الفتح نور
قد انتظمت بعزكم الأمور[10]

وفيها يتعرض للأزمة السياسية التي كانت تعرفها الجزائر آنذاك، مؤملاً أن يتم تخليصها من ربقة هذا الاحتلال الأجنبي على يد السلطان الهمام المولى إسماعيل فيقول :

يا أهل سبتة قد أتاكم
بسيف الله سلطان ونور

5) مات عام 1120 هـ.
6) طبع بالمطبعة الملكية بالرباط عام 1387 هـ - 1967م.
7) ديوان الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض، لابن زاكور، تقديم وتحقيق محمد بن الصغير، رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا للسنة الجامعة 88 - 89، مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط، في ثلاثة أجزاء، الجزء الثاني، ورقة 406.
8) الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية للحاج المشرقي الفاسي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم د 1463، ص 101.
9) مات عام 1106 هـ.
10) المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاي اسماعيل بن الشريف لعبد الرحمن بن زيدان، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ج 595 ص 481.

إذا ما جا لبتة في عشي
تناديه إذا كان البكور
ووهران تنادي كل يوم
متى يأتي الإمام لنا يزور
متى يأتي ويفتحها سريعا
ويلحق أهلها منه البدور[11]

وعندما تم فتح وهران بالفعل، وذلك عام 1119 هـ، أشاد الشعر المغربي بهذا الفتح الذي قوض أركان الشرك بهذه الربوع، ونشر لواء الإسلام فيها، من ذلك قصيدة للشاعر عبد الرحمن الجامعي الفاسي المتقدم مطلعها :

تلت رسل البشائر يوم عيد
علينا سورة الفتح السعيد[12]

وفيها يتغنى بهذا الفتح فيقول :

فيا حادي الرسائل مفرات
بفتح الثغر متحلي السورود
بحقك إن وردت عليه قبل
مباسمه عن الصب البعيد
وقل وهران يهنيك افتكاك
وإنقاذ من الأسر الشديد
لك البشرى وللإسلام أخرى
بمنعك من يد الكفر العنيد
تذكر حيث كنت مناخ شرك
فعدت مقام شكر للحميد
وكنت مقام تثليث فأضحى
يقرر فيك توحيد المجيد
وبدلت النواقس في الزوايا
بأذان وذكر من مجيد
جزى جيش الجزائر كل خير
إله الخلق ذو الملك العتيد[13]

وفي قصيدة له أخرى يستهلها بمقدمة غزلية أولها :

لقد فتكت بالقلب فتك البواتر
عيون الظباء الآنسات الجآذر[14]

نجده يعود للتغني بهذا الفتح، معرجا على وصف ربوع الجزائر، والإشادة بجمال طبيعتها فيقول بعد التخلص من مقدمة الغزل :

أيحسن عذل في ظباء عيونها
ظبى شرعت فتك الأسود الخوادر
تهز قدودا في دعوص كأنها
بنود تثنت في جنود الجزائر
جنود بها الإسلام عز مناله
على كل جبار عنيد مناقر
حموا بالصفاح البيض من كل عابث
حماه فلم يعبث به كف فاجر

إلى أن يقول :

بلاد برأس الغرب تاج مكلل
وخلخال سوق الشرق غير ضوامر
بدت بمنصات الزمان كأنها
عروس تجلت في أعالي المنابر
وقد قلدت من بحرها بموشح
وصيغت لها الأمواج خلخال خامر
ولاح بها باب الجزيرة مثلما
تبسم ثغر في وجوه البشائر
كأن مجاز البحر معصم غادة
تحلى سوارا واكتسى بجواهر
ولله أبراج بشاطئ بحرها
تحاكي النجوم الزهر في عين خازر
كأن لرياض الخضر محدقة بها
ذوائب أصداغ الوجوه النواضر

11) نفس المصدر والقصيدة.
12) مقال عبد الرحمان الجامعي الفاسي للأستاذ المنوني، ص 82 نقلا عن التحفة المرضية، ص 260 ـ 261.
13) نفس المقال، ص 83.
14) نفس المقال، ص 83، نقلا عن التحفة المرضية، ص 187 ـ 192.

غصـون وأنهـــار وتلـــك لهـــذه
تحن فتحنـــو لاستـــلام الغـــزائر

فتبـدو وقـد حـاك النسيم برودهـا
نصـال رمـاح في زرود مشـاجر[15]

وعندما تطاول أعداء الإسلام على البلاد التونسية في القرن العاشر الهجري، وساءت أحوالها نتيجة لهذا التطاول، ارتفع صوت الشعر المغربي منددا بذلك، في تذمر وغيرة، كما ورد على لسان قاضي الجماعة بفاس أبي الحسن علي بن هارون[16] مخاطبا أحد الأعلام التونسيين[17] كان من جملة من هاجروا إلى فاس هروبا من ويلات ذلكم التطاول حيث يقول من موشحة عارض بها موشحة ابن سهل :

جـــــادك الغيث إذا الغيث انهمر
حضرة الأنس البـــديـــع المـؤنس

لم يكن إلا كلمــــــح للبصر
أو بريــــق لاح لي من تــونس

يـــالهـــا من فجعـــة !! زبـــد الخبر
إنهــــا شقيقـــــة الأنـــدلس

كم خــــدود في وجـــوه كـــالقمر
خــــدهـــا دمـــع جرى من نرجس

حـــالكـــات غيرت منهـــا الصـــور
ذل أســــد بعـــد عـــز الأنفس

أصبحــوا أسرى بـــأيـــدي من كفر
ملكت أرقــــابهم بــــالأفلس

يـــــــالترك «بقسي ووتر
أخرجـــوهم من ظـــلام حنـــدس[18]

15) نفس المصدر والقصيدة.
16) .
17) هو أبو الطيب الطريف التونسي.
18) الأدب المغربي لمحمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1969م، ص 275.

وعندما امتدت يد الاستعمار الفرنسي إلى شمال إفريقيا، بدءا من احتلال الجزائر عام 1930م، ارتفعت عقيرة الشعراء المغاربة معلنة سخطها على هذا الاحتلال، محاولة بث روح العزيمة والحماس لاستنهاض همم القوم، ودفعهم نحو مقاومة العدو وكسر شوكته. فهذا إدريس الجاي[19] يذكر الشعب الجزائري بماضيه المجيد، ويلهب فيه جذوة العزيمة والصبر فيقول من قصيدة أنشدها بمناسبة ذكرى الثورة الجزائرية وحرب التحرير على أشدها :

مجـــدا لأبطـــال الجـــزائر إنهم
مـــا أنكروا الأصـل الـــذي لا ينكر

مـــا عـق منهم مـــاجـــد أمجـــاده
مـــــا قــــال أف منهم متضجر

لم يعرف الخــذلان ســاحـــة عـزمهم
وأخـو العـزيمـــة لا محـــالـــة ينصر

وعـــد إلالـــه الصـــابرين بنصره
من كـــالجـــزائر في الشـــدائـــد يصبرا[20]

وهذا علال الفاسي[21] يدعو أبناء الجزائر إلى مقاومة العدو عن طريق التمسك بمقومات العروبة، داعيا إياهم إلى التخلي عن التفرنج الذي قد يدني من العطب إذ يقول من قصيدة :

بني الجـــزائر هبـــوا من رقـــادكم
ولتستضيئـــوا بنـــور أزهر الشهب

دعـوا التفرنـج دومـــا في عـوائـــدكم
إن التفرنـج قـــد يـــدني من العطب

لكـــل قـــوم شعـــار يعرفـــون بـــه
فـــإن مضى أصبحـــوا في منظر شحب

19) مات عام 1977م.
20) ديوان السوانح لإدريس الجاي، المطبعة الملكية بالرباط عام 1971، ص 67.
21) مات عام 1974م.

إن التفرنـــج بحر فـــــاض بينكم
فلتقطعـــــــــوه على جسر من النصب
وابغـوا التمــدين من أبـوابـه شغفـــا
لا تحسبـوا نيلــه بـــالقــول والصخب
إن التمـــدين بيت جـل ســاكنـــه
عمـوده الـدين والأخـلاق كـالطنب[22]

وهذا محمد الحلوي[23] يستنكر بدوره احتلال فرنسا للجزائر، بل اعتقاد فرنسا أن الجزائر جزء من ترابها، معربا عن هذا الاستنكار في قصيدة تطبعها الشدة والقوة حيث يقول منها :

زعمــوا أرضـــك الجـزائر ملكـــا
لفرنـــا تـلمتــــه اغتنــــامـــا
وتنـــاســوا حضـــارة العرب الأمـ
ـجـاد فيهـا والضـاد والإسـلامـا
زعمـوا أهلهـــا رعـــايـــا وشـــاؤوا
أن يسـوقـوا أبـــاتهـــا أغنـــامـــا
فـــإذا بـــالأحرار يمتشقـــون الســ
ـيف نـــارا ويكشفـون اللثـــامـــا
ويشبـونهـــا جحيمــا على البـــا
غي ليلقي من قبضتيـــه الـزمــامـا
يتقـــاوى من الهـــزائم والخـــز
ي ويرجـو أن يثبت الأقـــدامـــا[24]

وكما تجاوب الشعر المغربي الحديث مع احتلال الجزائر، وغيرها من مناطق المغرب العربي، فقد اهتز للزيارات التي كان قادة المغرب العربي يتبادلونها فيما بينهم دعما لأواصر الوحدة والتآخي، وتعضيدا لروابط التكتل والتضامن.

وهكذا تغنى الشعراء المغاربة بالرحلة الملكية التي قام بها جلالة الحسن الثاني أيده الله إلى الشقيقة تونس، واتخذوها فرصة للإشادة بروعة هذه الديار، وجمال طبيعتها، ونبل مواطنيها، على غرار ما نقرأ من قصيدة للشاعر إدريس الجاي نظمها في أعقاب هذه الرحلة :

حييت يـــا تـونس الفيحـــاء من بلـــد
الحسن مرتعـــــه والفن مرعــــــاه
إن لقبــوك بخضراء فقـــد صـــدقـــوا
أو لقبـــــوك بفردوس فمعنـــــــاه
جلبـــاب زيتـونـك الليمـون زركشــه
يـــامـــا أحيـلاه جلبـــابـــا وأبهـــاه
والنخـل ميـــاس، أنســام تهـدهـــده
من شـــاطئ البحر كـاد النـوم يغشـــاه
حتى استفـــاق فحيى ركب سيـــدنـــا
وكـــان يرقب نـورا من محيـــــاه[25]

أو على غرار ما نقرأ من أخرى للشـاعر محمد العلمي[26] بالمناسبة ذاتها :

قـــد استقبلـوك بكـل حنـــان
وملــــــؤهم البشر والجــــــذل
وهم رحبـــوا بـــك، بــل رحبـــوا
بنـــا، بـــالإخـــاء ومـــا يشمـل
وتـــونس صـــارت فراديس خلـــد
يروق بهـــــا السهـــل والجبـــل
وولـــدانهـــا كـــاليـــواقيت قـــد
أتت وهي من شعبهـــــا قبـــــل

22) ديوان علال الفاسي، جمع وتحقيق عبد العلي الوذغيري، مطبعة الرسالة، الرباط، 1984، الجزء الأول، ص 44.
23) شاعر معاصر.
24) ديوان أنغام وأصداء لمحمد الحلوي، دار السلمي للتأليف والترجمة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1965، ص 119.
25) ديوان دعوة الحق «وفاء وولاء»، مطبعة فضالة، المحمدية عام 1986، الجزء الأول، ص 54.
26) شاعر معاصر.

وبـــزرت بعـــد الجـــلاء بـــدت

وعنهـــــا لقــــد زالت العلـــل

فصـــارت عروســـا تسر العيـــون

وفـــوق ربـــاهـــا ازدهت حلـــل

وأبطـــالهـــا في الكفـــاح أسـود

فهم في النضـــال قـــد استبسلـــوا[27]

وفي الإطار نفسه نورد مقطعا من قصيدة للشاعر إدريس الجاي، نظمها تخليدا لإحدى الزيارات الملكية للشقيقة الجزائر، وفيه يؤكد ما يجمع أبناء المنطقة عموما من تضامن وإخاء، داعياً إلى ضرورة جمع الشمل وتوحيد الكلمة :

بني الجـزائر آخـانـا الجهـاد وذا

يـوم البنـاء، فجـل الأمر والشـأن

لينصر البعض منـا البعض متحـدا

ومن تعـاضـد لا يعروه خـذلان

هيـا لنجمع شملا طـالمـا عصفت

بـه النـوائب والأهـوال ألـوان

هيـا لنشحـذ عـزم الخـائرين فمـا

بغير عـزم وحـزم قـام بنيـان

كـانت حـدود من الطغيـان عـاتية

أقـامهـا في بـلاد العرب سجـان

واليـوم قـد حرر العربـان سـاحتهم

فـالكـل مراكش والكـل سـودان

من الخليـج إلى البحر المحيـط هنـا

شعب عظيم أمـازيـغ وعربـان[28]

☆ ☆ ☆

وفي مقـابل هـذا، خلـد الشعر المغربي الحـديث، الـزيـارات التي قـام بهـا بعض قـادة دول المغرب العربي لبلادنـا، مشيـدين بروح التآزر والتعـاضد التي تجمع بين شعوب المنطقة وقادتها، في إلحاح متصل على قيام الوحدة بين هذه الدول، دعما لمطامح الرفعة والسمو، وتثبيتا لركـائز التقدم والازدهار، كما نقرأ من قصيدة للشاعر عبد الكريم التواتي[29] أنشدها بمناسبة الزيارة التي قام بها الرئيس التونسي السابق الحبيب بورقيبة إلى المغرب، إذ يقول :

إلى الـوحـدة الكبرى تنـادت شعـوبنـا

فسيرا إليهـا، وابعثـا الشرق ثـانيـا[30]

ومـا وحـدة دون الجـزائر تبتنى

وليبيـا أسـاس يرفـع الصرح عـاليـا

ذروا عنكم مسـتـوردات عقـائـد

أشـاعت شقـاقـا بيننـا وتعـاديـا

ففي سـور القرآن جـذر وجـودنـا

على أسـه فليبن من كـان بـانيـا

وأنتم جميعـا للعروبـة أسهـا

وأنتم نـواة الآملين التـآخيـا

ومـا العرب في شرق البلاد وغربهـا

سـوى وحـدة دنيـا ورأيـا سيـاسيـا[31]

فصـونـوا تراث العرب من كـل عـابث

فـإنكم قلـدتمـوه إلاهيـا

وأنتم بني الضـاد الـدعـاة إلى الهـدى

على الحـق قـدمتم ضحـايـا غـواليـا

غمرتم نفـوس العـالمين محبـة

فطـابت نفـوس العـالمين تراضيـا

فـلا تهنـوا فـاللـه يكـلأ سعيكم

لخير البرايـا ولتـدومـوا غـواديـا[32]

☆ ☆ ☆

27) ديوان وفاء وولاء، الجزء الأول، ص 57.

28) ديوان السوانح، ص 69.

29) شاعر معاصر.

30) الخطاب إلى قائدي القطرين الشقيقين : جلالة الحسن الثاني أيده الله والرئيس السابق الحبيب بورقيبة.

31) لعل الشاعر وقع هنا في إقواء، وهو أحد عيوب القافية كما هو معروف.

32) ديوان وفاء وولاء، الجزء الأول، ص 62.

ولما آذن الحق سبحانه بتحقيق هذه الوحدة المنشودة، ومن تعالى بعودة التصالح والتصافي بين المغرب والجزائر، انتصب الشعر المغربي مترنما بنشوة الفرحة والغبطة، مرددا لحن البهجة والاغتباط بهذا التصالح بين شعبين شقيقين، وبهذه الوحدة الكبرى تنتظم دول المغرب العربي الخمس، وتجدد من عزم قادتها وشعوبها على مواصلة السير في تآلف وتوافق، ونبذ كل أسباب الخلاف والفرقة.

فهذا الشاعر محمد الحلوي يعكس هذه النشوة فيقول من قصيدة تتغنى بفرحة التصالح والتآخي :

دقت طبـــول الفرحـــة الكبرى
وسعت إليـــك مـــواكب البشرى
وتنفس الصعـــداء شعبـــان اهتـــدى
بطـــلاهمـــا واستقبـــلا الفجرا
من بعـــد أعـــوام القطيعـــة يلتقي
شعبـــان ذاق بنـــوهمـــا المرا
وتـــاقيـــا كـــأس المنـــايـــا مرة
وهمـــا اللـــذان تحـــديـــا القهرا
فتحت جروحـــا غـــائرات لم يكن
لـــولا التعقـــل شرخهـــا يبرا
في كـــل بيت فرحـــة ومسرة
أنست بنيـــه العيـــد والفطرا[33]

ومن قصيدة له أخرى أوحى إليه بها المؤتمر التأسيسي لاتحاد المغرب العربي بمراكش نقتطف قوله :

ويـــا أحبـــائي في الخضراء فرحتنـــا
عيـــد وصحـــوة حب طـــاول القـــدمـــا
وفي طرابلس أبطـــال غطـــارفـــة
صـــانوا عروبتهم واستلهمـــوا الشيمـــا
ومـــوريطـــانيـــا ترى لم يخـــل من عبـــق
ومن تراث أصيـــل يـــزدهي شمـــا
زهت بـــأعراسهـــا الحمراء واقتبلت
أحبـــابهـــا بقلـــوب شـــوقهـــا احتـــدمـــا
فليس فيهـــا يـــد إلا احتـــوت علمـــا
وليس فيهـــا فم إلا شـــدا نغمـــا[34]

وهذا الشاعر محمد نجيد[35] يفرز الشعور ذاته في ثنايا قصيدة مطلعها :

بـــزغ الضيـــاء وشـــع نـــور طـــاهر
وجـــلا الظـــلام لكـــل ليـــل آخر[36]

فهو يقول :

أبشر أخي فـــالحلم صـــار حقيقـــة
والليـــل ولى والظـــلام مغـــادر
والفجر أقبـــل بـــالبشـــائر والمنى
والمغرب العربي ربـــــاط آصر
أقصـــاه والأدنى وأوسطـــه على
درب الإخـــاء يـــد ووجـــد ثـــائر
جـــل الـــذي ظفرت بـــه آمـــالنـــا
أو مـــا يـــوحـــدنـــا العـــزيـــز القـــادر

وعلى غرارهما يتملى الشاعر المدني الحمراوي[37] بفرحة التصالح والتآزر هذه، ويجدد اغتباط المغاربة بهذه الخطوة المباركة التي حققت أملا كان يراود النفوس، ويحتل مكانه في وليجة كل فرد من أفراد الأمة المغاربية، إذ يردد من قصيدة :

فـــالمغرب العربي أصبـــح واقعـــا
يحيـــاه حـــاضر حيـــه والبـــادي

---

33) التحفة السنية بالرحلة الملكية الحسنية إلى العاصمة الجزائرية لمؤرخ المملكة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط، 1408 هـ 1988م، ص 212.

34) مجلة دعوة الحق، عدد 274، رمضان 1409 هـ أبريل 1989، ص 144.

35) شاعر معاصر.

36) أمدني الشاعر مشكوراً بهذه القصيدة، وهي بعنوان : «من وحي القمتين».

37) شاعر معاصر.

وتجمعت أقطـــابــــه في نـــدوة
أخـــويـــة لتنـــاصر وسنـــاد

عـــادت ريـــاح الفتـح تنعش أمـــة
فتـــوحـــدت بتعقـــل وســـداد

صلـح بشـــائره أنـــارت أفقنـــا
بعــد انـزيـــاح عـوائـق الأســـداد

وتبـم التـــاريـخ بعـــد عبوســـه
وتهـــانـــأ الأجـــداد في الألحـــاد

والملـــة البيضـــاء قرت عينهـــا
وتـــألقت في ســـاطـــع الأبراد

أمـل تحقـق بعـــد ليـل حـــالـــك
ولى، وكـــان مركـــز الأوتـــاد

بشرى لمغربنـــا الكبير بخطـــوة
بـــدأت مسيرتهـــا علىمرصـــاد

قـد مهـدت أقطـابنـــا منهـــاجهـــا
واللـــه يكـــلأهـــا من الحســـاد[38]

☆☆☆

ولعلنـا ونحن نقـارب الحضور المغـاربي في الشعر المغربي، قـد لا نقتصر على هـذا الجانب المتقدم، والـذي كـان الشعر المغربي فيـه، ولا يـزال، حـاضراً في السـاحـة المغاربية، متجاوبا مع أحداثها، مخلدا لانتصاراتها، مستنهضا لهمم رجالاتها، متغنيـا بجمـال طبيعتها وخيراتهـا... وإنمـا نعرج على جانب ثان يمثل هـذا الحضور المتميز، ويعكس وجها آخر من وجوه التجاوب والترابط بين الأقطار الشقيقة الخمسة. ولن يكون هـذا الجـانب الثـاني سوى رصـد الشعر المغـاربي لأحـداث المغرب الأقصى، وتخليـده لكثير من مواقفه وأحداثـه. وهو جـانب ليـس بـالحـديث طبعـاً، ولكن جذوره تمتد إلى عصور سابقة نكتفي منها بالعصر الموحدي الذي تطالعنا فيه قصيدة نظمها أحد شعراء الجزائر منوهـا فيها بمذهب المهدي بن تومرت، ومستعرضـا مـا يقوم عليـه هذا المـذهب من دعـائم وركـائز، وذلـك عنـدمـا وفـد على يوسف بن عبد المومن ضمن من كان يفـد عليـه من الشعراء ومما جاء في بداية هذه القصيدة :

ســـلام على قبر الإمـــام الممجـــد
ســـلالـــة خير العـــالمين محمـــد

ومشبهـــه في خلقـــه ثم في اسمـــه
وفي اسم أبيـــه والقضـــاء المســـدَّد

ومحيي علـوم الـدين بعـد ممـــاتهـــا
ومظهر أسرار الكتـــاب المـــددَّد

أتتنـــا بـــه البشرى بـــأن يمـلأ الـدنـا
بقســـط وعـــدل في الأنـــام مخلـــد

ويفتتـــح الأمصـــار شرقـــا وغربـــا
ويملـــك عربـــا من مغير ومنجـــد[39]

☆☆☆

وإذا كان هذا الجانب قديما كما أسلفنـا، فـإنـه هو الآخر لم يصب بـالشيخوخة والهرم، ثم الفنـاء والانـدثـار، وإنما تغذيه باستمرار دماء الشباب والتجدد، وخاصة تحت ظلال الدولة العلوية الشريفة. وهو مظهر نقف منه اختصارا على حدثين بارزين، واكبهما الشعر المغاربي مواكبة تزكي وشائج التآزر والتعاضد بين الأقطـار الشقيقـة، وتـذكي مـا يربط بينها من أواصر التآخي والتضامن.

ويتمثل الحدث البارز الأول في وفـاة جلالـة المغفور لـه محمـد الخـامس طيب اللـه ثراه، حيث اهتـزت لهـذا المصـاب عواطف ثلة من شعراءالشمـال الإفريقي مؤبنـة جلالته، ومستعرضـة مكرمـاتـه الجلى على كـافـة الميـادين والأصعدة.

---

38) مجلة دعوة الحق، عدد 270، ذو القعدة 1408 هـ، يوليوز 1988م، ص 157.

39) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي، ضبط وتصحيح محمد سعيد العريـان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة القاهرة، 1368 هـ، 1949م، ص 189.

ولنقتطف في هذا المضمار مقطعا من قصيدة في الموضوع للشاعر الجزائري مفدي زكريا، يصور فيه فداحة الخطب وهول المصاب فيقول :

يـا منقـذ الشعب قلب الشعب منفطر
والأرض ترجف لما صاح ناعينا

هـذي الجماهير كـالأمواج هـائجـة
والروح قـد بلغت منـا تراقينـا

تتيـه في الأرض لا رشـد ينهنهنـا
ولا صـواب عن البلـوى يعـزينـا

وفـاتنـات عـذاري في مقـاصرهـا
نـدبن خـدا ومزقن الفسـاتينـا

وذاهلين حيـارى لا دليـل لهم
يـلاحقـون المنـايـا لا يبـالـونـا

من بـائس خر في الأسـواق منتحرا
وخـائر العـزم قـد شـق الشرايينـا

لا تعـذلوا الشعب في تهويـل صدمته
فقلمـا أدرك الخطب المعـاقـونـا

جحـافـل الشعب جنـد خلف قـائـدهم
إن مـات قـائـدهم مـاتـوا قرابينـا[40]

وعلى الشاكلة نفسها في إبراز جسامة الكارثة، وعمق الصدمة التي حلت بالشعب المغربي والعروبة قاطبة، يسير كثير من الشعراء التونسيين أمثال محمد الناصر الصدام، والطاهر القصار، والهادي نعمان، ومحمد الشعبوني،[41] والسيد الصادق الفقي الذي نختار قوله من قصيدة بالمناسبة :

مس العروبـة أمر لا مرد لـه
وليس من مبرم الأقـدار من حـذر

مـأسـاة مغربنـا الكبرى لقـد نشرت
بـالعـالم الحر حـزنـا بـالـغ الأثر

فـاجعـة المغرب الأقصى لقـد فجـأت
شعب العروبـة بـالآلام والكـدر

من لم يـذب أسفـا، من لم يبـح كمـدا
من لم يرعـه جـلال النعي والخبر

من لم يـذرف دمـوع الحـزن مكتئبـا
من لم يسـاهم بطـول الـهـد والسهر

مـوت الأحبـة خطب لا عـزاء لـه
وليس ممـا قضى الرحمـان من وزر[42]

وهذا صوت من الشقيقة ليبيا يرتفع منوها بمكرمات الملك الراحل، ومشيدا بما أسداه من نعم جلى للمغرب خاصة، وللقارة الافريقية بوجه عام إذ يقول :

إفريقيـا ذات البطـولـة أصبحت
ثكلى بمـا فقـدت من الأبنـاء

بـالأمس قـد رزئت بفقـد زعيمهـا
بتريس لـومـوميـا قـائـد الـزعمـاء[43]

واليـوم عـاد لهـا الـزمـان بنكبـة
والعـود لم يحمـد من الضراء

ايـه ابن يـوسف كم لكم من نعمـة
ويـد بكـل جليلـة بيضـاء

لا تعجبـوا إن شعبـه لبس الأسى
فهـو الـذي أحيـاه بعـد فنـاء

أولاه إخـلاصـا وحبـا صـادقـا
والصـدق محض محبـة ووفـاء

يـا منقـذ الشعب الأبي بمـا لـه
وبعطفـه في حـالـك الظلمـاء

40) محمد الخامس فكرة وعقيدة، مطبعة الرسالة، الرباط، 1380 هـ، 1961، ص 128.
41) انظر قصائدهم بالمناسبة في المرجع نفسه، ص 130 ـ 137.
42) المرجع نفسه، ص 135.
43) يبدو عجز البيت مكسوراً، وذلك بزيادة الوتد المجموع «مياه» على تفعيلات البحر الكامل الثلاث.

من لأغـــادير الجريحـــة بعـــدمـــا
شربت كـــؤوس البـــؤس والضراء
فحنوت تـأسـو جرحهـا وتمـدهـا
بـــالمـــال فـــانقلبت إلى السراء
ووقفت تحتضن الجـــزائر وقفـــة
فيهـــا سمـو مـــدارك وفـــداء[44]

☆☆☆

أما الحدث البارز آلثاني، والذي استمر الشعر المغاربي متجاوبا معه إلى اليوم، فتربع جلالة الحسن الثاني نصره الله على عرش أسلافه المنعمين، وخلافته لوالده المقدس، وهو تجاوب بدأ منذ قصائد التأبين التي نظمها الشعراء المغاربيون تفجعا على فقدان جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، إذ نجدهم فيها يتجهون إلى خليفته ووارث سره جلالة الحسن الثاني أيده الله، مهنئين جلالته باعتلائه عرش أجداده الميامين، ومنيطين به آمالهم في الازدهار والرفعة ووحدة الصف.

يقول الشاعر الجزائري مفدي زكريا في نونيته المتقدمة :

جلالـــة الحسن الثـــاني لنـــا ثقـــة
بـالعرش فـاصعـد بنـا نبلـغ مرامينـا
فمن نشـاطـك قـد قـدت عزائمنـا
وفي شبـابـك قـد نيطت أمـانينـا
ومن حفـاظـك قـد ريشت قـوادمنـا
ومن نظـامـك قـد سـدت خـوافينـا
سُس بـالعـدالـة ملكـا أنت قـائـده
مـا اعتز من كـان لا يحمي المساكينا
وكن كمـا شـاء من أولاك إمرتنـا
نتبـع ركـابـك لـلأهـداف راضينـا[45]

ويقول الشاعر التونسي السيد الصادق الفقي في رائيته المتقدمة كذلك :

مـا مـات من سـاير الأبنـاء سيرتـه
ولم يحيـدوا على مـا خـط من سير
في طلعـة الحسن الثـاني وعفتـه
بعض السلـو لمـا قـد جـد من غير
يـا خير من ضمد الجرح الـذي اندفقت
منـه الـدمـاء وسـالت سيـل منهمر
بـوركت من خلف طـابت سريرتـه
وأشرق البشر من بستـانـه الخضر
قـد جـاء دورك فـاصدع غير مبتئس
ممـا يحـاك لـدى الأعـداء وانتصر
واقبـل تحـايـا تبـاريـك وتعـزيـة
وسلم الأمر لـلـديـان واصطبر[46]

وعلى غرارهما يقول الشاعر الليبي في همزيته الآنفة الذكر :

عـز المصـاب وغـايـة الآمـال أن
نلقى لـدى حسن جميـل عـزاء
مـا خـاب من ربـاه قـط محمـد
وهـو المربي ومنشئ الأبنـاء
فـاحفـظ بفضلـك للعروبـة مجـدهـا
وانهض بهـا في عـزة وإبـاء
وانهـج على منهـاج والـدك الـذي
كـانت سيـاستـه من الحكمـاء
واقبـل تعـازي ليبيـا في فقـده
إذ أننـا عرب وصنـو إخـاء.[47]

☆☆☆

44) محمد الخامس فكرة وعقيدة، ص 139.
45) محمد الخامس فكرة وعقيدة، ص 129.
46) محمد الخامس فكرة وعقيدة، ص 136.
47) محمد الخامس فكرة وعقيدة، ص 140.

وإن الشعراء المغاربيين ليواصلون اهتمامهم بهذا الحدث البارز، ويشيدون المرة بعد الأخرى بمواقف جلالة الحسن الثاني نصره الله وأيده، رافعين إلى جلالته عبارات التهنئة والتبجيل، وخاصة بمناسبة عيد العرش المجيد، كما نقرأ على لسان الشاعر التونسي الطاهر القصار في مستهل قصيدة :

أهنيك من بعد العزا مترحما
لمن صان أوطان العلا وحمى الحمى
أهنيك بالملك الذي أنت أهله
وبالعرش مرفوع العماد مدعما
أهنيك بالرضوان من خير والد
حدا بك للمثلى وأنشاك مسلما
ولقنك العرفان والعقل والهدى
وأسدى بما أسدى إليك وأنعما
فكنت بذا نعم الخليفة وارثا
مناقب شهم بالمكارم قد سما[48]

وكما نقرأ أيضا على لسان شاعر موريطانيا ومؤرخها المختار بن حامد من قصيدة :

أهلا وسهلا بعيد العرش من عيد
لطاقة الدين فيه أي توليد
عيد إذا عاد عاد البشر يشفعه
وإن تجدد يشفعه بتجديد
عيد اعتلاء أمير المومنين على
عرش الجدود السراة القادة الصيد
جلالة الحسن الثاني ابن سيدنا
محمد الخامس الغر المحاميد
جئنا لنشهد من ذا العيد عيد هدى
فهو أول شيء عيد توحيد[49]

وكما نقرأ كذلك، على لسان الشاعر الجزائري مفدي زكريا مهنئا بعيد العرش المجيد، ومشيدا بانجازات جلالته وأياديه البيضاء على الأمة المغربية إذ يقول من قصيدة :

يا سبطه - الحسن الثاني - وعترته
ومن زكا بهم عدل وإحسان[50]
لك التهاني بعيد العرش عن ثقة
بأن عرشك للإخلاص عنوان
وأن ملكك أخلاق ومجتمع
من البطولات للأحرار ميدان
ومن هدى الله والقرآن هيبته
وكم سما بنظام الملك قرآن
الشعب فيه قرير العين مغتبط
والناس في كنف الإنصاف إخوان
والأرض تزخر بالخيرات طافحة
وكل شبر بناءات وعمران[51]

☆ ☆ ☆

وإذا كان الابداع المغاربي قد رفع صوته منوها بالإنجازات المغربية المتواصلة، ومشيدا بالسياسة الحكيمة لجلالة الحسن الثاني نصره الله في كافة الميادين والأصعدة، وذلك في نصوص كثيرة ومناسبات متعددة، فحسبنا من هذا الفيض الغزير أن نقتطف أبياتا من قصيدة للشاعر الجزائري مفدي زكريا تغني عن التحليل والتعليق، وتقف شاهدا قويا في ذاكرة التاريخ، يعترف بهذه الإنجازات والمكرمات الحسنية، التي مست كل الجوانب، سواء على المستوى الداخلي، أو العربي، أو الإسلامي بوجه عام :

آشيد بالعدل الذي طهرته
فارتاح صالح لا يخاف ثمودا

48) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 36.
49) ديوان وفاء وولاء، ص 263.
50) الضمير في «سبطه» يعود على الرسول ﷺ.
51) ديوان الحسنيات، جمع وتقديم الأستاذ عبد الحق المريني، مطبعة الأنباء، الرباط، الجزء الثاني، ص 21.

أم بـــــالقضـــــاء وأنت من قريتـــــه
فغــــدا من المتخـــــاصين وريـــــدا
أم بـــالـــدود ومن ســـواك أقـــامهـــا
فـــوضعتهـــا دون الســـؤال ســـدودا
أم بـــالسهـــارى الكـــادحين ومن ترى
إلاك يرعى الكـــادح المكـــدودا
أم بـــالمعـــارف في الشبـــاب زرعتهـــا
فتســـابقت تغـــزو الفضـــاء بعيـــدا
أم بـــالفضـــائـــل وهي كـــل طبـــاعكم
فطبعت منهـــا شعبـــك المحســـودا
أم بـــالأصـــالـــة دنـــوا حرمـــاتهـــا
فـــأذبت من بعض النفـــوس صـــديـــدا
أم بـــالتـــوازن في الخطى طـــوع النهى
تغـــزو الحـــوادث مسرعـــا ووئيـــدا
أم رؤيـــة النظر البعيـــد ولم تـــزل
في الملهمين محنكـــا ورشيـــدا
أم بـــاعتـــدادك قبـــل كـــل شجـــاعـــة
بـــالرأي تجزم أن يكـــون ســـديـــدا
أم ثـــورة الإســـلام تبعث زحفهـــا
فتـــزيـــد في عـــزم الهـــداة وقـــودا[52]

وهكـــذا إذن، ومن خـــلال هـــذا العرض المقتضب، والشواهد التي سقناها على سبيل المثال لا الحصر، يتضح الدور الفعال الذي لعبه الشعر المغربي في مواكبة الحياة المغاربية، والشعر المغاربي في مواكبة الحياة المغربية، يحذو شعراء الطرفين ما يختزنه تاريخهم المشترك من رصيد الأخوة والتعلق، وعناصر التقارب والتعاضد، على امتداد مسيرة تاريخية تضرب في أعماق القدم، وتسعد في كل فترة من فتراتها بعوامل التجدد والفتوة، وتحقن بين الفينة والأخرى بدماء النضارة والشباب، فتستمر متألقة وهاجة، ساحبة برود التطلع والأمل، على المنطقة المغاربية وحدها، بل على الأمة العربية والإسلامية كافة، بل على المجتمع الإنساني أجمع، مهما امتدت منه الأطراف، واتسعت به المسافات، وكأن لسان حالها يردد قول الشاعر محمد الحلوي :

ستحمـــل المعـــول البنـــاء كـــل يـــد
وتحمـــل السيف والقرطـــاس والقلمـــا

وســـوف نملي على الـــدنيـــا فتسمعنـــا
وســـوف نبعـــد عن آذانهـــا الصممـــا[35]

الرباط ـ عبد الجواد السقاط

قراءة في كتاب جلالة الملك الحسن الثاني

التحدي

للأستاذة نجاة المريني

يتميز الملوك المغاربة عبر مراحل التاريخ الممتدة منذ الفتح الإسلامي إلى الآن، بفكرهم الثاقب، وقريحتهم الوقّادة، فتراهم يناقشون القضايا الساخنة، ويساهمون بآرائهم وتصوراتهم في الموضوعات العلمية والأدبية، ويعقدون المجالس الدينية لتدارس كتاب الله وأحاديث رسوله عليه السلام بروح علمية ومنهجية واضحة تتغيّى الفهم الصحيح والإيمان الصادق بحقيقة الإسلام كشريعة سماوية ارتضاها الخالق سبحانه وتعالى دينا للناس كافة، فأخرجتهم من الظلمات إلى النور، وهدتهم إلى أوضح السبل، وبذلك تكون الأمة الإسلامية ﴿**خير أمة أخرجت للناس**﴾ الآية 110/سورة آل عمران.

ولم يكتف الملوك المغاربة بعقد المجالس العلمية والدينية، وحرصهم على تعميم فائدتها، والاسترشاد بآراء العلماء وفتاويهم تنويرا للرأي العام المغربي والإسلامي، بل أكثر من ذلك، فإن من هؤلاء الملوك من ساهم بدروسه في هذه المجالس، وناقش العلماء والفقهاء بمنطق سليم وحجة دامغة فمجالس الملوك المغاربة منذ المرابطين إلى عهد السلطان العالم سيدي محمد بن عبد الله تشهد بما كان للملوك المغاربة من دور فعّال في بعث نهضة علمية وأدبية رائدة في العالمين العربي والإسلامي.

ويسجل التاريخ، أن من الملوك المغاربة ممن أسهم بكتاباته وتآليفه في الفنون المختلفة، ليكونوا من ألمع وأبرز الكتاب والمؤلفين في عهدهم وبعده.

ومؤلفات الملوك المغاربة متنوعة الاتجاهات، منها الديني والسياسي كما في تأليف مؤسس الدولة الموحدية المهدي بن تومرت «أعز ما يطلب»، ومنها السياسي كما في مؤلف السلطان أحمد المنصور السعدي «المعارف في كل ما تحتاج إليه الخلائف»، ومضمنه كما يقول أحمد المقري في كتابه روضة الآس ص 57 : «علم السياسة، وهو غاية في بابه، لم يؤلف مثله»، ومنها العلمي، في شرح المسائل الطبية والهندسية كما أشار إلى ذلك أحمد المقري في

نفس كتابه، إضافة إلى ديوان شعري تحدث عنه المرحوم ابن سودة في كتابه دليل مؤرخ المغرب الأقصى.[1]

أما في العهد العلوي، فإن من أكثر الملوك المغاربة تأليفا الملك العالم سيدي محمد بن عبد الله والمولى سليمان والمولى عبد الحفيظ،[2] فقد كانت عنايتهم بعلوم الحديث كثيرة، فصنفوا المؤلفات شرحا وتعليقا وتحشية، منها ما طبع، ومنها ما لا يزال مخطوطا، ومنها ما هو في حكم الضائع، إلى أن يسفر البحث في مخطوطاتنا ووثائقنا عن عكس ذلك.

☆ ☆ ☆

ويسجل التاريخ، بكل موضوعية في عصرنا الحاضر، نبوغ الملك العالم صاحب الجلالة الحسن الثاني في ميدان الكتابة والتأليف، والرسائل والمحاضرات، وتتسم عطاءاته الفكرية على عدة مستويات وفي ظروف مختلفة، بالعمق والدقة وخصب المادة وغزارتها، تغنيها شواهد وأدلة قرآنية وحديثية، شعرية ونثرية، وتتوجها نظريات وأحكام في الموضوع، وكلها جوانب مضيئة في شخصيته الأدبية اللامعة.

كتابات جلالة الملك الحسن الثاني ذات توجهات مختلفة في فنون متعددة، سبق أن تحدث عنها الدكتور عباس الجراري في مقال له بعنوان : «**رجل الأدب والإبداع في فنون القول**» في الكتاب الهام الذي أعده الأستاذ عبد الحق المريني «**جلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية : الإنسان والملك**».

لقد أسهم جلالة الملك الحسن الثاني وما زال يسهم - حفظه الله - بكتاباته وأقواله وخطبه ومحاوراته في إغناء ميدان الإنتاج الأدبي السلطاني في عصرنا الحاضر، بل ويتميز إنتاجه الأدبي محتوى ومادة عن كثير من الإنتاجات الأدبية السابقة للملوك المغاربة الذين تفوقوا في الميدان، وبرعوا في أن تكون القيادة لهم قيادتين : قيادة الدولة، وقيادة القلم.

وسأحاول في هذا العرض المتواضع الحديث عن نموذج من كتابة جلالة الملك الحسن الثاني، يمثله كتاب **التحدي**.

كتاب التحدي :

يشكل كتاب التحدي لجلالة الملك الحسن الثاني عملا أدبيا وسياسيا متميزا في فترة تاريخية هامة من فترات تاريخ المغرب في القرن العشرين.

لقد صدر كتاب التحدي في طبعته الفرنسية لأول مرة سنة 1976، عن دار ألبان ميشال بفرنسا، بعد نجاح المسيرة الخضراء المظفرة التي قال عنها جلالة الملك : «إن هذه المسيرة قد جعلت منا شعبا جديدا، وأمة جديدة».[3]

أما الطبعة العربية لكتاب التحدي، فقد صدرت سنة 1983 عن المطبعة الملكية بالرباط في طباعة أنيقة جيدة.

يحدد الكتاب واقع المغرب في ظروف الاستعمار ماضيا، وواقعه بعد الاستقلال في ظل ملكية دستورية تهدف إلى أن يتبوأ المغرب مكانته في العالم كدولة ذات كيان قوي ومركز متميز ويعنى الكتاب أخيرا بتصورات سياسية مستقبلية يراها العاهل الكريم منهجا لقيادة شعبه، انطلاقا من المسؤولية الملقاة على عاتقه، وانطلاقا من تشبيه المغرب «بشجرة تمتد جذورها المغذية امتدادا عميقا

---

1) ص 432، الطبعة الأولى.

1) أغلب هذه المؤلفات ضائع، وما بأيدينا الآن كمخطوط هو كتاب «العود أحمد»: وهو في الأدعية والأذكار، مخطوط الخزانة الحسنية رقم 4311.

2) انظر حديثا عن هذه المؤلفات في كتاب الأستاذ محمد الأخضر «الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية» ص 271، 361. وكتاب «التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين» للمرحوم عبد الله الجراري ص 328.

3) انبعاث أمة، العدد 20.

في التراب الإفريقي، وتتنفس بفضل أوراقها التي يقويها النسيم الأوربي».[4]

وكتاب التحدي كما وصفه ناشروه في طبعته الفرنسية «ليس بالكتاب الذي يمت في شيء بصلة إلى كتاب المناسبات، وإنما هو مؤلف جليل الأهمية ونادرها، لأنه يتصدى للحقائق والخفايا فيكشفها ويجلوها».[5]

ولعل أهم ظاهرة تلفت النظر أثناء قراءة كتاب التحدي عناية جلالة الملك باستهلال كل محور/كتاب بآية قرآنية مناسبة أو حديث نبوي، وكذلك بقولة بمثابة حكمة لأحد المفكرين الغربيين، وكلها تتناسب ومحتوى المحور/الكتاب، ونظرياته ورؤاه تحليلا ونقاشا واستنتاجا (انظر الصفحات 9، 121، 232).

تتوزع الكتاب ثلاثة محاور أساسية، وقد جعل جلالته كل محور كتابا يتناول مباحث فرعية، بالإضافة إلى ملاحق تضم وثائق ومعاهدات ومراسلات.

أولا :

المحور / الكتاب الأول

يتكون المحور / الكتالب ألاول من ستة مباحث تتعرض بالتحليل والنقاش لظروف المغرب السياسية والاجتماعية في عهد الحماية، من منظور أمير مغربي اتقدت نفسه حماسا ووطنية منذ أن وعى مفهوم الوطنية في صغره، في كنف والده جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، إلى أن تحقق استقلال المغرب وعادت الأسرة المالكة من المنفى إلى أرض الوطن.

المبحث الأول : استعرض هذا المبحث مفهوم الحماية في دلالته الدقيقة، إذ يعني «وضع دولة تحت سلطة دولة أخرى، لا سيما في كل ما يخص صلاتها الخارجية وأمنها».[6]

4) كتاب التحدي، ص 295.
5) كتاب التحدي، ص 7.
6) كتاب التحدي، ص 12.

ويعد موقع المغرب الاستراتيجي الهام منفذا تتطلع إليه أطماع المستعمر في الشرق والغرب خاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، والمغرب بالرغم من دفاع ملوكه عن استقلاله وحريته وقتالهم الأجنبي من أجل تحقيق وحدته، فإنه عاش مناورات سياسية واقتصادية كانت تستهدف تكسير شوكة ملوكه الأشاوس وأبنائه الأباة في الحفاظ على استقلال بلادهم ومواجهة «تكتل القوى الرهيبة ضده».[7]

وبوفاة السلطان المولى الحسن الأول وتنصيب ابنه المولى عبد العزيز سلطانا على المغرب، وهو لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره تمكنت القوى الأجنبية من الاستفادة من «نقص خبرة هذا الفتى»،[8] لتوقع المغرب في شبكة مكيدتها، ولتفرض عليه حمايتها، بل ولتوزعه غنيمة بينها إلى ثلاث مناطق :

- حماية إسبانية في الشمال.
- حماية فرنسية في أغلب التراب الوطني.
- حماية دولية في مدينة طنجة.

وبطبيعة الحال، فإن تمزيق المغرب بين القوى الاستعمارية المؤهنة بالحرية سيشعل فتيل الحرب بين المغاربة والأجنبي في أشكال مختلفة، تارة حربا ميدانية وأخرى حربا نفسية تكشف عن كره المغاربة للمستعمر وعن ثورتهم ضد تدخل الأجنبي، وكان المستعمر يشعر بذلك مما جعل المارشال ليوطي يقول سنة 1916 : «في المغرب، وجدنا أنفسنا أمام إمبراطورية تاريخية ومستقلة، إمبراطورية غيورة كل الغيرة على استقلالها، ثائرة على كل استعباد أو إخضاع لها».[9]

7) كتاب التحدي، ص 14.
8) كتاب التحدي، ص 15.
9) كتاب التحدي، ص 18.

ويعيش المغرب فترات مظلمة قاسية في عهد الحماية ناضل خلالها واستمات في سبيل حريته واستقلاله مستنيرا بهدي ملكه المناضل جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، كما هو راسخ في ذاكرة الشعب المغربي، وقد أشار جلالة الملك الحسن الثاني في قائمة هذا المبحث إلى هذا بقوله : «إذا كان التوفيق قد حالفنا حتى تغلبنا عليها - أي على المشاكل السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية - فإن مرد هذا التوفيق إلى أن **شعبنا اهتدى إلى طريق المحافظة على الإيمان برجل كان رمزا للإيمان بأتم معانيه، ذلك الرجل هو أبي».**

المبحث الثاني : وجعل له جلالته عنوانا «أبي»، ويمثل هذا المبحث شهادة حب ووفاء لأب ملك ناضل وقاوم بكل الوسائل خطط المستعمر الجهنمية ذات الأشكال المتعددة في طمس معالم المغرب الموحد، مرة في التفريق بين المغاربة من خلال «الظهير البربري»، أو في نخبوية التعليم مرة أخرى، فجلالة السلطان محمد الخامس رحمه الله كان يرى «بأن التعليم له مركز الصدارة في قائمة احتياجاتنا».[11]

ويطبع حديث المؤلف عن مواقف الملك الوالد روح الوفاء والصدق، لقد كان الملك الأب يعمل على تنشئة وطنية نضالية، تنشئة فيها الكثير من تحمل المسؤولية منذ أن اختار له اسم جده الحسن، أدركها الابن لأمير فيما بعد، «إذ أن إطلاق اسم الحسن عليّ يحملني من أعباء ثقيلة لم يكن بطاقتي أن أنهض بها لولا معونة أبي إياي، ولولا تجاربه وخبراته وقوة روحه ومضاء عزيمته».[12]

ويستعرض المبحث في إيجاز بعض مراحل حياة الشاب الأمير، وما اعتراها من أحداث وطنية ضد الحامي الأجنبي، ولعل أهم حدث سيمهد للمبحث الثالث هو لقاء أنفا التاريخي سنة 1943.

10) كتاب التحدي، ص 23.
11) كتاب التحدي، ص 29.
12) كتاب التحدي، ص 31.

المبحث الثالث : ويلخص وقائع «لقاء أنفا» وما أعقبه من أحداث، تحت عنوان : «لتحقيق الإصلاح لابد من الاستقلال».

أهم الوقائع التي تناولها هذا المبحث وثيقة الاستقلال سنة 1944، ومخطط «إيريك لابون» الثلاثي سنة 1946، وخطاب طنجة سنة 1947، هذا الخطاب الذي أثار غيظ الفرنسيين، وألهب جذوة معركة الاستقلال بقيادة الملك محمد الخامس «الذي كان يدرك أن بجانبه شعبا برهن على وفائه في كل اختبار، وأننا لابد في النهاية أن نصل إلى النصر».[13]

المبحث الرابع : ويختص بالحديث عن «المؤامرة» التي حاكها المستعمر لنفي محمد الخامس والأسرة الملكية بعيدا عن الوطن، مشيرا إلى كل المضايقات والاستفزازات التي كان يتعرض لها السلطان محمد الخامس وابنه الأمير مولاي الحسن، مؤكدا خيبة المستعمر في كل ذلك، فجلالة الملك يعلن «أن إدانة القومية المغربية إدانة لذاتي، وتخل من طرفي عن صفة الملك المضمونة في معاهدة فاس»،[14] وتكتمل خيوط المؤامرة الاستعمارية بنفي الملك البطل والأميرين الجليلين مولاي الحسن ومولاي عبد الله خارج الوطن في 20 غشت 1953.

المبحث الخامس : وعنوانه : «الابتلاء»، ويستعرض فيه المؤلف جلالة الملك الحسن الثاني ظروف الإقامة في المنفى ومعاناة الأسرة الملكية من قسوة وجور المعتدي بعيدا عن الوطن.

وبالرغم من ذلك، فإن «الملك كان دائم التفكير في شعبه الذي يعاني الشدائد، متألما كذلك من التهم الباطلة التي كانت تنشرها الصحافة في فرنسا والمغرب، في وقت كان فيه أسيرا ومحروما من حق الرد والتصحيح».[15]

13) كتاب التحدي، ص 62.
14) كتاب التحدي، ص 69.
15) كتاب التحدي، ص 90.

وبتحقيق لجنة فرنسية مغربية سنة 1959، تأكد للرأي العام الفرنسي وللإقامة العامة بالمغرب أن «الجماهير المغربية الشعبية متعلقة بالسلطان المنفي تعلقا أخذ يوما بعد يوم طابع الحب الصافي».[16]

وضاعف من غضب المقيم العام الفرنسي حدثان رئيسيان :

ـ نداء القاهرة الذي كان صرخة مدوية أرسلها الزعيم علال الفاسي من إذاعة صوت العرب.

ـ هجوم الشهيد علال بن عبد الله على ابن عرفة وهو في طريقه إلى الصلاة بمسجد أهل فاس.

كان هذان الحدثان ملهفين لحماس المغاربة، فكانت المقاومة المسلحة والمظاهرات، والشعارات المناوئة للمستعمر والمتمسكة بعودة الملك إلى عاصمة ملكه، ولم يكن الحل غير العودة المظفرة لجلالة الملك إلى وطنه معززا مكرما يوم 16 نونبر 1955.

المبحث السادس : وجعل له المؤلف عنوانا «الأمة المغربية» تأكيدا لعرى الالتحام بين العرش والشعب على مدى التاريخ، إذ لم يستطع التعذيب والتنكيل ولا إبعاد السلطان عن العرش أن يزعزع إيمان كلا الطرفين بالآخر، فالشعب متعلق بأهداب العرش العلوي، والسلطان متشبث بشعبه مدافع عنه.

لذا، فقد كان استقلال المغرب السياسي نقطة البداية في العمل من أجل تحقيق استقلالات أخرى تتغيا بناء مغرب مستقل قوي، يقول جلالة المغفور له محمد الخامس في تصريح له سنة 1958 : «إننا لا نبني للحاضر فقط، ولا لأبناء الجيل الحالي وحدهم، ولكننا نبني لخير الأجيال المقبلة، ونسعى بذلك لحفظ كيان الدولة، وضمان وجودها واستمرارها».[17]

16) كتاب التحدي، ص 92.

17) كتاب التحدي، ص 121.

18) كتاب التحدي، ص 124.

ثانيا :

المحور / الكتاب الثاني

يعنى المحور الثاني من الكتاب بالحديث عن المغرب حاضرا من حيث كونه بلدا يسعى حاكمه وهو جلالة الملك الحسن الثاني إلى جعله بلدا يتمتع بكل حقوقه الدستورية في ظل ملكية دستورية ونظام ديموقراطي، وتتوزع هذا المحور مباحث ستة :

المبحث الأول : روح الدستور

يتناول المبحث بيان الظروف السياسية التي دعت المغفور له محمد الخامس وخلفه بعده جلالة الملك الحسن الثاني إلى رسم نص «الخطوط الرئيسية لبيان دستوري مستند إلى أسس واقعية كفيلة بتوحيد كل المواطنين، والقضاء على التفرقة».[18] ويستعرض المؤلف بعض فصول الدستور الرئيسية فيما يتعلق بنظام الحكم بالمغرب، والسيادة للأمة والأحزاب السياسية والمنظمات النقابية، إضافة إلى أن الدستور يضمن للمواطنين الحريات والحقوق المنصوص عليها في فقراته».[19]

وينص الدستور في فصله التاسع عشر على أن «الملك أمير المؤمنين»، والممثل الأسمى للأمة ورمز وحدتها وضامن دوام الدولة واستمرارها، وهو حامي حمى الدين، والساهر على احترام الدستور، وله صيانة حقوق المواطنين والجماعات والهيئات».[20]

وقد تم إقرار الدستور عن طريق الاستفتاء الشعبي بعد أن تم تعديل فصوله ثلاث مرات، الأولى سنة 1962، والثانية سنة 1970، والثالثة سنة 1972.

19) كتاب التحدي، ص 126، 127.

20) كتاب التحدي، ص 128.

المبحث الثاني : الحدود

يقول جلالة الملك : «كان واجبنا الأول هو إعادة تكوين الوحدة الترابية للمملكة، وكان من الأمور الملحة إخلاء القواعد العسكرية».[21] لذلك، فقد كان جلالة الملك حريصا على إخلاء القواعد العسكرية الأجنبية تحقيقا لوحدة المغرب الترابية.

وإذ رفضت إسبانيا إخلاء الأراضي الصحراوية أواخر الستينات، فقد ارتأى جلالته أن الدعوة إلى السلام والمصالحة مع اسبانيا أجدى نفعا وأكثر دعما لأواصر الصداقة بين المملكتين المغربية والإسبانية، وفعلا، فقد تحقق تحرير الصحراء المغربية في ظروف سلمية، ويرى جلالة الملك مؤلف كتاب التحدي : «أن الأمل كبير بأن تأتي يوم يعترف فيه أن سبتة ومليلية وجزر ساحل الريف كذلك أراض مغربية، وأننا بمنأى عن التهديد. واستجابة لدواعي الحس السليم والعقل والصداقة كذلك، لم ننقطع ولن ننقطع عن توجيه هذا النداء».[22]

أما فيما يتعلق بقضية الحدود، فقد رفض المغرب توقيع اتفاقية الحدود المغربية الجزائرية مع فرنسا قبل انتهاء الحرب التحريرية الجزائرية ورأى - أي المغرب - أن «تحديد الحدود الترابية بين المغرب والجزائر تعنيهما وحدهما، ولا يمكن تسويتها إلا بين الدولتين بعيدا عن كل ادعاء».[23]

ويفصل المؤلف الحديث عن اتفاقية أبرمت بين الدولتين، الجزائر والمغرب في 1961، وعن مشروع اتفاقية أخرى لم ينجح سنة 1963، إثر تراجع الجزائر في موقعها في قضية الحدود، لكن المغرب بإيثاره السلام على الحرب آمن بحل المشكل عن طريق المفاوضات المباحثات، فكانت مباحثات تلمسان سنة 1970، لتسوية المشكل.

21) كتاب التحدي، ص 195.
22) كتاب التحدي، ص 137.
23) كتاب التحدي، ص 139.

إن الدفاع عن قضية المغرب في استرجاع أراضيه أو في تحديد حدوده الترابية مع الدول الإفريقية الصديقة عن طريق السلم والتعاون لا يعني التفريط في حقوقه، بل إن ذلك يعني الاسترشاد بما جاء في كتاب الله العزيز، وفي حديث نبيه الكريم لبناء مستقبل واعد.

المبحث الثالث : الأرض والشعب.

يتناول المؤلف في هذا المبحث واقع تزايد السكان في المغرب، وما يلازمه من مشاكل أهمها «قضية ضمان العيش الكريم للجماهير الشعبية، وفي مقدمتهم الفلاحون».[24]

لقد اهتم المؤلف بالحديث عن ظروف الفلاحة في المغرب منذ الثلاثينات إلى اليوم مبرزا جهود الفلاحين رغم بساطة التجهيزات وقلة الإمكانات مشيرا إلى التطورات التي حصلت في ميدان الفلاحة باسترجاع أراضي المعمرين والإصلاح الزراعي والتعاونيات الفلاحية، والصندوق الوطني للسلف الفلاحي، إضافة إلى اعتماد سياسة السدود لري المناطق الفلاحية، وكلها مشاريع تنموية هادفة إلى تحسين وضعية الفلاح وإلى الزيادة من إنتاج الأرض المعطاء.

المبحث الرابع : في التعليم

يظهر أن موضوع التعليم من أكثر الموضوعات تعقيدا وتشعبا في أية دولة تعاني نفس ظروفنا ونفس مشاكلنا، لهذا فقد تناول المؤلف الحديث عن موضوع التعليم منذ الثلاثينات، مشيرا إلى عدد التلاميذ والطلاب، وإلى لغة التعليم ومادته، حيث كان «التعليم - مثل الإدارة - مفرنسا بصورة منهجية».[25]

إن إهمال اللغة العربية «وطردها عمليا من المدرسة ومن حياة المواطنين لم يكن يشعر به كإهانة جماعية

24) كتاب التحدي، ص 150.
25) كتاب التحدي، ص 171.

فحسب، بل كذلك كظلم لا يمكن فهمه ولا تعليله».[26] لذا، فإن العناية بالتعليم في جميع مراحله كان أهم موضوع شغل فكر محرر البلاد جلالة المغفور له محمد الخامس، وفكر خلفه جلالة المنصور بالله الحسن الثاني، فتحدث المؤلف عن التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي، وعن ظروف كل نوع وواقعه وآفاقه.

أما الثقافة، فتحظى بعناية خاصة، يقول المولف : «إننا جهدنا ونجهد لكي نوسع معارف الشعب المغربي في كل ميادين المعرفة الثقافية».[27]

ويتجلى الواقع الثقافي المغربي في فتح الخزائن العامة والملكية أمام الطلاب، وفي إنشاء معاهد الموسيقى والفنون كالرقص والغناء، وفي تشجيع الفرق المسرحية، وفي إسهام السينما والتلفزيون، في تنمية القدرات الفنية لأبناء الشعب. وإن كان النقص واضحا فيما يتعلق بالسينما والتلفزيون «فإننا نأسف على الضعف وعلى الذوق السخيف وعلى الأذى المتجلي في بعض البرامج».[28] وتدارك هذا النقص لن يتم إلا عن طريق الاستفادة من الأحداث الوطنية والبطولية والمناظر الطبيعية لتكون موضوعات أفلام تجارية ناجحة.

أما التربية البدنية، فإن الاهتمام بها اتخذ أشكالا متعددة، منها إقامة الملاعب والمعاهد الرياضية، ومضاعفة مخيمات العطل والعمل من أجل مشاركة الفرق الرياضية المغربية في الألعاب العالمية.

ولازدهار الرياضة في أقطار المغرب العربي أنشئ سنة 1975، مجلس علمي في بلاد المغرب الكبير «بهدف وضع منهجية لشؤون الشبيبة والرياضة».[29]

المبحث الخامس : السكنى لأكبر عدد

مهد المؤلف للحديث في الموضوع بالإشارة إلى مشروع المارشال ليوطي في «انتهاج سياسة ودية لاتجاه المغرب الكبير فحسب، بل كذلك تجاه كافة البلاد العربية والإفريقية».[30] وكذلك بالإشارة إلى سياسة استثمار خيرات الأراضي، وإرضاء الأوربيين المقيمين في المغرب بتوفير وسائل العيش الرغيد لهم ووسائل التنقل وغيرها.

لقد كانت سياسة المستعمر سياسة تعتيم وتفقير أورثت المغرب المستقل مشاكل سكنية منها مشاكل مدن القصدير التي تنامت بفعل هجرة سكان البوادي إلى المدن.

وبعد الاستقلال، اتجهت العناية إلى خلق مناطق لتجهيزات سكنية تشرف عليها وزارة التعمير والسكنى والمحافظة على البيئة، ثم كان مشروع تجهيز أراضي السكنى في مخطط 1973 ـ 1977، ثم مخطط 1978 ـ 1982، لتمليك المساكن للناس وتشجيعهم على ذلك، ولا يفوت المؤلف أن يتحدث عن إعادة بناء مدينة أكادير بعد أن أصابها الزلزال سنة 1960، والتي أصبحت كما وصفها أجنبي بقوله : «إنها تمثل وحدة هندسية رائعة».[31]

المبحث السادس : المنجزات والحقائق

يستعرض فيه المؤلف واقع المغرب بعد الاستقلال، والتوجهات التي كانت تغرر بأبنائه وشبابه، انعكست آثار ذلك على وضعية البرلمان سنة 1965، لكن حصافة رأي الملك وثقته بشعبه جعلتاه يعمل من اجل «قيام عهد تتم خلاله تبديلات جذرية اقتصادية واجتماعية».[32] ويفصل المؤلف الحديث عن ميزان المدفوعات في سنوات 1974 ـ 1977، مثبتا أن نتائج السياسة الاقتصادية

26) كتاب التحدي، ص 172.
27) كتاب التحدي، ص 183.
28) كتاب التحدي، ص 185.
29) كتاب التحدي، ص 188.

30) كتاب التحدي، ص 189.
31) كتاب التحدي، ص 203.
32) كتاب التحدي، ص 206.

والاجتماعية قد أتت ثمرتها طيبة، وأن إنتاج الفوسفاط قد وفر للمغرب رصيدا لابأس به من العملة الصعبة.

وتحقق إنجازات كثيرة في ميادين مختلفة منها : الاستثمارات البحرية، صناعة السفن والأساطيل التجارية، والصناعة التقليدية والسياحة.

أما هجرة العمال المغاربة إلى الخارج، فإنها تعود بفائدتين : توفير العملة الصعبة، واكتساب الخبرة المهنية.

ويخلص المبحث إلى الحديث عن المذهب الاقتصادي والاجتماعي المغربي والمتمثل في :

1 ـ **المشاركة :** أي مشاركة الحكومات ومشاركة المشاريع الخاصة لمساعدة مواطنينا.

2 ـ **الانتقاء والاصطفاء :** «فلاصطفاء المزدوج في الاستثمارات والمنجزات هو الذي سمح لنا في وقت واحد أن نخلق فرص عمل وأن نحتفظ بميزان تجاري رابح».[33]

3 ـ **التوزان :** ويحرص المؤلف في توضيح هذه النقطة على «مردودية الإنتاج التي تسمح بتوازن اقتصادي ومالي واجتماعي وجهوي».[34] وبذلك، فإن المناطق المغربية واحدة لافرق بين شمال وجنوب ولا شرق وغرب في الحصول على احتياجاتها أو طلباتها.

ويهتم المبحث الأخير بمنجزات المغرب في الميدان الطبي، أهمها إنشاء أول كلية للطب سنة 1960، والمركز الجامعي الصحي بالرباط «ابن سينا»، وتكوين الصيادلة المغاربة بالخارج، وإنشاء مصانع الأدوية المتخصصة، وإنشاء المستشفيات والمؤسسات الصحية الحضرية والقروية. «إن تقدمنا الديموغرافي ـ يقول المؤلف ـ يضطرنا إلى أن نتقدم، وكل إبطاء في هذا التقدم يقودنا إلى التقهقر».[35]

المحور / الكتاب الثالث :

يتكون هذا المحور / الكتاب من أربعة مباحث تتحدد فيما يأتي :

المبحث الأول : مهنة الملكية

عرف المغرب الملكية منذ أزيد من اثني عشر قرنا، وبالتحديد منذ مجيء ادريس الأول إلى المغرب سنة 172 هـ، «فلولا ملكية شعبية لما كان المغرب أبدا».[36]

واستشعارا من المغفور له محمد الخامس الملك الأب بواجبات مهنة الملكية، كان الحديث إلى الابن البار وريث العرش عن تلك الواجبات إثر ظهور نتائج امتحانات لم تسر الأب،[37] وشمر الابن الأمير عن ساعد الجد ليكون أهلا لحكم الشعب بالعمل الجاد في المدرسة وفي الجامعة فيما بعد، «إن مصاعب مهنة الملكية تتعلق بالطريقة التي تمارس بها».[38] ويرى المؤلف أن مهنة الملك في المغرب تفرض عليه أن يعمل ويتحمل مسؤولياته كاملة، دون أن يغفل أن «الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية والمجالس الجماعية والغرف المهنية تسهم في تنظيم المواطنين وتمثيلهم».[39]

المبحث الثاني : أخطار المهنة

يسجل المؤلف في هذا المبحث أحداث مؤامرتين حيكتا ضد المغرب وسلطانه، الأولى سنة 1971، والثانية سنة 1972، لكن العلي القدير قد حفظ المغرب وسلطانه من كيد الكائدين، ويؤكد جلالة الملك أن «شعبا بمثل هذا الوفاء القوي يستحق أن يواجه ملكه من أجله أخطار المهنة».[40]

---

33) كتاب التحدي، ص 223.

34) كتاب التحدي، ص 224.

35) كتاب التحدي، ص 229.

36) كتاب التحدي، ص 237.

37) انظر نص الكلمة الملكية الموجهة إلى سمو ولي العهد آنذاك الأمير مولاي الحسن ص 237.

38) كتاب التحدي، ص 242.

39) كتاب التحدي، ص 247.

40) كتاب التحدي، ص 267.

المبحث الثالث : المسيرة الخضراء

يتناول هذا المبحث تأريخا دقيقا وشاملا لتحرير الصحراء الغربية المغربية عن طريق مسيرة سلمية خضراء، فبالاحتكام إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي حيث أقرت أن **هناك روابط قانونية وروابط ولاء بين الصحراء والمملكة المغربية** في أكتوبر 1975، انصرف عزم جلالة الملك إلى تحرير الصحراء متحديا كل الحواجز والعراقيل، يقول جلالته : «ولما كانت صحراؤنا لا تستطيع أن تأتي إلينا، كان علينا أن نذهب إليها إذ كانت تنتظرنا... ومن ثم تقررت المسيرة الخضراء».[41]

وكان خطاب جلالة الملك التاريخي بالقيام بمسيرة خضراء نحو الصحراء حدثا له أهميته الوطنية والعالمية، حدد فيه جلالته عدد المشاركين وأنواعهم، وعدد المؤطرين، كما أنه دعا فيه المشاركين إلى التحلي بالهدوء والاتزان والصبر وحسن المعاملة إذ لم يكن الهدف عدوانيا، وإنما كان استرجاعا لحق مغتصب إلى أصحابه.

يتناول المبحث أيضا الحديث عن انطلاق الجماهير الشعبية في 6 نونبر 1975، نحو الأرض الصحراوية العزيزة، مشيرا إلى أعداد المشاركين من كل إقليم، حيث تمثل المغرب بكل فئاته وبكل مناطقه في هذه المسيرة كما شاركت في هذه المسيرة وفود عربية وأجنبية دعمت قضيتنا وناصرت وحدتنا.

وتنجح المسيرة الخضراء، ويشرق فجر يوم جديد على المغرب، يشعر فيه الجميع بقياد جلالة الملك بالفخر والاعتزاز باسترجاع الصحراء في ظروف سلمية رائعة، يقول المؤلف : «إن هذه المسيرة خلقت مغربا جديدا، عليه واجبات جديدة، وعليه التزامات جديدة».[42]

ويدعو جلالة الملك الهيئات السياسية العالمية والوفود الصحافية والأجنبية لزيارة العيون عاصمة الصحراء للتأكد من واقع الصحراء المحررة، ومن عودة الحق إلى أصحابه.

ويصدم هذا الانتصار ـ مع الأسف ـ رئيس دولة الجزائر الشقيقة، فيثير نار الحرب والعداء مع المغرب مدعيا «أن عودة الصحراء إلى المغرب يشكل تهديدا للثورة الجزائرية».[43] وبحكمة ورزانة يبعث جلالة الملك رسالة إلى الرئيس بومدين ينبهه فيها إلى أخطار الاصطدام مع القوات الجزائرية في صورة ما سمي بالبوليساريو في الصحراء المغربية، ويدعوه إلى تجنب الفتنة بين الإخوة والأشقاء لما فيه خير منطقة المغرب العربي الكبير.

المبحث الرابع : الشجرة

يظهر جليا من خلال هذا المبحث أن جلالة الملك وهو يكتب فصول كتابه التحدي، قد وظف كثيرا من طاقاته الأدبية والقانونية والاجتماعية للحديث عن المغرب على مستويات عديدة في أسلوب سلس واضح هادئ.

في هذا المبحث يلخص المؤلف الفلسفة الحسنية في بناء المغرب الموحد، مغرب الحضارة العريقة والمجد التالد، إنه «يشبه شجرة تمتد جذورها المغذية امتدادا عميقا في التراب الإفريقي، وتتنفس بفضل أوراقها التي يقويها النسيم الأوربي».[44]

يرتبط المغرب بشعوب شرقية وإفريقية وغربية بروابط دموية وحضارية وثقافية، ولا يمكنه أن يتخلص من تلك الروابط أبدا، فهي تغذيه وتشعل فيه جذوة الإيمان بالماضي للانطلاق نحو المستقبل الواعد، فالمغرب شجرة ممتدة الجذور، ذات ثمار طيبة «والويل كل الويل لشعوب اجتثت جذورها، ذلك أن الشجرة التي لا جذور لها لاتنبت ورقا ولا ثمرا، إنها شجرة ميتة».[45]

41) كتاب التحدي، ص 271.
42) كتاب التحدي، ص 283.
43) كتاب التحدي، ص 290.
44) كتاب التحدي، ص 235.
45) كتاب التحدي، ص 296.

وتحرير الصحراء أعطانا مغربا جديدا «مغرب السلام، ومغرب التعاون مغرب الصداقة، ولكنه كذلك مغرب الحرية، ومغرب الطاقة القادرة، ومغرب العزيمة والمضاء، وهذه هي خصائص مغرب المستقبل».[46]

تبدو من خلال هذه الأقوال روح الوفاء للوطن للشعب وللحرية في صدق ووضوح، فجلالة الملك الابن البار لشعب المغرب لن يرضى بمغرب ضعيف، متخاذل، إنه يعتز بهذا المغرب القوي الصامد، مغرب المعجزات والعطاءات.

ويخلص جلالته إلى الحديث عن سياسة المغرب الخارجية منذ شتنبر 1961، وهي سياسة تعتمد على حفظ السلام وعلى التعاون والتضامن وحسن الجوار على الصعيد العربي والإسلامي والإفريقي العالمي، وعلى صعيد دول عدم الانحياز كذلك.

وفي تحليل اتسمت لغته بالصراحة والوضوح أشار المؤلف إلى أن «أغصان الشجرة المغربية هي طبعا أقرب إلى اسبانيا وفرنسا منها إلى بريطانيا وألمانيا الاتحادية»،[47] ويعني ذلك أن التعاون يجب أن يشمل أولا هذه المناطق لأسباب لخصها جلالته في عوامل جغرافية وتاريخية وثقافية وحضارية، ومع ذلك فإن سياسة المغرب الخارجية سياسة متفتحة تهدف إلى التعاون المثمر مع الدول المختلفة في جميع الميادين.

وأخيرا، فإن المغرب برجاله وأبنائه، هم دعائمه وأسسه، «فالتاريخ لم يكن يوجد لولا وجود الإنسان، وأن الرجال هم الذين يصنعون التاريخ ويعطونه معنى».[48] وأبناء المغرب الأباة منذ الفتح الإسلامي وتأسيس الملكية المغربية، إنهم محررو الصحراء وحاملوا راية هذا الوطن، والعاملون على تنميته ورفاهه وازدهاره.

إن ما أنجزه المغرب بعد الاستقلال كما يقول جلالة الملك هو مجموع تحديات «تحديات للجهل وللبؤس وللمجاعة ولعدم التطور، ولمساكن القصدير وللأمراض، وتحديات لعراقل الاستعمار، وللصراع السياسي العقيم وللفوضى».[49]

إن المغرب بتاريخه في قوته وشموخه وخضرة أغصانه هو «الشجرة المغربية بكل أوراقها الخضراء، وجذورها الضاربة في الأعماق هذه هي شجرة التحدي».[50]

إنها الشجرة المباركة، ذات الجذع العريق، وذات الثمار الطيبة، والظلال الوارفة، فلنرع هذه الشجرة، ولنتعهدها كما قال جلالة الملك «شجرة التحدي التي أصلحنا في ظلها وحرثنا وبذرنا، متآزرين، متضامنين».[51]

الملاحق :

يضم الكتاب ملاحق منها :

- ملاحظات الناشر
- شجرة نسب جلالة الملك الحسن الثاني.
- ملاحق وتشمل :

● نص معاهدة الحماية الفرنسية باللغة العربية «ينشر لأول مرة نقلا عن نسخة أصلية محفوظة بمديرية الوثائق الملكية».[52]

● مشروع دستور مغربي (11 اكتوبر 1908).

● مفاهيم ليوطي من خلال بعض مراسلاته.

● مراسلات بين جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، وبين الجنرال دوكول، وأخرى بين جلالة الملك الحسن الثاني والجنرال دوكول.

46) كتاب التحدي، ص 297.
47) كتاب التحدي، ص 303.
48) كتاب التحدي، ص 308.
49) كتاب التحدي، ص 309.
50) كتاب التحدي، ص 310.
51) كتاب التحدي، ص 310.
52) كتاب التحدي، ص 319 انظر الهامش.

● وثيقة حزب الاستقلال يوم 11 يناير 1944.

● مراسلات لجلالة المغفور له محمد الخامس قبل المنفى إلى :

- رئيس الجمهورية الفرنسية سنة 1947.

- المقيم العام الجنرال كَيوم سنة 1952.

- الرئيس الفرنسي فانسان أوريول.

هذه المراسلات كما يقول معربو الكتاب «تلقي أضواء جديدة على الأحداث التي سبقت المنفى المؤثر لعاهل المغرب وعودته الظافرة إلى وطنه المستقل».[53]

● دستور المملكة المغربية 1972.

● نص أول خطاب ملكي وجهه صاحب الجلالة الحسن الثاني إلى شعبه إثر توليه الملك في 3 مارس 1961.

● قوانين الاستثمارات.

● خطابان متبادلان بين جلالة الملك الحسن الثاني وبين صاحب الفخامة الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان أثناء زيارته للمغرب سنة 1975.

☆ ☆ ☆

هذه هي محاور الكتاب ومباحثه وملاحقه، حاولت قدر الإمكان تقديمها في شموليتها وفي غزارة مادتها وخصوبة مضامينها.

إن كتاب **التحدي** يشكل مضمونا وقالبا كتابة متميزة في فضاء سياسي واقتصادي واجتماعي، له أسسه وقواعده، كما أبرز جلالة الملك في كتابه التحدي منهج السياسة الحسنية في المجالات المختلفة رابطا الماضي بالحاضر، متشرفا آفاق المستقبل الواعد، فمن خلال الدراسات الميدانية والإحصائيات والأرقام، ومن خلال التطلعات والتوجهات يتخذ كتاب **التحدي** مسارا جديدا في كتابة جلالة الملك، وفي فنون القول الكثيرة التي يتناولها، إنه كتاب تحليلي تاريخي انتقادي، وهو كذلك كتاب بلور نظريات سياسة عميقة تتطلع إلى بناء مغرب جديد يرقى إلى مصاف الدول المتقدمة، إنه نوع جديد من الكتابة ينم عن قدرة كبيرة على تملك ناصيتي السياسة والبيان..

وبالإضافة إلى قيمة الكتاب المعرفية والمضمونية، فإن قميته الجمالية تتجلى في مظهرين :

- سلاسة أسلوبه، ووضوح تعابيره، فهو من قبيل السهل الممتنع.

- منهجه المحكم في رسم معالم المغرب منذ الحماية إلى تحرير الصحراء.

- لقد استطاع المؤلف أن يبعث الحياة والحرارة في الأحداث والوقائع بعباراته وكلماته، وأن يلبسها رداء المعايشة اليومية وإن كانت قديمة ماضية، كما أنه في استشرافه للمستقبل استطاع بمهارة فائقة انتقاء عباراته وجمله لتكون وسيلة ناجحة وصادقة لتبليغ نظرياته ورؤاه.

كما أن الكتاب لون من ألوان الكتابة الملكية التي تتميز بالصفاء والعمق وحسن التبليغ، وذلك يدل على ثقافة واسعة وعلى فكر ثاقب، وعلى تمرس باللغة كبير، إضافة إلى فكر المنظر المسؤول عن شعب يكن له كل محبة وود وتقدير، وكما يقول جلالة الملك في آخر فقرة في مبحث **أخطار المهنة** : «إن شعبا بمثل هذا الوفاء القوي، يستحق أن يواجه ملكه من أجله أخطار المهنة...».[54]

سلا : نجاة المريني

53) كتاب التحدي، ص 381.

54) كتاب التحدي، ص 267.

الإسلام والشباب..

للدكتور يوسف الكتاني

يقترن عيد الشباب هذه السنة بالذكرى الستين لميلاد جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله، وبهذه المناسبة الكريمة أقدم هذا البحث تحية لرائد وحدتنا وقائد مسيرتنا في عيده السعيد.

إن من فضل الإسلام على البشرية أن جاءها بمنهاج شامل كامل قويم لتربية النفوس، وتنشئة الأجيال،وتكوين الأمة، وبناء الحضارة، وإرساء قواعد المجد والمدنية مما كان من شأنه إنقاذ الإنسانية التائهة، وتصحيح مسارها، وإرجاعها إلى الطريق المستقيم.

وإذا كان لكل أمة ثروة تعتز بها، ورصيد تدخره لمستقبلها وقوة تبني عليها مجدها ونهضتها، فإن في مقدمة هذه الثروة في دولة الإسلام شبابها الذي يعتبر الدعامة الأساسية في المجتمع، والثروة الحية فيه، والأمل الـ [illegible] على الدوام.

ولا أعتقد أنه يوجد دين سابق على الإسلام أو نظام لاحق عليه، اعتنى بالشباب ورعاه وكرمه مثل دين الإسلام ورسول الإسلام الذي جعل منه دعامة المجتمع وقوام الأمة، وعنص القيادة والدعوة والحكم، وهيأه للميادين كلها، ودفعه إلى المجالات كلها، واعترف بقوته، وباهى بأعماله، واعتبره محط العناية الكبرى، ومركز الرعاية العظمى، حتى جعل فئة الشباب أعظم فئات الأمة جميعا، يؤكد ذلك ويثبته ما وضعه الرسول الكريم للشباب من مناهج وقيم أخلاقية، وما سنه من مبادئ سامية تكون عقيدة الشباب، وتضمن له [illegible]ة الصالحة، وتحفظ عليه نضارة الحياة، وصحة البدن،

وقوة العزيمة، وتمنحه سلامة التفكير وصلابة الإرادة، وقوة الشخصية، مما يجعله فردا قويا صالحا لنفسه ولمجتمعه ولسائر المؤمنين.

☆ ☆ ☆

ولا نعلم أمة من الأمم قديمها وحديثها، اعتنت بشبابها ورعتهم، وهيأت لهم ما يجعلهم رجالا أكفاء أقوياء مثل دولة الإسلام ورسول الإسلام، حتى إننا نجد أركان دولته قامت على أكتافهم وبجهودهم، دعاة وعلماء حكاما وأمراء وقواد جيوش، ممن يمتلئ تاريخ السيرة بصفحاتهم المشرقة وأعمالهم الخالدة.

ومن هنا كان للشاب في ديننا الإسلامي مكانة عالية ومركز أساسي لأن على سواعده تنهض الأمم، وبهمته تسمو وتعلو، وبعلمه تتقدم الشعوب وتبلغ ذروة المجد والحضارة.

من أجل ذلك اهتم القرآن المجيد والنبي الكريم والصحب والرواد من سلف الأمة بالشباب أعظم اهتمام واعتنى بهم أكرم عناية، فقد عرض كتاب الله لمراحل حياة الإنسان واعتبر مرحلة الشباب مرحل البأس والقوة فقال :

﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾.[1]

كما بين القرآن الكريم بأن الشباب هم الفئة الواعية التي تسارع إلى دعوة الخير والحق، وإلى محاربة الرذائل والنقائص في كل زمان ومكان متى كانت هذه الفئة على صلة بربها مرتبطة به «وقد ضرب الأمثلة على ذلك بالأنبياء عليهم السلام وفي مقدمتهم إبراهيم الخليل أبو الأنبياء عندما أعطى المثل لقومه في الدفاع عن الحق ونكران الباطل، فتصدى وهو في ريعان شبابه لكشف زيف وضلال ما يعبدونه من أصنام واتخاذها أربابا من دون الله، فحطمها وكسرها غير عابئ بباطلهم فحماه الله ووقاه حينما ألقوه في النار التي انقلبت بردا وسلاما على إبراهيم كما قال تعالى :

﴿...قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا آأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم إن كانوا ينطقون﴾.[2]

وكذلك كان الأمر مع شباب الإيمان من الأنبياء والمرسلين مثل لوط وإسماعيل ويوسف وموسى في القصص الرائعة التي أوردها القرآن دليلا قويا على مسارعة الشباب إلى نصره دعوة الحق والدفاع عنه، إلى أن نصل إلى رسولنا الكريم الذي كان في شبابه القدوة الصالحة والأسوة الحسنة والنموذج الحي لكل من يريد الحياة الفاضلة بعيدا عن اللهو والمجون، متصفا بالمروءة والصدق، متمسكا بالشرف والفضيلة حتى لقب بالأمين والصادق عليه الصلاة والسلام.

وقد حصر العلماء سن الشباب وحددوه ما بين فترة البلوغ إلى سن الأربعين على أكثر تقدير. وهي فترة الفتوة والقوة والنشاط والارتفاع والزيادة، وقمة اكتمال الطاقة والقدرات الإنسانية العضلية، والنضج الفكري وفورة التفاؤل والحيوية، والتطور والطموح والمغامرة والاستهانة بالصعاب، ومن هنا اهتمت الأمم بتربية أبنائها والعناية بشبابها ليكونوا رجال المستقبل ومناط الأمل والرجاء في تحمل المسؤوليات وتولي القيادة والريادة.

وتتوزع مسؤولية رعاية الشباب في الإسلام جهتان :

الأسرة باعتبارها نواة المجتمع وأساسه، ومنبع الأولاد ومدرستهم الأولى، وهي التي توجهه الوجهة التي تصنعه وتكونه، لأن المولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما أكد الرسول عليه السلام، وفي ظلها يرتبط برباط مقدس، كي تستقر نفسه وعواطفه ويرتبط بعلاقة وثيقة مع أفراد أسرته وأعضاء مجتمعه.

1) سورة الروم - الآية : 54.
2) سورة الأنبياء - الآيات 59 - 63.

والجهة الثانية التي ترعى الشباب هي الدولة، ترعاه بالتعليم والتقويم والتوجيه، في المدرسة والشارع والنادي ومختلف مجالات الحياة.

وقد رعى الإسلام هذه المسؤولية حق رعايتها، وخص الرسول الكريم الشباب بما لم يخص به فئة أخرى خاصة وأنهم كانوا الفئة المؤمنة بدينه، والمبادرة لنصرته. لقد كان عبد الله بن عباس ردف رسول الله على ناقته ذات يوم، وكان شابا حدثا، وأراد أن يفتح له طريق التقدم والتفوق، فرسم له ولشباب المسلمين الخطوط الأساسية التي تعتبر المثل الأعلى له، حتى يكون قويا مجدا، مؤمنا مفيدا، ولا يكون إمعة متواكلا متخاذلا، وقد خاطبه رسول الله قائلا :

«اسمع يا غلام أعلمك كلمات إحفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك».[3]

لقد كان الرسول وخلفاؤه من بعده، يخص الشباب بالتوجيه الدائم والعناية المستمرة، ويفقهه في دينه، ويعلمه أدب الإسلام، ويوجهه إلى التقوى والعمل الصالح الذي يفيده ويفيد أمته ومجتمعه، يقول الرسول مخاطبا الشباب :

«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة - القدرة - فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» - وقاية -[4] كما كان الرسول عليه السلام يتعهدهم بالتعليم والتربية، والتهذيب والتوجيه، فقد روى الإمام البخاري عن عمر بن أبي سلمة قال : كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصفحة - الاناء - فقال : يا غلام «سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك»[5] كما روى أنس بن مالك عن الرسول الأكرم كيف كان يعلم الشباب الطعام والجلوس على المائدة، قال أنس قال لي رسول الله ﷺ : «يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك»[6] وذلك تأكيد للتوجيه الإلهي في القرآن لكريم **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلك خير لكم لعلكم تذكرون﴾**.[7]

كما كان الرسول يحبب للشباب أنواع الرياضات لتصح أجسامهم، ويستقيم عودهم، ويصبحوا قادرين على الجهاد في سبيل الله، وتحمل أعباء الحياة، ولذلك كان يحثهم على الجري، وركوب الخيل، والسباحة، والرمي، وكان الرسول نفسه يتسابق مع أم المومنين عائشة رضي الله عنها، ولقد مر على جماعة من الشباب وهم يتدربون على الرماية فقال لهم :

أرموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا، أرموا وأنا مع بني فلان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال الرسول ﷺ :

«ما لكم لا ترمون؟ قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ قال : أرموا فأنا معكم كلكم».[8]

بمثل هذا التوجيه الحكيم، والقدوة الحسنة، والمثل الصالح، استطاع الرسول في فترة وجيزة أن يجعل من شباب المسلمين شيعته وأنصاره، وعدته في الجهاد ودعاته إلى الدول والأمم، و فقهاء الأمة وقراءها، ويجعل منهم المشاعل التي أنارت الطريق وفتحت الفتوح، نذكر منهم على سبيل المثال علي بن أبي طالب الذي شارك في معركة بدر وهو دون العشرين، وخالد بن الوليد الذي أمر على الجيش وهو في عنفوان شبابه.

---

3) رواه الإمام أحمد في المسند. مسند ابن عباس 293/1.
4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب النكاح 117/6.
5)
6)
7)
8) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجهاد والسير - باب التحريض على الرمى 226/3 و 227.

كما رأينا الرسول يختار مصعب بن عمير وهو الشاب الذي يتجاوز الثلاثين من عمره فيبعثه سفيرا له، ويولي أسامة بن زيد وهو لم يبلغ العشرين من عمره قيادة جيش المسلمين وتحت إمرته الصحابة والقراء والفقهاء.[9]

ويكلف عبد الرحمان بن أبي بكر وهو في الغار أن يجمع له أخبار قريش ويستطلع خططها وأحوالها وينقلها إليه. وفي غزوة بدر أعطى الرسول الراية لعلي بن أبي طالب وكان في سن الشباب، وفي هذه المعركة حمل الغلمان السلاح متصدين لجبابرة الكفر، ورءوس الشرك، قال عبد الرحمان بن عوف : إن لفي الصف يوم بدر، إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه : يا عم أرني أبا جهل، فقلت : يا ابن أخي، ما تصنع به؟ قال : عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه!! وقال لي الآخر سرا من صاحبه مثله، قال : فما سرني أني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين فضرباه حتى خر صريعا على الأرض بين الحياة والموت لتستريح الأرض من شره إلى الأبد... وقد استشهد البطلان الشابان في المعركة، ووقف رسول الله على مصرعهما، يدعو لهما ويذكر صنيعهما...[10]

كما أعطى الرسول راية القيادة لزيد بن ثابت في «تبوك» وهو في العشرين من عمره، وأعطاها لجعفر بن أبي طالب في «مؤته» وهو في سن الثالثة والثلاثين، وأعطاها لأسامة بن زيد وهو في السابعة عشرة من عمره، هؤلاء هم الشباب الذين صنعهم الإسلام ورباهم الرسول ليكونوا قادة الأمة وعناصرها الحية على هدى القرآن الذي وصف الشباب الحي وصفا جميلا ليبقى هذا الوصف شعارا للشباب المسلم في كل زمان فقال تعالى :

﴿**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدنهم هدى**﴾.[11]

وأكد الرسول الكريم هذا الوصف وهذا النموذج الحي من شباب المسلمين وبين أنهم أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله فقال : «إمام عادل. وشاب نشأ في طاعة الله... الحديث.[12]

ولقد وصف هؤلاء الشباب الذين رباهم الرسول الكريم على يديه وتعهدهم بالتعليم والتهذيب أبو حمزة الخارجي وافتخر بصحبتهم وصفاتهم فقال :

تعيرونني بأصحابي، وتقولون إنهم شباب؟ وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شبابا؟ شباب والله مكتهلون في شبابهم عمية عن الشر أعينهم، بعيدة عن الباطل أرجلهم، قد نظر الله إليهم في جوف الليل منثنية أصلابهم بمعاني القرآن، إذا مر أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقا إليها، وإذا مر بآية فيها ذكر النار شهق شهقة، كأن زفير جهنم في أذنيه، قد وصلوا كلال ليلهم بكلال نهارهم، أنضاء عبادة قد أكلت الأرض جباههم وأبدانهم من كثرة السجود، ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وطول القيام، مستقلون ذلك في جنب الله، موفون بعهد الله، حتى إذا رأوا سهام العدو قد فوقت ورماحه قد شرعت وسيوفه قد انتضيت، وبرقت الكتيبة بصواعق الموت استهانوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله، فمضى الشباب منهم قدما حتى اخلفت رجلاه على عنق فرسه، قد زملت الدماء محاسن وجهه، وعفر الثرى جبينه، وأسرعت إليه سباع الأرض، فكم من عين في منقار طير طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خشية الله.

الشباب والرفض

من أهم ظواهر المجتمع العصري اليوم ظاهرة الرفض عند الشباب، رفض كل شيء وأي شيء عدا الإقبال على

9) دروس من بدر بحث للدكتور يوسف الكتاني.

10) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي - باب قصة غزوة بدر 11/5.

11) سورة الكهف - الآية : 13.

12) أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين.

المتع واللهو. وإذا كان بعض الناس يتوهم أن للدين دورا في ظاهرة الرفض فإنهم مخطئون، لكون ظاهرة الرفض هذه متعددة الجوانب والعوامل والأسباب بسبب المادية التي تطغى على العصر، والتي جعلت الإنسان في حياته أشبه بالالة بسبب إعراضه عن الدين وقيمه وأخلاقه وبخاصة في أرووبا، وبنقص التوجيه الاجتماعي والتربية المدنية أيضا.[13]

إن شباب اليوم يعاني من التغيرات المذهلة في عصرهم معاناة شديدة من تكاثر مطالبهم وتعقدها، من غير أن يجدوا الفرصة الملائمة لتلبيتها وتحقيقها، ومن هنا يصعدون موجات تمردهم على المجتمع متمثلا في سلطة الأباء أو سلطة المعلمين أو سلطة الحكام أو سلطة التقاليد، خاصة عندما يفتقدون مناهج التربية الواعية المؤولة، وأساليب التوجيه الروحي مما ينبغي أن يتوفر لشبابنا فيملأ فراغهم، ويستوعب طاقاتهم، ويزيل قلقهم وحيرتهم.

إن ظاهرة الرفض عند الشباب مشكلة عالمية لا تقتصر على أوروبا وأمريكا فحسب، بل تنتشر في أغلب مناطق العالم ودوله نتيجة عصر المادة وحضارة الآلة، إن هذا الأمر يختلف بالنسبة للعالم الإسلامي الذي ما زالت قيم الإسلام ومعالمه تحكم المسلمين وتوجههم، وتملأ كيانهم وتحيي ضمائرهم، بالرغم من بعد أكثر الدول الإسلامية من تحكيم الشريعة وتطبيقها في أغلب مجالات حياتهم وأن ارتباط المسلمين بقيم دينهم وتشبثهم الدائم بعقائدهم هو طوق النجاة في حياتهم، وهو الملاذ والسبيل إلى صلاحهم وعودتهم إلى قيمهم، ومن هنا لا ينبغي معالجة الرفض بالفرض، فالشباب حين يسرفون في طلب الحرية ولو بالفوضى، وفي انتزاع الحقوق بالتمرد إنما يعبرون عن رغبتهم في رفض ما يفرض عليهم، مما يجب تلافيه باعتماد مناهج للتربية والتعليم، مؤسسة على تعميق العقائد الإسلامية طوال مراحل التعليم كلها في نفوس أبنائنا وشبابنا وعلى تقديم المصلحة العامة على الخاصة مهما تكن بواعثها ودواعيها، وعلى احترام القيم العليا للإسلام والاستنارة بها في سيرتنا وسلوكنا، على أن يمتد هذا التوجيه والسلوك من المدرسة والجامعة إلى الإذاعة والتلفزة، والصحيفة، والمجلة، والكتاب، والنادي، والشارع وغيرها ليقع التكامل في التوجيه والتربية، فذلك كله ضروري لإيجاد شباب حي يقظ جدي يحيا ويعمل لصالحه وصالح مجتمعه ودينه، وذلك ما وجه إليه الرسول الكريم في هذا الباب، وهو ما ينبغي أن نتأسى به ونحن نضع النظم ونخطط لتربية شبابنا وتكوينهم لنضمن بذلك القضاء على ظاهرة الرفض، بتفهم نفسيات الشباب، ومراعاة الوسائل المجدية، لتنمية طاقاتهم، وإغرائهم بتعزيز القيم الذاتية والفكرية والفنية والروحية بالمناهج الصالحة والقدوة الحسنة، والتوجيه السديد، وبالتي هي أحسن، إنقاذا لهم من التيه والضياع مصداقا للهدي النبوي الكريم بقوله :

«اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك».[14]

وقوله عليه السلام :

«لا تزل قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه».[15]

وهو التوجيه نفسه الذي سلكه الفاروق عمر رضي الله عنه عندما قال موجها :

«خاطبوا أولادكم على قدر عقولهم فإنهم ولدوا لزمان غير زمانكم» وحبذا لو التزم العلماء والمربون والمسؤولون هذا التوجيه الإسلامي الحكيم، الخالي من التعقيد والجفاء المبسط الصحيح، القائم على العقيدة الصحيحة والتربية

---

13) معالم الشريعة الإسلامية، الدكتور صبحي الصالح ص 241.

14) رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس.

(15

الإسلامية والمواجهة الصادقة للواقع، والذي يستطيع وحده اليوم كما فعل بالأمس أن يغمر عقول الشباب وقلوبهم بقيم الإسلام الطاهرة وتوجيهاته السديدة التي تعيد الشباب إلى طبيعته السمحاء وتغمره بالعطاء والخير والجمال.

الشباب والصحوة

في غمرة صحوة الإسلامين التي تعم مشارق الدنيا ومغاربها متجاوزة حدود دول الإسلام وشعوبه، نلاحظ بوضوح أن هذا البعث الإسلامي الجديد يستقطب فئة الشباب أكثر ما يستقطب، وآية ذلك هذه المعاناة التي يحياها اليوم شباب الإسلام من مقارنته بين الحياة التي يحياها والسيرة التي يسير عليها، وبين ما رسم له دينه الحنيف من حياة سليمة جادة وسلوك مستقيم، وهكذا يعيش شبابنا اليوم بين التساؤل والاستفهام الذي طغى على حياته الحالية والذي هو في آن واحد دليل على الصحوة وسبب من أسبابها هل الإسلام دين الحياة يجمع بين المادة والروح؟ أم هو دين عبادة وعقائد يقف في وجه كل انفتاح؟

وهل هو دين يلائم بين حياة الناس ومعاشهم وبين العمل لآخرتهم؟ وهل يمكن المسلم أن يعيش حياته بكل جوانبها وفي جميع مجالاتها؟

ونبادر إلى التنبيه جوابا على هذا التساؤل والاستفهام، وتطمينا لشبابنا بأن الإسلام دين الفطرة جمع بين الروحانية والمادية أي بين الدين والدنيا مصداقا لقوله تعالى :

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾.[16]

وبين الروحانية المفرقة والمادية المفرطة تبرز الفطرة الإسلامية وسطا بين هذا وذاك، وذلك ليتميز الإنسان عن الحيوان، وحتى لا يهمل المسلم حياته ولا مهمته في المجتمع، يؤكد ذلك ويوضحه الرسول الكريم بقوله :

«إن لجسدك عليك حقا... الحديث».[17]

إذن ما هو موقف الإسلام من مظاهر الخنفسة والهبية التي تغشي العالم اليوم؟ وما هو موقفه من ارتداء الشباب القمصان المشجرة، وإطالة الشعر، وتعليق السلاسل في الأعناق، واللجوء إلى العرى والتعري وغيرها من مظاهر الخنفسة والهبية فيما يعرف اليوم؟

وما هو موقف الإسلام من الموسيقى والغناء والرقص؟ أو ما هو موقفه من الترفيه والترويح عن النفس في أوقات الفراغ؟

ونحب أن نؤكد حقيقة الإسلام قبل الجواب على تساؤل واستفهام شبابنا بأنه دين الواقع والحقيقة يعامل الناس ويخاطبهم بمختلف الخطابات الشرعية على أنهم بشر، لهم غرائزهم وطبائعهم التي تقتضي الفرح والمرح كما تقتضي الأكل والشرب وغيرهما من أنواع الاستمتاع بالطيبات كما أكد ذلك القرآن الكريم بقوله :

﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾.[18]

ولم يرد الحق لعباده أن يكونوا في تعبد دائم وجد صارم، وأن يديروا ظهورهم لمتع الحياة وطيبات الدنيا، وأن يتركوا دنياهم لآخرتهم، فإن هذا ليس من الإسلام في شيء، يؤكد ذلك الحوار الممتع الذي جرى بين الرسول الكريم وحنظلة ابن يمن وأبي بكر رضي الله عنهما كما أخرجه مسلم في صحيحه.

---

16) سورة القصص الآية : 77.

17) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأدب - باب حق الضيف 03/7.

18) سورة الأعراف - الآية : 30.

قال حنظلة الأسيدي :

لقيني أبو بكر وقال : كيف أنت يا حنظلة؟

قلت : نافق حنظلة!!

قال : سبحان الله، ما تقول؟

قلت : نكون عند رسول الله ﷺ، يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند الرسول ﷺ، عافسنا (لاعبنا) الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا!!

قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا!

قال حنظلة : فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ.

قلت : نافق حنظلة يا رسول الله!

فقال رسول الله ﷺ : وما ذاك؟

قلت : يا رسول الله! نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، ونسينا كثيرا!

قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده : إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة! ساعة وساعة. وكرر هذه الكلمة - ساعة وساعة - ثلاث مرا».[19]

أما الجواب على تساؤلات الشباب فإننا نؤكد أن الإسلام ليس له زي خاص أو لباس معين، وإنما اشترط الإسلام ستر العورة بالنسبة للرجل من السرة إلى الركبة، واجتناب كل ما يحدد العورة أي اللباس المتفق مع الفطرة.

بالنسبة للمرأة ينبغي التزامها بالحجاب وهو ستر جسدها بأكمله ما عدا الوجه والكفين، بملابس لا تكون ضيقة تحدد أجزاء جسمها، أو مفتوحة تظهر الجسم وتعرضها للفتنة والابتذال، أي مراعاة الحشمة وعدم إبداء الزينة فيما ترتدي من ثياب، وألا يتشبه كل من الجنسين بالآخر فذلك صاحبه ملعون كما قال عليه السلام :

«أربعة لعنوا في الدنيا والآخرة وأمنت الملائكة رجل جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء، وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال، والذي يضل الأعمى، ورجل حصور - أي مبالغ في حبس نفسه عن الشهوات - ولم يجعل الله حضورا إلا يحى بن زكريا».[20]

فعلى كل من الجنسين أن يلتزما بأداب الإسلام في لباسهما ويبتعدا فيه عن الريبة والقيل والقال وما لا يتفق مع البيئة العامة ومجتمعهما.

أما اتخاذ الشعر وتطويله إلى المنكبين فذلك هو سنة الرسول وعمله طوال حياته شريطة تسريحه وترجيله وتنظيفه وتطييبه، فإن الرسول الكريم لم يحلق شعره إلا في عام الحديبية وفي عمرة القضاء وحجة الوداع، ولم يقصره إلا مرة واحدة، وسئل الإمام أحمد عن الرجل يتخذ شعرا فقال : سنة حميدة.

يؤكد ذلك ويثبته أن رجلا دخل على النبي ﷺ ثائر الشعر واللحية فأشار إليه آمرا له بإصلاح شعره ولحيته. ففعل ثم رجع فقال له : «أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان».[21]

أما التختم بخواتم الذهب وتعليق السلاسل فذلك كله من البدع الواردة علينا ممن يدينون بغير ديننا وهي حرام لما فيها من الترفيه والتعالي والكبرياء والغرور.

الترفيه عن النفس

ومن باب تكامل الإسلام جمعه بين الدين والدنيا، والحرص على عدم التفريط في أحدهما على حساب الآخر مصداقا لقوله عليه السلام :

19) أخرجه مسلم في صحيحه.

(20

(21

«ليس خيركم من ترك دنياه لأخرته ولا أخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا فإن الدنيا بلاغ الآخرة ولا تكونوا كلا على الناس».[22]

وفي هذا الباب كان الرسول الكريم يبش ويبتسم للناس ويداعب ويمزح ولا يقول إلا حقا، ويتعوذ دوما من الهم والحزن قائلا : «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن»[23] ويداعب صحبه ويحب السرور وما يجلبه، ومما روي في مزاحه أن امرأة عجوزا جاءته قائلة :

يارسول الله أدع الله أن يدخلني الجنة فقال لها : يا م فلان إن الجنة لايدخلها عجوز وانزعجت المرأة وبكت ظنا منها أنها لن تدخل الجنة، فلما رأى ذلك منها بين لها غرضه من قوله : إن العجوز لن تدخل الجنة عجوزابل ينشئها الله خلقا آخر فتدخلها شابة بكرا وتلا عليها قوله تعالى :

﴿**إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا**﴾[24] فلا بأس على المسلم أن يمزح ويمرح بما يشرح صدره ويخفف عنه متاعب الحياة ومشاقها، وحتى لا تصدأ النفوس، ولا تعمى القلوب وتمل، فإنها تحيا بالترويح عنها كما حدث الرسول الكريم :

«روحوا القلوب ساعة فساعة».[25]

فالمزاح مشروع في ديننا شريطة ألا تكون أعراض الناس وأقدارهم هدفا له، ولا حب إضحاك الناس وسيلة للكذب والبهتان.

وهناك ألوان من اللهو الحلال شرعها الرسول للمسلمين ترفيها عنهم وترويحا ليكونوا أكثر نشاطا وأشد عزيمة في حياتهم وأعمالهم وعباداتهم ومن ذلك :

مسابقة العدو وهي من الرياضات المحببة في الإسلام، وقد مارسها النبي نفسه مع زوجته عائشة حيث كان يسابقها تطييبا لنفسها وتعليما لأصحابه كما أشرنا إلى ذلك آنفا.[26]

ومن ذلك المصارعة فقد صارع النبي ﷺ ركانة وكان مشهورا بقوته فصرعه النبي أكثر من مرة.[27]

ومن ذلك اللعب بالسهام والحراب (التصويب) وقد كان الرسول يمر على أصحابه في حلقات الرمي فيشجعهم قائلا : «أرموا وأنا معكم»[28] وبقوله : «عليكم بالرمى فإنه من خير لهوكم».[29]

ومن سماحة الرسول في هذا الباب فيما أخرج الإمام البخاري عن أبي هريرة قال :

بينما الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها، فقال رسول الله ﷺ : «دعهم ياعمر» وقد كان هذا في المسجد والنبي يستر عائشة بردائه لتنظر إلى لعبهم ومن ذلك ألعاب الفروسية كما قال عليه السلام : «ارموا واركبوا».[30]

ومنها السباحة والرماية كما قال عمر : «علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على ظهر الخيل وثبا».[31]

ومن ذلك الصيد لما فيه من المتعة والرياضة والاكتساب، وغيرها من أنواع الرياضات والمتع البريئة النافعة.

الإسلام والموسيقى والغناء

إن الفرح والحزن من خصال النفس الإنسانية ومما ركب فيها من معان، حيث يستجيب ما في داخل تلك

22) أخرجه ابن عساكر عن أنس.
23) رواه أبو داود في السنن.
24) الحديث أخرجه عبد بن حميد والترمذي والآيات 35 ـ 37 من سورة الواقعة.
25) رواه أبو داود عن ابن شهاب مرسلا.
26) رواه أحمد وأبو داود.
27) رواه أبو داود.
28) أخرجه البخاري 226/3 ـ 227.
29) رواه البزار والطبراني بإسناد جيد.
30) رواه الطبراني بإسناد جيد.
31) الحلال والحرام في الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي ص 288.

النفس من الأعضاء التي تنفعل بأسباب السرور والفرح من خارجها، فتظهر آثارها على البدن من ابتسام الثغر وبشاشة الوجه.

ولما كان الفرح من المعاني الفطرية التي تنطوي عليها النفس، فقد أتاح الإسلام لذلك المعنى أن يأخذ حظه من بواعث السرور، بما ينتزع صاحبه من حالة التجهم الدائم والكآبة المستمرة حتى لايقع فريسة الأمراض النفسية، وضحية الحزن والضيق يدل على هذا المعنى قوله تعالى :

﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾.[32]

وقد شرع الإسلام للفرح مظاهر منها ما أباحه من ضرب الدف للزواج ولقدوم الغائب كقوله عليه السلام «أعلنوا النكاح ولو بالدف».[33]

ومنها الولية للعرس، والعقيقة للمولود، واللهو البرئ في الأعياد، ولبس الجديد، والتوسعة في الأكل والشرب وغيرها، والحكمة من تقرير ذلك تجلية ملكات النفس بما يرفه عنها حتى لا تكل من استمرار العمل أو تمل من استدامة العبادة ولتستطيع المواصلة والمداومة، فقد أخرج الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي ﷺ : «يا عائشة ما كان معهم من لهو ؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو».[34]

وقال ابن عباس فيما رواه ابن ماجه في سننه : زوجتْ عائشة ذات قرابة لها من الأنصار فجاء رسول الله ﷺ فقال : «أهديتم الفتاة ؟ قالوا : نعم،قال : أرسلتم معها من يغني ؟ قالت : لا، فقال رسول الله ﷺ : إن الأنصار

32) سورة يونس ـ الآية : 58.
33) رواه مالك في الموطإ وأخرجه البخاري في الصحيح.
34) أخرجه البخاري في صحيحه.

قوم فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول : أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم».[35]

وعن عائشة أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى (في عيد الأضحى) تغنيان وتضربان والنبي ﷺ متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي ﷺ عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد».[36]

وقد خصص الإمام الغزالي في كتابه «الإحياء» فصلا كاملا للسماع والطرب ذكر فيه أحاديث غناء الجاريتين ولعب الحبشة، في المسجد، وتشجيع النبي لهم بقوله : «دونكم يابني أرفدة»، وقول النبي لعائشة «تشتهين أن تنظري» ووقوفه معها حتى تمل وتسأم، ولعبها بالبنات مع صواحبها ثم قال : فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين وهي نص صريح في أن الغناء واللعب ليس بحرام.

وذلك ما أكده ابن حزم ردا على من حرموا الموسيقى والغناء قال : إن رسول الله ﷺ قال : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[37] فمن نوى باستماع الغناء عونا على معصية الله فهو فاسق، وكذلك كل شيء غير الغناء، ومن نوى ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله وينشط نفسه بذلك على البر، فهو مطيع محسن وفعله هذا من الحق، ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه.

غير أن هناك قيودا ضرورية في هذا الباب وهو ألا يكون الغناء بألفاظ نابية تخدش الحياء أو تحرض على الإثم أو تدعو إلى الفحش والخيانة أو إذا اقترن بأشياء محرمة كتداول الخمر في المجلس، أو ظهور امرأة أجنبية لترقص، فإن هذا محرم لأن مقام النعمة هو الشكر، ولا يتلاءم مع فضل الله ورحمته بالمرء أن يقابل إحسان الله إليه بمخالفة أحكام دينه.

35) رواه ابن ماجه في سننه.
36) متفق عليه.
37) أخرجه البخاري في صحيحه ـ باب كيف كان بدء الوحي 2/1.

كيف ينبغي أن يكون شباب الصحوة

ونحمد الله أن جعلنا من جيل الصحوة ومن دعاتها وجنودها وأبنائها، هذه الصحوة التي تعتبر ظاهرة صحية في العالم الإسلامي، وعلامة إيجابية نحو التجدد واليقظة والتضامن من القائم على معالم الإسلام وحقائقه وعلى الرجوع إلى ينابيعه الأصلية وأسسه الثابتة، التي فيها النجاة لا للمسلمين فحسب بل للإنسانية كلّها لا تقاذها من متاهاتها وضلالاتها إلى الحق والخير والعدل والرشد.

لقد أصبح شبابنا اليوم في حاجة إلى أن يتعلموا ويعرفوا حقائق دينهم، وسيرة رسولهم، وتاريخهم، حتى يكون لهم القدوة والأسوة، ويعرفوا أن دينهم دين التجديد والتطور، وأنه صالح لكل زمان ومكان.

ولذلك فشبابنا محتاج إلى استمالة واعية، تبصره بما ينبغي أن يكون عليه، من دون تنقص لمواهبه وقدراته وهو في مرحلة تكوينه، وذلك بتوجيهه إلى التعلق بكتاب الله، وسنة رسوله، وقيم الإسلام التي تجعله يقيم حياته على الفضيلة والحق والخير.

ومحتاج أن يعرف أن الشباب الحي، هو الذي يحجز نفسه عن فعل ما يذم أو يخل بالمروءة، فيتقي الزلات، ويبتعد عن السلبيات، وذلك يدعونا إلى تقويمه بالقدوة قبل القولة، وبالتعهد الدائم، والتوجيه الرشيد وسبيلنا إلى ذلك هو نشر المفاهيم الإسلامية الأصيلة، وتحريرها من آثار التشويه والخلافات اللاحقة بها، وتنقية وسائل الإعلام مما لحق بها مما لا يتفق مع مبادئ الإسلام وروحه، بالإضافة إلى بث وعي إسلامي ذاتي قائم على الكتاب والسنة، يكون عاملا فعالا في إعادة شباب المسلمين إلى جادة الحق وطريق الصواب، فيبتعد عن السلبيات، ويترفع عن النقائص ويدفعه إلى القيام بدوره الأساسي في المجتمع الإسلامي الذي يعيش صحوته الكبرى في طريقه إلى التغيير والتجديد.

وخير ملاذ في هذا المجال هو العناية بتربية الشباب وذلك بإصلاح مناهج التعليم وتقويمها بما يوفر تربية عقله ونفسه وبدنه ليكتمل توازن حياته، وبما يربيه على الولاء للدين الحنيف مما يقضي على الفراغ الروحي الذي هو سبب ما تعانيه الإنسانية كلها من مشاكل وإن المسؤولية الكبرى في التكوين والتوجيه يتحملها رجال التربية والتعليم لتكوين الشخصية الإسلامية في ظل العلم والحضارة، خاصة وقد كان الإسلام هو الذي كيف حضارة العالم وأصلح مسارها بالجمع بين الدين والعلم لأول مرة في التاريخ، وبفضله بقي الاعتقاد بوجود الله حتى في المجتمعات غير الإسلامية وازدهرت سائر العلوم والفنون وتفتح الفكر الإنساني للابتكار والاختراع.[38]

ولن ينجح التعليم إذا فصل عن التربية، ولن تنجح التربية إذا لم تستند إلى عقيدة الأمة ودينها الإسلامي، ولذلك ينبغي أن نسلح شبابنا بسلاح التربية الدينية، وتلقنهم أصول العقيدة الإسلامية وتاريخ سلفهم العريق في الدين والمدنية، ونحبب إليهم الإيمان ونزينه في قلوبهم وننمي شعورهم باطلاعهم على محاسن الإسلام وخصاله الحميدة، ونغرس في قلوبهم رسالته العامة وما أتى به من إصلاح ودوره في إنقاذ البشرية كلها، وتحصينه من كل التيارات المنحرفة بجعل مادة الإسلام ودراسة الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية مادة أساسية في سائر أطوار التعليم من الحضانة إلى الجامعة.

إننا في حاجة ماسة إلى روح جديدة تسري في وجدان المجتمعات الإسلامية حتى تستجيب لدواعي الصحوة ولتستعيد مكانتها، وذلك بإعادة الاتصال الروحي والإسلامي الذي كان يسري منذ القرن الأول وحتى القرون

---

38) كتاب مجمع البحوث الإسلامية 1391/1971 مقال الأستاذ كنون ص 169.

الماضية، ولا شك أن ذلك رهين بالقدوة الحسنة والسلوك الجماعي الرشيد.

وعلى الشباب ألا يروا من الحياة إلا جانب اللهوفيها، فإن الله قد ميز شباب المسلمين عن غيرهم بأن جعلهم أصحاب رسالة ومبادئ وقيم، عليهم أن يتشبثوا بها ويسيروا عليها لتستقيم الحياة باستقامتهم، وتزكو سيرتهم بالصالحات وتسلم من الشائبات.

وأن أجمل ما نختم به رسالة قيمة للفيلسوف الإسلامي الملهم محمد إقبال، إلى شباب الإسلام يقول فيها : المسلم المثالي هو الذي يمتاز بين أهل الشك والظن بإيمانه وعقيدته، وبين أهل الجبن والخوف بشجاعته وقوته الروحية، وبين عباد الرجال والأموال والأصنام بأفاقيته وإنسانيته وبين عباد الشهوات والأهواء والمنافع بتجرده وتمرده على موازين المجتمع الزائفة، وقيم الأشياء الحقيرة، وبين أهل الأثرة والأنانية بزهده وإيثاره وكبح نفسه، ويعيش برسالته ولرسالته، ذلك المسلم الحق، الذي مهما اختلفت الأوضاع وتطورت الحياة، لا يزال يؤمن بالحقيقة الثابتة التي لا تتغير ولا تتحول ـ هذا الشاب المسلم لم يخلق لينـدفع مع التيار، بل خلق ليوجه العالم، ويملي عليه إرادته، لأنه صاحب الرسالة، وحامل العلم اليقين، فليس مقامه مقام التقليد والاتباع، بل مقام الإمامة والقيادة، وإذا تنكر له الزمان، وعصاه المجتمع، لم يكن له أن يستسلم ويخضع، ويضع أوزاره، ويسالم الدهر، بل عليه أن يثور عليه، وينازله، حتى يقضي الله في أمره، وبذلك يرد الأمر إلى نصابه، ويقيم عوج الدهر الغشوم، ويصلح الفاسد.[39]

الرباط : يوسف الكتاني

إن هناك حالات كثيرة ظل أصحابها محتفظين بمواهبهم حتى النهاية، من الأمثلة على ذلك الفيلسوف والأديب الفرنسي «فولتير» الذي كتب قضيته المعروفة «كانديد» وهو في الخامسة والستين. والأديب الفرنسي «فيكتورهيجو» الذي نظم بعض القصائد الرائعة في شيخوخته، والشاعر والفيلسوف الألماني «جوته» الذي أتم الخاتمة البديعة لرواية «فاوست» وهو في سن الثامنة والثمانين، ولعل أبرز مثال في عصرنا الحاضر هو الكاتب العربي المصري الكبير «توفيق الحكيم» الذي عاش يكتب ويثري قراءه رغم تقدم عمره (88 سنة).

39) مجلة الأزهر الجزء العاشر ـ السنة 36 ذي الحجة 1984 أبريل 1965 ص 1046 و 1049.



هداياك

إلى
صاحب الجلالة
نصره الله وأعزه
في
عيد ميلاد
جلالته

للشاعر أحمد عبد السلام البقالي

زَنّوا لهلالك لما ظهر — وغنوا على نغمات الوتر
أعدوا لعيدك كل جميل — ولو قدروا لأتوا بالقمر
يضيء لك المحتفون الشموع — وتأتي التهانئ من كل بر
يعدون عمرك بالسنوات — فيالهمو من قصار نظر
وعمرك لا تحتويه السنون — ولو أنها من جنود القدر
فعمرك يحصى بما صنعته — يداك من الباهرات الغرر
وما رفعت من معالم لا — تزول، وما حفظت من أثر
وما صغته لبلادك من — بديع الروى، وسديد الفكر
ونظمته من مسيرات صدق — بلغت بها شأوك المعتبر
وما يحتويه فؤادك من — أفانين حب لنا قد غمر
ومن غيرة لا تحد على — بلاد وشعب إليك نظر
على دينه، وأصالته، — وتاريخ مجد زها وازدهر
وحفظك كنز السلام الثمين — لشعبك رغم اندلاع الشرر

☆ □ ☆

ويهدى لغيرك في عيده — وتهدي لشعبك نور البصر
فكم من حياتك أهديتنا — وأمتنا بعد طول سهر
نفائس لا تشترى أو تباع — بمال، ولا ذهب، أو درر

بعقـــدك في أرضنـــا قممـــا ... جمعت بهـــا كـــل أهـــل النظر
وقـــدت سفينتهم في عبـــاب ... تـــلاطم من حـــولهـــا وزخر
تسير الريـــاح بمـــا تشتهي، ... ولاتشتهي، بين كر وفر
وكم حـــولهـــا من قراصنـــة ... تريـــد بركـــابهـــا كـــل شر
فـــوحـــدت نظرتهم، وأضـــأت ... السبيـــل إلى الأمـــل المنتظر
وخففت من غلـــواء الخـــلاف، ... وأطفـــأت من نـــاره مـــا استعر
فكـــان الصفـــاء، وكـــان العنـــاق، ... وزال الشقـــاق، وذاب الحـــذر
وســـارت سفينتكم للـــوفـــاق، ... وعم السرور، وزال الكـــدر

☆ □ ☆

ويم تشعبت الطرقـــات ... أمـــامـــك، واحتـــار فيهـــا البصر،
وأم القطيـــع طريـــق الشمـــال ... وصـــار مجـــانبـــه يحتقر،
رأيت بـــإلهـــام ربـــك نـــورا ... أضـــاء لـــديـــك الطريـــق الأغر
فهـــاج الرفـــاق، ومـــاجـــوا وضجـــوا، ... وقـــالـــوا طريقـــك هـــذا خطر !

☆ □ ☆

ومر الـــزمـــان، وزال الظـــلام، ... ومـــا كـــان خلف الحجـــاب ظهر
وضـــل القطيـــع طريـــق الصـــواب ... وفي وجهـــه آنســـد كـــل ممر
وعـــاد على عقبيـــه بخفي ... حنين لينـــدب حظـــا عثر
فقـــد غش رائـــدهم أهلـــه ... وضـــل، وخـــانهمـــوا، وغـــدر
وأنكر مبـــدع هـــذا الـــوجـــود ... وحـــول دنيـــاهم لسقر
فهيهـــات أن يلحـــق التـــائهـــون ... بركبـــك من بعـــد طـــول السفر

☆ □ ☆

فشكرا لربي على أننـــا ... نعيش بعهـــدك هـــذا الأغر
على أننـــا ننتمي شرفـــا ... لجيلـــك جيـــل الهنـــا والظفر
فجيلـــك جسر لمغربنـــا ... عليـــه لعصر الضيـــاء عبر
إذا كـــان من مكرمـــات الرســـول، ... عليـــه الســـلام، انشقـــاق القمر
فمن مكرمـــاتـــك رأب الصـــدوع، ... ونشر المحبـــة بين البشر

الرباط عبد السلام البقالي

السّفينة...

للشاعر محمد الحلوي

أبحر بنا في محيط الحب إخوانا — بحر عبرناه أحقابا وأزمانا

واكتب على الموج ذكرى من توجها — تبقى على الوحدة الغراء عنوانا

وسله عن أمة كانت موحدة — حبا وقلبا وأهدافا ووجدانا

لم يشهد البحر عرسا مثل موكبنا — ولا امتطت موجه دينا كدنيانا

وإنما هي أرواح مجندة — وبرزخ كان بالأشواق ملآنا

وبالمواهب إبداعا ومعرفة — وبالقطاءات أشكالا وألوانا

ويسكب البحر في سمع الرفان صدى — أمواجه نغما عذبا وألحانا

كأنما الأرض أعياها تفرقنا — فأسعد البحر أن يحظى بلقيانا !

خلت سنون أضعناها سدى ومضى — جيل تجرع آلاما وأحزانا

كأننا لم نسر يوما إلى هدف — ولم نكن كلنا في الخطب أعوانا

ولم ترو دمانا أرض مغربنا — وسرنا الدهر أحيانا وأبكانا

شدنا بوحدتنا الكبرى صروح علا — قامت على الحب توطيدا وبنيانا

إذا اشتكى ألما في فاس مضطهد — شكا أخوه جريحا في تلمسانا !

عشنا وكان لنا في مجدنا وطن — ومغرب لم يكن دورا وأوطانا

وعطل الدهر مسرانا وعوقه — وألبس المجد أسمالا وأكفانا

كأن ما كان في أيام وحدتنا — من العظائم والأمجاد ما كانا !

واليوم ننهض في عزم على قدم — ولحن أعمق إصدارا وإيمانا !

☆ □ ☆

ألقت بمرساتها في الشط واقتبلت ... أهلا كراما وأحبابا وأحضانا

لو وزعوا شوقهم في الكون أجمعه ... لضاق عنه وعم الأرض طوفانا !

قد كان في كل قلب جذوة كمنت ... حتى رسونا فثار الشوق بركانا !

وضم كل أخ بعد الفراق أخا ... وفجر الحب أشواقا وأجفانا

وجمع الله شملا بعد فرقته ... وذاب ما عاق مسرانا وألهانا

من شك فينا وفي أخلاق أمتنا ... يلقى على البحر إثباتا وبرهانا

لن يبلغ الحقد منا ما يؤمله ... كنا ونبقى أشقاء وإخوانا !

وسوف نملي على الدنيا فتسمعنا ... ويفتح الغرب منذ اليوم آذانا

ما كان أحرى بأن نسعى إلى هدف ... أسمى ونطفئ نيرانا وأضغانا

ليأسوا العرب جرحا لم يزل ورما ... ويمسحوا وصمة تكسو محيانا

شعوبا للغد الزاهي معبأة ... فلا مكان لكسلى أو لكسلانا

وأرضنا وهي معطاء سنزرعها ... حبا وحبا يغذي كل جوعانا

ولا حدود على أطراف مغربنا ... ولن نرى بعد مسجونا وسجانا !

وإنما واحة خضراء يسكنها ... شعب توحد أرواحا وأبدانا

يقض مضجعنا مأساة إخواتنا ... في القدس، والموت إعصار في مصلانا

عادت سفينتنا بالخير واعدة ... فباسم ربك مجراها ومرساها

وحقق الله آمالا لقادتنا ... حتى نرى مستحيل الأمس إمكانا

تطوان : محمد الحلوي

الدين والدنيا في عيد الشباب

للشاعر المدني الحمراوي

بشرى بعيدك، والآمال تبتسم ... والمجد مجدك موصول ومنتظم

يا باني الدين والدنيا بهمته ... لك الولاء ولاءً ليس ينخرم

يا وارث السر لا تخفى مواهبه ... سر النبوءة فيض ليس ينكتم

حركت تاريخنا؛ فهب منبعثا ... كالنور أشرف؛ فانجابت له الظلم

وقدت نهضتنا الكبرى تشب لها ... عزما فتنفرج الأخطار والإزم

ويلتقي سالف الأمجاد ملتحما ... بحاضر أنهضت أبناءه همم

صان الأمانة مذ إدريس متحدا ... لله وحدته، والحزم، والذمم

طوى قرونا ونور الوحي رائده ... وبالحنيفية الغراء يعتصم

خلف البحار له ذكرى معطرة ... وفي الصحارى به قل اهتدت أُمم

مشت مواكبه بالنور ماحية ... ظلما كأنه في ءافاته غمم

☆ □ ☆

تعنو لرايته في كل معركة ... جحافل بأوار الحقد تضطرم

هي المفاخر لا تبلى شواهدها ... لها خلقنا؛ فنعم الإرثُ والقسم

نرعى - كما رعت الأجداد - حرمتها ... والشعب في ظلها بالعرش يلتحم

عرش هـوالمبـــدأ الأسمى لمغربنـــا ببيعـــة الـــدين منصـــور ومحترم

إمـامـة الـدين والـدنيـا بـه عُقـدت وبـالإمـــامـــة دين اللـــه ينتظم

ادريس خلـدهـا فينـا مبـاركـة فليس ينسخهـا جحـد ولا عـدم

بنـو علي لنـا حـظ، بـه كشفت عن غربنـــا كرب واستحكمت عصم

☆ □ ☆

إنـا نرى الحسن الثـاني يـذكرنـا بسيرة هي في أمـــلاكنـــا شيم

قـد صـان وحـدتنـا ولم فرقتنـا وخـط نهضتنـا تعلـو لهـا قمم

إنـا نحييـه في عيـد الشبـاب وقـد أنـــار مغربنـــا لألاءه العمم

عيـد الشبـاب، وهـل تخفى سرائره كـأنهـا مثـل تعيى بهـا الكلم

يـأتي، فتنبعث الآمـال جـامحـة والعـزم في سـاحـة التشييـد يحتـدم

وهـذه قمـة الأمجـاد شـامخـة كـأنهـا جبـل في البحر أم أطم

بـل مجـد الحسن الثـاني، روائعـه يحـار في وصفهـا ـ إن حـاول ـ القلم

تكـاد تنطـق بـالبشرى محـاسنـه إذا تـأملهـا مستنطـق فهم

نفـائس الفن فيـه رق منهجهـا وبـالمشـاعر والأذواق تلتئم

تعلـو منـارتـه الشمـاء سـامقـة والمـوج يلحظهـا، والنجم يبتسم

والأرض تنتظر التكبير منبعثـا يـدعـو إلى طـاعـة في طيهـا حكم

اللـه أكبر ! مـا أحلى تردده والقلب يطر بـه من لحنـه نغم

شعـارنـا، وبـه في كـل نـائبـة نـدعـو؛ فتنفرج المخـاطر الـدهم

طـوبى لمغربنـا بخير معلمـة في رمـزهـا صـور الأمجـاد تـزدحم

بهمـة الحسن المنصـور قـد رفعت والشعب حثـه في إنجـازهـا كرم

أعظم بمفخرة الإسـلام في وطن مـا زال في نصرة الإسـلام يستهم

نـالت بهـا البهجـة البيضـاء مكرمـة ومنحـة من أمير المـومنين تغتنم

☆ □ ☆

مولاي بورك ما أسديت من منن ... من فيض فكرك، قد جلت لها قيم

والشعب يرتع في نعمائها جذلا ... وأنت رائده المصدوق والحكم

لك التجلة والتأييد من وطن ... أعليت شأنه؛ فاستعلى له علم

وسست دولته بكل صالحة ... من المساعي؛ فنعم السعي والخدم

دامت لعرشك أمجاد مخلدة ... وصانك الله، والإقبال ملتزم

تفديك أفئدة منا حللت بها ... ونفتدي أسرة ترعى لها حرم

وللأميرين إجلال وتكرمة ... في ظل عرشك، والآمال تبتسم

والعرش مؤتمن، والشعب ممتثل ... والدين ترسخ في الدنيا له قدم

والمغرب العربي يالفرحته ! ... ويالبشرى بها تحقق الحلم

صبر الإمام وحلم منه متسع ... قد وحدا بالحجا ما كان ينْفصم

فتمت الوحدة الكبرى، ورص بها ... للدين والعرب ركن ليس ينهدم

فألف مرحى، وهذا حادث جلل ... شفى؛ فلا دغل فينا ولا سقم

☆ □ ☆

مولاي ! يهنأك النصر العظيم، ولا ... تزال تنعشنا من فكرك الحكم

وبوركت خطوات أنت تدفعها ... إلى الأمام وخط السير ملتئم

ولن يبالغ من يصفيك مدحته ... فأنت صفوة شعب دأبه شمم

إذا دعوت أجاب، أو عزمت مضى ... ولا يثبطه هول، ولا سأم

شعب مآثره جلى، وعنصره ... من معدن ليس في أعراقه وصم

وللسلام وللإسلام دعوته ... وأرضه هي في أعماقه حرم

يحمي حماه كما يحمي غيابته ... ليث يصول على من جاء يقتحم

وتلك عادتنا نحمي مرابعنا ... كأنها نفس نحيا به ودم

مسيرة المجد فينا لن يثبطها ... أمن ولا رهب، كلا ولا نقم

بل سيرها دائب، والعزم متقد ... ورمز ادريس فيه السر منكتم

اللــه أكبر ! قــد شــدت عــزائمنــا ... منــذ ارتبطنــا بهــا لم يعرنــا نــدم

صـاغت حضــارتنــا، أذكت مشــاعرنــا ... وغير منهجهـــــــــا واه ومنخرم

اللــه أكبر ! يــالحنــا نقــدســه ... أنت الشعــار الــذي تحيــا بــه الرمم

غرست في معــدن الأمجــاد أمتنــا ... فكيف يرزأهـــــــا حيف وتهتضم

فبــوركت دولــة التــوحيــد شــامخــة ... عـــــذراء لا وهن فيهـــا ولا هرم

الرباط ـ المدني الحمراوي

حكماء وقادرون :

تختلف الشعوب في نظراتهـا إلى كبـار السن، فمثـلا نرى معظم شعوب الشرق في آسيا وافريقيا تنظر إلى الشيوخ باعتبـارهم الحكماء القـادرين على التفكير السليم وتقويم الأمـور بقيمها الصحيحة. على حين اعتادت الشعوب الغربية الصناعية النظر إليهم بطريقة مخالفة، فترى أنهم أصحاب الأمزجـة المتقلبـة والأطوار الغريبـة والـوجـوه المجعدة العـاجـزين عن تغيير أفكـارهم، وبـالتـالي فهم عبء ثقيـل ومضجر.

شبابُ الأمة

ينطلق من الاتحاد إلى البناء العربي المتكامل

للشاعر محمد بن محمد العلمي

هنيئا ! تسابقنا إلى منهج الرشد،
نشيد صروحا للسياسة ضخمة،
فنشأتنا من طبعها عربية،
ومطمحنا يحيي النفوس لأمة،
حوار، وتقديم لخير نصيحة،
وفي العمق لا ننسى سفينة وحدة،
وقد زال ما نخشى، إلى غير رجعة،
فباخرة التوحيد فاللطف أشرقت
رعاية مولانا المليك لوفدها
وإخواننا في نشوة من وصالهم،
قد اجتمع الشمل العظيم لأمتي،
وليس لها في صحوة، وسيادة،
عناصرها مشغوفة بنضالها :
تنوع معناها بوحدة روحها،
توالي إلى خوض الجهاد جهودها،

وقمنا جميعا في اتحاد، وفي ود :
ونمضي سراعا للسيادة والمجد !
عصامية في الفكر والبأس والجد،
على شرعة الإسلام موصولة العهد :
وخير نضال في العقيدة والقصد !
ركبنا بهامتن الطهارة والحمد،
ولم تبق أحلام لمستعمر وغد.
برحلتها شمس الهداية والرشد
تبارك مسعاها إلى قمة السعد
يحيط بهم نور من البارئ الفرد
فليس لها في ذلك البعث من بد :
وتذكرة بالوعي للذات من ند !
تربت على تلك الطبيعة في المهد
ففي عرشها كم ذا توحد من ضد !
ففطرتها الشماء وارية الزند !

وسبحـــان من رد القلـوب لبعضهـــا، فطهرهـا من حمـأة البغض والحقـد !
وعلمهـا صـدق الإخـاء شريعـة، فصـارت عيـون الحب صـافيـة الـورد !
فمـا أحسن الرجعى لروح محبـة ! فـلا خير قطعـا في القطيعـة والصـد !

☆☆☆

ضمائرنـا في فجرهـا مشرئبـة، إلى نهضـة تـزري بـأعـدائنـا اللـد
فنحن حسـام قـد تجرد مـاضيـا، صقيلا كمـا شئناه، لم يبـق في الغمد
وفرحتنـا في جـوهر لاتحـادنـا، لقـد أصبحت بالحق أحلى من الشهـد
ونحن جنـود للفـداء تسـابقـوا، فللـه مـا يفـدى ! ولله من يفـدي !
على عهدنا الموصول قمنـا جميعنـا نـؤثـل أمجـادا تـزيـد بـلا عـد !
فقـوتنـا في وحـدة وتعـاون، ونحن ذوو الإيمـان، والصبر، والكـد
قـديمـا تكـاملنـا، وفي حـاضر لنـا، تكـافلنـا يـأتي بمستقبـل وردي !
بهمتنـا تغـدو الصعـاب يسيرة، ونحبـط مـا قـد بيت الخصم من كيـد.
نلقن تـاريـخ الـوجـود دروسنـا، بما نحن نطوي في الفؤاد، ومـا نبـدي !
إذا سـأل الأقـوام عنـا، فـإن في تنـوع مـا نبنيـه أكثر من رد !
فهـذا شبـاب، في اتحـاد وصـولـة، وعهـد جـديـد يصقـل العمق بـالنقـد
خمـاسيـة أقطـارنـا، عربيـة بـوحـدتهـا، مـا كنت أعشقهـا وحـدي !
مسيرا إلى (بغـداد) في الكتلـة التي تؤاخي (الخليج) الحر في ذلك القصد
أرى العز في أوطـاننـا مسرع الخطى، فكم لصبـاح النصر يخفـق من بنـد !
وتلـك بـلادي في الـوجـود كبيرة، رعاها جمـال الله، في السهل والنجـد :
هي الكنـز، والميثـاق، والنعمـة التي قد استقطبت أبهى وأحسن مـا عنـدي !
حضـور، وتـوحيـد لقـوميـة لنـا، وصرح بفضـل العرش ليس بمنهـد !
فمـا فـات وقت لا ستعـادة عـزنـا، فنحن شبـاب قـد تكلـل بـالـورد
ونهضتنـا بين الشعـوب عظيمـة، لقـد لبست في زهـوهـا أجمـل البرد
مكـاسبنـا تترى، فتلـك بـلادنـا، تضيف بمـا تحييـه رفـدا إلى رفـد
هي الخصب في أنجادها وبطـاحهـا، وفي كـل عـام زيـد سـد على سـد
تبـارك ربي في النمـاء وأهلـه ! كفـايتنـا في سعينـا غـايـة القصـد !

☆☆☆

مشاعلنا في (الريف) و(الأطلس) ارتقت ... وفي قمم (الأوراس) مشبوبة الوقد !
وهذا ربيع (المغرب العربي) قد ... أتانا ببشرى ما يفيد، وما يجدي :
عصامية عند الشباب تبلورت، ... وسارت على نهج التنافس والرشد،
ومعنويات في استقامة سيرة ... هي الفضل موهوب من الرب للعبد !
فياعيد أعياد لنا في اتحادنا، ... سلمت، وإن العيد أحمد في العود !
ففي ذمة الإسلام نمضي لمجدنا، ... ودستورنا القرآن في الحل والعقد !
وهمتنا فوق الثريا، وعزمنا ... لقد جاوز الجوزاء في السعي والبعد
وجنتنا الصحراء، حسناء تزدهي ... بوحدتها، مكمولة القد والخد !
حقيقة الاستفتاء تلك : وجودنا ... هنالك، في أوج الحمية والذود !
و(سبتة) أخت (مليلية)، المجد فيهما ... عريق، فلا زور لعمرو، ولا زيد !
أرى البحر بحرا في أصالة طبعه، ... فيبقى عظيم القدر في الجزر والمد !
مسيرتنا الخضراء عهد نصونه، ... وفي القسم المبرور ملحمة المجد :
فإما بقاء في السيادة والعلا، ... وإما انطواء في الفناء، وفي اللحد !
وفي ظل عرش الأكرمين مزية، ... فما مثلها نلقاه في الصين والهند
لقد جمع الإحسان والحسن عرشنا، ... ففي العلويين الضمانة للقصد
وفي (الحسن الثاني) مضاء وصولة، ... وإتقان تدبير من (الحسن) الجد !
فما زال موفور العطاء بجده، ... يوالي مسيرات الكفاية والجهد !
إذا ذكر المحبوب طال هتافنا، ... وفاحت قلوب الشعب بالعود والند
فللطلعة الغراء نشتاق كلنا، ... ويعلو لنا التكبير والشكر في الحشد !

☆☆☆

وفي مسجد (البيضاء) أعلى منارة، ... تنادي إلى التوحيد، ممشوقة القد !
تطل على البحر المحيط بظلها، ... وتمنحه تاج الجلال بما تسدي.
على الماء عرش الرب كان، وهاهنا ... توطد عرش الماجدين على الود،
فكانت له في القلب أسمى مكانة، ... وقد كان رمزا للكرامة والسعد !
وعند صلاة الشكر خير دلالة، ... على الحمد، والرحمان أجدر بالحمد.
ومن يعتصم بالله كان وكيله، ... وعين الرضا ترعاه بالحفظ والسهد.
و(للحسن الثاني) ومسجده أنا ... أبث إلى (البيضاء في شغف وجدي !

☆☆☆

و(مراكش الحمراء) فيهـــا تبلـــورت
فقمتنـــا التـــاريـــخ يعرف قـــدرهـــا،
(فلسطين) أيـــدنـــا انتفـــاضتهـــا التي
ومهمـــا يكن مكر الـــدخيـــل وغـــدره،
فـــــإني أرى الأحرار في عقر دارهم،
ويـــا ويـــل رهـــط الظـــالمين، فـــإنهم
على كـــل شعب في الـــوجـــود تميـــزوا
وللبيت رب قـــــد حمـــــاه ! وإنـــــه
فـلا (المسجـد الأقصى) يـــدوم حصـــاره،
ولم تـــك بـــالتحقيـــق عـــاصـــة لهم،
أرى حـــائـــط المبكى عليهم لقـــد بكى،
فـ(ـللقـدس) في الإسلام أسمى مكـانـة،
فـوالله إنـا هـــا هنـــالـــك كلنـــا،
فراســـة مـــولانـــا المليـــك تحققت،
فكـــل امرئ منـــا يقـــول : أنـــا الـــذي
إذا اشتـــــد عسر أقبـــل اليسر إثره
فمـــا ضـــاع حق من ورائـــه طـــالب :
فمن صـــولـــة يغـــدو الأصيـــل مكرمـــا،
و(سينـاء) و(الجـولان) قـد صيـد فيهمـا
و(صبرا) و(شـاتيـلا) ومـاكـان فيهمـا،
و(لبنـان) في التمـزيـق نرثي لحـالهـا،
ويـــأتي الســلام المستعـــاد لربعهـــا
دهـــاهـــا نـــزيف في الضمير ! فليتهـــا
وفي (ســوريــا) تلـك العهـود تجـددت،
ففي (حرب أكتـوبر) الحضـور لقطرنـا
(دمشـق) إذا نـــادت لأشرف غـــايـــة،
وفي (ســاحـة الجولان) رمـز كـوحـدة

نـوايـا عميقـات الجـواهر في البعـد،
وفي غـدنـا تبـدو الضمـانـة للرشـد !
تهـز ضمير الكـون بـالعمـل المجـدي،
ومـا فيـه من خبث، ومن محنـة تردي،
كرامـا برغم القتـل، والقمـع، والقيـد !
لكم سقطـوا صرعى بـدائهم المعـدي !
بـــأفئـــدة أقسى من الحجر الصلـــد
لمنتصر حتمـــا على طغمـــة الكيـــد :
ولا (القـدس) في التقسيم تيأس للفقـد،
وفيهـــا لقـــوا جـــوا من البرق والرعـــد
ومـــا شعروا في غمرة البغي والحقـــد !
ومن أجلهـا كم ذا نعيـد، وكم نبـدي !
نصلي، ويـدنـو مـا نقـاسيـه من بعـد :
برغم حصـــار للصهـــايين مشتـــد.
أصلي، وأحفـادي يصلـون من بعـدي !
لكـــل صبـــور، بـــالعـــدالـــة معتـــد.
كـذاك عهـدنـا في الجمـاعـة والفرد !
ومن جـولـة يمسي المشـاكس كـالقرد.
بجنـــد سماوي زبـــانيـــة الصيـــد !
مثـال لمـا يعطي العدو، ومـا يهـدي !
متى يستقيم الأمر فيهـــا بـــلا حرد ؟
سريعـا ؟ فنـور اللـه ليس بمرتـد !
تعـود لمـاضيهـا اليتيمـة في العقـد !
فكـــانت جميـــلات المـــآثر في السرد
هنـــالـــك، عنـوان التضـــامن والـــود
فـــإن (ربـــاط الفتـح) يسرع للرد :
جهـاديـــة، تسمـو إلى قمـــة المجـــد

فمــــا نحن إلا أمــــة عربيــــة، نموت ونحيا في التمسك بالعهد !
سماحتنــا في الـذات والروح حجــة لغاياتنا الحسناء في السعي والقصد :
إذا شـاء رب الكـون إحيـاء أمــة، هـداهـا إلى نهـج المحبـة والرشـد !

☆☆☆

نجـدد في الستين ميثـاق بيعـة، فنحن جميعـا ثـابتـون على العهـد !
وفي (الحسن الثـاني) من العـز آيــة يرددهـا الـوجـدان في مسمـع الخلـد
وفي (لجنـة القـدس) الفروع تجمعت، فسبحان من يحيي القلوب، ومن يهدي!
إذا (المسجـد الأقصى) تكبـد حرقـة فنحن على الأعـداء في غيرة الأسـد !
وذاك الصـدى هـز المحيـط هـديره، كما هـز وجـدان الخليج بلا حـد !
وفي أسرة الإسـلام أسمى تضـامن، فتلك على تـوحيدنـا نعمت الأيـدي !
أرى (المغرب الأقصى) مـلاذا وقلعـة، فللـه مـا أضحى يكرس من جهـد !
(فلسطين) روح الحـق، تحمي كيـانها (منظمـة التحرير)، جـوهرة العقـد !
و(قمـة فـاس) استقطبت خير وحـدة جمـاعيـة قـد حطمت عقـدة القيـد
فهـذا (صـلاح الـدين) قـد قـام بيننـا، يسير إلى النصر المبين مـع الجنـد !
وذلــك وعــد اللــه أكبر نــاصر، ومـا كـان مـولانـا ليخلف من وعـد !

☆☆☆

بعيــد أمير المـؤمنين، قلـوبنــا تقـدم آيـات الـولاء مـع الـوفـد !
يعيش (ولي العهد) في الحفظ والرضا، ويحيا (الرشيـد) البدر، جوهرة الولـد !
ويبقى لنــا البيت الكريم مثـابـة، وأمنـا، وحصنـا للسيـادة والمجـد !

الرباط : محمد بن محمد العلمي

﴿إنا لننصر رسلنا، والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾.

ـ صدق الله العظيم ـ

بمناسبة الذكرى الستين لميلاد جلالة الملك الحسن الثاني :

فذاك برهان عرش تاجه الحسن

للشاعر عبد الكريم التواتي

الكـــون نشـــوان زاه راقـــــه الـــزمن | والأرض رقصــة شعب شــاقــه الحسن
يــا أيهــا الحسن الميمــون طــالعــه | بــك الــدنى حفلت واستبشر الــزمن
مــا كــان مــولــدكم، أعظم بليلتــه | إلا بشــــائر وافتنـــــا بهـــــا المنن
أيــامنــا بــك جــذلى روقت صــدرا | ورقت وردا، وراق العيش والسكن
وازينت بــــك أمنيـــــاتنـــــا ترفـــا | فمـــــا ينغصهـــــا هم ولا حـــزن

□☆□

يــاعرش مغربنــا الأقصى بــك احتفلت | دنيا المحامد، واحلولى بــك الــوطن
الشعب والــوطن الغــالي بــك التحمــا | والأرض والــدين والتــاريخ والسحن
فــان بكم ـ عــاهلي المفتى حسنــا ـ | فــاضت جــوانحنــا حبــا : فــذا حسن
وإن بــأعمــالكم تهفــو مشــاعرنــا | وتحتفي مهج شــوقــا : فـــذا حسن
وإن مــواقفكم غنت بهـــا طربـــا | أشعــارنـــا، وتملتهــا : فــذا حسن
وإن بكم عربــدت أفيــاؤنــا فرحــا | وزغردت كــل حسنـــاء، فـــذا حسن
وإن أيـــاديكم يـــامن زكت يـــده | شكرنـــا حمـــدا وغنت برهـــا الفطن
فـــإنمـــا أنت عنـــوان لأمتنـــا | ورمــز أهــدافهـــا المثلى بــل السنن

□☆□

ستــون عــامــا من الأعمــال شــاهــدة | بمــا بنيت ومـــا أســديت يـــاحسن
بنيت شعبــا تحــدى كــل نــائبــة | وصـــاول الــدهر حتى نــاءت المحن

ولم تـزل تغدق الأوطــان مــا ازدهرت   بـه المغــاني وبــاهى خصبهــا الصــدن
مــآثر خــالــدات شــدت ســامقهــا   وشــدت مــا يتملى حسنـــه الــزمن
للـــدين أسست في تقـوى معــالمـــه   لا خلف يعروك، لامين، ولا أفن
مســاجــد لا تضــاهى روعــة شمخت   يـزهـو بهـا الملـوان : الفجر والـدجن
عجـائبـا، فــوق مــوج البحر، أعمــدة   أست ورصت وقــامت فــوقهــا مــدن
ذاك التحــدي بـــه أنعم، وتـــه جــذلا   فــذاك برهــان عرش تــاجــه الحسن

□ ☆ □

وللـــدنى تبتني الأطــواد شـــامخـــة   يفنى الــزمــان، ومــا تفنى ومـــا تهن
قــد رمت شــأوا عظيمــا، عــز مطلبــه   على ســواك، وصـــح العـــزم واليقن
فرحت في ثقــــــة تعلي مشــــــائره   مــــا يعتري قصـــــدكم أين ولا وهن
وقـــد رأيتم، وحــق مــا ترى ملكي :   أن لا حيــــــاة لشعب : أمره حجن[1]
ولا صـــلاح بـــلا علم ومشـــــورة   ولا مشــورة إن لم يبعـــد الـــدخن[2]
فنلت شعبـــــك دستــورا وأنظمـــة   الحريــات بنــاهـــا، والهَـدى السنن
النـــاس فيـــه ســواء، لا مفــاضلــة   لاسيـــــد، لا مســــود، لا، ولا إحن
من دين أحمــد قــد صيغت مبــادئــه   ودين أحمــــد عـــدل مــــابـــه أفن
وعشت روحــا لــه تــذكي مشــاعلــه   وتفتـــديهـــا، وتحميهـــا، وتحتضن
• وأنت ـ يــاحسن ـ للعـــدل جنتـــه   وأنت أمن، على الأوطـــان مــؤتمن

□ ☆ □

يـــامن رأى الحسن الثـــاني تتـوجـــه   هـــالات عرش، بـــه يعتـــز ذا الــوطن
عرش الألى صنعـوا التــاريـخ وارفـــة   صروحـه، طــاب منهــا الجــذع والفنن
بنـــو علي بهــــاليـــل محجلـــــة   بــالصــالحــات نـواصيهم، فهم حسن[3]
إن حـــاربــوا رفعـوا للعـــز ألــويـــة   وإن رضـوا فحمـــاة، ســــادة، عرن[4]
أكرم بهم عترة، اللــــــــه فضلهم...   واللـــه يـوثر من يهـــدي، ويمتحن

□ ☆ □

يــا أيهــا الحسن الثــاني جرى قــدر   بمـــا ترى، ولنعم الرأي مـــاتـــزن
آمنت أن الأمــــاني لا يحققهـــــا   إلا التحـــدي، وبـــذل الأنفس الثمن
فلم ترعـك المنـــافي بـل أرعت بهـــا   ولا أراعــــك رجـــاف ولا هُجُن[5]

ولا بخلت بنفس، لا، ولا نشب ... ولا تـوانى التحـدى منـك يـاحسن

وكـان ربـك والألطـاف قـاطبـة ... عـونا، وكـانت قلوب الشعب، والوطن

فتـه، هـديت إلى الحسنى مبـاركـة ... خطـــواتكم، لنعم الخطـــو والرسن

(ومن تكن برسـول اللــــه نصرتـــــه) ... فـــاليمن حلف، وهـــام العـز يحتضن

□☆□

يـا أيهـا الحسن الثـاني بـك ازدهرت ... أيـــامنــــا وانتفى الاخــلال والفتن

وقـــدت أمتـــك العظمى لملحمــــة ... وهـاجـة، مـا رأى مثـلا لهـا الـزمن

ـ أسطــــــورة هي، لاجن ولا بشر ... إلا بهـــــا معجب ولهـــــان مفتتن

هـزت عجـائبهـا الـدنيـا ومـا برحت ... أصـــداؤهـــا تبهر الـــدنيـــا وترتهن

معـاهـد، جـامعـات طـاب موردهـا ... عممت حتى لقد ضـاقت بهـا المـدن

الــدين والضـــاد أس في منـــاهجهـا ... والتقنيـــات لهـــا الأهــداف والسنن

والجـامـع القروي أحييت تـاريخـه ... فــذى أســاطينــه، العرفــان تحتضن

وفي الصحـاري سـدود لا نضوب لهـا ... المـــاء عـــذب زلال والثرى غــدن

جنـات عـدن بهـا الأنهـار جـاريـة ... والظـل تحلـو بـه الأحـلام والـوسن

وفي المحيطــات رايــات لكم خفقت ... فـوق البـوارج واختـالت بهـا السفن

كـــأنهـــا ونسيم البحر داعبهــــا ... عرائس تتهـــادى حـــولهـــا الظعن

وفي الفضـــاء صقـور مـــا لمرتهم ... في السلم والحرب نـــد مـــالهم قرن

مـــواقف حـــاسمات شـع نيرهـــا ... على الحمى فهفا : عـاش الحمى الحسن

وأمـــة المغرب الاقصى مـــآثرهـــا ... زكى أصـــالتهـــا تـــاريخهـــا اللسن

سلـوء (العقـاب) وكم كـانت معـاركنـا ... للكـافرين عقـابـا، غـال مـاختمـوا

سلـوا (المخـازن) كم أربـاضهـا خزنت ... من الطغـاة، فمـا عـالـوا ولا خـزنـوا

سلـوا «البـلاط» وأجـداث الألى بطروا ... اللـه أكبر : مــا قــامـوا ولا ظعنـوا

سلـوا فرنجـة (كـاسينـو) ومحـورهم ... فقـد بهم حـاق من بـأســائنـا وهن

سلـوا مشـارف (سينـاء) ومـا شهـدت ... (جـولان) صهيـون فيهـــا حبس رهن

□☆□

يـا أيهـا الحسن الثـاني بـك ازينت ... أوطـانـا وازدهى تـاريخهـا الحسن

لبيت صرخـة صحرانـا وقـد عبثت ... أيـدى البغـاة بهـا واشتـدت المحن

ما حوتها، لا، ولا فسفاطها هدف ... لكنما لحمة القربى لها ثمن

فقدت في حنكة، الله ملهمها ـ ... مسيرة كان فيها الفتح والمنن

فأصبحت بك روضات، أزاهرها ... فواحة، والأقاحي في الربى فنن

رمالها، إذ أحست وقع خلوكم ... تناثرت دررا ضاءت بها الدمن

أوارها بك أنسام، أصائلها ... عليلة، وأضاحيها بها وهن

تزهو شوائطها من فيض أنعمكم ... فذي الأساطيل تحدو حسنها السفن

تختال في اليم في أمن وفي دعة ... عرائسا مثقلات مما تختزن

في كل حاضرة منها وبادية ... مساجدا وزوايا شدت ياحسن

آي الكتاب بها تتلى مرتلة ... سبعا وعشرا وفيها تدرس السنن

يامن رآها، وقد ضاقت رواقاتها ... بالعابدين، وأطت بالدعا الدمن

وركع سجد يبكون ضارعة ... قلوبهم، والحنايا ملؤها الشجن

يدعون : ياربنا صن عرش عاهلنا ... وصن بنيه فهم للمغرب الأمن

□☆□

مولاي دامت بكم أفراحنا وصفت ... أيامنا وتملى صفوها الزمن

فما أرى الشعر يوفي حق مجدكم ... أو ما تجيش به الأحنا وتختزن

لكنه رمز عجزي صغته دررا ... من القريض وما في نضدها وهن

فإن يكن فيه تقصير ومنقصة ... فمنكم الصفح والاغضاء ياحسن

عبد الكريم التواتي

---

1) الحجن = الاعوجاج.
2) الدخن = الحقد وسوء الخلق.
3) الحسن = بضم ففتح ج الحسنى ضد السأوى.
4) العرن = جمع عرين.
5) الهجن = جمع هجين وهوا للئم.

عيد الإشراق

للشاعر عبد الواحد أخريف

بـزغت على آفـــاقنـــا «الستـونـــا» شمـسا ضحـاهـا في الشاب سنـونـا

شعت كـــأن على خيـوط نضـارهـا عـزمـــا لـــه من عمره عشرونـــا

نشرت على الأرجـاء دفء شبـابهـــا يحي المنى ويقر منــــه عيـونـــا

فكسـا الـوجـود تـألـق من حسنهـا وبـدت مبـاهجــه رؤى وفنـونـا

وتــلألأت في كــل بيت فرحـــة نشـوى تغني ألسنـــا وجفـونـا

أسر يجمعهـــا الـــوفـــاء لتحتفي بـأب وتشكر مـا كســاهـا ديـونـا

إحســانـــه مـلء الفضــاء وسعيــه مـا ينثني يهب الجـديـد مصـونـا

في كـل عيــد للشبـــاب روائـع من خـــالــد الأعمــال وهي مئـونـا

الحصر فيهـا كـــالنجـوم وإن تشـا فـــاعـدد لتسكت حـائرا مفتـونـا

في كـل جيـد طـوق نعمتهـا زهـا حليـــــا نردد شكره مثنينــــــا

والكـل يلهـج بـالمحـامـد منشـدا شعرا على إيقـــاعــه مـــوزونـــا

إن العظــائم لا تلين لقــائـــد إلا بعـــزم ليس يعرف دونـــــا

أنظـــاره لسمــائهـــا مشـدودة وعلى عـلاهـا بـالطمـوح أعينـا

في نفســه همم تجـــدد حيـــة يجـد التحـدي صـدقهـا مضمـونـا

ولأنت ذاك ومـــا نرى بقلـوبنـــا نـــدا يضـاهي سرك المكنـونـا

إن أدرك الأقيـال مجـدا في الـدنــا سهـلا فمجـدك يستقـل حـزونـا

من روحك اقتبس الشباب عزيمة   تبني وتنشئ صالحا وثمينا
وإرادة لبس الشباب رداءها   ليس الونى دأبا لها وقرينا
وسواعد الأشبال منها حية   كم ذا تشيد للعلو حصونا
أو ليس شبل عريننا من ليثنا   وحمى الأسود يظل بعد عرينا ؟
مولاي (ياحسن) المعالي والبنا   والمنجزات الخالدات قرونا
وهب الإله لك الذكاء موقدا   والفتح نورا والصلاح خدينا
والفكر لماعا على آرائه   يجد الصواب طريقه المسنونا
إن مس نورك مشكلا فكأنه   ما كان قبل على القياد حرونا
يكفي تريد فينطق الحل الذي   يسعى إليك - كما تريد - رزينا
تعداد فضلك لم يعد متيسرا   فلقد سما فوق الحساب يقينا
الشعر لا يجلو سوى ومضاته   والنثر ليس يطيقه تبيينا
في كل ميدان صنيعك لا هج   والشعب يجني ثماره ممنونا
والمجد يكسب كل يوم رفعة   تضفي على وثباته تمكينا
حسبي أشير وفي المدى آياته   تزهو بها آفاقنا تزيينا
طول البلاد وعرضها يكسوهما   برد التقدم والرقي فنونا
أخلصت للوطن المفدى فوق ما   يدعو الوفاء وكنت فيه أمينا
قد كدت تعبده هوى وصبابة   وتشبثا بحقوقه مقرونا
ما كان غير الله عندك مقصدا   وصلاح شعبك كي يكون مكينا
وإذا الشعوب بمثل حكمك بشرت   حلفت بأن السعد صار ضمينا
لكن مثلك نادر تكراره   فالمجد يعشق من يراه قمينا

□☆□

إن كان مغربنا تحقق عزه   فلقد مددت إلى الإخاء يمينا
«للمغرب العربي» حتى يلتقي   في «وحدة» يهب الحياة اللينا
فدعوت قادته «لمؤتمر» غدا   طغراء فخر العصر، ضاء، جبينا
بمشارف «الحمراء» قام أساسه   عهدا يحقق حلمنا المدفونا
لولاك ما صار الرجاء حقيقة   والخلف صفوا والشقاق حنينا
ما كان ذاك سوى سحاب عابر   وبنورك الهادي تبدد حينا
ما باشرت يمناك أمرا معضلا   إلا وفتح الله جاء مبينا

دنيـــا العروبـــة كم شكت الآمهـــا — وبكت وأنت بـــــالجراح أنينـــا

قــد مـزق الفكر الـدخيـل صفـوفهـا — عجبــا لهـا لم تلفـه مــأفـونـــا !

إن ســـار هـــذا مشرقــا فشقيقــه — مــلأ التغرب في دنــــاه عيـونـــا !

نـــاديت والأمــل المرجى قـــائم — في الصفــو ينشر ظلــه المــأمــونــا

ويكـون بــادرة الـوفـــاق وبلسمــا — يشفي الجراح ظهـورهـــا وبطـونـــا

لبى نـــــداءك قـــــادة العرب الألى — حلـوا بســاحــك واصطفـوك أمينـا

كـل يـؤمــل حكمـــة حسنيـــة — إذ غيرهـــا لا يسعـــد المحـزونـــا

وإذا «بمــؤتمر» الصفـــــاء تقـــوده — نحـو الصفــاء مـوفقـــا ميمـونـــا

والقـــادة الرؤســـاء فـوق عنـــاقهم — روح يرفرف من هـــداك حنـونـــا

مـــا تلــك أولى أزمـــة فرجتهـــا — وكسبت فيهــا رهــانهــا المضمـونـا

□☆□

مـولاي عمرك بـــالنضـــارة مشرق — يسقى الشبـــاب من الطمـوح معينـــا

يبقى الشبـاب مع العـزيمـة نـاهضــا — يطـوي السنين وإن تكن تسعينــــا

تحيــا بعـزمــك للجهــاد نمـوذجــا — فـــذا يروق حـواشيـــا ومتـونـــا

فــاسلم لشعبــك ـ سيـدي ـ كيمــاترى — دنيــاه ترفــع شــأنـــه والـــدينـا

ولـواء حمــدك في الثريـــا خـــافـق — والـــدهر بـــالتـوفيـق جـــاد معينـا

وولي عهــــدك لابس حلـل الرضـــا — والصنـو مـــا كست الأصـول غصـونـا

ستـون بيتـــا كـــالشمـوع أضـــأتهـا — في عيــــدك «الستين» يشرق فينـــا

□☆□

تطوان : عبد الواحد أخريف

لمن غدا وطني عرسا وبستانا

للشاعر العرائشي عفيف محمد

لمن تــأججت الأفراح ألـوانــا ؟ لمن غدا وطني عرسـا وبستـانـا ؟

لم البـلابـل في أفنـانهـا طفقت تفتن شـدوا وتطريبـا وألحـانـا ؟

هل شاقها العيد فاختارت معـايرنا ؟ جــاءت لتحضر في أفراح مـولانـا

ظلت تنـافسنـا حبـا ومـا علمت أنـا اقتسمنـا الهوى شعبا وسلطـانـا

ولم يعـد بيننـا في الحب متسع يبقى مكـانـا لمن ينسـاق ولهـانـا

شعب وعرش وعبـد اللـه بينهمـا قلبان قد رضعا الاخلاص ألبـانـا

قلبـان قـد مزج التـاريخ بينهمـا عـاشـا سعيـدين أجيـالا وأزمـانـا

روابــط العروة الـوثقى تـؤلفنـا نحن المغـاربـة الأوفين أديـانـا

اللـه والـوطن الغـالي وعـاهلنـا شعــار مغربنــا سرا وإعـلانــا

☆☆☆

مولاي يـامن على مـوج البحـار بنى في الغرب بيتـا إلى ذى العرش إيمـانـا

قـد جئت معلمـة جـدت مفخرة أنجبت للحرمين اليــوم أقرانــا

أذنت في الشعب اعـلاء لمكرمــة فـانداح طـوعا لقرض الله إحسـانـا

تـدعوه للـدين والـدنيـا على أمل فـوزا من اللـه في الـدارين غفرانـا

للـه من مسجـد والمـاء يحضنـه — يسبّـح اللـه إنعـامـا ورحمـانـا

كم كبر البحر إجـلالا لطلعتـه — واستبشر الخير أمـواجـا وشطـآنـا

ظلت تبـاركـه الأقطـار أجمعهـا — شرقـا وغربـا أفـارقـا وعربـانـا

حـارت عقول النهى وصفـا لمعجزة — لا عقـل قس يفي لا فكر لقمـانـا

إذ مـا رأت مقلتـا بلقيس رونقـه — ولا كحسنـه كسرى شـاد إيـوانـا

فـأين أهرام مصر من عـلا هرم — قـد شيـد للـه لا قبرا وقربـانـا

سبحـان من علم الإنسـان بـالقلم — سبحان من فوق ماء عرشه كـانـا

شعب المسيرة إن فـاضت مـواهبـه — خرت لـه الجن والإنسـان سيـانـا

☆☆☆

مـولاي مـازلت نـورا في محـافلنـا — لـولاك مـا قـد حـلا جمـع بـدنيـانـا

للـه درك إذ تمضي تخـاطبنـا — فكرا وعلمـا وأخـلاقـا وأوطـانـا

أعطيت قلبـا سما بـاللـه منـزلـة — فـاضت شـآبيبـه الرحمـاء آمـانـا ؟

من قابل الطيش بالحسنى يجادل من — يرجون حربـا ويرجو السلم بنيـانـا ؟

شتـان مـا بين من يبني لأمتـه — وهـادم همـه التخريب شتـانـا

شتـان مـا بين من تسلبـه فـاجعـة — ومن يبيت لحـزن الجـار محـزانـا

يهنيـك مـولاي والجيران تحمـدكم — أنعمت جـارا وقـد حبـذت جيرانـا

خلعت ثـوبـا على صحرائنـا فمضت — من فيض إنعـامكم تخضر كثبـانـا

من جـاءهـا وميـاه الخير تغمرنـا — تنسـاب جـاريـة تنبت أفنـاهـا

يـدرك مـدى العزم والاخلاص من حسن — صب المحـاسن في الصحراء وديـانـا

☆☆☆

مـولاي يـا قبلـة الأقطـاب مشورة — يـا من برأيـه يهـدي كـل جيرانـا

يا حجـة الـدين والـدنيا مـدى الزمن — يـا بلسـمـا شـافيـا جرحـا وأحزانـا

هـذي فلسطين أولى القبلتين بهـا — تـدعـو لسـدتكم قـدرا وعرفـانـا

إن تنس شيئا فما تنسى مواقفكم — يوم اليهود أتت في الشرق طغيانا
أرسلت جندا إلى الصهيون تطعمه — لوافح النار بارودا ودخانا
بنو قريظة ولت دون مطلبها — متى أظلت نسور الريف جولانا
والأطلس الشهم قد أعطت ضراغمه — سيناء نصرا وللأحبار خذلانا
طوباك مولاي تأتي جمع أمتنا — إذا دعوت أتتك العرب ركبانا

☆ ☆ ☆

مولاي والقصر من أنس ومن طرب — يهتز منشرحا يفتر سلوانا
أضحت شوارعه الحسناء منتزها — تتلو مشاعرنا خطا وألوانا
تبدى أحاسسنا والكل يعرفنا — أنا نجسدها شيبا وولدانا
فعيد عرشك تتويج لعزتنا — وطالع السعد في لقياه يلقانا
لقد فرشنا إلى الأشراف أفئدة — فاضت ولاء جماعات ووحدانا
ما القصر إن لم يعد عيدا بأكمله — يختال منتشيا أنثى وذكرانا ؟
فبسمنا بسم هذا الشعب أجمعه — بسم المحبة والأعياد تغشانا
ندعو إلى الله كي ترعى عنايته — حامي البلاد ومفدي الشعب مولانا
جلالة الحسن الثاني وأسرته — دامت لمغربنا حصنا وأركانا
دامت ودام ولي العهد سيدنا — محمد من رضاب المجد ريانا
واحفظ إلاه الوجود الشبل راشدنا — بما حفظت مدى الأزمان قرآنا

القصر الكبير : العرائشي عفيف محمد

من وحي القمتين

للشاعر
محمد نجيد

بزغ الضيــاء وشع نــور طـــاهر ... وجـلا الظــلام... لكـل ليـل آخر

والصحـوة الكبرى بشائرهـا بـدت ... فلنعتصم بـــالله وهـو النـــاصر

الانتفـاضـة وحـدت مـا بيننـا ... وحجـارة الأطفـال نـاب كـاسر

صهيـون يمشي للحضيض محطمـا ... آمـــالـه تنهـار، وهـو يكـابر

هي يقظـة عربيـة قـدسيـة ... (فـأبـو جهـاد) مـاثـل لا غـابر

اللـه أكبر لا محـالـة نصرنـا ... فغـدا بنصرتنـا يغني الطـائر

إني أرى كـل العيـون تفتحت ... مـا بعـد هـذا اليوم جفن فـاتر

العروة الـوثقى سبيـل خـلاصنـا ... فمن المحيـط إلى الخليـج تـآزر

☆☆☆

يـا قمـة الأمجـاد إن قلـوبنـا ... طرا، عليهـا ران حب طـاهر

(مراكش البيضـا) جرت مختـالـة ... ولهـا تفيض خـواطر ومشـاعر

من طنجـة نحـو الجـزائر أقلعت ... قـد قـادهـا الحسن العظيم المـاهر

حامي الحمى، سبـط الرسول المرتضى ... أمـل العروبـة بـالجهـاد الآمر

من للرصـانـة والتعقـل والحجى ... مثـل كريم فهـو شهم ظـافر

هـو ذا بسحر خطـابـه يسبي النهى ... ألفـاظـه درر النهى وجـواهر

فـإذا تحـدث أنصتـوا وتـأملـوا وتبينـوا من بـالبيـان يفـاخر

الشرق يغرف من معين علـومـه والغرب يعرف قـدره ويـؤازر

ويحسب جـامعـة العروبـة أنـه نـادى ليجبر مـا بهـا هـو كـاسر

يجري الـزمـان ولا يحرك سـاكنـا ميثـاقهـا، أن الـزمـان لغـادر

فلتنطلق وفـق الـزمـان يصـونهـا من للجميـع يصـون وهـو القـادر

☆☆☆

وإلى الحمى عـاد المليـك مظفرا إن الحمى بـالعـود حقـا زاهر

لم تمض إلا أشهر معـدودة حتى تحقـق مـا بـه سنفـاخر

أبشر أخي فـالحلم صـار حقيقـة والليـل ولى، والظـلام مغـادر

والفجر أقبـل بـالبشـائر والمنى والمغرب العربي ربـاط آصر

أقصـاه والأدنى وأوسطـه على درب الإخـاء يـد ووجـد ثـائر

جـل الـذي ظفرت بـه آمـالنـا أو مـا يـوحـدنـا العـزيـز القادر

☆☆☆

شمس المغـارب أشرقت في مـوطني وضيـاؤهـا بين الأحبـة سـافر

مراكش الحمرا كنـوز حضـارة مجـد تليـد بـالمفـاخر زاخر

من ها هنـا انطلقت مسيرتنـا التي عبرت حـدود الـوهم، ليس تحـاذر

مـاض مجيـد، حـاضر مستقبـل شمس المحبـة عسجـد متنـاثر

تتنسم الـدنيـا أريـج ريـاضهـا ويحفهـا نخـل شمـوخ بـاهر

ومنـارة الأمجـاد تعلـو في الفضـا شم كمـا شـاء المشيـد ظـاهر

تتـواثب الأنـوار... ترسم لـوحـة للـوحـدة الكبرى رعـاهـا القـادر

مـا أروع اللقيـا هنـا وأجلهـا أسراب طير في العلى ومنـاظر

عهـد اتحـاد بيننـا يحيي المنى ويفتـح الآفـاق... عهـد زاهر

☆☆☆

(يدنـا) هي الرمز القوي لوحـدة ... يسمو بهـا عـزم وحـزم فـائر

(يـدنـا)... تهـدم كـل سـد بيننـا ... وتـذود عن أوطـانـنـا وتـؤازر

(يدنا)... غد لشبابنا... وبها سنـنـ ... ـعش اقتصـاد (شمالنـا) ونسـايـر...

(يدنـا) نخط بها لنهضـة قطرنـا ... نبني بهـا أسمى البنـا وتثـابر

(يـدنـا) تلوح بالسـلام حمـامـة ... في كـل ربـع بـالمحبـة شـاعر

اليوم يكتمـل الجنـاح لمغرب ... والمشرق العربي كيـان حـاضر

وغـدا ستلتئم الجراح وينتهي ... عهـد الـدمـار وتستريح ضمائر

ويحرر القـدس الشريف من العدى ... ويعـود لبنـان الـوديـع الـزاهر

ويلحـق (النسر) القـوي إلى العـلا ... ويشـع مجـد للعروبـة غـابر

مرحى، قطوف الوحدة الكبرى دنت ... بـالأمس كـانت وهي حلم عـابر

وكـأنمـا كـل العيون لأمرهـا ... شخصت، وكـل بـالقضيـة سـامر

إن أنس لا أنس الـوداع بحره ... كـل من الصحب الكرام يجـاهر

وقفوا وأيديهم قـد التحمت وفي الـ ... ـلأيـدي تصـور للعيـون أواصر

سـاروا تحفهم السـلامـة والهنـا ... والنخـل يرقص بينهم ويسـافر

في كـل قلب خفـق حب هـائـج ... وبكـل بيت فرحـة وبشـائر

هـا شعبنـا الحر الأبي مشـاعر ... نسـج الـولاء برودهـا وخـواطر

بجميـل عـاهلـه يسبـح شـاكرا ... مـا شعبنـا إلا لـه هـو شـاكر

يـا بـارك اللـه الـولاء موطـدا ... آوتـه منـا أنفس وضمائر

محمد نجيد

وقاية الله أغنت عن مسلحة

للشاعر الشيخ الحاج ابن عباس هل التجاني

يا ثاني الحسنين القائد الثاني — في قرن عشرين من قاص ومن دان
لله درّك ربٌّ ناصركم — في السر والجهر إحسانا بإحسان
بنيتم المجد فوق المجد مجدكم التليـ — ـد ما مثلكم في الناس من بان
فسنة الجد خير الخلق - تشكركم - — شيدت ركنا لها تعلو بأركان
رباطكم برباط الفتح يربط ما — بين رجال النهي من كل بلدان
شعارهم كلمة لله واحدة — من بعد ما قنطوا رغما لشيطان
أحييت نافع علم طالما اندرست — آثاره في البرايا منذ أقران
قد أخطأ السهم ممن قاس غيركم — بكم ثباتا، عظيم القدر والشان
من كل ذي ثقة بالله منتصر — بنصر مولاه، لا واه، ولا وان
أنت الوحدي المفدى أنت ناصر من — وافاك مغتبطا يا ريَّ ظمئان
والإسم والوصف والأفعال شاهدة — لكم على سبقكم في كل ميدان
وكل ذلك بعض من مآثركم — لم يختلف أبدا في ذلك إثنان
تبارك الله، هذا فضله كرما — لكم، وقد خصكم من دون أقران

فـدم على عرشـك الميمـون طـائره … مـا شئت بـاليمن مقبوضـا بـأيمـان

وقـايـة اللـه أغنت عن مسلحـة … من كـالأسـود من أبطـال وشجعـان

جـزاك عن معشر الإسـلام قـاطبـة … مـولاك مـوليـك مـا أولاك من شـان

على المشفـع فينـا أصـل دوحتكم … وآلـه وعلى الصحب السّـلامـان

«إن الشيخوخة لا تعدو أن تكون عادة سيئة لا يجد الرجل الكثير المشاغل وقتا لممارستها وإدمانها» !.

هذا ما قاله الكاتب الفرنسي «أندريه مورا» الذي مات بعد سن السبعين من عمره.

الشيخوخة ليست بعدد السنوات التي يعيشها الإنسان. وليس الشباب زمنا من أزمنة الحياة، بل هو شعور في النفس وإرهاق في العزيمة وتوقد في الخيال ونشاط في العواطف وغلبة حب المغامرة على حب الراحة.

الشيخوخة مرحلة من مراحل العمر يمكن أن يجعلها الإنسان مفيدة ومقبولة وسعيدة، وإذا كان للطفولة أو للصبا أو للشباب جماله فإن للكهولة أيضا حلاوتها وجمالها فهي تمثل في عمر الإنسان الحكمة والعقل.

القلب الآمن

بمناسبة عيد الشباب

للشاعر شهاب حنبكي

يقـولـون : «إن اليـوم صفـو وإبراء ... وجمـع على حب المليـــك، وإثراء»

فقلت لهم : «ستون عاما قـد انطوت ... وقلبـــه معطـــاء، وذكره وضـــاء

هـو «الحسن» المنصـور يبني معـالمـا ... لهـا في حيـاة الشعب سعـد وأفيـاء

لـه في جموع الخلق صوت محـاضر ... يلبى إذا نـــادى، ودنيـــاه غراء

تعم لـــه الأفراح في كـل بلــدة ... فتشرق آمـال، وتـــزهر فيحـــاء

يجـود بصـــدق القــول، والقلب آمن ... وتهتـز إعجـــابـا، بـلاد وأرجـــاء

وتصغي لـه الـدنيـا، إذا قـال قـولـة ... فرأيـــه أحكـــام، ومرمـــاه لألاء

وتحنى لـه الهـامـات طـوعـا لحبـه ... وتـزهـو على الأيـدي سهـول وصحراء

هـو «الحسن» المـوهـوب قـل مثيلـه ... يبيت على التقـوى، وفكره معطـــاء

أرى في عيـون الكـون أنقى تحيـــة ... لمن وحـد البلـــدان، والأرض خضراء

☆☆☆

صـــــــادق الـــــوعـــــــد

يقـولـون : «إن الـوعـد حـق وإقبـال
ووعـــد المليـــك الحر بر وأفعـــال،

فقلت لهم : إن المليـــك، وقـــد وفى،
جـدير بصـدر العرش، والقـدر إجلال

فمــا أجمـل الأيـــام هـــذي بمغرب
أتيـح لـــه بـــالعـز، عرش وأشبـــال

تسـامت عيـون القـوم فخرا بمـا رأت
بـلادا بهـا الأيـدي عقـود وآمـال

يخطف عين الحب بـــدر وزينـــة
وتبهـــج أيــــام الفتـــوة أرتـــال

نمـــد لـــه الأيـــدي ليحمي تراثنـــا
ونرقص للـدنيـــا، وعرشـــه فضـال

يبين لــه الرأي السـديـــد مصـدقـا
ويرقى بصدق القول، والـدهر يختـال

يفـــوه بخير، والكـــلام أمــانـــة
فرده مـــأمـون، وقـولـــه أعمـــال

لــه في قلـوب القـوم حب وطـاعـة
وحيث الـورى جمـع، وظلـه أبطـال

وستـــون عـــامـــا مـــا يـــزال بعـزة
ودنيــاه إشراق جـــديـــد، وآمـــال»

☆ ☆ ☆

نـــــــاصر الإســــــــلام

يقـولـون : «الإسـلام حـق وإنعـــام
وللحسن المعطـــــاء عرب وإســـلام»

فقلت لهم : «تمت لـــه البيعـــة كلهـــا
وإنــــه لــــلإســـلام قطب وعـــلام

يصـــــدق أمرا للبـــلاد ومنهجـــا
ويرعى شؤون الـدين، والـوجـه بسـام

دعـــــاهم إليــــه مرة بعـــــد مرة
فكـــان لـــه بين المجـــالس إكرام

يـؤلف مـــا بين القلـوب بـوحـــدة
يكـون لهـــا صـدرا، ومـــالـــه لـوام

يسير على درب الجـــدود بعفـــة
فللـــدين نصـــار، وللعهـــد قـوام

يقـود جمـــوعـــا للسلام، وعـــزة
لقـــدس بـــه جرح عميـــق وآلام

صفـــا مغرب الأحرار عن كـل زلـــة
وضمـــه في الحنبين ليث وصمصـــام

وضـاءت ليـالي العـز حبـا كـأنهـا
على بسمـة الإشراق في الصبح أنغـام

وأضحت ديـــار المغرب الحرجنـــة
يـزيـده في المغنى بهـــاء وأنســـام

وستـون عـــامـــا لا تنـام جفـونــه
وإنـــه نـور، واعتـــداد، وإقـــدام»

☆ ☆ ☆

قـــائــــــــد المسيرة المظفرة

يقـولـون : «من قـاد المسيرة محرمـا ... وضـاءت دروب النصر حتى ينعمـا»
فقلت لهم : «ذاك الـذي ضم جمعـه ... ألـوف من الأبرار سيـلا عرمرمـا
وذاك الـذي نـادى، فلبت جمـوعـه ... لتسقـط حـدا كـان بـالأمس مظلما
مسيرة سلم، والمصـاحف فـوقهـا ... وعهـد من الأحرار قـد صـار محكمـا
تـلاقت عيـون القـوم بشرا فـأسعـدت ... نفـوسـا، وبـان الحـق للـه معلمـا
وضاءت ديـاجي البيـد حتى حسبتهـا ... ريـاضـا من الفيحـاء، أزهى وأكرمـا
ويـا من رأى الصحراء عينـا تيقظت ... على الحسن «المنصـور درعـا مقـدمـا
ويـا فرحـة الـدنيـا بجمـع أحبـة ... على الخير أوفـوا مغربـا مترنمـا
لجـامـع شمـل المـؤمنين تحيـة ... وللمغرب المحمـود نصرا محتمـا
وستـون عـامـا تـزدهي بنضـالـه ... وللشعب يحيـا قـائـدا متبسمـا»

☆☆☆

راعي العلم والعلمــــــــــــاء

يقـولـون : «إن المغرب الحر محمـود، ... ورأســه مرفـوع، وقـدره ممـدود
وإن يبلـغ الشـأو الرفيـع بعلمـه ... فـإنـه وثـاب إلى المجـد معقـود»
فقلت لهم : «هـذا المليـك وقـد رسا ... لـه في الريـاض الخضر علم وتجـديـد
أضـاء فسيـح الفكر نـورا بعلمـه ... وقـاد شبـابـا للعلى، وهـو مـوجـود
ومـا زال يبني للبـلاد معـالمـا ... لهـا في قلـوب الشعب حب وتخليـد
يطـاول وجـه الشمس فخرا كـأنـه ... سحـائب خير لـلأنـام ومقصـود
بنفسـه حـاجـات تلبي مطـامحـا ... وعقلـه نفـاذ إلى العلم مشـدود
وذا مغرب الأنـوار يمسي بقفـزة ... عتيـدا بـلا وهن وعهـده صنـديـد
وأضحت بـلاد اللـه تهتف عـاليـا ... «ليحيا حبيب الشعب، والعرش مودود»
وستـون عـامـا في القلـوب عـزيـزة ... لهـا من ع الشعب، والعرش مـودود»
وستـون عـامـا في القلـوب عـزيـزة ... لهـا من علـو القـدر بعـد وترديـد»

☆☆☆

عيـــد الشبـــاب وعيـــد الاتحـــاد

وهـــذا من الأعيـــاد عيـــد يسوده — وجـود من الآمـال عـــذب ومقصـود

حـــواضر أيـــام تضم ســـوعـــدا — أقيم لهـــا في معرض القـوم تشييـــد

مصـــادر خير للشبـــاب تعـــانقت — ومغرب سعـــد في الـولاء لـــه العيـد

فمـــا أروع الأحـــداث حين يردهـــا — إلى شاطئ النعمى، وفرســانـه الصيـد

ومـــا أسعـــد الأيـــام لمـــا تضخت — أريجـــا، وفي الآفـاق عقـــد وتعضيـــد

ومراكش الحمراء أضحى نسيمهـــــا — يـــزف لنـــا بشرى، وبشراه تـوحيـــد

تعـــانـق أقطـــاب، وضـــاءت مشـاعـــل — وعمت بـــأنحـــاء البلاد الأغـــاريـــد

ففي المغرب المضيـــاف ضمت جموعهم — وفي المغرب الفياض، صدق وتـوطيد

فللملـــك المنصـــور عهـــد على الـوفـــا — وللـــوحـــدة الكبرى ربـــاط وتسنيـــد

وستـــون عـــامـــا تنطـــوي، ونضـــالـــه — على الجهر قـوام، وفي البر معـــدود»

☆☆☆

ولي العهـــد الشبـــل الفيـــاضـــل

يقـولـون : «ذاك الشبـــل إنـــه فـــاضـــل — وإنـــه، بـــالنفس الكريمـــة فـــاعـــل»

فقلت : «ولي العهـــد شبـــل لقـــائـــد — يسـود على وفر، مجيـــد وعـــاقـــل

هـو الشبـل مـــأمـون على كـــل مربـــع — ترعرع محفـــوفـــا، وذكره حـــافـــل

تربى على أيـــــدي المليـــــك وبره — فكـــان لـــه بين الجمـــوع فضـــائـــل

يقـــوم على نهـــج الـوفي وقـــد غـــدا — جـــديرا بمـــا تحنـــو إليـــه الجحـــافـــل

وأمسى لـــــه المنصـــور أول ســـاعـــد — تُعِـــدُّهُ لليـــوم العظيم الشمـــائـــل

☆☆☆

الملـــــــــك السمـــــــــح

هـــو الحسن الفيـــاض يحيـــا لأمـــة — تعم بهـــا الأفراح، والـــدهر مـــاثـــل

أغر كنصـــل السيف يهتـــز للنـــدى — سمـــوح إذا شـــدت عليـــه المســـائـــل

لبيب أقـــام الحـــق منـــه سماحـــة — قريب من الشعب الـوفي وهـــائـــل

أقـــام لـــذكر اللـــه أعظم مسجـــد — فنعم البنـــاء الصرح، والجمـــع شـــامـــل

وفي كل يوم شاهد لبنائه ... فما أعظم الباني، ولله جازل

نقي... تقي... صادق غير أنه ... على الدين قوام، وبالحق قائل

وإني لأدعو الله ما دمت شاخصا ... بأن يحفظ المنصور، والقلب باسل

وستون عاما يهتدى ببهائه ... وفكره وثاب، وجهده طائل

شهاب جنبكلي





1 ـ تتفاعل عدة بيئات فيما بينها وتتنافس للتأثير على شباب الإسلام في هذا العصر، وهذه البيئات في : الأسرة ـ المدرسة ـ حركات الشباب ـ الشارع ـ الرياضة ـ الاعلام... وأثر هذه البيئات يشمل أجسام شبابنا وأذواقهم وأخلاقهم ووجدانهم وعقولهم... وهذا الأثر يساهم فيه بالتبادل الراشدون والقاصرون فيما بينهم عن قصد، وعن غير قصد... بل إنه يكون من الفرد لنفسه قاصرا أو راشدا... وهو ما يعني في المصطلح الإسلامي (مجاهدة النفس). وهو ما كانت ولا تزال بيئة هامة من بيئات التربية الإسلامية توليه أكبر عنايتها، وتعده أنجح وسائلها في التأثير النافع الدائم في الفرد والجماعة وفي باقي بيئات التأثير والتربية الأخرى المذكورة أعلاه... وهذه البيئة هي «المسجد» بمعناه الإسلامي الصحيح (الجامع) المانع... رغم أن انحراف بيئات التربية الأخرى وانحسارها وقصورها ـ حاليا ـ قد أثر تأثيرا سيئا مقصودا وغير مقصود على دور (المسجد الجامع) في التأثير المرغوب الذي ينبغي أن يكون سلبا وإيجابا، أو بالمفهوم الإسلامي : في (التخلية والتحلية) لنفوس شبابنا... أو (تزكيتها) بالمصطلح القرآني الأعم...

ولن تكون تزكية لنفوس الشيب والشباب، على مدى أعمارهم في حياتهم الدنيا هذه الفانية التي ما هي إلا معبر يجتازونه إلى حياتهم الآخرة في تلك الدار الباقية، إلا بـ«المجاهدة» مجاهدة النفس، جهادا هو أكبر الجهاد وأدومه... وهو الغاية من الإيجاد في الحياة الدنيا... وهو أيضا الوسيلة... فالتزكية هي المجاهدة، والمجاهدة وسيلة وغاية، وهي سياق وسباق ومسارعة لا تفتر ولا تني ولا تهن لترقي بالإنسان المسلم ـ شابا كان أم شائبا ـ قلبا وقالبا نحو تطوير انتفاعه بما أودعه الله فيه من قوى ظاهرة وخفية، حسية ومعنوية، مادية وروحية... وبما سخره الله له من قوى الطبيعة والكون من حوله... غيبه وشهادته... وذلك باستغلال قوى أمانته ومسؤوليته وحريته واختياره... من سمع وبصر وفؤاد... استغلالا ينفع ولا يضر... يصلح ولا يفسد... يطهر ولا يلوث...

وهذه التزكية أو المجاهدة أو التخلية والتحلية، عمل متواصل دائم مثابر، قد يكون صعبا في البداية ولكنه بالمكابدة يسهل ويصبح عادة هينة لينة... لأنه حق... والحق كما قال سيدنا أبو بكر الصديق في وصيته عند موته لسيدنا عمر الفاروق رضي الله عنهما وأرضاهما : «إن الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء وإن الباطل خفيف وهو مع خفته وبيء...». وما المجاهدة للنفس إلا عمل من أعمال الحق... ولن يكون الحق مريئا غير وبيء إلا بالاعتياد التدريجي

عليه تدربا وتدريبا... بكل الوسائل التي تمكن الشاب المسلم من أن يربي نفسه تربية مستمرة دائمة... وأن يربيه غيره تربية ينمي بها استعداداته البارزة والكامنة... في جسده وفي فكره... ينمي بها مشاعره التي تسر وتعلن... مشاعره الاجتماعية... كإنسان ودود... لا تبتهج حياته في دنياه إلا بالألفة بين القلوب، والمودة بين النفوس... والإخلاص والثقة والسكون بين من ربطهم الله بصلة الإيمان في مجتمع مؤمن مسلم... مجتمع ملتحم يعيش أهله إخوانا بنعمة ربهم، إخوانا على هدى من ربهم... الجمال في نفوسهم، ومن حولهم... أخلاقهم من أخلاق ربهم... ونورهم من نور الله به يرون، وعلى هداه يسيرون... وسبيلهم هي سبيل الله لا يحيدون عنها.... حتى لا يزيغوا عن مهمتهم الأولى والأخيرة في حياتهم... وهي أن يعيشوا كبشر شهداء على الناس، ورسول الله ﷺ عليهم شهيد، بخلقه العظيم... خلق القرآن... وذاك سلوكهم في حقول الأعمال الإنسانية كلها... في عاداتهم... وفي عباداتهم... في إبداعهم للجمال وفي استمتاعهم به... في بحوثهم العلمية لنفع الخلق عيال الله... وهذا سر جعلهم غاية عيشهم من دنياهم، ووسيلتها أيضا، هي تزكية نفوسهم بمجاهدتها تربية وتعليما... فهم في التربية يبدأون بمعرفة أنفسهم لتقويمها... وهم في تعليمهم «مريدون» و«طلبة علم» من المهد إلى اللحد، الحكمة ضالتهم أينما وجدوها، ومن أي إنسان أخذوها، فهم أولى بها، وهم أهلها، لأن من أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا... والعلم بالتعلم أولا وقبل كل شيء... ثم العلم يزكو على الإنفاق... وزكاة العلم تعليمه... والساكت عن النطق بكلمة الحق في أي مكان أو زمان شيطان أخرس... وكاتم علم علمه الله إياه حقيق بأن يلجمه الله بلجام من نار... وهكذا لا نجد فرقا في مفهوم الإسلام بين التعليم والتربية.... وإن كان هناك من فرق فهو دقيق جدا... ولطيف جدا... ولا بأس من قول القائلين : التعلم والتعليم نوع من التربية، وهمالا يختلطان، ولكنهما ليسا متميزين تماما في واقعهما...

2 - التعليم يمكن اعتباره عملا فكريا تقنيا، والتعلم هو منه الجزء الأهم والفرع الذي لا غنى عنه، والتربية عمل يمكن اعتباره عملا يتعلق بالقلب والروح... والمربي الذي لا يربي نفسه، ولا ينصب من نفسه لمرباه قدوة طيبة وأسوة حسنة، ولا يعود مرباه على تربية نفسه باستقلال واختيار، مرب فاشل يذوب تأثيره في حرارة الصراع بين الجيلين وبيئة التربية التي يعمل وسطها... وتهدم البيئات التربوية الأخرى في لحظة ما يبنيه هو في سنوات...

والتعليم والتعلم تلقين واكتساب... بين العالم والمتعلم... أما التربية فهي اكتساب فقط... والعالم المربي فيها موجه فقط... وليس مسلطا ولا مسيطرا ولا وكيلا ولا جبارا... إنما هو هاد فقط لمن طلب الهدى... وطلب الهدى شعور فطري كامن في نفس كل إنسان سوي النفس، ألهمه الله تقوى نفسه ليطلب تزكيتها، وألهمه أيضا فجور نفسه ليتجنب تدسيتها... وتلك حقيقة المجاهدة عند الشيب والشباب...

وأركان المجاهدة هي كما حددها المربون المسلمون من سلف وخلف استنادا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ :

1 - معرفة أن الإنسان مادة وروح، والتصرف والعيش والسلوك طبقا لهذه المعرفة.

2 - معرفة أن الإنسان فطرة سوية قلبا وقالبا، وما يعتريها من تشوهات أو انحرافات، إنما يأتيها ويطرأ عليها من بيئات التربية المختلفة، وأهمها الأسرة إذا تخلت عن هدى الله...

3 - معرفة أن العالم أو الطبيعة من حول الإنسان مسخر له، ولأجله خلق... وهو معه في وفاق ووئام تامين إذا كان سلوكه على هدى من الله... وهو معه في شقاق وفصام إذا انحرف عن هدى الله وأعرض عنه...

4 - معرفة أن الله تعالى لا يغير ما بقوم أو ما بفرد نحو الخير أو الشر حتى يبدأ أولئك القوم أو ذلك الفرد بتغيير ما بأنفسهم نحو الخير أو الشر...

5 - معرفة أن الأمانة التي حملها الإنسان هي أمانة التكليف بالحرية والاختيار والعقل المنزه عن الهوى وتقليد الآخرين... فالاجتهاد جزء لا يتجزأ من مجاهدة النفس لتزكيتها... والاجتهاد ماض إلى يوم القيامة... وكذلك المجاهدة... والمجاهدة أعم وأشمل... والاجتهاد أخص وأكمل...

6 - التفقه في الدين وفي نواميس الحياة والكون ركن أساس في هذه المجاهدة...

7 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالعلم والحكمة والموعظة الحسنة وبدون تعصب بغيض أو تشنج مقيت ركن آخر أساس في هذه المجاهدة...

8 - الإنسان المجاهد لنفسه فرد كريم في أمة كريمة... لا ينسى أنه من أمة... ولكن لا ينسى قبل هذا وبعده أنه فرد... عالم قائم بذاته... مستقل بنفسه...يحتمل مسؤوليته وحده... يبعث وحده، ويحاسب وحده... فهو في مجاهدته لنفسه يعيش غريبا... سعيدا بغربته... أنيسه كتاب الله... وقدوته رسول الله... يسير في سبيل الله... يرى بنور الله... يعلم علم يقين أنه «طوبى للغرباء» الذين إذا غابوا لم يفتقدوا... وإذا حضروا ذكرت رؤيتهم بالله...

9 - الإنسان الحق يعيش بالقصد والاعتدال في الغضب والرضا، والفقر والغنى... يبشر ولا ينفر... ييسر ولا يعسر...

10 - الإنسان الحق دائما شاب، يقظ، طموح، ذو أمل وثاب... يثق بالله ثم بنفسه... لا تهن له عزيمة، ولا يثبطه حزن... ولا يشله...

تلك عشرة أركان لمجاهدة النفس، إن بني عليها سلوك شبابنا المسلم في حاضره، كانت له خير الركائز التي يثبت عليها شامخ بناء مستقبله...

☆ ☆ ☆

3 - بمعرفتها وبسلوكه طبقا لمعرفته بها... يحيا حياة الإسلام لحمتها الإيمان، وسداها الإحسان... منتصرا بمجاهدته لنفسه على كل شيطان... في حصن حصين مسور من جهاته الأربع بالاستعانة بالله... إن أخطأ يستغفر الله... وإن أصاب يحمد الله... وإن ضل استهدى بالله... يجاهد نفسه في الله : **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين﴾.**

هذه الآية هي شعار شبابنا على مدى عمره الحافل في هذه الدنيا... وشبابنا لا يذبل شبابه ما دام حيا تتردد أنفاسه، وتتحرك أطرافه، ويملك إرادته واختياره ووعيه... لأن الله تعالى يؤكد له، وهو الحق، وقوله الحق، ووعده الحق، بأن مجاهدته فيه، ليصل إليه ويتصل به، وأن كل ما يلاقيه في هذه المجاهدة من مشاق، وما يصادفه من متاعب، وما يتحمله من شدائد وأهوال... لن تضيع هباء منثورا... فستمتد إليه يد الرحمن الرحيم اللطيف الخبير... يد الرضى، لتصب في نفسه الطمأنينة، وتمسح عن قلبه الحزن والشجن، وتذلل له المصاعب، وتزيح عن طريقه الأهوال والمخاوف... وتوضح له المسالك، وتمنحه بمحض الفضل والكرم النور الذي ينير له حالك الظلمات، فيهتدي ويصعد ويسمو ويرتفع ويصل ويتصل... وذلك جزاء الإحسان من الغفور الودود ذي العرش عز وجل، وهو لا يضيع أجر من أحسن عملا... إنه كان من المحسنين... **﴿وإن الله لمع المحسنين﴾**... كان من المجاهدين... جاهد نزغات الشياطين من الإنس والجن... جاهد نفسه، فلم تسول له أمرا من أمور الشر... ولم تأمره بأمر من أمور السوء... جاهد أهواءه فقاومها... جاهد شهواته فكبتها في الحرام... وصرفها في الحلال... وحتى في عرف (الاتجاه العلماني) في التربية فإن على المربي وعلى المربى أيضا أن يبذلا الكبير من الجهد والكثير من المعاناة لتغيير وتطوير الغرائز الحيوانية عند الإنسان... وفرويد نفسه في توجهه المارق نحو إطلاق هذه الغرائز الحيوانية من عقالها يرى ضرورة كبت (الليبيدو) الكبت الإيجابي، للسمو بالغرائز... وتكوين عقدة أو ديب، والأنا المثالي... وما هذا الليبيدو إلا مصطلح يعني الشهوة الشبقية مثل به فرويد

الطاقة الكامنة في الإنسان والتي تعبر عن نفسها بالغريزة الجنسية... وأما عقدة أو ديب... فهي عدم تطور في نمو الغريزة الجنسية نموا طبيعيا ـ عند فرويد ـ بأن تتجه نحو الأم من الابن بتقمص الابن لشخص أبيه... وتقمص الابنة لشخص أمها... وأما الأنا المثالي فهو وعي لا شعوري أو (لا وعي) في معظم مكوناته التي تتجمع تلقائيا من تمثل الإنسان منذ مراحل طفولته الأولى لما يلقى إليه من أوامر ونواهي، خاصة من والديه... وكل هذه الثلاثة ضرورية لحسن تكيف الإنسان مع نفسه وغيره في بيئته، ولكن بشرط ألا يؤدى كبت الليبيدو إلى (العصاب) وهو نوع من الخلل النفسي ناشئ عن الفهم الخاطئ للتربية... وما الفهم الخاطئ للتربية عند مربي الإسلام إلا سوء فهم مقصود أو غير مقصود للشعور الإنساني ووعيه وما متعه الله تعالى به من عقل يدرك وقلب يفقه... ووسائل تعين على الإدراك والفقه هي السمع والبصر... بها تتحقق إنسانيته وتتأكد أفضليته وكرامته... وبها يتحمل الأمانة التي لم يحملها سواه... يتحملها عن طواعية واختيار ووعي... لا عن (لا وعي) أو إكراه... بظلم منه وجهل... ظلم منه لنفسه ناشيء عن جهل منه لها... فالوعي بالسمع والبصر والفؤاد هو النواة الأساس العميقة في الفرد والمجتمع الإنسانيين... وكل تربية لا تجعل وكدها وهمها في جعل الإنسان إنسانا حقا يحي إنسانيته، ويجاهد نفسه ليزكيها... فهي تربية ترويض لحيوان مفترس... يبقى في أعماقه نداء الغابة كامنا... يناديه للافتراس والفتك... وهو ـ كلما وجد الفرصة ـ يبادر إلى تلبيته بكل ما فيه من غرائز الحيوان...

أما الإنسان الذي تربى ليربي نفسه، أي ليزكيها بمجاهدتها... فإنه هو الإنسان الذي ربى شعوره واعيا بما يريد أن يحققه من حياته بهذا الشعور الواعي المسؤول... فهو يسبق لديه كل تعلم وكل تربية... لأنه هو نفسه (تَرَبٍّ) أولي وعميق وهادف وذاتي ودائم ومعتدل... صاحبه شاب دائما ما دام يتمتع بكامل قواه... لا يعرف الهم ولا الحزن، ولا العجز ولا الكسل، ولا الجبن ولا البخل، ولا غلبة الدين ولا قهر الرجال... لأن كل هذه المعوقات والمثبطات لا يمكن أن يتسرب ظلها إلى نفس المؤمن الشاب ـ في كل مراحل عمره ـ المجاهد في كل أحيانه وأحواله... فهو مجاهد لنزعات غرائزه، يكبتها كي لا تنزع به إلى إفراط ولا إلى تفريط... مجاهد لأثرته وأنانيته ليسمو بها إلى الإيثار على نفسه ولو كانت به خصاصة، بدون انتظار لجزاء أو شكور... نزع ما في صدره من غل... فلم يعد في قلبه ولا على لسانه إلا : ﴿**ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم**﴾... وهذا كله لا يعني أنهم تخلوا عن واجبهم في الجهاد... الجهاد الماضي إلى يوم القيامة... جهاد أعداء الله تعالى من الكفار والمنافقين بالجنان واللسان والسنان... في سبيل الله لتبقى العليا دائما هي كلمة الله... وبهذا يكون حقا على الله تعالى أن يبشرهم، ويؤكد لهم البشرى : ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين**﴾.

☆ ☆ ☆

4 ـ هناك سؤال يتبادر إلى الذهن الآن، ويطرح نفسه بإلحاح : هل شبابنا اليوم على أثر أسلافه الكرام البررة سائر ؟ يجاهد في الله حق جهاده بكل ما أوتي من قوة ؟ لا يخشى في الله لومة لائم، ولا سطوة فاجر ظالم ؟

لابد من التذكير أولا أن جمهور المفسرين قد فسروا القول العلوي الكريم : ﴿**والذين جاهدوا فينا...**﴾ قالوا : «يعني الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين».

وهنا يرد سؤال آخر : شبابنا اليوم ـ رغم كل نقائصه وهفواته، أليس من أتباعه ؟ إذا كان الجواب ببلى، فهو مطالب بالجهاد في الله حق الجهاد.. يجاهد نفسه أولا، ويجاهد أعداء ربه ثانيا.. وذلك بإصلاح أخلاقه وأحواله، وتطهيرها من الرجس، ومن الغل للذين آمنوا ثانيا.. إن

جاهد في الله بكل هذا ـ أو ببعضه، إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ـ فإن الله تعالى الذي يجازي الإحسان بالإحسان، سينير بصره وبصيرته، ويهدي قلبه إلى طرق الخير والمحبة والفضيلة والسلام والعزة والرفعة والعلا في الدنيا.. وطرق النعيم والفوز والفلاح والرضوان في الآخرة...

وهذا كتاب الله تعالى بين أيدي شبابنا، تحفظه السطور والصدور، وهذه سنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لا زالت هي أيضا تحوطها وتحفظها السطور والصدور.. ورسول الله إن كان اليوم شخصه المقدس الكريم غائبا عن شبابنا، فهو لا زال قائما بين ظهرانيهم، بما تركه فيهم من الكتاب ـ لا زال في شبابنا من يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، ويتدبره ويتعلمه ويعلمه، ولا زال في شبابنا من يذب عن سنة رسول الله ﷺ، ويدافع عنها، ويطبقها في نفسه وأهله ومن حوله، ويسعى ويدعو بكل جهده إلى تطبيقها في المجتمع...

إذن، فشبابنا يعلم.. يعلم بكل تأكيد.. ولا عذر له في الجهل، فلم يبق له إلا أن يعمل بما يعلم.. وقد فسر بعض السادة العلماء من سلف شبابنا الصالح هذا القول الكريم الحكيم : ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين**﴾. بأنهم هم الذين يعملون بما يعلمون، يهديهم الله لما لا يعلمون.. وتلك ثمرة مجاهدة النفس.. ومن كان الله معه بإحسانه جزاء إحسانه.. جعل إحسانه الحق في تزكية نفسه ومجاهدتها بإعطاءمن حرمه، عمن ظلمه، ووصل من صرمه.. قال الإمام الشعبي رحمه الله : قال عيسى بن مريم عليه السلام : «إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك، ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك.. هذا ما تريده النبوة الكريمة من لدن آدم إلى محمد عليهم صلوات الله وسلامه عليهم جميعا من شباب الأمم.. ليكونوا مسلمين مسالمين، مؤمنين آمنين، مجاهدين مجتهدين.. فماذا تريد منه المذاهب الهدامة ؟ هذه بعض الأمثلة :

ـ الدكتور ر.د. لينج عالم نفساني اسكتلندي، يعده كثيرون من القراء الشباب ـ الطلاب الجامعيين منهم، وأعضاء الحركات السرية كمعلم ديني.. هذا الرجل دافع علنا عن المخدرات (التي توسع العقل)، وهو الذي طور في كتاب له سماه : «الذات المنقسمة» مفهوم العداء لكل ما هو منظم ومأثور.. ومجد العنف باعتباره قوة مطهرة للشباب، يحرره من اليأس والكسل، ويعيد إليه احترامه لذاته...

ـ أما هربرت ماركوز فيقول بكل صراحة : «هناك في المصطلح التاريخي فرق بين العنف الثوري، وبين العنف الرجعي، بين العنف الذي يمارسه المظلومون، وبين العنف الذي يمارسه الظالمون، وكلا نوعي العنف ـ في المصطلح الأخلاقي ـ غير إنساني وشر، لكن متى اتبع التاريخ المقاييس الأخلاقية ؟».

وماركوز هذا اعتبره كثير من المعلقين الأب الفكري لأحداث الطلبة في مايو سنة 1968م، بفرنسا وهو يبني آراءه على أنه من الضروري تغليب جانب «المنازعة والرفض» من الشباب لكل عوامل (الدمج والتلاؤم) التي تريد دمج الشباب في مجتمعه كعضو بناء غيرهدام... عضو منتج ومستهلك في نفس الحين... ولكن مجتمع الإفراط والتفريط والإباحية المطلقة سرعان ما يدفع شبابه إلى الاستهلاك.. والاستهلاك فقط.. والإنتاج للاستهلاك فقط.. فيغرق الشباب في الاغتراب.. ونقص القدرة على المشاركة الوجدانية مع الآخرين والاتصال بهم اتصالا حقيقيا... فيشعر بالعزلة والعبث وانعدام الجدوى من الإنتاج والاستهلاك، بل تفقد اللغة نفسها قدرتها عنده على البيان والتعبير الحقيقي عما تكنه النفس.. ويردد الشباب شعارا مكتوبا في لافتات ومتداولا على الألسنة : (أريد أن أقول شيئا، ولا أعرف ماذا سأقول).. ويرضى الشباب في عزلته هذه أن يقول هو نفسه : (نحن مسعورون، ولا بأس بأن نصب بالسعار).. لماذا كل هذا ؟ لأن الشباب فقد نفسه في ابتعاده أو إبعاده عن الله !!

5 - أما الشباب المسلم فهو يعرف أن أساس المجاهدة المتين وركنها الركين هو جهاد النفس حتى لا تقع في معصية الله تعالى.. أن يعلم علم اليقين أنه بإصلاحه ما بينه وبين الله يصلح ما بينه وبين نفسه، وإذا صلح ما بينه وبين نفسه صلح ما بينه وبين الناس.. ولهذا فهو يرى، ويجب أن يرى بنفسه، أن من أوكد واجباته أن يعرف نفسه حق المعرفة، ليتمكن من مقاومتها، والتغلب على شهواتها.. وهو يرى أن نفسه تتقلب بين أربع مراتب بعضها فوق بعض.. وهو يرى - بعين بصره وبصيرته - أنه كمؤمن كلما جاهد نفسه، تمكن من أن يعلو بها مرتبة أو درجة فوق التي كانت عليها..

ودرجات النفس أو مراتبها هي :

1 - النفس الأمارة : وهي التي لا تأمر صاحبها إلا بما لا يرضي الله تعالى.. ولا قدرة لصاحبها على عصيانها إلا بمجاهدة... وإلا فهي تأمر وهو يطيع.. فإن جاهدها وحقق إنسانيته وانتصر، ارتفعت إلى :

2 - النفس المسولة : وهي أقل كيدا وضررا من النفس الأمارة، ولكنها تسول وتزين لصاحبها المعاصي والرذائل، فإن استسلم لنزعاتها هوت وهوى، وإن جاهدها وحقق إنسانيته وانتصر، ارتفعت إلى :

3 - النفس اللوامة : وهي النفس التي يبلغ صاحبها المجاهد درجة من السمو في المجاهدة تجعل من نفسه عونا له، وعينا عليه، فإن أشرف على الوقوع في إثم من الآثام من الكبائر الموبقة، أو وقع في إثم من صغائر اللمم، فإنها تلومه.. فإن أطاعها ارتفعت إلى :

4 - النفس المطمئنة : وهي نفس عباد الله المخلصين، الذين صرف الله تعالى عنهم السوء والفحشاء، ولم يجعل للشيطان عليهم من سلطان.. وهي النفس التي أجارها الله من كيد الإنسان والجان.. وهي التي يقول عز وجل في حقها : ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾.

وكل أصحاب النفوس الثلاث الأولى يمكن أن يهووا ويرتفعوا، إلا أصحاب النفس الرابعة المطمئنة، فهم في حصن حصين من رضوان الله تعالى، يحميهم من الهوي والسقوط، ولا يزيدهم - بفضله وعونه إن شاء - إلا عزا وعلوا ورفعة وقربا ووصولا واتصالا، لأنهم قد جاهدوا فيه فهداهم سبله، وبلغهم درجة المحسنين الذين تكرم عليهم بمعيته، ومن كان الله معه فلن يضره إنس.

☆ ☆ ☆

6 - إن المجاهدين أنفسهم قد حددوا لنا بكل دقة درجات النفس، وعرفونا أن المجاهدة بكل معانيها هي السبيل إلى الترقي بهذه النفس، والسمو بها إلى أعلى عليين، وأن الانصياع للأهواء والشهوات والغرائز الدنيا، ووساوس شياطين الإنس والجن، هي هي السبيل إلى تدهورها في أسفل سافلين.

والشباب في قلة تجربته، وحماسه، واندفاعه، قد يندفع في طريق محفوف بالشهوات والأهواء، تغريه كثرة الهالكين، ويعرض عن الطريق المحفوف بالمجاهدة والمكاره، مغترا بقلة السالكين.. ومغريات الشباب، ودواعي اغتراره، في نفسه، وبنفسه، ثلاثة، هي أصول المعاصي كلها صغارها وكبارها، وقد حددها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه القيم «الفوائد» :

1 - تعلق القلب بغير الله.
2 - طاعة القوة الغضبية.
3 - طاعة القوة الشهوانية.

فمن يعلق قلبه بغير الله يكله الله تعالى إليه، وقد يمضي في الهوي الانحدار حتى يصل إلى هاوية الشرك والعياذ بالله، فيتخذ مع الله آلهة أخرى.. ولم يكن في أول أمره إلا متعلقا قلبه بمال، أو بجاه، أو بمعشوق..

وأما مطيع القوة الغضبية، فإنه يحسب نفسه شديدا قويا، من حيث إنه أضعف الضعفاء، وقد يمضي به استسلامه لغضبه إلى درجة قتل النفس النفس التي حرم الله..

وأما مطيع القوة الشهوانية، فإنه كالهيم (الإبل العطاش ولا ترتوي) لا تزداد مهما شربت إلا عطشا.. إنه يشتعل شهوة... ويميل معها حيث تميل به، حتى تسقطه في كبيرة الزنا، أو ما هو أشد هولا وفظاعة والعياذ بالله.

والجهاد في الله تعالى، من أوائل أموره - إذا كان حق الجهاد - مقاومة هذه الأصول الثلاثة للمعاصي أشد المقاومة.. فالمنصاع لها والمستسلم لا يقع في إحداها، ولا تناله عواقبها الوخيمة - وحدها، بل إن كلا منها مؤدية إلى الأخرى.. فتعلق القلب بغير الله يؤدي إلى الاستسلام لقوة الغضب في النفس، ثم إلى الاستسلام لقوة الشهوة، والعكس في كل الحالات صحيح، إذ أن الاتجاه مفتوح من جميع الجهات بين هذه الأصول الثلاثة للمعاصي...

والسبيل إلى تحصين شبابنا نفسه من هذه الموبقات الثلاث، وهو السبيل الوحيد، هو المجاهدة في الله حق المجاهدة، حتى يصبح المؤمن الشاب المجاهد من ذوي النفوس المطمئنة، أو على الأقل من ذوي النفوس اللوامة.. أي من المؤمنين الصالحين المحسنين المتمتعين بمعية الله تعالى، الذين تواتيهم أنفسهم على فعل الخير عفوا، فإن لم تواتهم على الخير عفوا، أكرهوها عليه إكراها، حتى يصبح الخير والإحسان لها عادة مألوفة لا تستطيع التخلي عنها...

☆☆☆

7 - إن خير المجاهدة هو جهاد النفس وأهوائها وشهواتها، وهو الجهاد الأكبر كما ورد عن رسول الله ﷺ..

فالشاب المؤمن إذا مال مع ما تتعلق به النفوس والقلوب من أهواء وشهوات، انشغل بها عقله وقلبه، ورانت على قلبه، وغلفته بغلاف أسود يحجب كل نور.. فلا ينتفع صاحب هذا القلب بنصح ولا وعظ ولا عبرة.. والإمام ابن القيم رحمه الله يقدم لنا مثلا أعلى رائعا عن مقام المجاهدة العظيم في شخص النبي الرسول الكريم ابن الكريم ابن الكريم، سيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام، فيقول عنه : والله ما صعد يوسف عليه السلام ولا سعد إلا في مثل ذلك المقام - أي مقام مجاهدة النفس - فلو كان وافق هواه من كان يكون ؟

فبمجاهدة النفس يسمو كل شاب ويصعد ويسعد، ويرتفع له عند الله، وبين الناس، نجم اليمن والسعود، ويفوز بعزة الإيمان في الدنيا، وبدرجة الإحسان في الآخرة.

ولهذه المجاهدة طريقة عملية بسيطة واضحة، يمكن لأي مؤمن صادق حي النفس والقلب والضمير، شاب دائما مهما تقدم به العمر، لأن روحه دائمة شابة، أن يسلكها ويكابد مشاقها صابرا محتسبا، ليصل في نهايتها إلى الله، ويتصل به بحبل متين من طاعته وتقواه ورضاه.. فيهديه الله تعالى سبله ويكون معه في كل حين من أحيان سيره إليه، وعلى كل حال من أحوال كدحه إليه، ليلاقيه في أطهر حالات الطهر، وفي أنقى حالات النقاء.. ولله الفضل والمنة من قبل ومن بعد على أن هدى إلى الإحسان ومن به..

وطريقة المجاهدة في الله لها عدة أركان حددها سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، ووضحوها، وهي : العزلة، والصمت، والسهر، والصيام...

1 - العزلة : ليس معناها أن يترهب المؤمن المجاهد الشاب، فلا يخالط الناس المخالطة الصالحة النافعة لهم وله في الدين والدنيا، فليس هذا مقصد الإسلام، ورسول الله ﷺ يؤكد : «المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» أحمد.

ويزيد عليه الصلاة والسلام تأكيدا : «يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار» الترمذي ولكن المؤمن المجاهد الشاب يعتزل الكفر والفسوق والنفاق، ويعتزل مجالس اللهو واللغو، بل وحتى المجالس التي قد لا يذكر فيها الله.. وإن ذكر فقد يذكر استهزاء أو بتهاون أو حرج...

وهذا رسول الله ﷺ يوصي سيدنا حذيفة بن اليمان، إن أدركه زمن الفتن والأهواء : «...تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.. قال : فإن لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام ؟

قال : اعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك» البخاري.

2 ـ الصمت : هو في اصطلاح الإسلام وعرفه تهذيب اللسان وحبسه عن قول السوء والفحش واللغو.. فرسول الله ﷺ يشترط ويضمن : «من يضمن لي ما بين لحييه (لسانه) وما بين فخذيه، أضمن له الجنة» أبو داود.. إن من أهم الأمور وأوكدها في دين الله تعالى أن يحفظ المؤمن لسانه رغم ما قد يعانيه من العنت والصعاب في ذلك.. المؤمن المجاهد الشاب يحفظ لسانه ويضبطه ويلجمه، فلا يقول شرا، بل ولا لغوا.. لا يقول إلا خيرا. يقول ﷺ :«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليصمت». البخاري.

وتعويد المجاهد المؤمن الشاب نفسه على الصمت إلا حين النطق بخير أو معروف ركن هام من المجاهدة في الله تعالى، وبدونه لا تتم ولا تنجح هذه المجاهدة.. بل إن المؤمن المجاهد الشاب يعود نفسه على الصمت حتى عن كلمة المعروف والخير، إذا كان المكان أو الزمان لا يناسب لقولها...

3 ـ الصيام : يقول عليه الصلاة والسلام : «عليكم بالحزن فإنه مفتاح القلب. قالوا : وكيف الحزن يارسول الله ؟ قال : أحنفوا أنفسكم بالجوع وأظمئوها» الطبراني. لأن الإنسان الذي لا يعرف قلبه الحزن لنفسه وللناس على ما يبتلون به، يطغى ويغتر.. وينادي عليه صلاة الله وسلامه الشباب : «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» البخاري.. وهكذا نرى أن الصوم يكسر شرة النفس وحدة الشهوة.. ولكن على ألا يجيع الصائم نفسه بالنهار، ليطلق لها العنان بالليل.. بل إن المجاهدة للنفس بالجوع في الإسلام لا تقوم بالصوم فقط، بل باتخاذ الطعام وسيلة من وسائل حفظ الحياة للتمتع بها في ذكر الله وشكره وحسن عبادته.. وذلك بالأكل والشرب في غير أيام الصوم بالقدر الذي لايسقط الإنسان في الإسراف المحرم شرعا، ولا في التوسع المكروه الذي يدفع بالنفس إلى البطر وكفر النعمة وعدم مشاركة المحرومين آلامهم.

4 ـ السهر : لا يعني في دين الله أكثر من يتحكم المؤمن في نومه.. بدون إفراط ولا تفريط.. فالمؤمن الشاب المجاهد لنفسه ولأهوائه في الله يحافظ على صلاة الفجر في أوقاتها مع الجماعة، إن لم يكن هناك مانع قاهر.. والمؤمن الحق الشاب المجاهد لنفسه وشيطانه وأهوائه وشهواته يحافظ على القدر الذي يطيق من قيام الليل للتهجد والاستغفار بالأسحار، رغم ما يبدو في ذلك لمن لم يتعوده بالتغلب على نفسه من الصعوبة في أول الأمر، وصدق الله العظيم : ﴿**إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا..**﴾. وقد سئل رسول الله ﷺ : «أي الدعاء أسمع يارسول الله ؟ قال : جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات..».

ودائما يبقى أي عمل في الإسلام حسنة لا تضيع بين سيئتين، أي أنه توسط واعتدال بين إفراط وتفريط..

☆ ☆ ☆

وها هو شبابنا في مغربنا الحبيب يحتفل بعيده المجيد.. الذي هو عيد ميلاد قائده ورائده أمير المؤمنين الحسن الثاني رعاه الله.. فبماذا توحي إليه هذه الذكرى ؟

توحي إليه بمجاهدة نفسه في الله، وبالخروج من شهواته وأهوائه، وبتصحيح هفواته.. وبالاستقالة من زلاته وعثراته...

توحي إليه ببذل المزيد من الجهد والمجاهدة للخلاص من لذة المغريات التي قد تستهويه وتدفعه إلى الركون إلى الشهوات والأهواء، والاستنامة إلى وساوس الشياطين...

توحي إليه بأن يجاهد لاكتساب القوة والمناعة واليقظة، وألا يستهين بأهل الغفلة والمعاصي، ويعتبر بحالهم حتى لا يكون مثلهم..

توحي إليه بأن يجعل من قائده ورائده أمير المؤمنين قدوة في الجهاد والمجاهدة والاطمئنان إلى الله وبالله..

والسكون إلى ما يرضي الله، في كل الأحيان والأحوال...

8 - وقد ألقيت على نفسي هذا السؤال، وأنا أستعد لكتابة خاتمة هذا المقال :

ما هي ملامح طريق شبابنا إلى جهاد نفسه الجهاد الأكبر، في عصر اختلطت فيه الملامح، وتشابهت المعالم ؟

وكان جواب هذا السؤال هو هذه الملامح والمعالم، التي حددها بوضوح ووعي العالم المؤمن المرحوم محمد فريد وجدي، في كتابه الفريد (الإسلام في عصر العلم) ص 356 - المجلد الثاني، وهي مسك ختام المقال :

«1 - معنى الإسلام أن تسلم وجهك لله مجردا من علمك وعقلك وحولك وقوتك وتقاليدك كلها، الفقر شعارك، والخشوع دثارك، والتقوى والرجاء والضراعة صفاتك، متجردا له كيوم ولدتك أمك، على الفطرة، لتحقق عبوديتك وتمحو أنانيتك، وليصح الاتصال بينك وبينه بلا حجاب من عرض عقلي أو أثر وراثي، أما لو اتجهت له وأنت مملوء دعاوي ومزاعم، وفاهم أنك على شيء، فأنت تتجه لمعلوماتك ومعقولاتك وليس هذا من الإسلام في شيء.

2 - الإسلام بالمعنى المتقدم هو دين الأنبياء، ومقدمة الفتح عليهم، وهو الدين العام الذي يرضاه كل من أدركه..

3 - الإيمان أن تؤمن بالأمور الستة المبينة في القرآن، بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقضائه وقدره، كما جاءت في القرآن الكريم بالأدلة التي نص عليها الخالق العظيم بإزاء كل واحد منها.

4 - الزيادة على ما جاء في القرآن من الأدلة هو من خلط الفلسفة، ومتى اختلطت الفلسفة بالدين تحول الدين إلى فلسفة، وصار قابلا مثلها للأخذ والرد، وهو ما يعلو الإسلام عنه، لأن الإسلام لا يمكن التفرق فيه.

5 - دواء الشكوك في أمور الإيمان مبين في كتاب الله، وهو الذكر وكثرة الطلب من الله للهداية.

6 - ما طرأ الفساد على الأديان إلا من خلط أهلها العلم بها، والذهاب بها مذهب معقولاتهم، فيصبح الدين صورة علم الأمة وشكل معقولاتها، فإذا ترقت في العلم لا حظت فرقا بين علمها ودينها، فإن تمسكت بدينها تأثرا بالوراثة جيلا، فلا تلبث على ذلك جيلين أو ثلاثة، فيثور حزب العلم على حزب الدين فتصبح الغلبة للأقوى، وحالة أوربا شاهدة بما تقول، وكل حوادث التاريخ تدل عليه...

7 - الدين كل بقوله تعالى : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي..**﴾ وقد أقامه ﷺ على الصراط الذي لا ينحرف عنه إلا منحرف، فلا يجوز أن يزاد فيه بالرأي ولا بالعقل شيء مهما كان صغيرا أو كبيرا، فإن آراءنا ومعقولاتنا تابعة لدرجة معلوماتنا المتغيرة المتحولة، وهي ليست من الدين في شيء، وكل ما جاء به أئمتنا الأربعة وغيرهم، لم يجيئوا به بصفة وحي أو بطريقة إجبارية، كما فعل زعماء الملل الأخرى، بل قالوا كلهم : هذا ما فهمناه والله أعلم. وكانت صلاة بعضهم خلف بعض، وتحابهم وتراحمهم مع اختلافهم، أكبر دليل على علمهم بأنهم لم يختلفوا في الدين، ولكن في العلم، والاختلاف في العلم سنة العالم كله، ولا حق لأحد أن يكفر أحدا بدعوى أنه يذهب غير مذهبه.

8 - العقل الإنساني في هذا العالم خاص بأشياء هذا العالم، ولكن مدركات العالم الروحاني لها عقل أرقى من هذا العقل، يوهب هبة للأنبياء والمرسلين، وهؤلاء الأنبياء والمرسلون لم يؤدوا لنا إلا ما نستطيع إدراكه بالعقل، وما خفي عنا أكثر مما لا يعبر بلسان ولا يتخيل بجنان، فالدين يقضي بأن لا نحكم بما نتعقله في عالمنا هذا على ذلك العالم الروحاني الذي له شؤون وأحوال خاصة، فيلزمنا والحالة هذه أن نتتبع ما قال النبي ﷺ، لا نزيد فيه ولا ننقص منه حرفا، فهو أعلم بمصلحة أمته من أكبر إنسان فيها، وأدرى بما يجوز أن يفشى لها من الشؤون العلية.

9 - ما نحن فيه من اللوث والخبط في العقائد والعواطف، وما عرانا من الضعف والفتور في الحياة والروابط الاجتماعية، بسببه فتنة المدنية الغربية بما حملته

لنا من غث وسمين وحق وباطل، وهي تقارع عالمنا الشرقي كله بكل سلاح، وهي فتنة لا يمكن مقارعتها إلا بأصول أقوى من أصولها وأبعد مرمى، كما هو شأن التغالب في قانون الحياة، ولا يقوى على هذه الفتنة من هذه الجهة إلا الإسلام النقي الخالص، فإن تدرعنا به فزنا ونجونا، وصرنا خلفاء أمة عظيمة دعت إلى أكبر إصلاح في العالم..».

الرباط ـ عبد الله اكديرة

في القوقاز وإكوادور يمكنك أن تعيش 120 عاما !

انصرف بعض الدارسين إلى دراسة أحوال المعمرين في بعض الأماكن، كمنطقة القوقاز في الاتحاد السوفيتي حيث عرف أن هناك واحدا من كل ألف يعيش زهاء المائة عام. ولاحظ الدارسون لهذه الظاهرة أن البدانة شيء نادر الحدوث في القوقاز، وتشكل الفواكه والخضروات الطازجة جزءا أساسيا من وجباتهم. كما لاحظوا أن تلك المجموعات البشرية تتواجد في أماكن بعيدة عن تيارات المدنية والمدينة.

ولعل أكثر سكان العالم شبابا هم القبائل الهندية التي تعيش في وادي فلكايامبا في إكوادور بأمريكا الجنوبية إذ يعمر كثيرون منهم إلى سن المائة والعشرين أو أكثر، وعرف عن نسائهم القدرة على الإنجاب بعد سن الخمسين.

ويرى بعض العلماء أنه أضحى في مقدور المرء أن يطيل حياته الخلاقة بما لا يقل عن خمس وعشرين سنة، فيبدو من يناهز السبعين من عمره وكأنه لم يتجاوز الخامسة والأربعين، والوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك هي العناية بالغدد الصماء والدورة الدموية والمراكز العصبية وأعضاء الهضم. من أشهر الباحثين في مجال مكافحة الشيخوخة الدكتورة الرومانية «أنا اصلان» التي توصلت إلى اكتشاف عقارها المعروف باسم جيرفيتال هـ 3. يقول المترددون على مركز أبحاثها والهاربون من زحف العمر عليهم إن الدكتورة الرومانية تبدو كما لو كانت في أول الخمسينات، ممتلئة حيوية ونشاطا، مع أنها في الثانية والثمانين من عمرها.

حول حيرة الشباب

للأستاذ محمد الإدريسي

في نظري وحسب قناعتي فإن حيرة شبابنا العارمة التي يتخبط فيها مع الانحرافات التي تصدر عنه نتيجة تلك الحيرة تعود كلها إلى عدة أسباب أهمها وأعظمها التناقض : ما يراه من تناقض واضح في الواقع المعاش والمجتمع الذي ينتمي إليه.

إنه تناقض سافر جعله ينفر من الدين وينخرف بشتى صور الانحراف، وهو تناقض طغى في مجتمعنا، نعذر بسببه شبابنا ولا يحق لنا أن نلومه وهو بعد لم يستقر ولم يطمئن وإنما يجدر بنا أن نعود باللوم على من هيأ لجو التناقض في دنيا الشباب حتى صار وهو في فترة المراهقة يخبط خبط عشواء فكأنه في حالة جنون، ولا يماري أحد منا بأن فترة الشباب وعلى الأخص فترة المراهقة هي فترة خاصة ومرحلة عصبية في حياة الشاب تحتاج إلى كثير من العناية وكثير من الرعاية لكي يستقر ويطمئن شبابنا وبذلك نحفظه من التطرف ونحصنه من الانحراف وكأن هذه الفترة هي المقصودة في قول الرسول الكريم :

«الشباب شعبة من الجنون».[1]

وعلى هذا الأساس فشبابنا معذور وهو قد جر جرا إلى جو التناقض وكأنه أرغم على العيش فيه وفي رحابه، ولنمثل لمظاهر التناقض الذي كان سببا مباشرا في زيغ شبابنا كما عالجه الشيخ أبو الحسن الندوي في بحث جامع له، فكان مما قاله :

«... من أعظم أسباب الحيرة التي يعانيها الشباب المسلم اليوم هو التناقض في المجتمع الذي يعيش فيه : تناقض بين ما ورثوه وبين ما يعيشونه وبين ما يلقنونه تلقينا وبين ما يطلبه منهم علماء الدين.

وحل هذه المشكلة هو إزالة هذا «التناقض» الذي يعبر عنه لسان الشريعة ولسان القرآن بكلمة «النفاق» وإن ذلك يحتاج إلى قلب نظام التربية

(1) أخرجه القضاعي في المسند من حديث طويل، والخرائطي والعسكري ورمز له السيوطي بعلامة الحسن، والمعنى كما قال الزمخشري أن الشباب طائفة من الجنون لأنه يقلب العقل ويحيل صاحبه إلى الشهوات...

والإعلام ومؤسسة الصحافة بالمعنى العام، والتلفزيون - الذي جاء حديثا - رأسا على عقب، ويحتاج إلى ثورة عارمة ودقيقة وشاملة، وإلى أناس عندهم الأصالة الفكرية، وإلى الاجتهاد في المواد الدراسية، ويحتاج إلى أن تتبنى هذه القضية الحكومات الإسلامية الكبيرة، وإلى ملء الفجوة بين الكهول والشباب وبين الدعاة إلى الدين والشباب الجامعيين، ويحتاج إلى مكتبة جديدة وأسلوب جديد في الحديث مع الشباب !»[2]

إنه من أجل المعالجة الجذرية لمشاكل شبابنا ولصيانتهم في مستقبل الأيام يتحتم علينا محاربة ذلك التناقض وإزالة مظاهره لأننا قد وصلنا إلى حالة الداء المشخص مما يسهل علاجه، شريطة أن تكون الجدية والإخلاص في العلاج قبل فوات الأوان.

ولكن هناك حقيقة تنادينا تتعلق بموضوعنا وهي أن بعض مظاهر انحراف شبابنا تعود أساسا إلى تقصير الأسرة في التربية في العصر الحاضر بمعنى أن الأسرة كانت وما زالت وكما أراد ديننا هي المدرسة الإسلامية الأولى مصداقا وتطبيقا لقوله تعالى : **﴿يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾**.[3]

وحسب منطوق الآية الكريمة تعتبر الأسرة مصدر خير أو شر أو بناء أو هدم للجيل الصاعد، فإن كانت في مستوى المسؤولية صلح الجيل وإن كانت دونها فسد، ولكن مع وعي كامل وتحمل للمسؤولية يمكن أن تبقى الأسرة هي المدرسة الإسلامية الأولى في مجتمع الإسلام رغم التحديات والمثبطات إذا كان شعارها **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...»**.[4]

وقبل أن نفصل القول عن المدرسة الإسلامية الأولى نلقي أضواء على حديث الفطرة الذي يعتبر بحق الأصل في التربية الصحيحة وضمان استقامة الإنسان لأنه يرجع نجاح التربية إلى الفترة التي يكون الطفل فيها مادة خاما يسهل تشكيلها - إن صح التعبير - والتأثير عليها، وهو حديث فريد في بابه لأنه يحمل المسؤولية كاملة للآباء، فرعاية الجيل الصاعد وتأديب الناشئين هو واجب أولياء أمور الأبناء بالتعاون مع المربين، فهذا التعاون الثنائي ضروري من أجل القيام بعملية تربوية تجمع بين التقوية للعقيدة والتحصين لأبنائنا والتقويم لسلوكهم والترشيد لتصرفاتهم من البداية أي من السنوات الأولى وهي أصعب المراحل التي يميل في صغارنا إلى الإمعية والمحاكاة.

هذا التعهد المستمر لصغارنا والمراقبة الواعية لهم بحكمة تضمن لنا في المستقبل وجود شباب يفهم ذاته ويعي دوره في الحياة ويكون موفقا في فهمه للإسلام، وتوظيف طاقاته وقدراته في خدمة أهداف الدين الحق ومتطلبات أمته الإسلامية، ولكن هذه النتائج المنتظرة المشرفة والباهرة لا تتحقق في الواقع إلا إذا تحملت الأجهزة الإعلامية المسؤولية برمتها وتعاونت مع الآباء والمربين في عملية التربية والتقويم والتصحيح والتحصين بتقديم الإنتاج الطيب الذي يرى ويسمع والذي يجشم سلوكا سويا وقدوة حسنة، ويحبب تاريخنا إلى صغارنا وشبابنا مما يجعله يسير قدما على أثر السلف الصالح، وبذلك يتحقق استقطابهم من أعماقهم فيهتدي بنا بدل أن يضيع.

وسلفنا الصالح إنما جاء صلاحه من تربيته الصحيحة المعتمدة أساسا على القرآن والسنة، ولنمثل لذلك : كان الطفل يلقن التقوى والخوف من الله أولا من قبل جميع الأقرباء والأصدقاء، وهذا مثل واحد لذلك التلقين في عصرنا الإسلامي الزاهي : **«قال سهل بن عبد الله : كنت ابن**

---

(2) عن مجلة (البعث الإسلامي) بالهند عدد 10 - من المجلد : 22 من الصفحة : 20 - رجب 1398 - مايو ويونيو 1978.

(3) الآية رقم 6 من سورة التحريم.

(4) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم والترمذي.

ثلاث سنين وأنا أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي (محمد بن سوار) فقال لي خالي يوما : ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ قلت : كيف أذكره ؟ قال : قل بقلبك ثلاث مرات من غير أن تحرك لسانك : الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي... ثم أعلمته فقال : قلها في كل ليلة إحدى عشرة مرة. فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته... فلما كان بعد سنة قال لي خالي : إحفظ ما علمتك وداوم عليه إلى أن تدخل قبرك. فلم أزل على ذلك سنين فوجدت له حلاوة في سري. قال لي خالي : يا سهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهد عليه... هل يعصيه ؟ إياك والمعصية. ومضيت إلى الكتاب وحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع، ثم كنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير، ثم بعد ذلك كنت أقوم الليل كله».[5]

هكذا كان الطفل يوجه بالأمس... الكل يساهم في توجيهه، وفي تقويم عود إيمانه وتأسيس عقيدته.

والطفل عندنا اليوم حينما يريد أن يأخذه النوم مثلا نقول له : نم يا بني الآن، فحينما تستيقظ سأشتري لك هدية ثمينة. فينام الطفل غير مفكر إلا في الهدية الجملية المنتظرة... هل هي سيارة أم طائرة أم بندقية رشاش ؟.

يشب الطفل عندنا إذن ليعيش على الماديات ويحيا مفكرا بها مستلذا بالسماع عنها فيعتاد التنعم والرفاهية ويضيع حياته كلها فيما بعد في طلبها وامتلاكها. كان الأوائل يبدأون بتعليم أبنائهم الصفات الحسنة من أصغرها لينشأ غير هياب أمام أكبرها.

«كانوا يعلمونه آداب الأكل : ألا يأكل بشراهة وأن يتعود في بعض الأحيان أن يأكل الخبز وحده من غير إدام كي لا يرى الإدام كحتم، ألا يخالط أولاد السوء، ألا يستمع لقول الفحش، أن يكرم لأي فعل محمود فيمدح بين الناس، وأن يعاقب سرا لأية مخالفة، أن يتعود الخشونة في الملبس والمفرش والمطعم، أن يتعلم العطاء لا الأخذ... التواضع لا التكبر والترفع، ألا يفتخر على أقرانه بما لديه».[6]

«حتى حينما يبلغ السبع سنين أمر بالصلاة ولم يسامح في ترك الطهارة ليتعود، ويخوف من الكذب والخيانة».[7]

وآداب الأكل عندنا أن يأكل الطفل فوق الشبع ونفرح حين رؤيته يأكل بشراهة ونهم، بل نصاب بخيبة أمل لو أكل بقلة شهية حتى إننا ننوع له الإدام ليأكل حسب رغبته وحسب ما يشتهي لنعلمه وبصورة غير مباشرة أولوية الأكل وأهمية الطعام فيكبر ليعطي الأهمية الكبرى في حياته لوجبات طعامه، أفيفهم الكد والتعب في الحياة ؟ إنه رجل الأكل والإسراف والتنويع فيه، فلا يعود يرى للفروض الدينية معنى، فيصبح الصوم لديه مثلا - وهو ركن من أركان الإسلام - أمرا صعبا لا يرى داعيا له لأنه يجعله يكف عن التلذذ بالطعام !

أمور بعيدة عن الدين نعلمها نحن لهم دون أن نفقه، نجني بها عليهم فنبعدهم عن المعنى الصحيح للحياة وهي أن الغنى المادي وحده في الدنيا نقمة، والفقر النعمة الأصلية !

لكننا لو جعلنا الطفل يعيش الزهد في هذا الزمن لجنينا عليه بالحرمان والتعقيد، أما لو تركنا له الحبل على غاربه لجنينا عليه بالقحط الروحي وسوء العاقبة.

ترى ماذا يفعل المسلم المعاصر ؟ وكيف يتصرف وهو الأب المسؤول والراعي الحريص في بيته ؟

إن عليه أن يتجهز بكامل أسلحته ليكون جبهة فردية يحارب فيها العالم أجمع كي ينشأ ولده النشأة الإسلامية.

إن تنشئة إسلامية واعية عميقة لصغارنا هي التي تجعل فيهم حبا لدينهم وغيرة عليه، وحجتنا على ذلك هذا المثال العجيب الفريد الذي نلمس فيه الفرق الواضح

---

(5) عن مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي بتصرف.

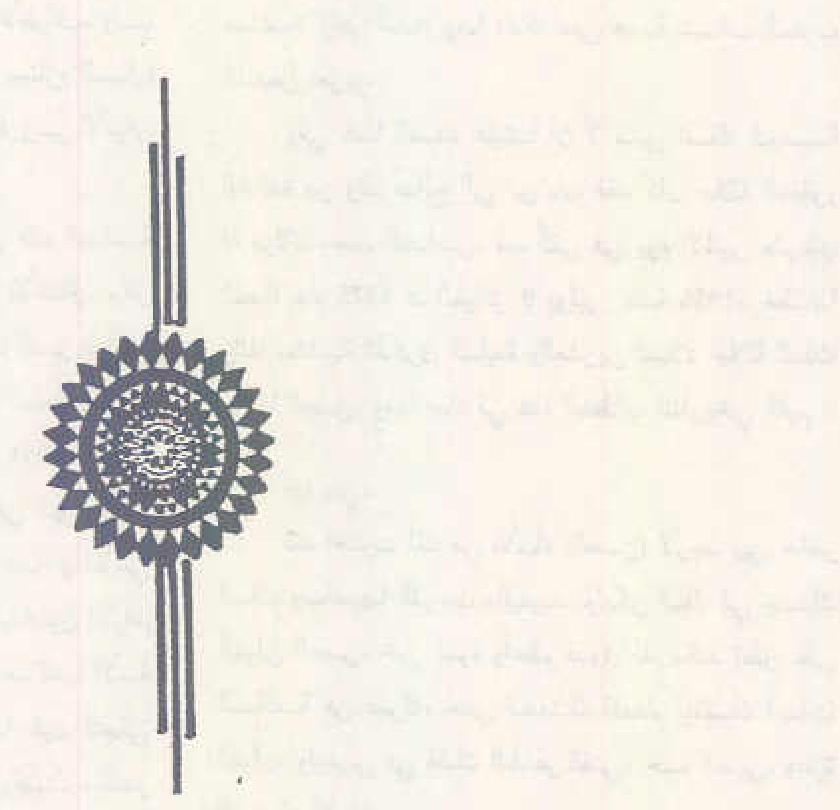
(6) نفس المرجع بتصرف.

(7) نفس المرجع بتصرف.

والبون الشاسع بين أطفال السلف الصالح وأطفال العصر الحاضر، جاء في كتاب «متفرقات في الدين والحياة» للأستاذ أحمد عاشور :

(أن غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون الكرة وأسقف البحرين قاعد فوقعت الكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فأبى فقال غلام منهم : سألتك بحرمة محمد ﷺ إلا رددتها علينا فأبى وأخذ يسب رسول الله ﷺ فأقبلوا عليه بعصيهم يضربونه حتى مات فرفع ذلك إلى عمر رضي الله عنه، فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحه بقتل الغلمان لذلك الأسقف وقال : الآن عز الإسلام أن أطفالا صغارا شتم نبيهم فغضبوا وانتصروا وأهدر دم الأسقف).[8]

الرباط : محمد الإدريسي



(8) الجزء الأول - صفحة 48 - طبعة دار الاعتصام بالقاهرة 1399 - 1979.

عيد الشباب المجيد : 9 يوليوز

الأصالة الإسلامية في الفكر الحسني

للأستاذ محمد بن محمد العلمي

هذا عنوان لموضوع موسوعي شاسع الأطراف، واسع الآفاق، يتطلب الكثير من الدقة والتحري، ويستلزم المهارة في السباحة، والبراعة في الغوص والاستقصاء وسبر الأغوار، والاستقراء، والاستنباط، والاستنتاج.

وقد اخترت التطرق إليه بالخصوص في هذه المناسبة المجيدة لعدة حوافز باطنية، تنبعث من أعمق الأعماق. وكل إناء بالذي فيه يرشح... فغير خاف أن صاحب السمو الملكي ولي العهد المحبوب مولانا الحسن (جلالة الملك الحسن الثاني) كان قد استقبل في شهر نونبر سنة 1951، أعضاء المكتب الإداري لجمعية الطالب المغربي، وفي شهر مارس من سنة 1952 كان قد ترأس حفلة افتتاح النادي الأدبي للطلبة الذين يجتمعون فيه، ويتعارفون، ويتبادلون الآراء، وقد أشار حفظه الله، إلى أن شباب المغرب هم قلب الأمة النابض. فالشباب مناط آمالها، وذخر مستقبلها، فيهم تتجلى مظاهر حيويتها، وبهم يستشهد على نبوغها ورقيها. وبقدر كدهم، يكال لكل أمة، ما تستهدف له من ملامة وهجاء، أو ما تستحقه من إشادة وتنويه وثناء. «فآمل أن تكونوا دائما أيها الأصدقاء، عند حسن ظن عاهل البلاد بكم، وأن تحققوا ما يعقده عليكم من آمال، وما يرتجيه للبلاد وللأمة من حسن المآل... فبذلك نكفل لوطننا عزا مكينا، ولأنفسنا مستقبلا زاهرا آمنا. وما ذلك على همة شباب المغرب الناهض بعزيز».

وفي هذا الصدد علينا أن لا ننسى تلك الوصية الخالدة من والد صالح إلى ابن بار. فقد كان جلالة المغفور له مولانا محمد الخامس، قد ألقى في يوم الإثنين متم ذي القعدة عام 1375 هـ الموافق 9 يوليوز سنة 1956، خطابا رائعا بمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لميلاد جلالة الملك مولانا الحسن. ومما جاء في هذا الخطاب التاريخي القيم :

«يا بني،

لقد اخترت لك من الأسماء (الحسن) لأربط بين حاضر البلاد وماضيها القريب والبعيد، وليكن لك في جدك المولى الحسن، خير إسوة وأعظم قدوة. فلم تكد تطل على السادسة من عمرك، حتى قدمتك للمعلم ليلقنك آيات القرآن، وليغرس في قلبك الطاهر الفتي، حب الدين، وعزة العروبة والإسلام...».

«يا بني،

لم أعتن بتثقيفك فحسب، بل كنت أدربك على تعاليم الإسلام، واحترام أوامره، وإقامة شعائره. كما كنت ألقنك كيف يجب أن تعامل أباك وإخوتك وشعبك والناس

أجمعين، وهكذا نشأت يا بني للكبير محترما، وللنظير أنيسا وملاطفا، وعلى الصغير رؤوفا حنونا، تصل الرحم، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الدهر».

«يا بني،

أقم الصلاة، وامر بالمعروف وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك، إن ذلك من عزم الأمور...».

«أما هديتي إليك يا ولدي، في هذا اليوم، **فهو** رضاي الدائم. ولك من أبيك الحنون، أبرك الدعوات، وأقدس التهنئات».

وعلى هذا النحو، نشأ جلالة الملك الحسن الثاني على أخلاق القرآن الكريم، والسنة الشريفة. فكان من أولئك الذين قال فيهم الله تعالى : **﴿إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله، ولا ينقضون الميثاق﴾.** الآيتان 19 ـ 20 من سورة الرعد.

☆☆☆

وتقديرا لما على عاتقه من واجبات جسيمة، كان جلالة الملك الحسن الثاني، حينما تربع على عرش أسلافه الميامين، يستخير الله تعالى، في أن يؤازره ويعينه، وييسر عليه كل صعب وعسير، ويتلو قول الله تعالى في الآية من سورة آل عمران : **﴿قل اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير﴾.** والآية 15 من سورة الأحقاف : **﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، وأن أعمل صالحا ترضاه﴾.**

إنه وضع الأمة جمعاء أمام مسؤولياتها في الشورى والتناصح، امتثالا لقول الله تعالى في الآيتين 70 ـ 71 من سورة الأحزاب : **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا، يصلح لكم أعمالكم، وتغفر لكم ذنوبكم﴾**، كما أرشد الأمة إلى التعاون على البر والتقوى، وخفض الجناح لبعضها البعض، والتعامل بالحلم والمسامحة، وانتهاج الأخلاق العالية من رزانة وأناة وثبات، تنفيذا لقول الله عز وجل : **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم. ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك. فاعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين﴾.**

وقد كان حرصه الشديد على تعميم التعليم، اقتناعا منه بقول الله تعالى في الآية 9 من سورة الزمر : **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون، والذين لايعلمون ؟﴾** وفي الاضطلاع بمسؤوليات البناء والتشييد، كان يعيي حق الوعي، ما جاء في الآية 58 من سورة الأعراف : **﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا﴾** علما بأن حسن التمييز، لا يجعل العلم يقف عند حد من الحدود، أو يتقيد بأي اعتبار من الاعتبارات. فقد جاء في الآيتين 24 ـ 25 من سورة إبراهيم : **﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾**، وقام بتبليغ الأمانة حق تبليغها عملا بقول الله تعالى : **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم﴾.** وزادت ثقته بالله الذي يقول : **﴿واتقوا الله. ويعلمكم الله، والله بكل شيء عليم﴾.** فأفاد واستفاد، في المعاش والمعاد، وتزود بخير زاد، إيمانا منه بأن (من عمل بما علم، ورثه الله علم ما لم يكن يعلم).

والحسن الثاني المسلم المؤمن، عظيم الرجاء في الله، استعبارا بما جاء في الآية 28 من سورة الشورى : **﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته، وهو الولي الحميد﴾.** ومن هذا المنطلق ألهمه الله بناء السدود. فقد جاء في الآية 30 من سورة الأنبياء : **﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾.** وفي الآيتين 49 ـ 50 من سورة الروم : **﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين. فانظر إلى أثر رحمة ربك كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾.** وفي صدق توكله واعتماده على الله سبحانه وتعالى، نراه يتشبع

بما جاء في الحديث الشريف : «والله، لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا».

وعملا بما جاء في الآية 7 من سورة محمد : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾، والآية 15 من سورة الأحقاف : ﴿**رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، وأن أعمل صالحا ترضاه، وأصلح لي في ذريتي. إني ثبت إليك، وإني من المسلمين**﴾. مصداقا لما جاء في الآية 16 من نفس السورة : ﴿**أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا، ويتجاوز عن سيئاتهم، في أصحاب الجنة، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون**﴾.

☆☆☆

- انطلقت على بركة الله، المسيرة السلمية الحسنية الخضراء، التي شعارها التهليل والتكبير،... وكان المتطوعون فيها رجالا ونساء، من كل الطبقات والشرائح الاجتماعية، لايحملون سوى المصاحف، والرايات المغربية الحمراء ذات النجم الأخضر الخماسي الفروع. وكان كل مواطن من الأمة المغربية المسلمة المؤمنة، يردد ما جاء في الآيتين 48 و49 من سورة الطور : ﴿**واصبر لحكم ربك، فإنك بأعيننا، وسبح بحمد ربك حين تقوم. ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم**﴾ وكان الاختبار عونا على النجاح. فقد جاء في الآية 143 من سورة آل عمران : ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ؟**﴾. وقد تحقق النصر، بالرغم مما بيته الأعداء من دسائس ومكايد، فقد جاء في الآية 43 من سورة فاطر : ﴿**ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله**﴾. وفي الآية 42 من سورة الرعد : ﴿**وقد مكر الذين من قبلهم. فلله المكر جميعاً. يعلم ما تكسب كل نفس. وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار**﴾.

وهكذا رأى مولانا الحسن الثاني - أيده الله ونصره - من آيات ربه الكبرى... وتحقق على يديه الصلح العربي الإسلامي، وكان من أولئك الذين جاء فيهم قول الله تعالى في الآية 10 من سورة الزمر : ﴿**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾. وأصبحنا، سواء في المجال الإفريقي، أو في علاقاتنا العربية والإسلامية، أو معاملاتنا مع الدول الإسلامية كافة في مشارق الأرض ومغاربها، مصداقا لقول الله تعالى في الآية 29 من سورة الفتح : ﴿**أشداء على الكفار، رحماء بينهم**﴾. وما جاء في الآية 199 من سورة الأعراف : ﴿**خذ العفو، وامر بالعرف، واعرض عن الجاهلين**﴾. وتوالت الإغاثات والإسعافات والإعانات في شتى المناسبات، استجابة لقول الله تعالى في الآية 134 من سورة آل عمران : ﴿**سارعوا إلى مغفرة من ربكم، وجنة عرضها السماوات والارض، أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس. والله يحب المحسنين**﴾. وأصبحت الصحوة الإسلامية، تدعونا بلسان الحق في الآيتين 102 و103 من سورة آل عمران : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا. واذكروا نعمة الله عليكم، إذ كنتم أعداء، فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخوانا. وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**﴾.

وهذه الصحوة الإسلامية المباركة في العهد الحسني، جاءت طبقا لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويكره لكم ثلاثا : قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال». وكانت علاقاتنا مع الدول الإسلامية أعم، نابعة في قول الله تعالى في الآية 110 من سورة آل عمران : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون**

بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله﴾. والعمل الصالح هو الأساس، كما جاء في الآية 97 من سورة النحل : ﴿**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى، وهو مؤمن، فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**. وفي كل المستجدات، يرجع مولانا أمير المؤمنين إلى حكم الكتاب والسنة عند المناقشة والتخاطب والحوار، والمناظرة، عملا بقول الله تعالى، في الآية 34 من سورة فصلت : ﴿**ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾**. وإنما يزيد ـ سدد الله خطاه ـ في منهاج التضامن والتعاون، ليتأكد من النصر الموعود، في الآية 55 من سورة النور : ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات، ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾**. وهو يدعو بدعاء جده ﷺ : «اللهم اهدني لأحسن الأعمال، وأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت. وقني سيئ الأعمال وسيئ الأخلاق، لا يقي سيئها إلا أنت». ـ ثم هو ـ أيده الله ونصره ـ كامل الثقة بالله الذي يقول في الآيات 38 ـ 39 ـ 40 من سورة الحج : ﴿**إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور. أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، إلا أن يقولوا ربنا الله. ولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا، ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز﴾**.

وهو المؤمن الصادق الذي يلح في الدعاء، لما له من عظيم الثقة بخالقه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي قال في الآية 77 من سورة الفرقان : ﴿**قل ما يعبأ بكم ربي لو لا دعاؤكم﴾**. وغير خاف أنه ـ حفظه الله ـ كان قد أوصى في ختام اجتماع لجنة القدس بيفرن، أن تقام صلاة الغائب يوم الجمعة في كل مساجد المغرب والعالم الإسلامي قاطبة لتوكيد التضامن والدعم المطلق للشعب الفلسطيني المجاهد، في الوطن الإسلامي السليب. وهو إذ يستعين بالصبر والصلاة، فإنما ينقاد لقول الله تعالى في الآية 101 من سورة آل عمران : ﴿**ومن يعتصم بالله، فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾**. ولقول الله سبحانه في الآيات من 153 إلى 157 من سورة البقرة : ﴿**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة، إن الله مع الصابرين. ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات، بل أحياء. ولكن لا تشعرون. ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة، قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون﴾**، وبهذه الدرجة الممتازة في الإيمان القوي، أصبح عاهلنا المفدى، ممن يصدق عليهم قول الله تعالى في الآية 269 في سورة البقرة : ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء. ومن يؤت الحكمة، فقد أوتي خيرا كثيرا﴾**. ولا بدع في هذا السلوك الأقوم، من سليل نبي الهدى والرشاد، الذي أنزل عليه القرآن الكريم هداية وتذكرة للعباد، حيث جاء في الآية 23 من سورة الزمر : ﴿**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني. تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء﴾**. والدر من معدنه على كل حال.

☆☆☆

وعلينا أن لا ننسى في هذا السياق انطلاقة النور في افتتاح الحملة المباركة للكتاتيب القرآنية، تحت الرعاية الحسنية السامية، يوم 16 رجب الأصب عام 1388 هـ ـ الموافق 9 اكتوبر 1968... وكذا الرسالة المولوية الموجهة إلى العالم الإسلامي كله، بمناسبة بزوغ القرن الخامس عشر الهجري، ومرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن

الكريم... ويدخل في هذا الباب أيضا إحياء الدراسة بالطور الابتدائي بفاس، في إطار الكراسي العلمية، تقديرا للآفاق المشرقة الواسعة التي فتحها القرآن، والدراسات الإسلامية، أمام الفكر الإنساني، وإحياء لأساليب الدعوة الإسلامية في العصر الحديث.

واقتداء بأسلافه الكرام، جعل مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، من افريقيا، القارة الإسلامية، في الماضي والحاضر والمستقبل. وكان قد دعا جميع الطلبة الأفارقة، حتى يتمكنوا من تعلم اللغة العربية. ولن ينسى التاريخ خطاب فخامة الرئيس السينغالي عبدو ضيوف في افتتاح المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال، ولا خطاب وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري في الجلسة الافتتاحية، ولا خطاب الأستاذ عبد الهادي بو طالب، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) في المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال، ولا خطاب الأستاذ مولاي مصطفى العلوي، رئيس رابطة علماء المغرب والسينغال للصداقة والتعاون الإسلامي، ـ كما لا ننسى البيان العام للمؤتمر... وتوصية لجنة الدعوة الإسلامية المنبثقة عنه، وكذا توصية لجنة القضايا الإسلامية. وتدشين مقر الأمانة العامة للرابطة، والبرقية المرفوعة إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، من علماء المغرب والسينغال، ثم إلى فخامة السيد عبدو ضيوف، رئيس الجمهورية السينغالية المسلمة، وبعد ذلك إلى فخامة الرئيس معاوية ولد سيدي أحمد الطايع، رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية. كما علينا أن لا ننسى البرقية المرفوعة إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، بمناسبة انعقاد الجمع العام التأسيسي لرابطة علماء المغرب والسينغال للصداقة والتعاون الإسلامي... ولا خطاب الشكر في فخامة السيد عبدو ضيوف رئيس الجمهورية السينغالية إلى الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، وكذا الرسالة الجوابية.

وغير خاف أن علاقات المغرب والسينغال، علاقات متجذرة في الأخوة الصادقة، والعقيدة الإسلامية. وكل هذا العمل الجاد في التقارب الافريقي العربي، نابع من صلة الوصل التي هي الأصالة الإسلامية في الفكر الحسني، مما مهد ويمهد لانتشار الدعوة الإسلامية في افريقيا، كدولة التشاد، وغرب وشرق افريقيا مثلا، خصوصا وأن هناك كشوفات أثبتت الجذور الادريسية لأمبراطورية غانا، كما أثبتت الأصول السينغالية للدولة المرابطية. وأما عن الفتح المغربي لبلاد السودان، فحدث عن البحر ولا حرج.

ومعلوم أن المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال، كان قد انعقد ما بين 13 و15 جمادى الثانية عام 1408 هـ الموافق من 3 إلى 5 فبراير سنة 1988 م، بدكار.

☆ ☆ ☆

وهناك بصمات قوية للغة العربية، لغة القرآن والعلم والحضارة في افريقيا، ولا أدل على ذلك من الأسبوع الأول العلمي الإسلامي، لجامعة كوناكري ـ غينيا، في المدة المتراوحة ما بين 4 و10 مارس 1988 ـ ومن حضور المرأة الافريقية في المؤتمر الافريقي للأسرة المنعقد بالدار البيضاء أيام 8 ـ 9 ـ 10 مارس 1988.

☆ ☆ ☆

ولا أدل على الغيرة الإسلامية الحسنية كرئيس للجنة القدس، من الرسالة السامية التي وجهها إلى ملوك ورؤساء وأمراء الدول الإسلامية لعقد اجتماع عاجل بالمغرب على مستوى وزراء الخارجية، وذلك على إثر الأحداث الدامية التي عاشتها الأراضي العربية والقدس الشريف، خلال الشهرين الأول والثاني من الانتفاضة، وما تزال تُرن في الآذان أصداء الخطاب الملكي السامي في الاجتماع العاجل للجنة القدس بمنتجع يفرن. وكانت لجنة القدس التي يرأسها صاحب الجلالة، قد طالبت المجتمع الدولي باتخاذ جميع الإجراءات المساندة للشعب الفلسطيني، لاستعادة

حقوقه المشروعة. مما جعل ياسر عرفات، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، يشيد بمبادرة جلالة الملك الحسن الثاني، بالدعوة لعقد اجتماع لجنة القدس. وليست تلك المبادرة الملكية سوى وقفة أخوية صادقة تجاه المجاهدين الفلسطينيين. فالشعب الفلسطيني المجاهد البطل، يوالي مسيرته الثورية النضالية، حتى ينتزع حقوقه الوطنية الثابتة، بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير، وإقامة دولته الفلسطينية المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف، بقيادة منظمة التحرير، ممثله الشرعي الوحيد... وهذا مما يدل على أن جلالة الحسن الثاني - أيده الله - هو حامي حمى الوطن والدين، والناطق باسم جميع المسلمين، بالإضافة إلى كونه رائد البعث الإسلامي، والإصلاح الديني، وإنما هو في ذلك - سدد الله خطاه - يبلور اهتمام المغاربة بالحفاظ على تراثهم الفكري، ويتمم عمل الملوك العلويين على نشره، ما دام جلالته يعتبر عن جدارة واستحقاق ملك القيم العليا، والأخلاق الفاضلة. فالاختيار الحسني في معركة الإصلاح، أصبح واضحا وضوح الشمس في رابعة النهار، إذ هو يسعى لخلق المغرب خلقا جديدا، ناهيك بما له - على سبيل المثال - من أياد بيضاء في ازدهار القراءات القرآنية بالمغرب، وبكونه - بدون منازع - داعية الوحدة الإسلامية.

☆ ☆ ☆

وتأتي معلمة مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، في أعقاب وضع الحجر الأساس لبناء «مسجد النور بآزرو»... ويعبر ذلك المسجد، الأعظم من نوعه في العالم الإسلامي، بعد بيت الله الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة. وهو إنجاز حضاري كبير، يغني تراثنا الروحي والثقافي. وقد قرر أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، إشراك رعاياه الأوفياء في بناء هذه المنجزة الدينية، في سبيل إعلاء كلمة الله، وراية الإسلام، وذلك إحياء وترسيخا لسنة حميدة من سنن السلف الصالح تنفيذا لما جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ: «من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله، بنى الله له بيتا في الجنة».

ومن المعلوم أن صاحب الجلالة، قدم هبة مالية لبناء مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، بلغت أربعة ملايين درهم، كما وقع جلالته شيكات أخرى باسم صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد، بمبلغ مليون درهم، وصاحب السمو الملكي مولاي رشيد، بمبلغ 800 ألف درهم، وصاحبات السمو الملكي الأميرات الجليلات للا مريم، وللا أسماء، وللا حسناء، بمبلغ 300 ألف درهم لكل واحدة منهن، وللا سكينة 200 ألف درهم.

☆ ☆ ☆

وكل مآثر جلالة الملك الحسن الثاني، تزداد إشراقا في إطار البعث الإسلامي على أرفع المستويات. وتلك الرؤية الحسنية الأصولية، نابعة جملة وتفصيلا، من نضال ملوك الدولة العلوية، من أجل التمسك بالكتاب والسنة النبوية... والمذهب المالكي الذي هو المذهب الرسمي للدولة المغربية، منذ عهد الأدارسة، ما يزال هو نفسه، في ظل الدولة العلوية هو ذلك المذهب العامل على الاستقرار والاستمرار في الداخل، والمصداقية والاحترام في الخارج...

وغني عن البيان أن بيعة الأمة المغربية جمعاء من المولى ادريس الأول، إلى جلالة الملك الحسن الثاني، إنما هي في الحقيقة بيعة عظمى مستمرة، إسلامية موصولة، لخاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الأولين والآخرين، مولانا محمد ﷺ. وكل إحياء للتراث، بما في ذلك عودة جامعة القرويين، يعتبر بكل تأكيد وفاعلية تكريسا وضمانا للوحدة المغربية الكبرى، ومفخرة للعالم الإسلامي قاطبة.

☆ ☆ ☆

ولنعد مرة ثانية إلى مسجد الحسن الثاني، إذ مغزاه العميق أنه شيد بمدينة الجهاد وقلعة الوطنية والفداء... وسيعمل على تقويم الزيغ والانحراف، وبعث الأمل، وإشراق الضمائر، - فلا انحلال، ولا زندقة، إلحاد، ولا

إباحية، ولا فوضوية في السلوك. وكم أصاب كبد الحقيقة الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري، حين قال في كلمة المغرب أمام وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية بجدة : «جلالة الملك الحسن الثاني أراد أن يكون مسجد الحسن الثاني صخرة تتكسر عليها أمواج التيارات المعادية للإسلام» - وكشهادة على ضخامة هذا الإنجاز الرائع - مثل مئات الشهادات الأخرى، ذكرت صحيفتا «الأهرام» المصرية، و«لا فانغوارديا» الاسبانية، أن مسجد الحسن الثاني واحد من الأعمال المعمارية الكبرى في العالم.

☆ ☆ ☆

ويأتي مؤتمر القمة التأسيسي لدول المغرب العربي الموحد، بمدينة مراكش، في رجب 1409 هـ - فبراير 1989 م، متوجا بالخطاب الملكي في الافتتاح... وتبلورت في أعقاب ذلك، الخطوط العريضة لمعاهدة مراكش... التي شاهدت ميلاد كتلة متراصة، ومتضافرة الإرادات، جاءت في إثرها الندوة الصحفية الهامة لجلالة الملك الحسن الثاني.

☆ ☆ ☆

وعلينا أن لا نغفل عن الدور الرائد لجلالة الملك الحسن الثاني في التسامح الديني، والحوار الإسلامي المسيحي، إذ استقبل بمطار محمد الخامس بالدار البيضاء، يوم الإثنين 19 غشت 1985 البابا يوحنا بولس الثاني، كما استقبله بالقصر الملكي بالدار البيضاء، في نفس اليوم، وذلك بحضور صاحبي السمو الملكي الأميرين سيدي محمد، ومولاي رشيد، ردا على الزيارة التي كان قد قام بها العاهل الكريم إلى حاضرة الفاتيكان، رفقة الجنرال مولاي عبد الحفيظ العلوي، وزير القصور الملكية والتشريفات والأوسمة، والأستاذ عبد الوهاب بنمنصور، مؤرخ المملكة، والشيخ المكي الناصري رئيس المجلس العلمي للمدوتين، والدكتور عبد الواحد بلقزيز، وزير الإعلام، والأمير مولاي الحسن بن إدريس العلوي.

☆ ☆ ☆

وما فتئ مولانا أمير المؤمنين، يعبر في كل مناسبة عن تشبثه بالقيم الإسلامية، والعمل الدؤوب على صيانة المقدسات. وما بالعهد في قدم، فقد قال في خطاب العرش (3 مارس 1989) : - «سنظل قائمين بحفظ تراثنا الديني، حامين لحوزة أصالتنا، جادين في صيانة ذخائر هويتنا وشخصيتنا». وبتعليمات سامية من جلالته، ها هو ذا وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، يقدم ورقة المغرب أمام المؤتمر الرابع لوزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية في العالم الإسلامي المنعقد بجدة، ويؤكد أنه لا بد من الوعي الكامل، والدراية الواسعة، للاضطلاع بمسؤولية الدعوة الإسلامية، مضيفا أن المسجد في الإسلام هو الجامعة، وهو المدرسة، وهو منطلق الجيوش، وهو مكان الشورى، وهو كل شيء... وموجها الدعوة لنظرائه في العالم الإسلامي، لعقد مؤتمرهم الخامس بالمغرب، معربا عن أمله في أن يتمكن وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية من الصلاة في مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، أثناء انعقاد مؤتمرهم القادم. وأنعم به من تكريم تشريف !

☆ ☆ ☆

وجاءت الدروس الحسنية الرمضانية، ومعها المسيرة القرآنية التي تذكرنا بالمصحف الحسني... وكان الدرس الأول الذي ألقاه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، السيد عبد الكبير العلوي المدغري في موضوع «حرية الفكر»، انطلاقا من الحديث الشريف عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه : «قال رسول الله ﷺ : لا يحقر أحدكم نفسه. قالوا : يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أمرا لله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه. فيقول الله عز وجل يوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس. فيقول : فإياي كنت أحق أن تخشى».

وكان الدرس الثاني قد ألقاه فضيلة أبو الوفاء التفتزاني، نائب رئيس جامعة القاهرة، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية بمصر في موضوع «التصوف الإسلامي خلق

وسلوك». انطلاقا من قول الله تعالى : ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾.

وكان الدرس الثالث قد ألقاه الأستاذ أحمد لسان الحق، خريج دار الحديث الحسنية في موضوع «المشكلة الاقتصادية» انطلاقا من قول الرسول ﷺ : «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود، كان يأكل من عمل يده».

وكان الدرس الرابع، قد ألقاه الأستاذ محمد الأكحل شرفاء، أحد علماء الجزائر في موضوع «جمع الكلمة ووحدة الصف» انطلاقا من قول الله تعالى : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا، ولا تفرقوا**﴾.

وكان الدرس الخامس قد ألقاه الأستاذ عبد السلام جبران المسفيوي، رئيس المجلس العلمي لإقليم مراكش في موضوع : «فضل المنان في حلاوة الإيمان» انطلاقا من الحديث الشريف : «ثلاث من كن فيه، وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يقذف في النار».

وكان الدرس السادس، قد ألقاه العلامة محمد الحبيب بلخوجة، عضو أكاديمية المملكة المغربية، والأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بجدة، في موضوع «بوارق الأمل، وطريق النصر» انطلاقا من قول الله تعالى : ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب**﴾.

وكان الدرس السابع قد ألقاه السيد محمد بلوالي، عضو المجلس العلمي الاقليمي لوجدة، وأستاذ الدراسات القرآنية بكلية الآداب بها حول موضوع «التيسير بين الغلو والتقصير»، في ضوء الحديث الشريف الذي قال فيه رسول الله ﷺ : «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة». رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب «الدين يسر، وقول النبي ﷺ : «أحب الدين إلى الله، الحنيفية السمحة».

وكان الدرس الثامن قد ألقاه الشيخ محمد الشاذلي النيفر، أستاذ كرسي بجامعة الزيتونة، ورئيس رابطة الجمعيات القرآنية بتونس في موضوع «رعاية الأمانة والعهد»، انطلاقا من قول الله عز وجل : ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾.

وكان الدرس التاسع قد ألقاه الأستاذ خالد عبد الهادي يحيى، أستاذ الدين والتاريخ بجامعة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية، في موضوع «الهدف من الوجود» انطلاقا من قول الله تعالى : ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾.

وقد تميز هذا الدرس بالكلمة التي ألقاها جلالة الملك في ختامه، حيث قال حفظه الله : «قبل الختم أريد أن أشير إلى ظاهرة لم تكن في الحسبان، ولم تكن في جملة مخططاتنا، وهي أنه خلال شهر رمضان، شهر القرآن والوحي، أراد الله سبحانه وتعالى أن يجتمع هنا أشخاص من قارات مختلفة كما أراد الله سبحانه وتعالى، أن نسمع في يوم واحد، مقرئا محترما جيدا طيبا من الاتحاد السوفياتي، وأن ننصت إلى محاضر شاب غيور كله حماس، من الولايات المتحدة. وأظن أن هذا الحضور المشترك، سيجعلنا نعطي للديانة الإسلامية وللدين الحنيف، ولسنة النبي ﷺ، تعريفا آخر وهو أن الإسلام أصبح مدرسة سلوك سياسي، لا أقول تعايشا، لأن التعايش فيه شيء من الإرغام، وفيه شيء من المضض. فالإنسان يتعايش، لأنه لا يمكن أن يفعل شيئا آخر، أقول : إن الإسلام مدرسة التعامل والتساكن السياسي. كثر الله من أمثالكم، وكثر الله من هذه الفرص، والسلام عليكم».

وكان الدرس العاشر، قد ألقاه الأستاذ حسن بن الصديق، عضو المجلس العلمي الاقليمي لطنجة في موضوع

«الدين بين الاتباع والابتداع» انطلاقا من حديث رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

والجدير بالذكر، أن مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، كان قد وجه قبل بداية الدرس الحادي عشر، من سلسلة الدروس الحسنية الرمضانية التي تلقى بين يدي جلالته بالقصر الملكي بالرباط، كلمة سامية، من أجل وضع حد للأحداث المؤلمة بين الإخوة الموريتانيين والسينغاليين، وقال على الخصوص : «المطلوب احترام حرمة شهر رمضان، حتى تنزل الحمى، وتتغلب الحكمة على الاندفاع والأهواء». - وقد ألقى هذا الدرس الأستاذ محمود جوب الأمين العام لرابطة علماء المغرب والسينغال، في موضوع : «البعد الديني للتنمية»، انطلاقا من قول الله عز وجل في سورة التوبة : **﴿وقل اعملوا، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾** الآية...

☆ ☆ ☆

ومعلوم أن جلالة الملك الحسن الثاني، الرئيس الحالي لاتحاد المغرب العربي، أوفد بعثة للمصالحة لدى الرئيسين السينيغالي والموريتاني، لتطويق النزاع بين البلدين... وقد عبر الرئيسان عبدو ضيوف، ومعاوية ولد سيدي أحمد الطايع عن مشاعر عرفانهما لجلالة الملك الحسن الثاني، وتلقيا المسعى الملكي بثقة وتفاؤل... وقد وصلت بالفعل، المساعدات العاجلة المغربية إلى كل من دكار، ونواكشوط... وهذا الموقف الحسني الحكيم، من قول الله تعالى : **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾**.

وأما الدرس الذي ألقاه الدكتور ادريس خليل، أستاذ جامعي، وعضو أكاديمية المملكة المغربية، فقد عالج موضوع «عظمة الكون في القرآن الكريم» انطلاقا من قول الله تعالى : **﴿فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾**.

وكان الدرس الذي ألقاه الأستاذ عباس الجراري، عضو أكاديمية المملكة، في موضوع شرعية الامامة في المغرب منذ اثني عشر قرنا» انطلاقا من قول الله تعالى في سورة النساء : **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم﴾**.

وكان الدرس الذي ألقاه الأستاذ ابراهيم عبد الله رفيد، أستاذ بكلية التربية بجامعة الفاتح بليبيا، في موضوع : «وحدة الدين وأركان الإسلام»، انطلاقا من قول الله تعالى : **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا، والذي أوحينا إليك، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين، ولا تتفرقوا فيه﴾**. وانطلاقا من قول الرسول ﷺ : «بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

وقد امتازت الدروس الحسنية الرمضانية لهذه السنة برسالة الشكر والامتنان التي وجهها علماء المسلمين إلى جلالة الملك الحسن الثاني، والتي تلاها أحد العلماء من دولة الامارات العربية المتحدة، وهي إشادة إسلامية بالمواقف البطولية والمبادرات السامية لمولانا أمير المؤمنين، من أجل خدمة قضايا الإسلام والمسلمين. وهذا الاجماع لا يحظى به إلا من فاز بالعناية الإلهية !

وكان الرد الملكي السامي كما يلي : «استمعنا إلى الرسالة التي قرأها أمامنا الأستاذ الذي أتى من بلاد الشرق، ليرد تلك الزيارات التي قام بها علماء الغرب، دائما إلى الشرق وبالأخص في مواعيد الحج، حيث كان دائما مد وجزر، هذا يستفيد من ذلك وهذا يتصل بذاك... فليس في الامكان أن نعتبر عن مدى تأثرنا لما سمعناه. وقد يتساءل الناس لماذا نحيي هذه الدروس ؟ فنقول أولا : لأن هذا تقليد سرنا عليه منذ قرون، وثانيا أذكر أنني في طور مراهقي، عند ما كنت بالمدرسة، سواء في السلك الابتدائي أو الثانوي أو في الجامعة، قال لي أستاذي في الدين والفقه والتوحيد رحمه الله - لأنه كانت عندنا دروس في الفقه

والتوحيد، يقول النبي ﷺ - ولا زلت أذكر هذا الحديث منذ نعومة أظفاري - : «أفضلكم، الذين إذا رؤوا ذكر الله» فمنذ ذلك الحين، كانت جاذبية تقوى على جاذبيات أخرى، لا الشغل، ولا الشباب، ولا المسؤولية، ولا حتى على الراحة التي هي من الواجبات علينا «إن لنفسك عليك حقا»، كل هذا لا يسع لا كلامه، ولا رغبته، ولا هاجسه، لما في مجلسنا هذا أمام العلماء، وأمام أهل الدين، ما يفتح الفكر، وينور الذاكرة، ويزيد الإنسان علما على علم، علما منا أن العلم لا ساحل له، وأن الله سبحانه وتعالى هو الخبير العليم... وقبل أن أختم كلمتي أذكر آية قرآنية، وحديثا في الصحيحين، ولا يمكن أن تذكر تلك الآية دون أن يذكر ذلك الحديث : يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾. ويقول الحديث النبوي : «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين». فالتفقيه في الدين، هو التفقيه في علم الإسلام، وعلم التعامل بالإسلام، لا في المعتقدات فقط، بل كذلك في المعاملات، والنبي ﷺ يقول : «الدين المعاملة» وفي السلوك والتساكن والمعاشرة... فأملي أن يبلغنا الله جميعا الدعوات التي قرئت باسمكم، وأن تكون هذه الدعوات شاملة لنا جميعا، ولمن يستمع إلينا، ويرانا، راجين من الله سبحانه وتعالى أن يؤيدنا جميعا، إيمانا برسالتنا التعميرية الحضارية المقدسة، لأنها تقوم قبل كل شيء على كتاب الله الذي بدئ بـ ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾... فشكرا لكم على كلمتكم. وأنا أعتبر أنك تكلمت باسم العلماء غير المغاربة، وباسم العلماء المغاربة كذلك. جزاكم الله خيرا. وأرى أن لفظ شكر، يجب أن نمحوه من قواميسنا، ولكن أفضل شيء أنه كلما وجد واحد منكم ساعة أو دقيقة، فليدع لنا الله سبحانه وتعالى بالتوفيق والهداية، وحسن الخاتمة. اللهم آمين. يا رب العالمين !

☆☆☆

وعلينا أن لا ننسى الحفل الديني الذي ترأسه جلالة الملك الحسن الثاني بضريح محمد الخامس بمناسبة الذكرى التاسعة والعشرين لفقيد العروبة والإسلام، جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، نظرا لما أسداه من خدمات جلى للعروبة والإسلام في مشارق الأرض ومغاربها. ولذلك يحيى المغاربة في داخل البلاد وخارجها. هذه الذكرى الجليلة في جو من الخشوع والضراعة والابتهال، وقراءة القرآن، والدعوات الصالحة. فالهالة النورانية التي تعطى لذكرى عاشر رمضان، إنما تنبع من التقدير الذي لا تحده حدود، من الرعية نحو الراعي. وما هذا الشبل إلا من ذلك الأسد... وما هذا الفرع إلا من تلك الدوحة العلوية الباسقة. والنور ممتد ووهاج من تلكم الشمس الساطعة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. والنعمة الكبرى تستأهل كامل الحمد والعرفان، والشكر والامتنان.

☆☆☆

وعلى نهج مولانا محمد الخامس - قدس الله روحه - كان الاعتناء بالمساجد، وإنشائها في الداخل. وفي الخارج، بالأقطار الافريقية خاصة، والعالم الإسلامي عامة. ومن تلك الروح نبعت رعاية أضرحة الأولياء والصالحين، وعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر منهم مولاي ادريس الفاتح الأكبر، دفين مدينة زرهون، ومولاي ادريس الأزهر، مؤسس مدينة فاس، والقطب الرباني مولاي عبد السلام بن مشيش، وسيدي أحمد التيجاني، ومولاي علي الشريف.. فأولئك وإخوانهم هم الذين لا يشقى بهم جليسهم، ويكفيهم شرفا أنهم إذا ذكروا، ذكر الله ! ويقوم مولانا أمير المؤمنين، جلالة الملك الحسن الثاني - أيده الله ونصره - برئاسة الحفل الديني الكبير، إحياء لليلة القدر المباركة، حيث دشن مسجد للا سكينة بحي الرياض بالرباط... ويعتبر هذا المسجد العظيم، والرائع في موقعه وهندسته المعمارية الرفيعة، معلمة أخرى من معالم العهد الحسني الزاهد. فقد شيده مولانا الإمام، من ماله الخاص، ابتغاء مرضاة الله، داعيا العلي الأعلى أن يضع الهداية في قلب جميع المغاربة كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، حتى يبقوا دائما من الذين يظلهم الله تحت ظله، يوم لا ظل إلا ظله، بدءا

بالإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل تعلق قلبه بالمساجد. ولن يخيب أبدا قوم تخلقوا بأخلاق الله، واقتدوا بسنة رسوله عليه أزكى الصلاة وأطيب التسليم.

☆ ☆ ☆

إن جلالة الملك مولانا الحسن الثاني قد ظهرت أصالته الإسلامية في مئات المواقف المشرفة، وتجلت من جديد في تهنئته لقادة الدول الإسلامية الذين خاطبهم بقوله : «نشاطركم ما يغمرنا من مشاعر الارتياح والانشراح، لما حققته أمتنا العربية والإسلامية في بحر هذه السنة من وعي بواقعها، وحرص على بناء مستقبلها، وشعورها بأهمية توحيد الكلمة وجمع الشمل». وتتبلور تلك الأصالة كذلك، بعد إحياء ليلة القدر المباركة بمسجد القصر الملكي بالرباط، في هذه الكلمة الملكية السامية : «بسم الله الرحمن الرحيم. والصلاة والسلام على مولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. اللهم يا ربي، إن رسولك ﷺ، كما قال : «من صام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه» اللهم إنك تعلم أن شعبك المسلم الساكن في رحاب هذا المعمور، قد ارتكب إما أفرادا أو جماعة، وأما شخصيا أو سياسيا أغلاطا وذنوبا. اللهم اغفر لنا غلطاتنا، وكفر عنا سيئاتنا، وأقم ما اعوج منا، واغفر لنا سياسيا وجماعيا، لأن مما لا شك فيه، أن أمتك المسلمة العربية قد أذنبت لديك يا رب، ولهذا تعاقبنا. ولكن رحمتك سبقت غضبك. اللهم يا ربي عجل بالفتح للعرب والمسلمين في قضية فلسطين، وفي مشكلة لبنان التي يتصارع فيها العرب والمسلمون بينهم. اللهم يا ربي خذ بيد الاعتبار صيامنا واعتكافنا، وتجاوز عن سيئاتنا، إنك أنت التواب الرحيم. والسلام عليكم ورحمة الله». وتتجلى تلك الأصالة الإسلامية أيضا فيما قاله جلالته، قبيل انطلاقة حملة الاكتتاب من أجل بناء مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء : «علينا أن نعلم دائما أنه حينما تشتد الأزمات، وتظلم جميع النواحي والجهات، لا نجد عونا، ولا نجد راحة واطمئنانا إلا في الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، والتوسل إليه».

☆ ☆ ☆

وارتبط الحاضر بالماضي، ابتداء من رحلة طنجة التاريخية في 9 أبريل 1947، حيث أعلن جلالة المغفور له مولانا محمد الخامس، على رؤوس الملأ بأن المغرب جزء لا يتجزأ من الأسرة العربية والإسلامية الكبرى... وتكررت مبادرات جلالة الملك الحسن الثاني، من أجل توحيد الصفوف المغاربية والعربية والإسلامية، وتوالت اللقاءات على أرض التضامن والوحدة والوفاء. وفي كل مرة يتزايد التعلق بالعرش المجيد، وبالملكية الدستورية. وتكميلا لمؤتمرات القمة العربية السابقة، منذ مؤتمر القاهرة سنة 1964، وإلى القمة الاستثنائية بالجزائر سنة 1988، ها هي في القمة العربية الطارئة قد انعقدت بالدار البيضاء أيام 23 ـ 24 ـ 25 ـ 26 ماي 1989 لتؤكد مرة أخرى التضامن والوحدة على أرض التآخي واللقاءات العربية الحاسمة، فليست نتائجها الإيجابية سوى تكريس للأصالة الإسلامية في الفكر الحسني.

الرباط ـ محمد بن محمد العلمي

الشّبابُ

في القرآن والحديث والأمثال والحكم والوصايا

للأستاذ عبد القادر القادري

تعتبر أيام الشباب من أعز الأيام التي تبقى عالقة بذاكرة الإنسان، مهما عاش، لأنه كان فيها طليق الحرية... وها هي طائفة مختارة من الكلم والأقوال والحكم والنوادر والحكايات وغيرها قيلت في الشباب وأيامه...

● **في القرآن**

روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال : ما بعث الله نبيا إلا شابا، ولا أوتي العلم عالم إلا شابا، ثم تلا هذه الآية : **﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾** وقد أخبر الله تعالى به ثم أتى يحيى بن زكرياء الحكمة قال تعالى : **﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾** وقال تعالى : **﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾** وقال جل شأنه : **﴿إنهم فتية آمنوا بربهم﴾** وقال جل من قائل : **﴿وإذا قال موسى لفتاه﴾**.

● **في الحديث**

○ اغتنم خمسا **قبل خمس** : «شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك **قبل** فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك **قبل موتك**».

○ «إن الله يحب الشباب التائب».

○ إن الله ليعجب من الشاب الذي ليست له صبوة».

○ إن الله يحب الشباب الذي يفني شبابه في طاعة الله» البخاري.

○ من يدخل الجنة ينعم، لا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه» مسلم.

○ عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» متفق عليه.

○ قدم رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على جميع الأنصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه، وعتاب بن أسيد ولاه مكة وبها أكابر قريش، وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم.

● **في النثر**

☆ قال بعض البلغاء : الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكيرها وما بكت العرب على شيء ما بكت على الشباب ولم يكن هذ

الشباب حميدا وزمانه حبيبا الوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقه واعتدال قامته لما جاور الله في جنات خلده شاب كما قال رسول الله ﷺ : جردا مردا أبناء ثلاثين.

☆ وقال أحمد أمين : إن الحديث مع الشباب وعن الشباب وإلى الشباب حبيب إلى النفس قريب إلى القلب وكيف لا يكون كذلك وهم - كما قال أبو العتاهية - رائحة الجنة وأيامهم خير أيام الحياة وهي أكبر مظاهر القوة، وأكبر مظاهر الإنسانية، وهي في الأيام كالربيع في الزمان، تغنى بها الشعراء يوم كانوا ينعمون بها وبكوا عليها يوم حرموا منها فالشباب كان شغلهم الشاغل إذا وجدوا وإذا فقدو وما أكثروا من القول في الحزن على الشيب إلا أنهم أعظموا الشباب».

☆ وقال أميل زيدان صاحب مجلة الهلال : «تسير في أطوار الحياة ما هو أشد خطرا وأعظم شأنا من طور الشباب. ففي هذا الزمن يبدو نشاط المرء على أتمه وتدل أعماله على وجهة ميوله ومشاربه. وفي أمثال العرب أن المال والشباب هما عصب الحرب ومعنى ذلك أنهما عدة الحياة وقوام جهاد الإنسان. وفي طور الشباب تتخذ أخلاق المرء القالب الذي تستقر عليه وتحتفظ بذلك القالب إلى آخر العمر».

وقال أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة : لقد شاء بعض الأدباء الشباب أن يجعلوا بينهم وبين الأدباء الشيوخ خصومة، فكانوا يثيرونها في الصحف كلما حلى في صدورهم ذلك، وكان موضوع الخصومة في كل مرة يقاسي الوهن من ضعف السبب وانقطاع الحجة، فإن الخصومة بين الأبناء والآباء أو بين التلاميذ والأساتذة لا تسوغ في الطبع ولا تجوز في العرف... إلا إذا دعت إليها دواع قوية من خيانة الوطن أو معصية الله أو مجافاة الحق».

☆ وقال جلالة الملك : نحتفل اليوم كما هي العادة بعيد الشباب وقد سمي عيد الشباب حتى يمكن أن يبقى للمغرب بلدنا العزيز فرصة يتاح له فيها أن يشيد بالشباب وينصحهم ويخطط لهم.

في قصة لنجيب محفوظ (الشريدة)

وكان الشباب في ذلك العهد غيرهم الآن كانوا أعظم استقامة وأدنى إلى العفة والطهر وأرعى عهد التقاليد وكانت المرأة المصرية تبدو دائما وكأنها محاطة بسياج من الأسلاك الشائكة وكان الحب بعيدا شيئا عن التهتك والابتذال اللذين صرعاه أخيرا وأورداه الإباحية والجنون فكانت العواطف تزدهر في القلب وتنبت الآمال والأماني وتصهر في العقل وتخلق الأخيلة والأحلام وتكتسي بحلى نادرة من صنع الأوهام والأطياف. (همس الجنون مجموعة قصص لنجيب محفوظ).

في الشعر

عصر الشبيبة ناضر غض
فيه ينال العين والخفض
مثل الشبيبة كالربيع إذا
ما جيد فاخضرت له الأرض

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير

وما ماضي الشباب بمسترد
ولا يوم يمر بمستعاد

المتنبي

سألتني عن الشباب كأن لم
تدر أن الشباب قرض يؤدى
لم يبن عن زهادة فيه لكن
آن للمستعار أن يستردا
كرم اعجل المواعيد حتى
رد فينا نسيئة النيل نقدا

البحتري

بان الشباب فلا عين ولا أثر
إلا بقية برد منه أسمال

البحتري

يفنى الفتى وقوله مخلد
يمضي عليه زمن بعد زمن

الشريف المرتضى

ومـا الحسن في وجـه الفتى شرفـا لـه
إذا لم يكن في فعلـه والخـلائـق
المتنبي

فرج الفتى مـا دام يحيى فـإنـه
إلى خير حـالات المنيب يصير
الشيخ عبد الله

هـل الفتى من بنـات الـدهر من طرق
أم هـل لـه من حمـام المـوت من راق
العبدي

أمتـع شبـابـك من لهـو ومن طرب
ولا تصـخ لمـلام سمـع مكترث
أبو الفضل

إن الشبـاب والفراغ والجـدة
مفـسـدة للمرء أي مفسـدة
أبو العتاهية

إذا لم تحـاول في شبـابـك غـايـة
فيـاليت شعري أي وقت تحـاول
وكم من شبـاب ضـاع في غير طـائل
فشـاب أخوه وهـو في النـاس جـاهـل
محمد الأسمر

كرم وصفـح في الشبـاب وطـالمـا
كرم الشبـاب شمائـلا وميـولا
شبـاب قنـع لا خير فيهم
وبـورك في الشبـاب الطـامحينـا
أحمد شوقي

وللشبـاب إذا ذامت بشـاشتـه
ودا القلـوب من البيض الرعـابيب
سلامة بن جندل

ولقـد بكيت على الشبـاب لـو أنـه
كـان البكـاء بـه علي يعـود
(العبادي)

نـزل المشيب وانـه
في مفرقي لا عـز نـازل
وبكيت إذا رحـل الشبـاب
فـآه آه عليـه راحـل
«بهاء الدين زهير»

سقيـا ورعيـا لأيـام الشبـاب وان
لم يبـق منـك لـه رسم ولا طلـل
محمد بن حازم

متـع شبـابـك إن العمر أطـوار
وكـل طـور لـه في العيش أوطـار
إن أنت لم تجن من روض الصبـا زهرا
فليس في دمنـة الأيـام أزهـار
القروي

ألا ليت الشبـاب يعـود يـومـا
فـأخبره بمـا فعـل المشيب
أبو العتاهية

العلم زين للفتى
يكرمـه حيث أتى
من لم يكن يعرفـه
فحقـه أن يسكت

☆☆☆

يـا شبـاب البـلاد أحييتمـونـا
فلنـا فيكم رجـاء متين
ولنـا في الشبـاب خير ظنـون
حققت في الشبـاب تلـك الظنـون
أخبروا القـوم أعلمـوهم بـأنـا
قـد حيينـا وإننـا سنكـون
قـد بعثتم رجـاءنـا فـاديمـوا
سيركم واعملـوا ولا تستكينـوا
كـل صعب على الشبـاب يهـون
هكـذا همـة الرجـال تكـون

قــدم في الثرى وفــوق الثريــا

همــة قــدرهــا هنــاك مكين

قــد حسبنــاهم رجــالا فكــانــوا

ولهم في الحيــاة مغــزى ثمين

علال الفاسي

شبــاب المغرب الأقصى يفيــق

ليحيى المجــد والحسب العريــق

محمد المختار السوسي

أبشر لقــد نلت الأمــاني في شبــا

بــك والشبــاب مطيــة الأوطــار

محمد بوجندار

إذا القــوم قــالــوا من فتى ؟ خلت أنني

عنيت فلم أكســل ولم أتبلــد

طرفة بن العبد

إن المرء أعيــا رهطــه في شبــابــه

فــلا ترج منــه الخير عنــد مشيب

أبو الأسود

إن المشيب رداء الحلم والأدب

كمــا الشبــاب رداء اللهــو واللعب

دعبل

اعتــزل ذكر الأغــاني والغــزل

وقــل الفصــل وجــانب من هــزل

ودع الــذكرى لأيــام الصبى

فــلأيــام الصبى نجم أفــل

ابن الوردي

ذهب الشبــاب فمــا لــه من عــودة

وأتى المشيب فــأين منــه المهرب

صالح بن عبد القدوس

بكيت الصبــا من قبــل أن يــذهب الصبــا

فيــاليت شعري مــا تقــول إذا ولى ؟

تــوهمتــه يبقى إذا أنت صنتــه

عن الشفــة الحمراء والمقلــة الكحــلا

وخلت الهــوى جهــلا فلم يكن الهــدى

أخيرا ســوى الأمر الــذي خلتــه جهلا

إيليا أبو ماضي

ألا إن أحــلام الشبــاب ضئيلــة

تحطمهــا مثــل الغصــون المصــائب

ســألت الــديــاجي عن أمــاني شبيبتي

فقــالت : ترامتهــا الريــاح الجــوائب

ولمــا ســألت الريــح عنهــا أجــابني

تلقتهــا سيــل القضــا والنــوائب

فصــارت عفــاء واضمحلت كــذرة

على الشــاطئ المحموم والمــوج صــاحب

أبو القاسم الشابي

في الأقوال

شباب الروح خالد لا يفنى والأبدية هي الشباب.

ويختير

رأي الشيخ خير من جلد الشباب

علي بن أبي طالب

إن الشبــاب الطــائش يقفز كــالأرنب فوق أشواك النصيحة الخالصة.

شكسبير

الشباب هو الفرصة السانحة لكل فتى ليقوم بعمل من الأعمال التي ترفعه إلى مصافي الأبطال.

مونجر

ما أظلم هذه الدنيا وأشد كآبتها إذا خلت من الشباب وما آلمها وأشد عقوقها إذا خلت من الشيب.

كولريدج

في الأمثال والحكم

من شب على شيء شاب عليه.

☆ ☆ ☆

الابن ينشأ على ما كان والده

إن العروق عليها ينبت الشجر

☆☆

فتى إن يرض لم ينفعك شيئاً

وإن يغضب عليك فلا تبال

☆☆

كل المصائب قد تمر على الفتى

فتهون غير شماتة الأعداء

□ ذكر الشباب حسرة «علي بن أبي طالب».

□ شيئان لا يعرف فضلهما إلا في فقدهما الشباب والعافية.

علي بن أبي طالب

لا تقل أصلي وفصلي أبداً

إنما أصل الفتى ما قد حصل

قد يسود المرء من دون أب

وبحسن قد ينفي الدغل

إنما الورد من الشوك وما

ينبت النرجس إلا من بصل

ابن الوردي

☆☆

يارافلا في الشباب الوحف منتشيا

من كأسه هل أصاب الرشد نشوان

لا تغترر بشباب رائق خضل

فكم تقدم قبل الشيب شبان

أبو الفتح البستي

☆☆

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا

فأهون ما يمر به الوحول

وما الحداثة عن حلم بمانعة

قد يوجد الحلم في الشباب والشيب

☆☆

يا شباب العصر.. في كل مكان

عصركم.. عصر سباق ورهان

غدنا في يدكم أنتم لنا

أمل نزجي به ركب الزمان

يدنا في يدكم أن تحننوا

يسعد الكون بأيام حسان

الدكتور علال الخياري

إذا ما الفتى لم يبغ إلا طعامه

وملبسه فالخير منه بعيد

☆☆

حسب الفتى أن يكون ذا حسب

من نفسه ليس حسبه حسبه

☆☆

العلم ينهض بالخسيس إلى العلا

والجهل يقعد بالفتى المنسوب

☆☆

ينال الفتى بالعلم كل غنيمة

ويعلو مقاما بالتواضع والأدب

☆☆

يصاب الفتى من عثرة بلسانه

وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فعثرته بالقول تذهب رأسه

وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

☆☆

وقال الإمام علي :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا

يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول ها أنذا

ليس الفتى من يقول كان أبي

☆☆

في الحكايات

جعفر الصادق وغلامه

● حكي عن جعفر الصادق أن غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الإبريق في يد الغلام في الطست فطار الرشاش في وجهه. فنظر جعفر إليه مغضبا. فقال: يامولاي الله يأمر بكظم الغيظ. قال: قد عفوت عنك. قال والله يحب المحسنين. قال: إذهب فأنت حر لوجه الله تعالى، (الأبشيهي).

علامة ومعلمه

● قيل لغلام: أما يكسوك معلمك. فأجاب: إن معلمي لو كان له بيت مملوء إبرا وجاء يعقوب الأنبياء شفعاء والملائكة ضمناء يستعير منه إبرة ليخيط بها ثوب ابنه يوسف الذي قد ما أعارها إياها فكيف بكسوتي، وقد نظم ذلك من قال:

لـــو أن دارك أنبتت لــــك واحتشت
إبرا يضيــق بهـــا فنـــاء المنـــزل
وأتــــــاك يـــوسف يستعيرك إبرة
ليخيـــط قــدُ قميصـــه لم تفعـــل

☆☆

المأمون والغلام الجميل

● دخل المأمون يوما بيت الديوان فرأى غلاما جميلا على أذنه قلم فقال: من أنت ياغلام. قال: أنا الناشئ في دولتك والمتقلب في نعمتك. والمؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء. قال المأمون: بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول إرفعوا هذا الغلام فوق مرتبته.

☆☆

الفتى والحمار

● قيل مضى فتى في طريق على حمار له حتى أمسى فنزل في منزل بالطريق وإذا برجل قد أقبل على مهر فاستقبله الفتى وحياه فأنس به وجلسا يتحادثان برهة فاستلطفه الرجل. ثم دعا بطعام فحضر ودعا بعلف لمهره فقدم إليه، وجلس يأكل والفتى. ولم يكن معه نفقة لعلف حماره فنظر إلى الرجل وقال:

نظمى يعـــــــاب بشركـــــــا
فلـــناك شعري لا يقـــاس بشعركـــا
أو ليتني فصـــلا وإني عـــــاجـــز
مـــا طـــال عمري أن أقـوم بشكركـــا
أنـــا في ضيـــافتـــك العشيـــة كلهـــا
فـــاجعـــل حمـــاري في ضيـــافـة مهركـــا

فضحك الرجل وقال: ما هي إلا غفله منى ودعا بعلف للحمار كعلف المهر فقدم إليه.

☆☆

في الوصايا

نخبة من وصية ابن سعيد المغربي لابنه وقد أراد السفر

أودعـــك الرحمـــان في غربتـــك
مرتقبـــا رحمـــاه في أوبتـــك
فـــلا تطـــل حبـــل النـــوى انني
واللـــه أشتـــاق إلى طلعتـــك
فللتجـــــارب أمـــــور إذا
طـــالعتهـــا تشحـــذ من غفلتـــك
فـــلا تنم عن وعيهـــا ســـاعـــه
فـــإنهـــا عـــون إلى يقظتـــك

إلى آخر القصيدة وآخر النثر

صرخة من وصية ابن طاهر لابنه

● أما بعد فعليك بتقوى الله وحده وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك في الليل والنهار والزم ما ألبسك من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر إليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه إلى آخر الوصية.

وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين

أوصى الرشيد مؤدب ولده الأمين فقال : إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه. قصر يدك عليه مبسوطة وطاعتك عليه واجبة. إقرئه كتب الدين وعرفه الآثار وروه الأشعار وعلمه السنن وبصره مواقع الكلام، وامنعه الضحك إلا في أوقاته ولا ينور بك ساعة إلا وأنت مغتم فيها فائدة تفيده إياها من غير أن تجزق به فتميت ذهنه ولا تسعى في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن اباهما فعليك بالشدة والغلظة.

للشريشي

☆ ☆ ☆

نخبة من أرجوزة ابن مكاش

هــــــــــــــل من فتى ظريف
معــــــــــــــاشر لطيف
يســـــع من مقــــــالي
مـــــا يرخص الــــلآلي
امنحــــــه وصيـــــة
ســــاريــــة سريـــة
كثير بي الــــديــــاجي
كلمعـــــــــة السراج
رشيقــــــة الألفــــاظ
تسهــــــل للحفــــاظ
جــــادت بهـــا القريحـــة
في معرض النصيحـــــة
أنـــا الشفيـق النـــاصـح
أنـــا المجـــد المـــازح
ان تبتـــــغ الكرامـــــة
وتطلب الســــلامـــــة
اسلــــك مع النــــاس الأدب
ترى من الـــــــدهر العجب
لن لهم الخطـــــــابــــا
واعتمـــــــد الآدابـــــا
تنـــل بهـــا الطــلابــا
وتسحر الألبـــــابـــا
ولا تطـــــــاول بنشب
ولا تفـــــــاخر بنسب
فـــــالمرء ابن اليــــوم
والعقـــــل زين القـــوم

إلى آخر الأرجوزة

☆ ☆ ☆

من وصايا لقمان الحكيم لابنه

● قال لقمان[1] لابنه : إن الدنيا بحر عريض قد هلك فيه الأولون والآخرون فإن استطعت أن تجعل سفينتك تقوى الله وعدتك التوكل على الله وزادك العمل الصالح فإن نجوت فبرحمة الله وإن هلكت فبذنوبك.

لابن عبد ربه

وله أيضا :

● يابني ليكن أول شيء تكسبه بعد الإيمان خليلا صالحا. فإنما مثل الخليل كمثل النخلة. إن قعدت في ظلها أظلتك. وإن أحطبت من حطبها نفعك. وإن أكلت من ثمرها وجدته طيبا.

☆ ☆ ☆

● روي في وصايا لقمان الحكيم لابنه أنه قال : يابني لا يكونن الديك أكسر منك ينادي وقت السحر وأنت نائم.

1) راجع عن لقمان مقال بن نهرد في دائرة المعارف الإسلامية الإنجليزية وفيه يتحدث عن ثلاثة نواح في لقمان :
1 ـ لقمان المعمر في عهد الجاهلية.
2 ـ لقمان في القرآن : حكم بضرب الأمثال؛
3 ـ لقمان في الإسلام صاحب خرافات وفي المقال مراجع عربية واروبية.

● وقال أيضا : يابني لا تركن إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها فإنك لم تخلق لها وما خلق الله خلقا أهون عليه منها فإنه لم يجعل نعيمها ثوابا للمطيعين ولا بلاءها عقوبة للعاصين. يابني لاتضحك من غير عجب ولا تمش في غير أرب ولا تسأل عما لايعنيك يابني لاتضع مالك وتصلح مال غيرك. فإن مالك ما قدمت، ومال غيرك ما تركت. يابني إنــه من يرحم يرحم. ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم، ومن يقل الباطل يأثم. ومن لا يملك لسانه يندم. يابني زاحم العلماء بركبتك. وأنصت إليهم بأذنك، فإن القلب يحيا بنور العلماء، كما يحيى الأرض الميتة بمطر السماء.

● لقمان الحكيم هو عبد عربي متوغل في الجاهلية ينتهي نسبه إلى عاد وكان كثير التفكير صحيح الدين أحب الله فأحبه ومن عليه بالحكمة تنسب إليه العرب غررا من الحكم والأمثال وفي القرآن الكريم سورة باسمه تعرض نماذج من حكمه تنصب خاصة على وصيته لابنه بقوله تعالى : ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم... يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن من صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير يابني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**﴾.

ويتضح مما تقدم عرضه فإن ذكريات الشباب حلوها ومرها لا يمكن للإنسان أن ينساها أو يمحوها من ذاكرته ورحم الله شوقي : والذكريات صدى السنين الحاكي ولله در الشاعر العبادي حيث قال :

ولقد بكيت على الشباب لو انه
كان البكاء به علي يعود

الرباط : عبد القادر القادري

1) راجع عن لقمان مقال بن نهرد في دائرة المعارف الإسلامية الإنجليزية وفيه يتحدث عن ثلاثة نواح في لقمان :
1 ـ لقمان المعمر في عهد الجاهلية.
2 ـ لقمان في القرآن : حكم يضرب الأمثال؛
3 ـ لقمان في الإسلام صاحب خرافات وفي المقال مراجع عربية واروبية.

القائد محمد بن علي بن طوجة الرباطي

طالب في عهد الحسن الأول، وعضو البعثة العلمية الثانية لإيطاليا عام 1887

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

لقد سبق أن حررت مذكرة لطالب وافق القائد محمد بن علي بن طوجة الرباطي في البعثة هو الطالب الحسين الزعري السلوي، الذي عرفت بواسطته بهذه البعثة العلمية بكلمة هامة، وترجمة كاشفة، نشرت بعدد 1 من سنة 12 صفحة 143 إلى صفحة 148 من مجلة : **دعوة الحق الغراء**، تحت عنوان : **مذكرة طالب مغربي أرسل في بعثة مغربية إلى إيطاليا منذ ثمانين سنة.**

واليوم وفد علي طالب باحث هو السيد عبد الحق بن طوجة ابن أخ هذا القائد ؟ وزودني بوثائق هامة، تركها القائد المرحوم بكرم الله، شبه مذكرات لتاريخ الأحداث التي عاشها مرتبة واحدة واحدة.

الأمر الذي جعلني أهتم بتحرير ترجمة حافلة له، حسب الوثائق المدخرة لدى أسرة القائد، والتي أشكره على تفضله بها علي لأستخرج منها ما عساه يعطي الضوء الأخضر لهذه البعثة العلمية، الناجحة في عهد السلطان الأكرم الحسن الأول، الذي يعد عهده عهد تجديد كيان الدولة المغربية العظيمة.

ولا شك أن الباحثين والمؤرخين سيستفيدون منها الشيء الكثير، نعم قبل الدخول في الترجمة، أعلق على ما جاء مخالفا لتاريخ مذكرات الزعري الأولى ! يقول الزعري في مذكراته : أن سفر البعثة، حصل عام 1306 هـ موافق لشتنبر 1888 م ومكثنا في طنجة 18 يوما، هيئت لنا فيها الكساوي ويوم الثامن عشر من نفس الشهر، رست الباخرة الحربية ضانضولى DONDOLO الأبطالية، ونقلتنا إلى ايطاليا، وبعد يومين رست بنا في مدينة جنوة.

بينما تقول مذكرة بن طوجة السفر حصل سنة 1887 والنزول بطنجة والجلوس بها دام لمدة شهرين ! وكان الركوب من طنجة في باخرة فركاطة « AFFONDATORE » وقصدنا جنوة، وفي نونبر من نفس السنة وصلنا طورنو بإيطاليا ؟ وفي سنة 1892 دخولنا لمدرسة البحرية لفورنو « LIVERNO » ويقول 4 يونيو 1897 رجعنا من إيطاليا إلى المغرب في فركاطة لبنطو « LEPANTO ».

ويقول الزعري لدى نزولنا بجنوة : وجدنا في استقبالنا مدير المدرسة التي سنلتحق بها، وهو السنيور «أوغستين ذي قروصي» وبعد أن بتنا ليلتنا بالفندق، إتجهنا على طريق السكة الحديدية إلى مدينة طورنو، واستقبلنا التلامذة والأساتذة أحسن استقبال ! والمدرسة تسمى :



«المدرسة الملكية للدولة الإيطالية» وشعارها «الإخاء الأجنبي». « FRATE EXAOVENIS ».

كما جاء في مذكرة الزعري أن عمر الطلبة بين 13 و16 «بينما يقول ابن طوجة في مذكرته كان عمره احد عشر سنة فقط !

هذه كلها اختلافات في النقول، أثبتها وأترك القارئ يختار الرواية التي يقبلها !

«ترجمة محمد ابن طوجة : الطالب يقول :

إنه ولد بالرباط عام 1292 هـ موافق 1875 م وتوفي بالرباط 26 ربيع الثاني عام. 1365 هـ موافق 29 مايوه 1946 م وسنه تبلغ 73 سنة.

نعم عند بلوغه السن 11 سافر إلى إيطاليا طالبا في البعثة العلمية بأمر أمير المؤمنين الحسن الأول رحمه الله.

وشأن المؤرخ أن يرتب الأحداث حسب ما في المذكرة، لأن الناقل مؤتمن والمؤرخ مسؤول عن النقول ! فلا يمكنه أن يتلاعب بالزيادة أو النقص ؟ والا يعد متلاعبا لا مؤرخا !

كما جاء في المذكرة الحديث عن زواجه ومولوده : يقول إنه بعد أن تزوج بالآنسة زينب كريمة الحاج الجيلالي المدغري أبا احنيني كذا، وكان رئيسا لمرسى الرباط بتاريخ 10 رجب 1319 وسنة 1926 ازداد عنده مولودا سماه : مصطفى لكنه توفي من سنة ! ولم يرزق غيره ! ويقول : كان له أخ أصغر منه توفي في سن باكر يسمى عبد الرحمن توفي في نونبر سنة 29 وترك ولدين أحمد. وعبد الكريم : فوقع اختياره على تبني أحمد، وأصبح كأنه ولده. وعمل على إدخاله إلى المدرسة الحربية بمكناس، بتاريخ 15 اكتوبر 1920 وتخرج منها بتاريخ 30 دجنبر، متم 1923 ورحل إلى فرنسا، ومكث بها 35 سنة، وتزوج بها بفرنسية، وشارك في الحرب العالمية الأولى، وأخذ أسيرا لدى الألمان ! وولد مع زوجته، عدة أولاد، عند رجوعه للرباط جاء برتبة قبطان، ومعه بنته الكبرى، وقد

عمل مع السلطان الجليل محمد الخامس ومع ولي عهده السلطان من بعده الملك الجليل مولاي الحسن أعزه الله كرئيس مكتب التجنيد العسكري، برتبة عقيد كولونيل، وتوفي يوم الجمعة 28 يبراير 1983 م ودفن بالرباط.

ويقول إنه يوم 27 نوفمبر 1907 دخل للعمل رئيس طابور رقم 1 بطنجة. يناير 1925 م انتهى الطابور رقم 1.

وسافر لمسقط رأسه الرباط : 1 مارس 1926 م رجع لطنجة يعمل في الطابور الثاني، الجمعة فاتح مارس 1929 ـ 19 رمضان 1347 هـ انقضى الطابور 2 وسافر إلى الرباط، ويقول إنه سافر لطنجة من الرباط يوم الأربعاء 21 ذي القعدة عام 1323 هـ وركب في «باخرة توكي».

وعمله هذا في عهد السلطان المعظم المولى عبد الحفيظ وقد أنعم عليه بوسام ملكي شريف، من الدرجة الخامسة في ربيع 1330 هـ.

كما أنعم عليه السلطان مولاي يوسف قدس الله روحه بوسام من درجة ضابط. الدرجة الرابعة، قائد الطابور المشاة طابور الأمن رقم 1 طنجة.

ولقد أفاد كثيرا في عدد من الأحداث الجسام مؤرخا لها بكل دقة في مذكراته، ونحن خدمة للتاريخ، يجب أن نحافظ على الأحداث، ويمكن أن نعلق عليها إذا لاحظنا فيها خلافا مثلا ؟

والحقيقة أن تعاليقه وتواريخه مضبوطة ومتقنة وأنها تصادف الحقيقة، وكانت وفاته كما سبق الإعلان عنها 26 ربيع 1365/2 هـ 29 مايو 1946 ودفن بالرباط.

أما عن ابن أخيه عبد الكريم، فقد جاء عنه أنه ولد عام 1905 وأن الذي تبناه هو جده علال بن طوجة، هذا الشيخ الجليل الذي عمر كثيرا وتوفي سنة من مائة وثلاث سنوات ! وأقيمت له جنازة هامة. حضر فيها كبار القوم، وفي القمة باشا الرباط الحاج عبد الرحمن بركاش، وقد نشرت هذا الحدث، جريدة السعادة التي كانت تصدر آنذاك ؟ والوفاة حصلت سنة 1933 ـ 12 شوال 1357 هـ.

(TRADUCTION)

GOUVERNEMENT CHÉRIFIEN

SERVICE DE L'INTERPRÉTARIAT GÉNÉRAL, DE LA CHANCELLERIE ET DU PROTOCOLE

DAHIR

" L'Emblème de la gloire est une illustration précieuse qui fait briller ici-bas l'homme d'un vif éclat. "

" Si vous désirez être honorés chez vos semblables parez-vous fièrement de l'insigne de Notre Dynastie. "

«LOUANGES A DIEU SEUL ! IL N'Y A DE DURABLE QUE SON EMPIRE !»

(Empreinte du grand sceau du Sultan du Maroc portant l'inscription suivante :)

" Youssef ben El-Hassan ben Mohammed ; Dieu est son Protecteur ; Celui qui en appelle à l'aide de l'envoyé de Dieu — Intimiderait les lions dans leurs repaires mêmes ; — Celui qui se réfugie en toi, ô la plus noble des créatures, — Celui-là, Dieu le protège contre tout péril. "

Par la Grâce de Dieu et sa Puissance, Nous décernons à l'ami de Notre Majesté,

Mohammed ben Toudja

[illegible]

le quatrième Rang d'Officier [illegible] de l'Ouissam Alaouite Chérifien, en considération de ses mérites. Qu'il le porte avec respect et qu'il le considère comme un témoignage du respect et de l'estime dont il jouit auprès de Notre Majesté.

Fait à notre Capitale de Rabat, le [illegible]

[illegible]

Rabat, le [illegible]

[illegible]

CAMPS MILITAIRES [illegible]

كما يقول : إنه قدم دار سكناه لأهل الزاوية التجانية، حيث استبدلوها منه بدار بيرو زنقة فران الزناقي.

ويقول عن ابن أخيه عبد الكريم، ادخل الكتاب القرآن أولا ثم كبر وتزوج وأصبح يتجر بسوق السباط في الرباط، وتوفي عبد الكريم هذا والد الطالب عبد الحق صاحب الوثائق يوم الجمعة 30 رجب 1403 هـ 13 مايو 1983 م ودفن بالرباط أيضا.

كما يقول في ناحية من مذكراته أنه عمل في باخرتين وطنيتين، الحسني والبشير، وزار كلا من تركيا واليابان !

هذا ما اهتديت إلى تسجيله، من هذه المذكرات التاريخية، التي جادت بها الأيام، وأرجو من الله أن أتوفق للعثور على مذكرات طلاب رفقاء هؤلاء لتتم النظرة، إلى معرفة هذا العصر، الذي كان فيه جلالة الملك الحسن الأول، يبذل أقصى جهده، في رفع مستوى هذا الوطن الحبيب، وإنقاذه من ظلمات الجهل، والانحلال والله ولي العاملين.

من الأحداث الهامة التي ذكرها وأرخ لها في مذكراته ؟

30 شتنبر 1938 تاريخ الهدنا : السلم : موقعة من القوى الأربعة في الغرب : الانجليز ويمثلها شوبرلين، وفرنسا ويمثلها دالدي، ألمانيا ويمثلها هتلير، وإيطاليا ويمثلها بني فيتو موسولوني - بمونيخ ؟

يوم الأحد 16 شعبان 1326 هـ.

توفي شيخنا هكذا يقول : يعني به نائب جلالة الملك بدار النيابة بطنجة، السيد الحاج محمد الطريس رحمه الله.

2 سبتمبر 1939 م الساعة 11 صباحا أعلنت الحرب، بين ألمانيا وانكلترا، وفي الخامسة مساء أعلنت الحرب بين فرنسا وألمانيا بعد أن اكتسح الألمان دولة بولونيا !

يوم الإثنين 7 مايو 1945 الساعة 2 وأربعين دقيقة، وصل خبر انهزام ألمانيا من غير شرط. الحمد لله، الحمد لله.

15 غشت 1954 م تسليم الجابون (اليابان) للحلفاء من غير شروط !

عام 1894 م توفي جلالة الملك الحسن الأول ونصر السلطان مولاي عبد العزيز.

21 جمادى العاشرة صباحا توفي السلطان المعظم مولاي يوسف موافق 17 نونبر 1927 م.

يوم 18 نونبر 1927 بويع بالملك سيدنا محمد الخامس قدس الله روحه.

سلا ج. أحمد معنينو

ولاؤنا لملكنا

أحسن هديتنا للرائد الحق في ذكراه الستين

للأستاذ عثمان بن خضراء

وقف الشعب يشاطر الشباب عيده وفرحته وبهجته... والشباب هو العمل... هو الفعالية... ولذلك أراد جلالة المغفور له محمد الخامس أن يكون يوم عيد الشباب 9 يوليوز عيد ميلاد ولده جلالة الملك الحسن الثاني في كل سنة، ويرمز إلى ما يجب أن يكون عليه الشاب المسلم... فإذا طبقنا هذه القاعدة : ان الشباب هو العطاء، هو الفعالية، هو الإنتاج، نجد جلالة الملك لاتزيده تلك السنون إلا شبابا... فهو الشاب الدائم الشباب، هو المثل كما يجب أن يكون عليه الشباب المسلم..

نعم... وقف الشعب من طنجة إلى الكويرة يهتف بحياة ملكه في ذكرى ميلاده الستين وفخور بما يضمه إليه التاريخ من صفحات لامعة ووقفات مشرفة.. نعم... تمر السنون والأعوام وذكرى العظماء من ملوك وسلاطين وغزاة فاتحين الذين مثلوا أدوار الشجاعة والعظمة والعبقرية بجباه عالية على مسرح الخلود أبدا ماثلة أمام الأجيال، يتناقلها الخلف عن السلف كأساطير الأولين محفوفة بالإجلال والإعظام... ولولا الإقرار بالنبوغ والاعتراف بالعبقرية لما أقيمت التماثيل وخفقت الأعلام والرايات، ونصبت أقواس النصر وعقدت حفلات التكريم والتبجيل، وهتف بحياة زعيم أو عظيم... فالخدمات الجليلة التي يقوم بها ذوو الأريحية والنفوذ لها نشرها الطيب وذكرها الخالد وأثرها المحمود وجزاؤها الحسن في الدارين.

☆☆☆

والأمة التي يقودها ملوك من طراز الحسن الثاني تستطيع حقا الاستفادة من تضامنها وقوتها ووحدة أبنائها لتشق طريقها نحو العظمة والبناء والازدهار... وعيد الشباب كان دائما يرمز إلى هذه المعاني ويجسد تجاوب الملك المسلم والشباب المؤمن والتحامهما في معارك النضال والكفاح.

إن الملك محمد الخامس قدس الله روحه قد ربى ولده الحسن تربية مثالية لتحمل المسؤولية...

فالعصر الذي فرضت فيه الحماية الفرنسية على المغرب كان استمرارا للحملة الاستعمارية التي شنتها أوربا على بلدان إفريقيا وآسيا... وتسابقت إلى الفتح والاستيلاء قصد السيطرة على موارد الثروة الطبيعية في تلك الأصقاع وفتحها أسواقا للمنتجات الصناعية لاعتصار أموالها واستلاب أرزاقها وامتصاص خيراتها... واستأثر المستعمر في المغرب بأفضل منابع الثروة والإنتاج وبشؤون البلاد يسيرها كيف يشاء... فأصبحت مظاهر الكبت يتسع نطاقها وتضيق

حلقاتها، وكانت مراجل الثورة تفيض بالقوة وتنبض بالحياة، شأنها في ذلك شأن كل قوة طبيعية تعترضها قوة غير طبيعية ولما اندفعت الثورة من محيطها الضيق إلى أفقها الكبير... كانت الأيدي تهتز مع القلوب، وكان الإخلاص ينفعل مع الخير العام... وتخطى محمد الخامس وابنه البار مولاي الحسن الصفوف ليكونا في قيادة الحركة الثورية الرائعة... وإذا بالثورة تجتاح كل شيء، ولا تبقي من عناصر الفساد على شيء - وكان دهاقنة الاستعمار يعلمون أن الحسن الثاني هو المخطط الرئيسي للمقاومة الشعبية، والبطل الثائر في وجه قراعنة الاستعمار والذي عرف كيف يهز أقدامهم على أرض المغرب فخاض جلالته المعارك وجابه القوات الغاشمة وضحى وصمد صحبة والده المنعم محمد الخامس والشعب المغربي الوفي... وكان رائده تخليص الوطن من الحكم الأجنبي وإقامة صرح شامخ للرابطة بين العرش والشعب، هذه الرابطة المقدسة التي تشد أواصرها الذكريات المجيدة والتجاوب العميق فها بلادنا في الذكرى الستينية لعاهلها المفدى أطال الله تعالى بقاءه، تدفع عجلة التقدم إلى الأمام... والشعب، شيبا وشبابا، يعطي كامل قدراته في الحجم الكلي للإنتاج، يعطيه كل مواطن ويقدمه من مجهود، واختصاصه، ومن بذل ومن كفاح استجابة لنداء ملكه الملهم ولنداء التاريخ والأجيال - والمعركة مستمرة من أجل عظمة هذه البلاد، وهي كما يريدها جلالة الملك الحسن الثاني عمل كل يوم، كل شهر، كل سنة، كل جيل، فهي معركة إيمان في قلب الشباب وتفكيره وإبداعه وإنتاجه.

ويعتمد جلالته في رسم طريق الفلاح بالدعوة للعودة إلى ينبوع العقيدة الإسلامية كدين ومنهج وسلوك ينظم العلاقات داخل المجتمع المغربي ويركز على مبدأ المسؤولية بالنسبة للفرد والجماعة، وبالنسبة للراعي والرعية بحيث تخص الجميع ولا يستثنى أحد...

ومن هذا المنطلق فإن الدعوة الرائدة لأمير المؤمنين لمواصلة الدور الحضاري للأسلاف تعني استيعاب المضمون الفكري والسياسي والاقتصادي للإسلام والخطة التي يسير عليها الحسن الثاني تتسم بروح إسلامية، وبسمة الخلق والإبداع، وتقوم على استيفاء المناهج والأساليب المتولدة على الدراسة المحكمة والاستيعاب الرزين لتجنب مواطن الزلل والزيغ وتسلم المشاريع من مغبات الاختلال والارتجال !

لقد تفطن الملك الشاب الملهم إلى أن العصر الذي نعيش فيه يتميز بتقدم العلم، وطغيان المادة، مثلما يتميز بظهور عدد من المذاهب والتيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية... فتحقق إلى أن أرشد الحكومات هي تلك التي عرفت كيف تحسن الاختيار وسط الآراء والنظريات المختلفة... وتخط للشعب المسلم سياسة مستمدة من حقائقه الدينية وشخصيته الاجتماعية، مرتكز على مقوماته، ملبية لعبقريته واحتياجاته سواء فيما يخصه كشعب له مميزاته أو فيما ينوبه كعضو مسؤول في الأسرة الإنسانية الكبرى ! وأمام هذه التيارات المختلفة، فإن جلالة الملك يرى أن الشعب المغربي المسلم يجد نظاما اقتصاديا واجتماعيا في كتاب الله العظيم الذي يقول :

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾

فنكون تلك الأمة الوسط التي ليست بالرأسمالية ذات النظام الأهوج التي لاتترك حرية لأي ضعيف، ولا بالاشتراكية التي دلت الأرقام والحوادث على أن نظرياتها يمكن أن تكون أخطر من تطبيقها !

نريد أن نكون تلك الأمة التي يمكنها أن توفق بين النظامين، وذلك بأن تعطي لكل الميادين مدلولها ومفهومها... ففرق حفظه الله بين الميادين التي يجب أن تشرف عليها الدولة وتلك التي يجب أن تبتعد عنها تاركة إياها للمبادرات الحرة... بين القطاعات الاستراتيجية للإقلاع الاقتصادي وللاستثمار في النمو والميادين التي تمكن المواطن من رفع مستواه الخاص، وخلق الرواج

والنيابة عن الدولة التي لا يمكنها أن تخوض جميع الميادين.

وهكذا نجد عمل الحسن الثاني الملك الملم في كل الميادين يتميز بالجدية والتضحية والفطنة والذكاء والعبقرية وحب الصالح العام معتمدا بعد الله تعالى على إقدام الشباب وتجربة الكهول... فأوضح جلالته في غير ما مناسبة أن مستقبل الأمم هم شبابها... إرادة وحماس، صدق ونقاء، عزيمة وجرأة، مقدرة وابتكار، جلد وإيثار، مروءة وذوق، موقف وأمانة في حمل الرسالة فجسامة المسؤولية العظمى على صعيد الشباب... ودور الثقافة في فهم الشباب وتفجير طاقاته في القضاء على التخلف، وتضييق فجوة التفاوت على حلبة السباق الحضاري التي يرصد العالم اليوم، كل ما يملك من عدة وعتاد... والشباب المغربي في طريق الوحدة وفي الحقول والمصانع، وفي سيناء والجولان، وفي المسيرة الخضراء، قد وفرت عليه رحلة السنين التي كان عليها أن يقطعها في اكتساب بعد الرؤية فإنه بحاجة دائما إلى تجربة الآخرين ونصحهم وتأطيرهم.

إن النشاط الجسماني من أهم الحوافز في عملية التأمل وانبثاق الأفكار السليمة وهو الذي يؤول إلى إحراز الرشاقة والقدرة على تحمل أعنى المشاق... وليس ذلك بجديد، فمنذ القرن الخامس قبل الميلاد أعلن «أفلاطون» عن ضرورة تمرين الجسم والعقل معا، وعلق أهمية كبرى على هذين الشرطين لدى الفرد في فتح أبواب النجاح... وإذا كان «العقل السليم في الجسم السليم» كما تقول الحكمة فإن السيادة هي دائما للعقل في قيادته الجسم على النهج السوي السليم.

وعندما نشحد العزائم ببذل الجهد في تغيير أسلوب حياتنا ونظفر بتحقيق الرشاقة في عقولنا وأجسامنا الشابة، عندئذ يمكننا أن نضع الجسم والروح والعقل في ذلك التناغم الخلاق وأن ننجح في عملية إبداع الذات.

☆ ☆ ☆

فما أسعدنا ونحن نعيش في غمرة أفراح عيد الشباب السعيد هذه السنة وهي تكتسي أهمية خاصة وطابعا متميزا من الروعة والجمال، إذ تحل والمغرب يعيش نشوة الأفراح والاحتفالات بمرور ستين سنة على ميلاد جلالة الملك الحسن الثاني.

إنها ذكرى حافلة بالآمال الواسعة والتطلعات الرائدة والأماني الغالية حاملة معها حفلا من الذكريات المجيدة وموكبا من صور المفاخر القريبة والبعيدة. هاته الذكريات والمفاخر التي تحتل مكانها في تراث الشعب المغربي وتزين تاريخه الزاهي الزاهر... ولعل أبرز معلمة في مسيرة العبقرية الحسنية هذا التوافق المحكم، وهذا التلازم بالجماعة ووحدة الصف، وبين الأخذ باحداث أساليب الحكم والإدارة والتسيير، والتخطيط والإشراف والتدبير سواء في ذلك الجانب التنظيري الذي يقوم على استفهام روح العصر والإفادة من خبرات الشعوب والأمم، أو الجانب التطبيقي الذي يستند على العلم والتكنولوجيا والانفتاح على الآفاق الخارجية للاستئناس بتجارب الدول والاقتباس من كل ما من شأنه أن يقوي تجربتنا ويثري نهضتنا ويرفع مقامنا العلمي والاقتصادي، ويعلي من شأننا بين الدول الصديقة والشقيقة كدولة ذات حضارة ومجد ورسالة ودور بالغ الإيجابية شديد التميز في الإشعاع والتنوير.

فذكرى ميلاد الحسن الثاني تعتبر ذكرى ميلاد العبقرية والنبوغ، حيث ظهرت فيما بعد المواهب الحقيقية للشباب في شخص الحسن الثاني، المثل الأعلى للشباب المغربي الكامل جسما وذكاء وخلقا والرائد العظيم الذي يعز نظيره.

☆ ☆ ☆

ويوم تاسع يولويز في تاريخ المغرب الحديث هو رمز حي ونابض بهذه التوجيهات والآمال العريضة، ومن نبض هذا اليوم تشكلت حيوية التاريخ والأجيال والكيان والسيادة المغربية أرضا ونظاما وحضارة وقيما...

فمنذ نشأة جلالته بجانب والده المنعم انصب اهتمامه على تطوير أفكار الشباب المغربي، وتوجيهه وجهة فكرية وعلمية تمكنه من انتزاع حرية المغرب وبنائه بناء عصريا يكفل له الاحترام والتقدير من طرف الغير... فقاد بنفسه الكشفية المغربية، ثم أسس الخلايا الوطنية بعد أن أعطى النموذج المثالي على تحصيل الشاب الطموح للعلم بجميع ما تحمل كلمة علم من معان قديمة وحديثة وما أن دخل في العقد الثاني من عمره حتى أصبح هو المنظر والمحرك لكل تحرك وطني، في فترة امتحان الوطنية المغربية، إذ حين أصبحت سلطات الاستعمار تحاصر القصر الملكي وتحبك وسائل محاولة العزلة على محمد الخامس الذي أصبح آنذاك يحير أمره كل خبرائها العسكريين والسياسيين... إذا أصبح القصر الملكي خلية متحركة توجه العمل الوطني وتغرس بذوره في نفوس شباب الأمة... وحين تبحث تجد أن ملك البلاد هو الموجه لكل التحركات الوطنية - ولما تندهش مصالح الاستخبارات الأجنبية من دقة العمل الوطني وملاءمته لأحداث أساليب التحرر المعاصرة تجد أن ولي العهد الأمير المثقف النابغة الذكي الجريئ الخطيب المفكر هو المخطط لمسيرة النضال كلها... وبقدر ما كانت تندهش من حيوية شخصيته وجرأته وإقدامه بقدر ما كانت تنصب له حبائل الوقوع به، ولكن حفظه الله كان فوق اختيار ذهاقنة الاستعمار وكان من فضله تعالى أن هيأ لمواجهة الأخطار المحدقة جلالة الملك الحسن الثاني الذي خاض معركة بطولية ضد القوى المعادية للحرية ووحدة الشعوب، فهو حفظه الله من ذوي الإيمان الراسخ الذين يدركون إدراكا واعيا حقيقة الخطر القائم على الإنسان ويلعبون دورهم البطولي غير عابثين بما يلحقهم من مكروه وأذى...

الذكرى الستون لميلاد الحسن بن محمد وهتافات الحب والولاء والغبطة والطاعة والتعلق بالرائد القائد... حياة حافلة بالعطاءات والبطولات والأمجاد... مليئة بجلائل الأعمال ودلائل التوفيق... والشعب المغربي مدين لشعبية الحسن الثاني المتفتحة، وحدبه المتواصل وأبوته المتعالية وجهاده الصامت وكفاحه المستمر الطافح بأسمى بطولة !

كيف لا وعبقريته تستمد مددها وقوتها وسندها من الكتاب والسنة وهما المنطلق الواضح لمراحل حياة جلالته منذ نشأته وتطوره إلى بداية تحمل مسؤولياته كولي للعهد ثم كأمير المومنين الذي تقلد الأمانة كخير خلف لخير سلف بعد وفاة والده محمد بن يوسف رحمه الله... فسار في النهج الواضح الذي اختطه قادة المغرب وملوكه وجدد معالمه أجداده الكرام منذ عهد المولى اسماعيل إلى عهد محمد الخامس رحمهم الله.

وهذا نجد جلالته يقول في أول خطاب وجهه إلى شعبه الوفي إثر توليته الملك يوم 3 مارس 1961 :

«وإنني أعاهد الله وأعاهدكم على أن أضطلع بمسؤولياتي وأؤدي واجبي طبق مبادئ الإسلام وقيمه السامية وتقاليدنا القومية العريقة ومقتضيات مصلحة الوطن العليا، كما أعاهد الله وأعاهدكم على أن أدافع عن حوزة الوطن واستقلاله وسيادته، وأحرص على وحدته وإعلاء شأنه بين الدول».

نعم... يخلد المغربة قاطبة هذه السنة 9 يوليوز 1989 الذكرى الستين لميلاد جلالة الملك الحسن الثاني بكل ما تستحقه من مظاهر الابتهاج والحفاوة، وبقلوب مفعمة بالحب والولاء ومشاعر النخوة والاعتزاز لضامن الاستمرارية والسيادة والوحدة وحامي الملة السمحاء ومعتزين بمغربهم العزيز، الذي يقرأون مجده ورفعته ومناعته، في طلعة الملك المغوار المنتصر الباني وتأتي هذه الذكرى الستون لميلاده السعيد بعدما احتضنت عاصمة الموحدين مراكش الحمراء مؤتمر القمة التأسيسي لوحدة المغرب العربي ما بين 15 و17 فبراير 1989... وهذه الوحدة المغاربية منذ سنين عديدة ! وقد عمل جلالته على تكوين اتحاد المغرب العربي ببنيات متينة كفيل بضمان

انفراج سياسي في المنطقة وتكامل اقتصادي وصناعي وعلمي يجعل من دول المغرب العربي قوة تؤخذ بعين الاعتبار - والملك والشعب منذ فجر الاستقلال وهما ينشدان الوحدة المغاربية ويبذلان جهودا جبارة في هذا المضمار - كما أن شعوب المنطقة تطلعت إلى هذا الاتحاد منذ السنوات الأولى لاستقلالها.

إن اهتمامات العاهل المغربي بشؤون المغرب العربي لا تمنعه من تقديم الخدمات وبذل التضحيات من أجل القضايا العربية الشائكة... فسياسة الحسن الثاني تهدف إلى تقريب وجهات نظر العرب وتحليل مستجدات الساحة العربية والوقوف إلى جانب الحق وتوحيد الصفوف وحفظ الكرامة العربية... وما مؤتمر القمة العربي الطارئ بالدار البيضاء، قمة الإنجازات القومية 26/23 ماي 1989 إلا دليل على مبادرات جلالة الملك الحسن الثاني الشجاعة وسعيه الحثيث وراء استتباب السلام بمختلف مناطقنا العربية مثل فلسطين ولبنان ووحدة التراب العراقي وسلامته، وتمسك جلالته بالخير العميم لكافة العرب.

فرحلة الحسن الثاني مع السلام تبدأ منذ أول عهده بالمسؤولية حيث فتح أبوابه منذ البداية لكل المبادرات القادرة على جعل التضامن والإخاء للعلاقات بين الأقطار العربية والإسلامية متين ودائم.

من هذا المنطلق ندرك مدى تعلق شعبنا بعرشه ونقدر الأبعاد الحقيقية لهذا التجاوب المطلق والانسجام العميق والآصرة المتينة التي تربط بين القاعدة والقمة وتوحد بينهما في السراء والضراء.

فعيد ميلاد سعيد ياصاحب الجلالة... حفظكم الله لشعبكم وحفظ الشعب المغربي الأبي وأقر عينه بملكه المحبوب حتى يحقق للدين نصرته وانتشاره وللمغرب ما يطمح إليه من رسالة سامية في الوفاق العربي والإسلامي والدولي والأخوة الإنسانية التي قال الله تعالى فيها : **﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**.

سلا : عثمان بن خضراء





ياليت الشباب يعود يوما. ان هموم الحياة لا يعرفها الإنسان على حقيقتها إلا عندما يقطع من العمر أشواطا وتنهكه الممارسات والتجارب وتنازله الأيام بما تبدي له من مجاهل الأمور...

- محيط الشباب وواقعه المعاش يقتضي دراسة شمولية ومتجانسة، ذلك لأن قضايا الشباب لم تكن من نمط واحد، بل متعددة المشارب والاتجاهات قدر تعدد التيارات وتنوع الإيديولوجيات التي جاء بها الفكر المعاصر.

- وتفيد الأبحاث والدراسات الجادة أكاديمية أو ميدانية أن قضايا الشباب تحتاج إلى عملية علاج مستمر باعتبار أن العنصر الشبابي عنصرا مجددا بكيفية مستمرة، وأن أدمغة هذا العنصر قابلة في هذا الوقت أكثر من أي وقت مضى عملية غسل مما أصبح يخالط هذه الأدمغة من شوائب ومؤثرات تتفاقم بتفاقم الظروف الشيء الذي جعل الشباب عرضة للاضطراب والتوتر والقلق، وقد تكالبت عليه هذه العوامل المرضية فأصبحت تشكل أزمة في حياته وعقدا في تصرفاته وسلوكه وعلاقاته العامة مع الآخرين، وكادت هذه الأزمة أن تحوله من عنصر إيجابي منتج إلى عنصر سلبي هامشي مستهلك، وهذه حالة لا تليق بالشباب مطلقا، لكونه يمثل القلب النابض للأمم والشعوب، ومعولا أساسيا في البناء والنماء، والبلد الذي تقل فيه نسبة الشباب يسرع الزمن بشيخوخته.

- وهذه المفاهيم وسواها تقتضي من الباحثين في مجال قضايا الشباب أن يمعنوا النظر في المراحل التي تمر منها الأجيال هذه الأجيال التي عاشت صراعات مختلفة منذ نشأة الإنسان الأولي، غير أن اختلاف الظروف وتباين

الأحوال والأوضاع بين جيل وآخر تعطي لكل زمان وجهه الحقيقي، كما أن الحاجيات والمتطلبات تتعدد وتتنوع من وقت لآخر، فما كان في حاجة إليه الأباء والأجداد ليس هو ما في حاجة إليه من طرف الأجيال الجديدة التي ينتمي إليها الشباب، بل شتان ما بين الأمس واليوم، الأمس كان كل شيء عادي وطبيعي أما اليوم فقد أصبح كل شيء ديناميكي مصطنع بفعل التكنولوجية والتقدم العلمي وما جاء به عصر الكومبيتر والفيديو وغير ذلك من أسباب الحضارة الحديثة التي عرفت الحياة الإنسانية فيها، تحولات كبيرة في توجهات الشباب على مستويات مختلفة من التكوين والتعليم والممارسات العملية والوظيفية والمردودية والإنتاجية.

- ولعل من أصعب المصاعب التي تواجه الشباب التكيف مع العصر ومسايرة تطوراته السريعة خاصة وأن المعلومات تسبق بكثير الإنسان في بعض المجتمعات الملتزمة التي لا تزال تحافظ على أصالتها وتقاليدها وتحرص على القيم والمثل الإنسانية العليا وهذه الوتيرة لها انعكاسها المعين في توجهات الشباب وتقف في طريقه وهو أمام تحديات العصر وملزم بإقناع أسرته ومجتمعه وأولياء أمره بجدية أسلوبه في الحياة وهل بهذا الأسلوب يمكنه مواجهة متطلبات الحياة الجديدة بكل ما تقتضيه من حيوية وصبر وتضحية وكفاح، علما بأن تجربة الشباب لم تكن ناضجة بالقدر المطلوب، هذه التجربة التي تحتاج إلى المزيد من الصقل والتوجيه والتكوين والاعداد.

نظرا للدور الحيوي والهام الذي يلعبه الشباب في حياة مجتمعاته حاضرا ومستقبلا في مختلف مجالات البناء والنماء والتقدم والتطور.

شباب اليوم

- يتضح جليا أن الشباب أصبح يؤمن بإنكار معاصرة غير لائقة به، بل لم تكن تعبر عن أصالته وعقيدته كما أصبح يتبنى اتجاهات وإيديولوجيات لا تمت بصلة لواقعه الاجتماعي والاقتصادي وهذه في الحقيقة وضعية شادة وحرجة يوجد عليها الشباب وخاصة في المجتمعات الحضرية :

وكادت هذه الفعاليات السلبية أن تفقد الشباب هويته وتقحمه في وهدة من الانحطاط الاجتماعي والتحجر الفكري والفراغ الأخلاقي والروحي وتلك هي الطامة الكبرى والضربة القاضية التي تشل جسد المجتمع وتوقف حركته وتعرقل مسيرته.

وبهذه الرؤية لقضايا الشباب وإشكالياته تضاعف الاهتمام بهذا العنصر البشري وفي ضوء هذا الواقع بدأت تطرح إشكاليات الشباب على بساط العرض والعلاج بغية انتقاء الحلول المناسبة من منظور شمولي تراعى فيه كل المؤثرات والخلفيات التي تتأثر بها حياة الشباب انطلاقا من منظور الاختلاف في المستويات الاجتماعية والاقتصادية والظروف النفسية وهذه الأوضاع تقتضي هادف لمعالجة إشكاليات الشباب على أساس المعطيات الحضارية، ذلك لأن هناك تفاوتا حضاريا له أثره المحسوس في توجهات الشباب ولابد من تدارس هذه المعطيات وتحديد مفعولها وتأثيرها المباشر أو غير المباشر في سلوكيات الشباب وعلاقاته العامة إذ هناك عناصر بشرية يصعب عليها التكيف مع نمط معين من الحضارة وإن كانت ملزمة بضرورة التكيف مع هذا النمط، أي أن الإنسان وخاصة في مرحلة الشباب كثيرا ما يكون متمردا ضد بعض التقاليد ويزداد تمرده بفعل التأثر بأنماط حضارية معينة ودخيلة، كما أن حب التجديد وسرعة التقليد أشياء من ميولات الشباب التي لا مهرب له منها.

وقد نشطت هذه الفعاليات السلبية في أوساط الأجيال الصاعدة نتيجة التواصل والمد الإعلامي الذي يغزو مختلف الأوساط دون تصنيف ودون فرز ولا تخصيص، حتى إن الشباب الذي ينقصه الوعي وتنقصه المعرفة والتعلم يأخذ مدرسته من الخلاعة وأفلام العنف والجنس والجريمة والسرقة واللصوصية والنصب والاحتيال ويتجرد

من الفضيلة والأخلاق والمروءة والحياء والضير وتلك أوضاع خطيرة أصبحت تكتنف حياة عينات من الشباب وتغذي هذه الأوضاع فئات أخرى من الجانحين الأحداث وبذلك تتضاعف نسبة الانحراف، وقد أفادت بعض الأبحاث والدراسات الميدانية التي جرت على عينات من الشباب ووزعت استبيانات وطرحت أسئلة مست أعماق مختلف الفيئات العمرية المنتمية إلى عالم الشباب واستفسرت الاستبيانات عن نوع المعاناة النفسية والظروف الاجتماعية والحياة الدراسية والوسط العائلي والعلاقات الاجتماعية وكثيرا ما تأتي الأجوبة متشابهة لأن الاشكاليات والمعاناة التي يواجهها الشباب تكاد تكون من نمط واحد وأن تعددت مصادرها واختلفت ظروفها وتنوعت أسبابها.

كما أن المستخلص من نتائج الاستمارات غالبا ما يشير إلى علاقات الشباب بالأسرة والمجتمع وبالاتجاهات المؤسسية من عمل ودراسة وزواج وكل ماله علاقة وصلة بالحياة اليومية ولنلقي نظرة مختصرة عن ارتباط الشباب ببعض المؤثرات التي تطبع سلوكه الخاص والعام وذلك من خلال الأوضاع المختلفة التي يوجد عليها.

الشباب والأسرة

- الحديث عن الشباب وعلاقته بالأسرة ومكانته داخلها يتميز بخصوصيات متعددة، ولكن سوف لا نحيط بكل هذه الخصوصيات وإنما نكتفي بالإشارة إلى أهم الروابط التي تربط الشباب بالأسرة. ففي المناخ العائلي يتم إعداد الشباب وتكوينه الأساسي وتربيته ونشأته الأولى بكل ما تتطلبه هذه الظروف من جهد وتضحية من قبل ركائز الأسرة الأبوين. اللذين يسعيان إلى خلق الجو الملائم للأبناء كي يشبوا في ظروف حسنة ويعاملونهم معاملة طيبة حتى إن البعض من الشباب ذكورا وإناثا يعتبرون الآباء مثلهم الأعلى وقدوتهم في حسن السلوك والتصرف ويرون في الأمهات مصدر الرأفة والحنان والرقة ويعيشون داخل بيوت يعمها التفاهم والوئام حيث يشعرون بأن لهم داخل أسرهم الشخصية الكاملة يستقبلون أصدقاءهم ويعبرون عن آرائهم بكل حرية وإذا بحثنا في هذا النوع من الأسر نجد أنها قدر لا يستهان به من الوعي الشيء الذي يساعدها على ترشيد الأبناء والقيام بالمسؤوليات بينما توجد فيئات أخرى من الشباب تعاني من الحرمان والقهر والتفكك العائلي نتيجة إهمال الأسرة أو الطلاق أو سوء التفاهم في المعاشرة الشيء الذي ينعكس سلبا على الأبناء ويقحمهم في دوامة من الحيرة والتوتر والقلق، بل كثيرا ما يؤدي هذا السلوك إلى المصير المجهول وقد أفرزت بعض البحوث بأن المحيط الأسروي له تأثير كبير في الاستقرار النفسي والاجتماعي في حياة الإنسان بصفة عامة والشباب بصفة خاصة ولعل من أسباب الخلل في العلاقات بين الشباب والأسرة عدم توفر جو الحوار بحيث إن بعض الأسر تعتمد في التعامل مع الشباب على الأسلوب السلطوي بكل ما يتميز به هذا الأسلوب من قمع وتجاوز وتهميش للشباب وفي هذا إحباط للهمم الشابة وتحطيم للجانب المعنوي.وفقدان للثقة بالنفس والشك في المصداقية، بل فإن هذا الأسلوب الذي يتلقاه بعض الشباب من الأسرة يؤدى إلى الفشل والتراجع والانطواء وعدم الادلاء بالرأي والتزام الصمت خصوصا إذا كان الأمر يتعلق بمناقشة القضايا الدينية والسياسية. لأن أنانية الآباء والأمهات تحول دون إشراك الأبناء في مثل هذه المناقشات. وليس بإمكان أي طرف إقناع الطرف الثاني وبذلك تبقى الرؤيا ضبابية وغير واضحة، لأن الشيء الذي يفتقد الوضوح يعتبر في حساب المجهول. وهنا في الحقيقة خلل واضح في مسؤولية الأسرة التي ينبغي لها أن تقنع بكل الوسائل والحجج الشباب بما تتوفر عليه من خصوصيات وتجارب ذلك لأن الأسرة التي لا تحاور الشباب لا يمكن أن تحظى بثقته وبالتالي كيف يمكن لها أن تقوم بترشيده في حياته الدراسية والعملية والاجتماعية وفيما يمارسه أو يكون مقبلاً على ممارسته في رغبات فلسفة الحوار الذي يعتبر أساسيا بين الشباب والأسرة والمواقف المتصلبة والعنيفة والقمع لا تؤدي إلا إلى

الخلل وضعف التجاوب. وجدلية الكلام في هذا الموضوع كثيرة وتختلف من حيث الحجم والعمق بين الأسرة في المجتمع الحضري والمتجمع القروي «البدوي» حيث إن الأسرة في هذا الأخير لا تزال تؤمن بأن لها مطلق السلطة والنفوذ على الشباب لأن معظم الأسر في البادية لا تزال تعيش في إطار نظام اجتماعي متميز يعرف بنظام الأسرة الموسعة حيث إن الأبناء يتزوجون ويتعايشون مع زوجاتهم في بيت تهيمن عليه سلطة الأب والأم.

بينما تقل الأسرة من هذا النوع في المجتمع الحضري وإذا وجد البعض منها فهو من تلك الفئات التي جاءت بها الهجرة القروية إلى المدينة نزوجا نحو طلب الشغل والعيش المناسب ثم الاستيطان وتعاني مع ذلك إشكاليات كثيرا ما تؤدي إلى إفشال الحياة الزوجية في مراحلها الأولى، كما تنشأ عن ذلك سلسلة من الانحرافات والاختلافات في السلوك الفردي والجماعي، وهذه العوارض غالبا ما يعرفها المجتمع الذي يباح فيه تعدد الزوجات وتكثر فيه البطالة وتتفاقم فيه ظاهرة النمو الديموغرافي بوتيرة تفوق الإمكانيات، وقد تنتج عن ذلك عدة إشكاليات منها سوء التغذية وانتشار الأمراض الاجتماعية وتزايد أحياء الصفيح..

وانتقل إلى المحور الموالي وأحاول فيه معالجة قضية :

الشباب والفراغ

- سبقت آراء وكتابات كثيرة تناولت هذا الجانب في مواضع تهم الشباب، ولكن مع ذلك لا يزال وسيبقى هذا الموضوع مطروحا وقابلا للنقاش ذلك لأن أوقات الفراغ تعتبر في الواقع أوقاتا ضائعة والضياع لا ينتج عنه إلا الضياع ولا يقبل أي عقل سليم أن يتساهل مجتمع من المجتمعات في صنع أجيال ضائعة أو طاقات شبابية ضائعة علما بأن جهودا جهيدة تبدل من كل الأطراف المعنية والمهتمة بشؤون التربية والإصلاح والاعداد الاجتماعي من أجل تكوين الشباب واستثمار طاقاته الخلاقة وفعالياته الهامة هدفا في صنع المستقبل الكريم. ولقد أكدت بعض الأبحاث الميدانية بأن الشباب من الجنسين يعاني معاناةقاسية من أوقات الفراغ ومعظمهم يحملون المسؤولية إلى المسؤولين والمخططين والمبرمجين في إطار الدولة، كما يعبرون عن استيائهم من تهميش الشباب وعدم إشراكية في وضع وتخطيط البرامج والعمل الحكومي وخاصة ما يهم مجالات الشباب ويستجيب لتطلعاته وطموحاته، وإشباع رغباته في الترويح والترفيه : ولكن قبل أن نوجه اللوم إلى الحكومات والقيادات السياسية والأجهزة الساهرة على البرمجة والتخطيط والتي يشكو بأنها لم توفر له الوسائل الضرورة للتنشيط الشيء الذي جعله عرضة للركود ومعايشة الفراغ الذي لها طائل تحته، يمكن أن نقف وقفة تامة في محاولة لتحليل مدى استعدادات الشباب للقيام بما يحول بينه وبين الفراغ، ذلك لأن هناك فئات تسعى إلى الخوض في الفراغ وليس الفراغ الذي يسعى إليها. وكمثال على ذلك تشير بأن شباب الوسط الذي عايش ظروفا قاسية اجتماعيا وسياسيا وتعليميا وواجه حياة أكثر صعوبة لانعدام الوسائل والإمكانيات، مع كل هذا لم يكن يشكو من الفراغ، بل لم يترك مجالا للفراغ بينما شباب اليوم نراه يخبط في حياته خبط عشواء ويتعاطى المخدرات وبدل أن ينهمك في مطالعة كتاب أو قراءة صحفية أو مجلة أو يعتكف على الحفظ والكتابة ويخوض في الدراسة والتحصيل والنهل من مناهل العلوم والمعرفة ويسعى إليها بكل الطرق ويبحث عن الثقافة والتوعية والإرشاد في المسجد والأندية والدور والمؤسسات القائمة من أجل ذلك نجده يهتم بالكلمات المتقاطعة والأغاني التافهة والصور الخليعة والرياضات التي تشوه بنيته وتطبع شخصيته بالخشونة والعنف، هذه جملة من الأفكار يمكن أن نسميها بالأفكار المعاصرة من وجهة نظر الشباب غير أن تساؤلات تطرح كيف يمكن تحديد توجهات الشباب المستقبلية في

ضوء السلوكيات المتناقضة، ويبقى التساؤل مطروحا فمن الذي يجيب...؟

لماذا يهرب الشباب من الحياة الزوجية

- لم يعد خافيا على أحد أن نسبة كبيرة من الشباب أخذت تعرض عن الزواج وتهرب من الدخول في قفص الحياة الزوجية مع أن هذه المؤسسة مهمة جدا لتأمين الحياة الأفضل للإنسان إذ فيها يشعر بمسؤولياته وبواسطتها يحدد آفاق مستقبله كزوج وكاب وكرجل لأن بدخول الإنسان في المؤسسة الزوجية يودع حياة الشباب ويستقبل حياة الرجولة بكل ما تتميز به من المسؤوليات والتبعات. والحوار مع الشباب في هذا المشكل يفيد بأن الأحلام تبددت في الحصول على رفيقة العمر ومن العسير إيجاد الزوجية المناسبة لتكون ربت بيت ناجعة وقادرة على أن تكون أما صالحة لتربية أبناء صالحين تم يسترسل في الكلام عن متاعب ومتطلبات الحياة التي تضاعفت بشكل ما أنزل الله به من سلطان وإنما جاء به عصر التطور في الاستهلاك، وطغيان الأنانية وحب الذات، وكثرة التكاليف التي تعزى إلى التباهي وهذا ما جعل مسألة أزواج متروكة للمستقبل مع أن الواقع يقتضي مواجهة الإشكالية بمنطق الأصالة والعفاف والاحتكام إلى الشريعة وكيف للشباب أن يقتنع بأن السلف الصالح لم يكن ينظر إلى الزواج هذه النظرة المعقدة، التي تحمل الإنسان مالا طاقة له به إذ لم تكن من شروط الزواج السيارة والتلفزة بالألوان والفيديو والفيلا والرصيد في البنك فأية نية هذه التي تجعل من الزواج صفقة تجارية يتحايل فيها طرف على طرف للربح على حسابه، أن ربط المؤسسة الزوجية بهذه التعقيدات معناه إفشال لها.

وإذا فشلت، فإن مهام اجتماعية عديدة وضرورية سوف لا يتم القيام بها إلا عن طريق المؤسسة الزوجية وسيظل دفينة الغد المجهول وقد يطول الحوار في هذا المجال ويدلي كل بدلوه ويبقى الشباب هو المستهدف لأن منه من خاض التجربة وفشل ومنه من لم يخض التجربة ولكن استوعب مفهوم الحكمة التي تفيد : «مصيبة قوم عند قوم فوائد».

الشباب والبرامج التعليمية

- أغلبية الشباب يرون أن البرامج التعليمية أكثرها يتسم بالارتجال والعقم، وأنه لا تتجاوب مع تطلعات الشباب وأهدافه وطموحاته، ولا تفي بحاجياته الأساسية من حيث ضمان مستقبله وتثقيفه ثقافة متينة، بل فالجانب النظري يطغى على الجانب التطبيقي حتى إن الشباب يخرج من حياته التعليمية جاهل لأبسط معطيات الحياة العملية والاجتماعية مع أن العديد من الشباب يركبون قطار التعليم بغية الوصول إلى محطات العمل في المكاتب الإدارية والحصول على الوظائف والظهور بمظاهر استهلاكية، وهذه المتناقضات تترسخ في اذهانهم نتيجة التلقين والتوجيه، بحيث لم تكن هناك روح عملية جادة ولا برامج قارة ذات أبعاد مستقبلية، واضحة وهذا ينعكس على الشباب ويبعث فيه الخمول والركود والكسل وفقدان المبادرة والمنافسة والمواظبة والاجتهاد في الدرس والتحصيل، بل تحايل من أجل الحصول على النقط وتحايل في التعامل مع الامتحانات ومراهنة على النجاح أحيانا بالصدفة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن البرامج التعليمية لا تتناسب مع طبيعة العمل الذي ينتظر الطالب بعد تخرجه من أسلاك التعليم الثانوي والجامعي وهذا ما يؤدي إلى الخلل في ممارسة بعض الأعمال والوظائف من طرف الشباب الذي يخلف في مرافق الشغل أولئك الذين تنتهي مدة عملهم بإحالتهم على التقاعد وقد نلتمس العذر للشباب بكونه يفتقر إلى التجربة، ولكن ما عذره في عدم تحليه بالمرونة واللطف والصدق والاتقان في العمل والوفاء بالعهد والالتزام بقضاء المصالح الموكولة إليه

والتفاني في القيام بالواجب دون تقاعس أو تمارض أو وتسويف لذوي الحاجات.

الشباب والعمل التطوعي

- كم من التنظيمات الشبابية سبق أن سادت ثم بدت نتيجة فقدان الوازع التطوعي لدى الشباب ولعل هذه ميزة «جيل الوسط» الذي كان يتحلى بروح التطوع ونكران الذات : مع العلم أن المجتمع يستفيد من الإنسان في فترة الشباب ففي هذه الفترة المتميزة من عمر الإنسان تقدم للمجتمع خدمات بلا حدود في مجالات العمل التطوعي عن طريق خلايا وحركات الشباب المتعددة الاتجاهات والمتشابهة الأهداف والغايات، ذلك أن الحملات المختلفة التي تنظم عادة لتطوير المجتمع والنهوض به ورفع مستواه غالبا ما تعتمد على إمكانيات الشباب وفعالياته وطاقاته الابداعية.

فالأوراش والمعسكرات والمخيمات والميادين الرياضية والأندية وغير ذلك من الأنشطة التي يعود نفعها على الأسرة والمجتمع تسخر لها عادة الإرادات الشابة كما أن الجمعيات الثقافية والفنية والمسرحية التي تعكس جانبا من فعاليات الشباب تساهم بنصيب محسوس في دعم المبادرات التطوعية الهادفة لكن الشباب الذي يقدر هذه الحاجة الماسة والتي تقتضي مشاركته الفعالية في العمل التطوعي باستقامة وجدية أصبح لاه عن ذلك بادمانه على المخدرات وضياع الأوقات في العبث واللهو والفراغ والاستنتاج في النهاية هو التهالك على المتابعات التي لا تجدي نفعا له ولمجتمعه : وفيما سبقت الإشارة إليه من العناصر التي تتكالب عليه بكل وسائل الاغراء والضغط المادي والمعنوي ما يفيد بأن انعدام روح التطوع لدى الشباب في هذه الحقبة أمر له أسبابه ودوافعه وهذا ما يحتاج إلى تحاليل وتفاسير لا يتسع لها الموضوع.

الشباب والقيم

- عندما نحاول معالجة نظرة الشباب إلى القيم والكيفية التي يتعامل بها مع هذه القيم لابد من تعميق البحث والاستقراء في بعض الثوابت والمتغيرات ذلك لأن التحليل السطحي للنازلة لا يفي بالغرض المقصود، بل يخالطه ولا شك تسرع في الحكم على أنماط معينة من سلوك بعض الشباب ومن موقع الوقائع والأحداث التي يعايشها عالم الشباب وفي ضوء الأفكار المعاصرة التي تسيطر على أدمغتهم لم يعد هناك مبرر لمناقشة القضية بتحفظ وإنما آن الأوان للجهر بالصراحة في القول بأن الشباب حاد كثيرا عن قيمه إلى درجة التفريط وللدلالة على ذلك أن نسبة لا يستهان بها من الشباب المتعلم وأشباه المثقفين لا يتعاملون بما ينبغي التعامل به مع بعض القيم الأساسية، وبدون أن نركز على القيم النابعة من العقيدة نشير فقط إلى القيم المعنوية والأخلاقية والاجتماعية. وبدون أن نعاتب الشباب على تركه للصلاة مثلا وهي عمود الدين وتنهى عن الفحشاء والمنكر نعاتبه عملا بالصراحة الواجبة وبحكم الضمير الديني «والدين النصيحة».

والحال أن التساؤل المطروح هو إلى أين يتجه الشباب...؟

ولماذا يتجه بعضه إلى أوكار الرذيلة وعلب الليل وهو يعلم بأن التحلي بالفضيلة أنفع له في الدارين الدنيا والآخرة وقد يصطدم الباحث في هذا الموضوع ببعض المسلمات والافتراضات التي تقحم الشباب في متاهات يفقد بفعلها وتأثيرها السيطرة على هويته الحقيقية وتوجهاته المستقبلية، ولكن إذا تسلح بالإيمان الصحيح لا يمكن أبدا لأي تيار مهما كان عاصفا وقويا أن ينال منه فالرجوع إلى اليقين وبشريعة رب العالمين ترسم أمامه المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وإذا كان وعي الشباب قصيرا ونضجه منعدما عن إدراك حقيقة نفسه وسوء واقعه فإنه يتعين على من بيدهم أمور

وشؤون الشباب أن يعملوا على تحصينهم وغرس القدرة والشجاعة في أنفسهم حتى يتمكنوا من حماية عقولهم وأفكارهم من الإيديولوجيات المعاصرة وليس هذه العملية بالشيء السهل، بل لابد من تضافر جهود المدرسة والأسرة والمؤسسة والمعهد والمجتمع العام ولا يغفل كذلك دور وسائل الإعلام وأهميتها في عملية تحصين الشباب وحمايته من كل الأمراض النفسية والاجتماعية والانحرافات السلوكية وبالتالي وقاية العنصر الشبابي من الإحساس بالكآبة والشعور الانفعالي والتشاؤم المستقبلي وكل ما يؤدي به إلى الوقوع في المعاناة والارهاصات الناتجة عن التوتر والقلق، إن حيرة الشباب المستمرة ربما تكون وليدة المد الإيديولوجي وتعدد الاتجاهات المعرفية مما أدى إلى قلب بعض المفاهيم الأساسية في أدمغة الشباب وأصبح بذلك معرضا لفتن حقيقية في دينه ودنياه وهذا ما يقتضي بالضرورة أن تتصدى له الكفاءات من علماء التربية والنفس والإصلاح الاجتماعي، كما أن انسياق الشباب وراء التيارات الحديثة وإعجابه بالتكنولوجيا مسألة يخالطها الدس وكثيرا ما يكون السم في الدسم، والذي ينبغي أن يقتنع به الشباب هو ضرورة التمسك بالعقيدة السليمة والحفاظ باعتزاز وغيرة على الأصالة والمكاسب الحضارية، ذلك لأن التفريط في هذه الخصوصيات يؤدي لا محالة إلى الخلل والانحلال والتفسخ وفقدان الهوية وذلك هو المسخ الواضح، إن موقع الشباب في الواجهات ومعارك البناء في الأوراش ومرافق الإدارة والتأطر والنهل من العلوم والمعارف الجادة النافعة وليس موقعه كما أصبح يلاحظ ومع الأسف الشديد، في ضياع الأوقات الثمينة في علب الليل والانفاق السرية وبؤر، الفساد والمجون حيث تباع الكرامة والحياء والمروءة بأبخس الأثمان، بدل الاستثمار هذه الأوقات فيما يعود عليه بالنفع ألا يعلم بأن المرء يحاسب عن شبابه فيما أبلاه.

وعن ماله فيما أنفقه الخ...

هذا ولا بأس من الإشارة إلى ما استخلصته بعض الدراسات الميدانية في عالم الشباب والتي انتهت إلى أن القيم السائدة عند بعض الفئات الشبابية التي قطعت مراحل لا بأس بها في مجالات التعليم الثانوي والجامعي وحسب الاهتمامات المحسوسة أوضحت إحدى الدراسات أن ترتيب هذه القيم لدى الفئات المقصودة بالإشارة كما يلي :

القيم : السياسة (1) النظرية (2) الاجتماعية (3) الاقتصادية (4) الجمالية (5) الدينية (6).

ومسألة وضع القيم الدينية في آخر اهتمامات الشباب تشير إلى أكثر من معنى، ولعل هذا ما استقطبته بعض التلميحات التي جاءت في هذا الموضوع المتواضع وما يمكن إضافته هو أن القيم المادية الرأسمالية طغت في حياة الشباب على القيم الروحية والأخلاقية، كما أن القيم الابليسية والشيطانية طغت بدورها على القيم الأخلاقية والملائكية : ولكن هل يكفي أن نرمي الشباب بهذه النعوت ونتحدث عنه بهذه الكلمات، بل ينبغي مقارعة الحجة بالحجة ومقابلة التحدي بالتحدي وإقناع الشباب بالأدلة القاطعة في ضوء التوجيه السليم الذي أمر به الإسلام الحنيف وما ذلك على هم المؤمنين الأوفياء للقيم الأساسية السامية والمثل الإنسانية العليا بعسير.

البطالة وعواقبها على الشباب

- يمكن أن يقال الكثير في موضوع البطالة وعواقبها السلبية على الشباب اجتماعية واقتصادية وأخلاقيا ولكن من المفيد الإشارة إلى بعض البحوث التي تعمقت ميدانيا في دراسة هذه الاشكالية، لذلك اقتطف بعض الأفكار التي عالجت الحالة من زوايا مختلفة واستمدها من دراسة لبعض الباحثات بعنوان : العوائق الإيديولوجية لتنمية الشباب :

- أشارت الباحثة إلى الجذور الإيديولوجية لبطالة الشباب.

- محددة ذلك في كون المقرر السياسي أو المخطط السياسي يفضل شراء الأدوات من الغرب بدلا من الاستثمار في البحث العلمي، لأن هناك خلط في ذهنه بين العلم

والسحر، فالبطالة تقول الباحثة ـ لا تعني فقط عدم التشغيل ولكن أيضا عدم التطابق بين العمل والتكوين، والغربة على التنمية، ثم تعالج الباحثة هذه الحالة من منظور الأرقام والجداول الإحصائية وفي ضوء ذلك تحلل تحليلا تركز فيه على المنظور العربي الذي يرى في الآلة خاتم الحكمة والاستثمار في البحث العلمي شيء مخيف واستدلت على ذلك بكون البلدان العربية تشتري الأسلحة والآلات بدلا من إنشاء معامل لصنعها، في حين أن الغرب يستثمر في البحث العلمي. واستطاع تكوين «جيوش من المهندسين».

ـ واستدلت في بحثها بقولة لأحد الباحثين : «تدوين العلم وتعليمه غير إنتاجه».

ـ ويبقى موضوع بطالة الشباب أوسع من قائمة البحوث، بل يطرح نفسه دائما في الساحة الفكرية التي تعايش عالما زاخرا بالقضايا والاشكاليات ومعظمها يخص الشباب ويرتبط بحياته حاضرا ومستقبلا، إن البطالة التي أصبح يعاني منها الشباب أحيانا تكون بطالة مقنعة في بعض المجتمعات، إنها بطالة الشباب الجامعي الحاصل على المؤهلات والشهادات العليا بعد أن كانت بطالة الشباب الذي أفرزه الهدر المدرسي، والذي يتوفق في متابعة الدراسة أو الذي لم يلج المدارس بالمرة وأغلبية هذه العينة شباب العالم القروي «البادية» ولعل ذلك يعزى إلى غزو الآلة وسيطرتها على مجالات التشغيل ومرافق العمل وكذا نتيجة الوتيرة السريعة للنمو الديموغرافي، ولا حاجة للحديث عن ما خلفته وتخلفه هذه البطالة في عالم الشباب من عواقب ذات أبعاد وانعكاسات سلبية.

خلاصة

ـ لم يكن هذا المقال بحثا أو دراسة مستفيضة حول قضايا الشباب، بل فقط رؤوس أقلام لبعض القضايا الشبابية التي تطفو أكثر من غيرها على الساحة وتتناولها الأبحاث والدراسات المنهجية ولذلك اثار الموضوع انتباهي ما كتبت ولكن حيث راجعت ما جاء في هذا المقال المتواضع اتضح لي بأنه لا بد من خلاصة واستنتاج لأهم الدوافع والبواعث التي كونت بعض إشكاليات الشباب وجال فكري في مختلف الآراء والكتابات التي انصبت على معالجة جوانب من هذه الإشكاليات وعلى تعددها وكثرتها أخترت كخلاصة بعض الأفكار التي عبرت عنها دراسة للدكتور المكي بن الطاهر بعنوان : «مشاكل الشباب من خلال وسائل الاتصال».

ـ ومما قاله الباحث : «وصرنا نلاحظ ونسمع بالتطرف والعنف والمخدرات سياسات ومؤسسات تهتم بالشباب وتحاول إيجاد حلول لهذه المشاكل : وأخذت تدابير تهم الفئة في ميادين متعددة كالرياضة والتعليم المهني والتنشئة. وكل هذه التطورات وصلت إلى نتائج سلبية بالنسبة للشباب وبالنسبة للمؤسسات نفسها نظرا للوضعية التي تعيشها المجتمعات العربية بسب التكاثر السكاني وتزايد العوائق الإيديولوجية التي تحول دون التنشئة والتنمية الحقيقية وانتهى الباحث إلى تلخيص هذه المؤثرات والعوارض في المتغيرات التي يعبر عنها الشباب من خلال وسائل الاتصال «صحف ومجلات» حسب أهمية التكرار.

ـ المجموعة الأولى من هذه المشاكل : المدرسة والزواج والمخدرات والبطالة، ومشاكل الترفيه.

ـ المجموعة الثانية : صراع الأجيال تحرير المرأة الثقافية العائلية ـ الجنس حقوق الإنسان المستقبل الصداقة. الفقر الانتحار.

وتجدر الإشارة إلى أن الباحث عزز عرضه بما جاء في قصاصات نشرتها بعض الصحف والمجلات التي تهتم بقضايا الشباب وذكر بالاسم الجهات الإعلامية التي تخصص حيزا يوميا أو أسبوعيا أو شهريا لمناقشة إشكاليات الشباب والتعليق عليها وإدراجها بأقلام شابة.

- هذه الأفكار ارتسمت في ذهني وسقتها بكيفية تكاد تكون عفوية إذ لم يكن بإمكاني أن أتعمق أكثر في دراسة وتحليل إشكاليات الشباب في ضوء إيديولوجيات الفكر المعاصر وصعب على كذلك الخوض في تحليل مواقف عينات من الشباب خاصة من الجيل الجديد، كما لم يكن باستطاعتي أن أقف وقفة تأمل في مواقف الشباب من الجيل الوسط وهي كثيرة ورائعة لكونها حافلة بالذكريات

الموضوع ونبش حقيقة من الحقائق والحديث عن موقف من المواقف التي لها علاقة بعالم الشباب فإلى ذلك الحين نستمد الالهام والتوفيق من الله سبحانه وتعالى، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

سلا : علال البوزيدي



من صور انحراف الشّباب

للأستاذ محمد بخات

من صور انحراف الشباب عقوقهم لآبائهم، والسبب في كثير من الحالات يرجع إلى خطأ من الأب أو سوء من تصرف منه كأن يفضل ابناً على ابنٍ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وتوضح هذا الجانب بما يفعله الآباء بتفضيل أحد الأولاد مثلا بالعطاء أو بتقبيل أحدهم دون الآخر فتكون النتيجة تحاسد وتحاقد بين الأشقاء وعقوق للآباء، فحينما يحقد الابن على أبيه بسبب هذه الحالة أو ما يشبهها من الحالات والصور فالجاني والمخطئ هو الأب، والأب مأمور بألا يعمل من قريب أو بعيد ما يثير شيطان العقوق في نفس ولده ولهذا قال رسول الله ﷺ : **«رحم الله والدا أعان ولده على بره»**[1] كما قال : **«أعينوا أولادكم على بركم، من شاء استخرج العقوق من ولده»**[2].

والحديثان الشريفان يرشدان إلى أنه قد يتسبب الأب في حمل ابنه على العقوق وترك الطاعة وذلك يكون بتفضيل أخيه عليه بوصية أو عطية أو تقريظ أو ابتسامة أحيانا، وتجنبا لذلك فالحديثان الشريفان يوحيان إلى الأب بأن يكون حكيما فطنا ضابطا لعواطفه وتوزيعها بالعدل بين أولاده وإلا جر على نفسه وأسرته تعبا وبلاء وانحرافا وانجرافا في التيار الفاسد.

إن ما يجره تفضيل ابن على ابن وانعدام العدل والإحسان بين الأبناء أو حتى تصرف عن حسن نية أو بسبب عاطفة أبوية جياشة هو الذي حفز بإخوة يوسف عليه الصلاة والسلام إلى فعل ما فعلوه نتيجة الحقد وحب الانتقام، ولا يعقل أن يكون نبي الله يعقوب عليه السلام ظالما لأبنائه أو جاهلا لحقوق الأبناء عليه ولكنها العاطفة الجياشة مع نور النبوة وما كان يعرفه من تميز ابنه الأثير يوسف عليه السلام وأخيه بالأخلاق الفاضلة الرفيعة، فكيف كان تصرف الإخوة ؟ لقد اعتبروا حب أبيهم الخاص ليوسف وأخيه ضلالا قديما ومبينا ولنستمع في هذا الشأن إلى قوله تعالى :

﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين، إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو

(1) أبو الشيخ في الثواب عن علي.
(2) رواه الطبراني في معجمه الأوسط.

اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾[3].

وقوله تعالى : ﴿**ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم**﴾[4].

ولا شك عندي أن جنوح الأحداث وانحراف الشباب ناتجان عن سوء تربية وفقدان الرعاية في صغرهم فقد أكدت بحوث للأساتذة والمربين المشاركين في **ندوة دول المغرب العربي عن الطفولة والشباب بأن أطفال المغرب العربي في أشد الحاجة إلى الرعاية والعناية.**[5]

واعتمادا على ما ورد في دراسات الندوة نقول بوجود **نسبة كبيرة من هؤلاء الأطفال يعانون من الإعاقات والأمراض والآفات الاجتماعية كالتشرد والإهمال وسوء المعاملة من جراء الانعكاسات السلبية للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.**

وقد جاء في دراسة تحليلية لظاهرة الأطفال والسرقة للدكتور : **نبيل سليم** بأن هذا السلوك الشاذ أرجعه الباحثون إلىعوامل وراثية أو اقتصادية أو اجتماعية أو عقلية.

وبعد تعرض الدكتور **سليم** لتعليل الظاهرة وتحليلها وأقوال العلماء والمربين عنها بعد دراسات ميدانية وعرض الاتجاهات الحديثة لعلاج الظاهرة طرح الحل للمشكل فقال : «والعلاج الصحيح الواجب أن يسلكه والد الطفل هو توضيح حب الملكية وإن أراد أن يأخذ منه شيئا يتملكه فلا بد من استئذانه، لأن ذلك يودي بالطفل إلى أن يحاول أن يحترم ملكية الغير، فلا يتعدى على ما يمتلكه غيره، ويجب على أولياء الأمور أن يكونوا قدوة حسنة في الأمانة واحترام ملكية الغير، لأن الطفل يتأثر كثيرا بذلك.

أما بالنسبة للمدرس فموقعه جد دقيق إذ يتحتم عليه ألا يخفي على التلميذ المشكلة التي قام بها، لأن ذلك ضار به بل يجب عليه أن يجتمع به على انفراد ويخبره بما فعل ويناقشه ليعرف الأسباب ويعمل على تلافيها، مع ملاحظة عدم التشهير به، لأن ذلك ضار به كذلك، ويجب أن يحاول إجبار التلميذ على رد الشيء المسروق كي يحترم ملكية الغير ولا يحق له التصرف فيه، أما الإذلال والتشهير فضار جدا بالتلميذ، كما أن إخفاء المشكلة عليه ضار أيضا، ولكن الحذر والحيطة وتدبر الأمر ينقذ الطفل من الكثير ويكون ذا فائدة ونفع كبير بالنسبة له».[6]

ومن الحقائق الثابتة أن انحراف الشباب قد يكون وراثيا فالمعروف أن طائفة منهم بل أصنافا تشكو من عقد نفسية فمثلا تلازمهم عقدة حتى الكبر يعانون من وطأتها، وبعد التحري نرى بأنها ترجع إلى مشاكل الآباء وهي مشاكل تترسب في أذهان الأبناء وتنطبع وتسير بهم وتوجه سلوكهم حينما يكبرون، ونمثل لذلك بمشاهدة الأبناء لشجار الآباء وكمثال على ذلك «بعض الخلافات الزوجية التي تحدث أمام الأبناء ولا سيما تلك التي تضطر بالأمر إلى الخروج إلى بيت أبيها ولو لفترة وجيزة، تغرس عقدة دفينة في نفوسهم تظهر آثارها جليا في مرحلة ما بعد الطفولة لأنها في تلك اللحظة لا تعدو أن تكون صراخا أو بكاء كمحاولة يائسة منهم لحسم الخلاف، لذا لا يعير الآباء أدنى اهتمام لهذه المسألة. فكثيرا ما يعلو صوت الأب بالصراخ وتقابله الأم كذلك في مرآى ومسمع من الأبناء. هذا إذا لم تتفاقم المسألة إلى أبعد من هذا الحد كالضرب أو ما شابه من المسائل التي يعتاد عليها بعض الآباء والأمهات، مثل هذه المواقف تصبح عقدة مستقبلية تحطم أحلام الأبناء وتتحول إلى شبح يطاردهم ويهدد سعادتهم، فقد سألت فتاة عن سبب إحجامها ورفضها للزواج مع كثرة المتقدمين لها. فتبين أن رفضها ليس بسبب إشكال في من تقدم إليها

---

(3) سورة يوسف 7 ـ 8 ـ 9.

(4) سورة يوسف 94 ـ 95.

(5) التي انعقدت مؤخرا بتونس عن صحيفة الرياض عدد 7251 بتاريخ 14 رمضان 1408 هـ 30 أبريل 1988 م.

(6) موضوع (الأطفال لماذا يسرقون) بالمجلة العربية عدد 127 صفحة 108. شعبان 1408 هـ/ أبريل 198 م.

وإنما الأمر بعيد كل البعد، إنها عقدة تجثم على صدرها منشأها ذلك اليوم الذي عقدت والدتها العزم فيه على مغادرة البيت إلى بيت أبيها بعد شجار حاد مع الأب كانا خلالها يقذفان بعضها بطوفان من الشتائم والكلمات البذيئة والألفاظ المحقرة.

هذا الموقف وغيره جعل رغبتها في الزواج تتضاءل إلى حد التلاشي فالزواج عندها أصبح مصدرا للشقاء والهروب من أفضل الحلول»[7].

أما عن جنوح الأحداث وانحراف الشباب بسبب الڤيديو فحدث ولا حرج فهو خطر داهم ومحدق بناء، فرض وجوده في مجتمع المسلمين وبدل أن نستغله للبناء استعملناه للهدم، والغريب في موضوعه وهو من أسرار استعماله أن الدول المنتجة له لا تستخدمه غالبا إلا في المعاهد العلمية، وقد صدر كتاب يحذر من خطره وتأثيره الفاسد وأثره الخبيث بعنوان : **«الڤيديو والمجتمع الإسلامي»** من إعداد **سيد الشليمي وأمير أباظة**، وقد حذر المؤلفان من خطر الڤيديو ومما قالاه : «لقد دخل علينا الڤيديو لا لينقل إلينا التكنولوجيا الغربية المتطورة... والعلوم الحديثة والفنون المتقدمة كما فعل في المجتمعات الغربية المتطورة حيث لعب دورا بارزا في التعليم والتثقيف في المجالات المختلفة.. لكن حين انتقل إلى مجتمعاتنا النامية تحول إلى ميكروب مدمر لقتل الوقت بأفلام **السكس ابيل**»[8].

لهذا يجب على الأجهزة المعنية أن تبادر إلى القيام بدورها في تنقية المجتمع مما جلب إلينا الڤيديو من شوائب... وهذا الدور ليس منوطا بالأجهزة الإعلامية في الدولة فقط. بل هو أيضا واجب الأسرة والمدرسة، فعلى كل منهم أن يعي مسؤوليته جيدا ولا يلقيها على كاهل غيره. ولا يترك المؤلفان السؤال بلا إجابة.. بل يجيبان على الفور :

«إن الڤيديو جهاز يحول دون استمتاع الإنسان بما حوله من علاقات اجتماعية واطلاع وقراءة وتثقيف.. إلى جانب أنه يساعد على العزلة ويقلل من غرس التفاهم بين الأزواج... وقد يثير المشاكل في توقيت استخدامه من عدمه.. ويقول أصحاب إحدى نوادي الڤيديو :

- إن معظم زبائنه من الحرفيين وأصحاب المقاهي والجزارين.. وهي الشريحة التي تحتاج إلى التوعية والتوجيه...

وإن مواجهة هذا الخطر مسؤولية الجميع.. الدولة والأسرة.. والمسجد.. والكنيسة.. المدرسة والجامعة.

- إن بلادنا النامية في مسيس الحاجة إلى بذل كل الجهد والطاقات والإمكانيات لإزالة معوقات التنمية عن طريق تفجير المواهب وتنمية القدرات لمضاعفة الإنتاج لقصد تحسين الأوضاع الاجتماعية والثقافية في بلادنا.. وقد آن الأوان أن نعترف بالقيمة التعليمية للڤيديو.. ومسايرة الدول المتقدمة في هذا المضمار..

يكفي أن نعلم أن مشكلة مثل **الأمية** التي تصل في بعض المجتمعات إلى 80 ٪ في أحسن الأحوال... يستطيع الڤيديو أن يمحو هذه الأمية خلال عام واحد.. والتجربة ليست غريبة.. محو الأمية عن طريق وسائل الإعلام.. وقد نجحت في إيطاليا فلماذا لا نفكر نحن في محو الأمية باستخدام جهاز الڤيديو.. ؟ بدلا من الأفلام الرخيصة ؟»[9].

كما يمكن أن يستخدم الڤيديو.. للتغلب على مشكلة نقص المباني المدرسية عن طريق حالات المشاهدة التي تتسع لأعداد الكبيرة...»[10].

وهكذا نرى بأن الڤيديو يمكن أن يكون جهازا نا... ومفيدا.. فقط إذا أحسنا استخدامه، وقد يبدو أم معالجة الموضوع تأثرت إلى حد كبير بالناحية الدينية.. إلا أن الكتاب يعتبر ناقوسا جديدا يدق ويحذر من خطر الڤيديو

(7) عن مجلة (عفاف) عدد 21 صفحة 31، رجب 1408/مارس 1988.

(8) عن صحيفة (الحركة) بالرباط، صفحة 14، بتاريخ 8 يناير 1987 م.

(9) نفس المرجع.

(10) نفس المرجع.

الخشب.

ويأتي دور الحديث عن تجربة الشباب، هل نترك الشباب يجرب بدون تمييز بين الصالح والطالح بحكم طموحه واندفاعه وحبه للاستطلاع وتطلعه للتجديد وبحكم حركيته وغرامه للجديد وثورته على التقاليد والعادات الموروثة ؟ وكيف يدخل غمار التجربة وهو فاقد للوعي

فالإنسان المسلم يمكنه أن يعرف الجاهلية ويعيش أحداثها، ليس بتجربتها وإنما بواسطة إسلام الذين أسلموا وتأمل دوافع إسلامهم، ويمكن معرفة الشر ليس بالوقوع فيه بل لتوقيه كما قال الفاروق : **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، والدراسات والإحصائيات أمامنا عن مفاسد ومباذل وفسق وفجور وكفر وإلحاد مجتمعات الغرب.

الرباط : محمد بخات



انبعاث أمة

معلمة وثائقية في موسوعة تاريخية

تقديم: الأستاذ المبارك الريسوني

صدر العدد الثالث والثلاثون من موسوعة انبعاث أمة عن مديرية الوثائق الملكية الذي يقوم بإعداده وتبويبه والسهر على إخراجه في حلة قشيبة الأستاذ السيد عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة مدير الوثائق الملكية ويقع في 531 صفحة بالإضافة إلى ذلك فهرس و48 صورة ملونة آية في الجمال وصورة ملكية كريمة رسمية تتصدر الغلاف آية في الابداع والجاذبية.

وغني عن البيان أن هذه المعلمة الفكرية الرفيعة تعكس بصدق نهضة المغرب وتطور حضارته وتجسد بدقة رقيه وازدهاره ومجده، ولذلك باتت مصدرا من المصادر التاريخية القيمة لما تشتمل عليه من إفادات خصبة لا غنى عنها لكل باحث أو دارس رغبا في كتابة تاريخ المغرب المعاصر أو تاريخ العالم العربي والإسلامي والدولي، ولذلك نلاحظ بكل فخر واعتزاز التماس الحصول على هذه المعلمة النفيسة والظفر بها يشتد يوما عن يوم، لما بها من فوائد جمة ومعلومات غزيرة قل نظيرها في المراجع والمصادر الأخرى، وغير خاف أن ذلك راجع للصفات المثالية والخصائص المتميزة والعبقرية التي يتحلى بها عاهلنا صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأطال عمره من حكمة وأناة وبعد نظرة ومعرفة عميقة بكل القضايا الدولية، إلى جانب الخبرة الطويلة والممارسة، كل ذلك أهل جلالته ليحتل مكانة رفيعة على الصعيد الدولي.

إن صفوة من أقطاب الفكر وثلة من رجالات العلم والمعرفة جذبتهم الفلسفة الحسنية والفكر الحسني وهو يبني الوطن، ويمد الجسور للتواصل، ويرسي دعائم النهضة الشاملة، ويقيم صرح الحضارة المغربية، كما جذبتهم آراؤه السديدة المطبوعة بالحكمة والعمق، وجلالته ينادي بأن يسود الطابع الروحي وتهيمن الإنسانية على كل الأعمال والأفعال والأقوال والسلوك ليعم التعاون والتضامن بين كافة الأقطار البشرية في كل أنحاء المعمور، ولذلك يعتبر جلالة الملك من الذين ساهموا وبفعالية في صنع السلام وبعث الانفراج الدوليين اللذين أخذت بوادرهما تلوح في أفق البشرية وفي رحاب هذا المعمور أملا في استتباب الأمن والاستقرار، لتشيع روح الفضيلة والأخوة، وأخذت هذه

الصفوة تستعين بشذرات من هذه المعلمة الحسنية وتستنير بما حوته من درر لاعداد دراسات جامعية كانت لها وقع وأثر تجلى في استقطابها هي الأخرى لاهتمام الباحثين والدارسين.

والكتاب الذي نقدمه اليوم يتضمن كالمعتاد الخطب الملكية النفيسة، وأحاديث جلالته الصحفية الغنية بالافادات، ورسائله الحافلة بالدرر، كما أن بهذه المعلمة برقيات مهمة وأنشطة ملكية عزيزة ذات أهداف وغايات مختلفة وطنية ودولية وإنسانية، ناهيك بثروة أخرى من البيانات والبلاغات والمستندات الثرية بما حوته واشتملت عليه من أفكار مركزة وآراء سديدة.

ويمكن تصنيف ذلك كله في مجموعات بالنظر إلى ما تتضمنه هذه الثروة من موضوعات ذات محاور.

فهناك خطب وكلمات ورسائل تتمحور حول الدفع بعجلة النمو الوطني إلى الأمام في كافة القطاعات والمجالات، ومن ضمنها ما يحث على الخطى ويحفز الهمم لمضاعفة الجهد وبذل الطاقات للحاق بالأقطار الراقية.

وهناك مجموعة وثائقية أخرى ذات أهداف فكرية وتعليمية وتربوية وتثقيفية تهتم بالرفع من مستوى التعليم والتربية ببلادنا باعتبار العنصر البشري ثروة وكنزا لا يقدر بثمن، لذا فلا مناص من تكوينه واعداده بالحياة من أجل الحياة، وكل ما فاه به جلالة الملك نحو أسرة التعليم يهدف إلى دعم البحث العلمي بالأساس باعتباره نواة لكل تقدم حقيقي ورقي أصيل، ويهدف بالتالي إلى تنشيط العملية التربوية ومدها بجداول لتطعيمها وروافد لازدهارها، ويندرج في هذا الباب اهتمام جلالة الملك بالتعليم الأصيل، وإحياء الكراسي العلمية، وبعث روح متجددة في المجالس العلمية لتضطلع بالمسؤوليات الجسام التي أناطها بها أمير المومنين.

وهناك اهتمامات ملكية أخرى تدخل في صميم الروح الإسلامية، باعتبار هذه الروح علاجا ناجعا، ومفيدة نحو مقاومة كل ما قد يجتاح البلاد ويصيب العباد من أمراض اجتماعية ونفسية.

وتضم هذه المعلمة كذلك ما يدفع بمسلسل الديمقراطية والحياة النيابية إلى الأمام، إيمانا من جلالته بأن الديمقراطية أسلوب من الأساليب الحتمية لحياة حرة كريمة، وسبيل للاقلاع الاقتصادي، وطريق لتصحيح الأوضاع الاجتماعية، ذلك كله يمهد الطريق لفتح الأبواب على مصراعيها لتطبيع الحياة بطابع الحرية وتطبيق النظام اللا مركزي الفعال، بوصفه تتويجا لروح الديمقراطية وجوهرا للحياة النيابية، يكرس المساواة ويمحو الطبقية.

كما تضمنت هذه المعلمة جملة من الأحاديث الملكية الخطب والرسائل والبرقيات والبيانات والبلاغات تمحورت كلها حول بعث روح لإحياء وحدة المغرب العربي الكبير، وتوجت كل هذه الأعمال بأهم حدث تاريخي بارز تظامنت إزاءه كل الأحداث على صعيد المغرب العربي الكبير، ذلك هو استئناف العلاقات الديبلوماسية بين المغرب والقطر الجزائري الشقيق التي باركتها كل الأمم وتواصلت الجهود لمحو كل أثر للقطيعة، وبالتالي عملت على تنشيط العلاقات بين البلدين الجارين ومد جسور الأخوة بينهما لتقوية العلائق ودعمها في ميادين مختلفة من أجل طي المراحل وتدارك مافات لصالح البلدين الشقيقين.

وهناك ثروة وثائقية أخرى ذات طابع عربي وروح إسلامية، ينبعث منها أريج وحدة العرب تحت لواء واحد، تتجسد فيها قنوات البحث عن سبل للدفع بالجامعة العربية للتأقلم والتكيف مع الظروف الجديدة دعما لها لتستوعب الحياة المعاصرة التي استأسدت فيها التكتلات السياسية والاقتصادية والعلمية، لتواكب العصر، ومن خلالها نقرأ نداءات ملكية تدعو كافة قادة أقطار العالم العربي إلى إيجاد أرضية صلبة لتشييد صرح للوحدة والتضامن والتعاون بينها، ليكون لهذه الأمة شأن ووزن وحجم وتأثير على الصعيد الدولي، ويكون صوتها مسموعا في كافة المحافل

الدولية، وأن ذلك سيكون كفيلا بتخليص أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين والأراضي الفلسطينية من براثن الصهيونية تلك الوحدة حتمية فيها عزتنا ومجدنا وكرامتنا ومستقبلنا.

وبالمعلمة كذلك باقة وثائقية قيمة تمحورت حول القضايا الافريقية باعتبار انتماء المغرب لها، وقد تركزت بالدرجة الأولى في موضوع البحث عن حلول ناجعة لإنعاش الحياة الاقتصادية بهذه القارة السمراء، والتغلب على كل الصعوبات الطبيعية والمصطنعة، وما النداء الدولي لاستئصال شأفة آفة الجراد، وإيجاد حل للمديونية الافريقية للتخفيف من أعبائها. واللقاءات المكثفة بين جلالة الملك الحسن الثاني وأقطاب هذه القارة، ومؤتمر القمة الفرنسي الإفريقي بالدار البيضاء إلا أمثلة قليلة لما يقوم به جلالة الملك من أجل الإقلاع الاقتصادي في هذه القارة الغنية بوفرة ما بجوفها وسطحها من ثروات نفيسة.

وهناك ثروة وثائقية ملكية قيمة ذات نكهة أممية وصبغة دولية ساهمت مساهمة فعالة وقوية في صنع الانفراج على صعيد العالم أجمع، وامتصت كل ضروب الغليان به وكافة بؤر التوتر، كما عملت على مد جسور التفاهم والحوار بين الشمال والجنوب، وبين الشرق والغرب، ذلك كله يدخل في إطار إنعاش روح السلام والوفاق والوئام والتعاون والتضامن من أجل أن تحيي البشرية عهدا جديدا وغدا أفضل وأرغد.

ومن كل ما ألمحنا إليه من محاور نستخلص منه عصارة الفكر الحسني الأصيل في بناء صروح مجد أمتنا، ونستخلص أيضا زبدة تجسد جملة من التوجهات لتسود الطمأنينة ويعم الرخاء ليس من السهل سبر أغوار كل ما بهذه المعلمة الحسنية، أنها تهدف فيما تهدف إليه استئصال شأفة النظرة الاقليمية الضيقة، والنزاعات الدولية المختلفة التي لا تخدم سوى اعداء الإنسانية وتغذي قانون الغاب بأمثلة تنضاف إلى هذا القاموس، فتحمل على امتصاص الفضائل والقيم والمثل منه، وكل ما من شأنه أن يؤدي إلى لم الشمل إن جلالة الملك في هذه المعلمة التاريخية يهيب بالبعض ويخاطب البعض الآخر، ويناشد القوة الحية في العالم التي تميل إلى الحق والانصاف وتنزع إلى العدل لتتحمل الرسالة التي على كاهلها، وتضطلع بالمسؤولية الإنسانية والروحية لتزيح كوابيس الهيمنة والتبعية والاستيلاب والاسترقاق عن أمم الأرض التي من شأنها إعاقة المسيرة البشرية نحو التضامن والتعاون والوحدة.

ومن نافلة القول فالفكر الحسني أصيل تهيمن عليه الروح الإسلامية الصرف المستخلصة من كتاب الله والمستنبطة من سنة رسول الله ﷺ، لأن جلالة الملك وهو يخطب أو يتحدث يستشهد بالآيات والأحاديث النبوية، ومن هذين المصدرين يستقي كل أفكاره وفلسفته في الحياة لتقويم كل المنظومات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والإنسانية، ومنها يستنبط ما يعلي صروح الإنسانية، ويقيم أسسها، وينشيء قواعدها، ويبني دعائمها الروحية، ليخلص البشرية من كل معاناة طالما استبدت بها وتعمقت وتجدرت إلى أن باتت الحياة في ظلالها مستحيلة.

وجاءت هذه المعلمة التاريخية آية في الجمال والابداع لما تتحلى به من صور نفيسة ملونة وجذابة، تحكي في خلاصة واصفة أهم الأنشطة الملكية الهامة في تنسيق محكم وترتيب متقن.

وهذه الصور التاريخية ذات دلالات وبعد، تقوم مقام الوثيقة بوصفها مستندا وحجة ناطقة تجسد رؤيتنا وتترجم حديثنا وتشخصه الشيء الذي حاولنا وصفه وتبيانه.

والصورة في عصرنا تقوم مقام الوثيقة المكتوبة وأحيانا تفوقها في الدقة والتعبير واستيعاب الموضوع، لذا نلاحظ الأستاذ السيد عبد الوهاب ابن منصور اختار مجموعة قيمة منها ليدعم بها أسس البنية التاريخية لحدث ما من الأحداث العظيمة.

وإن كثافة الموضوعات وغزارة الأنشطة تحتم على أن اعتذر ان أنا قصرت، لأن هناك سيلا من الرسائل ومثلها من

البرقيات لم أثر إليهما بتاتا، ذلك عرض مطول يتطلب بسطه في حلقات متسلسلة، وعلى كل فاني أنصح القراء بالرجوع إلى هذه المعلمة لري ما بهم من ظمأ علمي ولهفة للمعرفة وحب للاطلاع، وأعتبر هذا التقديم بمثابة إشارة لصدور معلمة عظيمة لا غير، لأن هذه المعلمة هي في حد ذاتها خلاصة الخلاصات وزبدة وعصارة، وكل تقديم واقتباس يعتبر عملا متواضعا إذ لا يمكن أن يستوفى شروط التقديم بكاملها لذا قمت بهذا التقديم الوصفي المحوري المجمل.

وبعد فهذه معلمة فكرية خالدة تجسد نضالا ضد التخلف، وثورة ضد كل شكل من أشكال الظلم، وتجسد بالتالي تحد لكل لون من ألوان الاستيلاب والتبعية، وتعكس بصدق نموذجا فريدا للديمقراطية وسبيلا لتصحيح الأوضاع للاقلاع الاقتصادي، ومؤسسة علمية بحتة لعقلنة الحياة وأنسنتها ودمقرطتها، ورمزا للحياة الإنسانية في أعلى صورة.

فلتهنأ الخزانة بهذه اللؤلؤة، بهذه الجوهرة، بهذه الدرة ترصع بها تاجها تنمي بها ثروتها.

المبارك الريسوني

تنصح د. «ماريل جلمان» ـ الأستاذة بجامعتي كليفورنيا ولوس أنجلوس بالاهتمام بعد سن الخمسين بتغذية الجسم بمنتجات الألبان والفاكهة والخضر والبعد تماما عن الدهون والنشويات التي لم يعد الجسم في حاجة إليها. كما تنادي بضرورة الاهتمام بالجانب النفسي في مرحلة الشيخوخة بالبعد عن الوحدة وتدعيم الصداقات، ومن المهم في هذه السن الاهتمام بالأناقة والمظهر لما في ذلك من أثر كبير في تنبيه وزيادة نشاط الشخص وارتفاع معنوياته وإضفاء مسحة من النضارة والشباب على الملامح.

الوثائق

ثروة نفيسة وكنز لا ينضب

تأليف : الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور
عرض وتقديم : الأستاذ المبارك الرليسوني

صدر عن مديرية الوثائق الملكية كتاب (الوثائق) المجموعة السادسة انتقى وثائقها واصطفاها الأستاذ السيد عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة ومدير الوثائق الملكية.

وتقع هاته المعلمة الوثائقية في نحو 537 صفحة من القطع المتوسط، وتضم بين دفتيها 137 وثيقة مرقمة ترقيما ترتيبيا تبعا لما نشر في المجموعات السالفة، ومرتبة ترتيبا تاريخيا ليسهل على الباحث والدارس الرجوع إليها بيسر وسهولة متى شاء الانتفاع بما حوته من إفادات ومعلومات، وختم هذه المعلمة الوثائقية المتخصصة بفهارس علمية مركزة مختلفة لا تخفى أهميتها على الباحث الضليع ولا على الدارس المتمرس بمناهج البحث العلمي.

ونذكر هذه الفهارس تعميما للفائدة للدلالة على الدقة في البحث.

- وثائق المجموعة السادسة من «الوثائق» حسب ترتيبها.
- فهرس مبوب.
- رجال ونساء وقع التعريف بهم في مجموعات الوثائق.
- شعوب وقبائل وقع التعريف بها في مجموعات الوثائق.
- مدن وقرى وقع التعريف بها في مجموعات «الوثائق».
- كلمات ومصطلحات إدارية مغربية ترد في الوثائق المغربية.
- كلمات وعبارات عامية وأجنبية ترد في الوثائق المغربية.
- إن هذه البيانات والتوضيحات والمواصفات تندرج - مما لاشك - في إطار العمل على تذليل صعوبات النصوص وتطويعها لئلا يظل هناك غموض أمام كل من رام الافادة من هذه المعلمة التي نحن بصدد تقديمها، وصدق الأستاذ إذ يقول : «فهذه الفهارس هي المفتاح الذي تفتح كل باب موصد يريد الباحث أن يلجه».

وقبل التطرق إلى ما حوته الوثائق من ثروات وكنوز معرفية أود أن أذكر بأن الأستاذ انطلق في مسلسل لا يتوقف بإذن الله عن العطاء الغزير والإنتاج الغني المسهمين في إخصاب روافد الحضارة، وإمداد جداول الثقافة، وتطعيم مجال التاريخ بالدرر والنفائس، ومازال

مكبا على البحث لتطوير التاريخ يواصل العمل ليل نهار لا يتسرب إليه الكلل والملل، ذلك شأنه مع كل أبحاث مفيدة، وتلك إرادته في ارتياد كل ما من شأنه أن يفيد ويوجه ويدفع بعجلة التاريخ إلى الإمام.

إن محاولة تقديم هذه المعلمة يستلزم الكشف عن الطريق والخطوات التي خطاها في نشر هذه الوثائق، ورصد المنهجية المتبعة في عرضها، ذلك لنلم بما اشتملت عليه وحوته هذه المعلمة من ثروات، وما توخى منها الأستاذ وما قصد بها.

لذا لابد من اطلالة على مقدمة هذه المعلمة، والاستعانة ببعض معاني فقراتها لتدلنا على الطريق والوقوف عند مضامينها لنستوعب تصميمها وأسسها وبناءها.

في المقدمة يبين الأستاذ المنهج الذي اصطفاه عن غيره لفوائده في تقديم هذه المجموعة الوثائقية، ويذكر القارئ بالطرق التي اعتمدها في المجموعات الثلاث الأولى، وكذا في المجموعتين الرابعة والخامسة وبدلا من أن يواصل نشر الوثائق كما اعتاد أخيرا وسار عليها في المجموعتين الرابعة والخامسة عدل عن هذه الطريقة، لا أقول عقيمة ولكن فوائدها محدودة بالنظر إلى هذه التي بين أيدينا، لأن هذه الطريقة مفضلة لدى رجالات العلم والبحث لتنوع المادة واختلاف النصوص، فستمد هؤلاء بما هم في حاجة إليه من حقائق وإفادات ومعلومات لتطعيم دراساتهم وتدعيم أبحاثهم الجامعية ويقول الأستاذ «سنشرع ابتداء من هذه المجموعة السادسة في نشر نخب متنوعة من الوثائق تبتدئ بفاتح يناير سنة 1880».

ولعل ما اعتزم الأستاذ القيام به استقبالا هو مؤشر يحمل لنا أكثر من بشرى.

ففي رحاب هذه الخطوة إلى الأمام، وفي ظل هذا المنعطف سيتأتى تجديد التاريخ وتحديثه وعصرنته، ذلك أن الأستاذ وفر ويوفر لصفوة من الباحثين معلومات من شأنها أن تساهم في تنشيط الحركة الفكرية وازدهارها لتواكب روح وجوهر الحركات الفكرية في الأمم الراقية.

ويواصل الأستاذ الحديث في المقدمة فيقول : «ولا شك أن القارئ سيرتاح عندما يقرأ وثائق هذه المجموعة السادسة من «الوثائق» والمجموعات التي تليها إذ بها ستتضح له رؤية كثير من القضايا ويزول الغموض الذي كان يكتنفها».

وهذا يعني أن هذه المجموعة تتضمن النفائس من شأنها تفنيد مزاعم البعض بالحجة والبيان والبرهان، وستعيد الثقة للذين تسرب إليهم التشاؤم من جراء طغيان المد الاستعماري الفكري، والمسخ والتشويه إلى درجة لم يعد يعرف أحد منا الصواب من الخطأ، والحقيقة من الخيال والأسطورة والخرافة والأوهام من الواقع، فالتاريخ مليء ببعض صور التضليل، تلك نتيجة لما حشر به من أحاديث ملفقة ومختلقة، قصد بهما تحويل مجرى التاريخ، تلك فصول من فصوله المزيفة لا تنكرها ولا ينكرها أحد، تنبعث منها نغمة تكرس الهيمنة وتعمق الاستيلاب، وتبعث حقا على التشاؤم، وبإطلالة على هذه المعلمة الوثائقية لا يسعني إلا أن أهيب بمن بيده هذه القيثارة قيثارة التشاؤم والتشويه أن يكسرها لكونها توقع نغمة تبعث على اليأس والتخاذل والانصياع، والركوع، ويستبدلها بقيثارة أخرى ذات ألحان تبعث على الأمل وتدعو إلى العمل والشروع فورا إلى صياغة تاريخ وطني أصيل حافل بصورة المجد والعزة والعظمة صنعه بناة هذا الوطن بالغالي والنفيس.

وبنشر هذه الدرر ستصبح عملية تخليص تاريخنا من كل الشوائب، ومادس به من نزهات وما ألصق به خزعبلان ممكنة، ولم تعد عملية تصفيته وتنقيته ميؤوسا منها أو كما كانت ضربا من ضروب الخيال أو المستحيل.

ويقول في المقدمة «إذا كان نشر الوثائق على هذا الشكل يخل بوحدة الموضوع فإن الفهارس الملحقة بآخر كل مجموعة تضبط هذه الوحدة وتدل القارئ على وثائق الموضوع».

☆ ☆ ☆

ومن الوثائق المعروضة في هذه المجموعة رسالة من الشرفاء أولاد بني يعقوب إلى السلطان المولى الحسن الأول يلتمسون فيها تولية قائد وقاض على قبيلة بني منقوش.

وإذا قمنا بعملية استقراء لمضمون هذه الرسالة القيمة فنستخلص حقائق شتى منها تعلق الرعايا براعيهم والوفاء والإخلاص الذي يكنه هؤلاء لقائدهم وحامي حماهم، وتتضمن أيضا روح الشورى والحرية والتجاوب إلى غير ما تتضمنه من حقائق وروح المسؤولية تجعلنا نقول بأن المولى الحسن الأول كان لا يقدم على أمر ما من الأمور إلا إذا أحس أن ذلك يرضي شعبه، وهذا العمل يجسد روح الديمقراطية، ويكرس انشغالات القمة بالقاعدة، ويترجم جوهر العدالة السائدة يومئذ بين السلطان ورعيته.

وبهذه المجموعة رسالة جوابية من وزير بريطانيا العظمى المقيم بالمغرب سرجان هاي إلى الوزير الصدر الجامعي تتعلق بإرجاع طلبة مغاربة من انجلترا ومصاريف تعليمهم بها.

وإن هذه الرسالة توثق مظاهر تفتح المغرب على الغرب في العهد الحسني، وتبرز وثبة المغرب في حلبة الرقي، وتبين ملامح النهضة المبكرة في بلدنا، إلى غير ما تقدمه هذه الرسالة القيمة من إفادات.

☆☆☆

تأمل طويلا إلى ما ورد بهذه المجموعة السادسة من وثائق لتكتشف حقائق ولترى كذلك أن الأستاذ وهو يعرض الوثائق الوطنية والأجنبية بها معا لصلة هذه بتلك فيما حدث ووقع، ذلك يندرج في إطار رفع كل لبس وإزاحة الغموض على بعض الفصول التاريخية لتتضح الرؤية وتعود المياه إلى مجراها الطبيعي.

ومن نافلة القول فإن هذه المقارنة غنية بالفوائد، لا يعلم مدى ما تضيفه هذه المصادر من ثروات وكنوز لإغناء تاريخ بلدنا سوى المشتغلين بعلم التاريخ.

إن هذه الفئة أصبح لديها اقتناع بأن التاريخ في حاجة إلى تجديد كتابته، وأن هذا التجديد لا يمكن أن يتم إلا بإخراج الوثائق من مظانها وتصبح في متناول من يهمه أمر البحث والتنقيب والتمحيص في ثناياها. ذلك ما يقوم به الأستاذ ليمكن الباحثين من النصوص الأصلية لتجديد كتابة التاريخ ولتدعيم بنيته، وتخليصه من كل تحريف وتشويه.

وهذه المجموعة حافلة بوثائق أخرى غنية بالفوائد منها جواب من النائب السلطاني في الشؤون الخارجية إلى المولى الحسن الأول عن رسالته المتعلقة بأداء قسط من السلف الانجليزي.

وهناك وثيقة تتعلق بحراسة الشواطئ وحرص المغرب الشديد على أمنه وسلامته كما بهذه المعلمة وثيقة يبين فيها قنصل إسبانيا المحتمين من المغاربة بدولته، وكذلك نجد رسالة موجهة من وزير الخارجية الفرنسية إلى وزير فرنسا المفوض بالمغرب تتعلق بمهمة المندوب المغربي المكلف بتسوية مشاكل سكان الحدود، وبهذه المعلمة كذلك وثائق أخرى لا يسعني إلا أن أقول للباحثين أبشروا بهذه الثروة التي هي أنفس شيء في الوجود.

إن أستاذنا حقا انتقى مجموعة قيمة من الوثائق، كيف لا يصيب الهدف، وكيف لا يتوقف وهو الأديب الرقيق، واللغوي الضليع، والمؤرخ المتبحر المحقق، يهوى البحث ويميل إلى الغوص في أعماقه وسبر أغواره بحثا في الوثائق الغميسة وغيرها من الدرر ليطعم التاريخ بها.

وأمام نشر هذه الوثائق وإشاعتها ستنهار الآراء الساذجة، وستنكشف الأفكار المدسوسة والملغومة، وأمام هذا النور الساطع ستندك تلك التعليلات الاعتباطية، وتنمحي كل الصور الملفوفة بنزعة ما من النزعات الأسروية أو القبلية أو الأسطورية أو الخيالية.

إلى هنا لا أجرؤ على القول بأني استوفيت حق هذه المعلمة في التقديم، لأن ذلك يقع فوق الطاقة، أن هذه المعلمة جاءت لتخصب التجربة الإنسانية في مجال

التاريخ، وتغني الحياة البشرية في عالم المعرفة، كل ما كتبته من عبارات ذات دلالات وإشارات وانطباعات ومشاعر ليس لي فيها شيء، لأن ذلك كله استوحيته من ثنايا هذه المعلمة، ومن خلال عملية استقراء لمضمون فصولها.

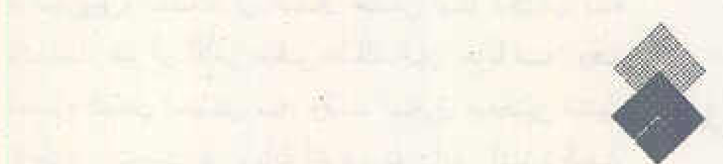
إن هذه المجموعات بكاملها من الوثائق تمد التاريخ وما أهمله التاريخ وأغفله التاريخ وقفز عنه التاريخ بالحلقات المفقودة فأبشر بها من معلمة.

وبعد، أننا ننتظر حلقة أخرى من هذه السلسلة الذهبية الموصولة على أحر من الجمر الغضا، لأن هذه التي هي بين أيدينا أذكت في أنفسنا جذوة حب التطلع للمعرفة وخلقت ظمأ لا يروى سوى البحث، إننا مع المنتظرين نتطلع إلى ميلاد فجر جديد.

وهنا وجب الإشارة إلى أن الأستاذ أنيطت به مهمات أخرى، ويضطلع بمسؤوليات، ويمارس أنشطة غزيرة فكرية لا تنقطع خارج إطار التأليف والنشر، ولسنا هنا بصدد البحث عن الاعذار، فذلك واقع وحقيقة لا يجهله أحد، إذ في كل يوم يستقبل في مكتبه عددا من الباحثين الذين يتقاطرون من كل مدن المملكة ومن خارجها طلبا للعون والمدد والإرشاد والتوجيه والتزويد بكل ما يحتاجونه في مجال أبحاثهم ودراساتهم، ناهيك بالنشاط الدائب في مجال المحاضرات والندوات التي يشارك فيها الأستاذ بفعالية سواء داخل المملكة أو خارجها، ويساهم كذلك في مد أمهات الصحف والمجلات بدراسات قيمة.

فحسبه مفخرة أن يكون ذائع الصيت في المحافل العلمية المغربية منها والمشرقية، وأن يتداول إنتاجه بالدرس شباب القوم وشيوخهم، وكفاه اعتزازا أن تتوافر له المؤهلات الفكرية والخلقية ما يمكنه من شغل مناصب متعددة، ومن القيام بجمع ما يسند إليه من الأعمال في أحسن الظروف، فينال بذلك رضا ملكه موفورا، فكأني بمن سيؤرخون للعصر الذي نعيش فيه كأني بهم يلقبونه بذي المهام، كما لقب غيره في الماضي بذي الوزارتين.

الرباط : المبارك الريسوني



تعقيب

حول مقال الأستاذ ابن تاويت في المعركة الكبرى

للأستاذ علي الصقلي

قد تكون هذه أول مرة في حياتي اصطدم بكاتب يختلط عليه الحابل بالنابل، وهو يكتب في موضوع معين. وما كنت لا تصور أن هذا الاختلاط يصل إلى الحد الذي وصل إليه الأستاذ السيد محمد ابن تاويت وهو يكتب عن «المعركة الكبرى».

فالمقال الذي صدر في العدد الماضي من هذه المجلة يحمل عنوان «ملاحظات حول كتاب المعركة الكبرى»، فالمفروض، لذلك، أن المقال خصص لهذا الكتاب بدءه وتماما، غير أن الأمر بعكس ذلك، فإن جزءا منه، وهو الجزء الذي استهل به، وقد استغرق صفحتين اثنتين كاملتين، يتحدث عن رواية أخرى، دون أدنى إشارة إليها، مستعرضا منها تسعة عشر بيتا ونصف البيت، ساقها كشواهد لمآخذ أستطيع أن أرغم أنها كلها، وبدون استثناء، من التفاهة بحيث لا تكلف صاحب الرواية مشقة الرد عليها، بل لعلها تزكية لتلك الأبيات بالذات :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا
أبشر بطول سلامة يا مربع

ما أبعد الفرق بين الروايتين! ولو أنها في موضوع واحد، فكلتاهما اعتمدت هيكلا مسرحيا مستقلا، ومنحى حواريا خاصا.

فما معنى الخلط بينهما دون الإشعار بذلك، وكأنهما عمل واحد؟

وما معنى أن يكون العنوان لشيء، والمضمون لشيء آخر؟

أليس من أبسط نتائج ذلك تضليل القارئ، والافتراء على كل من مؤلفي الروايتين؟

لقد بُهتُ، وأنا أقرأ مقال الأستاذ السيد محمد بن تاويت، وتبين لي، بما لا يدع مجالا الشك، أن صاحبنا لم يكن من همه، وهو يهيئ مقاله حول المعركة الكبرى، ألا أن يسود بما تأتي صفحات من هذه المجلة المحترمة، ولو على حساب الحقيقة العلمية والتاريخية! ولو كان في عمله ما يحمل القارئ على الاعتقاد الجازم بأن كل ما قرأ في مقاله هو مما يقع بين دفتي «كتاب المعركة الكبرى».

بسبيل كتابة مقاله النقدي، أن يتحرى فيما يكتب؟ حتى لا يجعل أحمد المنصور، وهو أخ عبد الملك وولي عهده - ابنا له، كما جاء في مقاله، وحتى لا يختلط عليه «شعبان برمضان» إلى هذا الحد؟

وما كان أهون عليه أن يضع، من باب التحري، الكتاب المراد نقده بين يديه ساعة الكتابة عنه، حتى يتفادى عملا نقديا مزريا، لا أريد أن أقول، مجاريا آخرين، أنه كجميع أعماله النقدية التي لا تساوي شِرْوَي نقير، لسبب بسيط، وهو اتسامها بالخلط والفوضى، وفقدانها للمنهجية والضبط والدقة العلمية!

قد يقول قائل أن ما وقع في مقال الأستاذ السيد بن تاويت إنما هو نتيجة جناية المطبعة عليه حيث أغفلت بعض أوراق المقال لسبب أو لآخر، الأمر الذي أدى إلى هذا التشويه، وهذا ما افترضته أولا، إلا أنني عدت فاستبعدته، وقطعا لكل شك، وجدتني أتصل هاتفيا بالأستاذ الجليل السيد محمد بنعبد الله المسؤول عن دعوة الحق في الموضوع، فأكد لي أن ما نشر هو بالحرف المقال الذي «تفضل» به الأستاذ بن تاويت على المجلة بذاته وصفته، لم ينقص منه شيء ولم يزد!

وبذلك تنتهي كل مسؤولية عن المجلة، وهي جديرة بأن تكون فوق مسؤولية كهذه.

لهذا أتوجه إليكم، سيدي الأستاذ ابن تاويت، برجاء ملح، وهو أن تبادروا في العدد القادم من هذه المجلة إلى توضيح الحقيقة توضيحا لا يبقى على لبس، وسأكون أنا شخصيا، أحد المفيدين من هذا التوضيح، لا سيما بعد أن قلبت الأمر على جميع وجوهه، سعيا وراء تفسير معقول، فلم أجد سوى الإهمال من جانبكم: هذا الإهمال الذي تحاسبون عليه من طرف القراء أكثر من أي كان.

السفاسف التي سقتموها كمآخذ على الكتاب من نحو استعمال كلمات قبل أوانها، أو في غير محلها، أو استعمال مجاز محل حقيقة، وهذا كل حصيلة مقالكم النقدي، فإن الذي أواخذكم عليه، دون هوادة، هو اتهامكم للكتاب بأنه مشتمل على أخطاء نحوية ولغوية وتصريفية، دون الإشارة إليها، معتبرين الإشارة إليها من باب التطويل!

سبحان الله!

لم تر ضرورة الاختصار إلا في هذا الباب، وهو أهم الأبواب بلا جدال.

أهذه هي النزاهة العلمية يا أستاذ بن تاويت؟

أهذا هو الإخلاص المفروض فيك لأبنائك من الأساتذة والتلاميذ وأنت تعلم، باعترافك، أن الكتاب مقرر في المناهج الدراسية لتلاميذ السنة الخامسة الأدبية منذ ست سنوات؟

أما كان ينبغي أن تركز على هذه الأخطاء قبل غيرها حتى يستفيد منك جيل من الأساتذة والتلاميذ، وحتى نستفيد منك جميعا، ونصون ألسنتنا على الوقوع في تلك الأخطاء؟

أما كان من الضروري أن تنقص قليلا من الاستطرادات التافهة الي جاءت في مقالك، لا لشيء إلا لتنفخ في حجمه، وأن تعوض ذلك باستعراض الأخطاء اللغوية والنحوية والتصريفية التي أشرت إليها؟

إنني في انتظار على أحر من الجمر لبيان الحقيقة المطلوب منك للقراء ولي حول ما جاء في مقالك أولا، ولتفصيل القول في الأخطاء التي أشرت إليها ثانيا.

وللحديث بقية.

الرباط : علي الصقلي

(fiqh, droit, politique, sociologie) qui ne sont pas nécessairement consacrés aux Ibadat, des chapitres plus ou moins développés qui traitent essentiellement des grandes pratiques cultuelles. C'est le cas par exemple de cette œuvre assez bien connue que H. Laoust a édifiée pour faire connaître les Doctrines Politiques et sociales d'Ibn Taymiyya (Le Caire, 1939). La question qui nous intéresse ici occupe dans l'ouvrage en question les pages 320 à 370 chapitre premier. Devoirs fondamentaux de l'Islam. Pour étudier les idées sociales et politiques du grand imam hanbalite, Laoust a cru bon et nécessaire de partir de la base, des « Ibadat » par lequelles débutent généralement les traités du fiqh pour saisir la pensée de son auteur sous tous ses aspects.

C'est le cas encore de cet ouvrage qu'a consacré H. Lamens à l'Islam d'une façon générale. L'auteur a voulu embrasser d'un seul coup d'œil la Loi islamique. Il a traité aussi dans un chapitre (74-84) les cinq piliers de l'Islam. Il a à peine effleuré le sujet mais il y a pensé tout de même.

On peu aussi, toujours, à titre d'exemple, citer notre travail sur la Vie Intellectuelle Marocaine sous les Mérinides et les Wattasides que nous avons publiée à Rabat en 1974. Le lecteur y trouvera dans les nombreuses notices que nous avons consacrées aux auteurs et à leurs œuvres, des détails parfois précis sur les « Ibadat » qui ont bénéficié, de temps à autre, d'une place plus ou moins importante plus ou moins indépendante. Il faut se donner la peine d'analyser les œuvres en question, en extraire les chapitres qui nous intéressent dans cet essai. Mais c'est un travail d'une autre dimension, qui nécessite évidemment beaucoup plus de temps et de recherches.[1]

Une remarque s'impose ici. Poussant un peu loin nos investigations bibliographiques, nous avons dû avoir recours à une revue marocaine spécialisée de renomée internationale la Revue Dawat al-Haqq que publie soigneusement le Ministère des Habous et des Affaires Islamiques à Rabat. Il faut reconnaître que c'est une revue sérieuse, originale, destinée à faire connaître les différents aspects de la pensée islamique, source qui s'impose et qui se recommande autant par sa structure que par son contenu. Les auteurs qui y collaborent sont avant tout des Marocains. Leur apport, leurs écrits sont indiscutablement édifiants et scientifiques. On pourrait donc récolter dans l'énorme masse des travaux qu'elle publie une matière abondante et riche pour le développement de notre sujet. Mais quelle surprise ! Durant une époque de 30 années à peu près, la Revue en question ne renferme que 21 titres (approximativement) qui traitent des devoirs dévotionnels !

Encore faut-il ajouter que ce ne sont pas des articles de fond malgré le sérieux dont ont fait preuve leurs auteurs. Seul, à notre avis, fait exception, le travail publié par Bakhat sur le Ramadan Bayna-l-ada wal-Ibada N° 5 et 6 Oct. 1972, pp. 4-6.

Les thèmes qui ont le plus retenu l'attention sont avant tout le jeûne et le pèlerinage. Les autres devoirs n'ont bénéficié d'aucune notice sérieuse. Ajoutons aussi qu'il ne s'agit nullement d'une étude d'ensemble.

Dans le même contexte, nous avons eu affaire aussi à une autre source qui revêt un caractère encyclopédique. Il s'agit d'Al-Mi'yar d'Al-Wancharisi (Fatwa, Consultations rendues par des théologiens et jurisconsultes maghrébins.

Là le lecteur pourrait trouver de nombreuses « consultations » sur les grandes pratiques cultuelles, les conditions, les circonstances qui s'y rapportent etc. Il faut reconnaître que c'est la Prière et la Zakat qui ont le plus mérité une place suffisante dans cette masse de fatwa, que contiennent les douze volumes d'Al-Wancharisi.

(1) Consulter également les ouvrages que nous avons consacrés aux aspects culturels et institutionnels de l'époque mérinides (Le Milieu Marocain... Rabat. 1970 pp. 30-45 ; Aspects de la culture marocaine... Rabat 1970.

mum de profits scienfitiques sans pour autant accepter tout ce qu'il contient. Il faut être suffisamment préparé pour cette mission qui s'impose aujourd'hui plus que jamais. Il y a l'arrière-plan à dévoiler, le contexte général à découvrir à « déchiqueter ». Il y a pour ainsi dire le fil conducteur qui charge et qui surcharge les pensées intimes développées.

Il faut « se pénétrer » de la méthodologie employée par ces orientalistes mis en cause et connaître ainsi la logique à laquelle ils obéissent dans leurs travaux de recherche et dans tout ce qu'ils produisent. Cette façon de procéder nous procure quelques garanties et nous permet, chemin faisant, de signaler les erreurs et de redresser les abus en vue de rectifier et de rétablir les situations compromises. Nous rendons ainsi à nous-mêmes et à ces orientalistes visés d'inestimables services puisqu'il s'agit d'une collaboration commune, d'une œuvre réalisée, de concert, sur des bases nouvelles.

Ainsi le dialogue lontemps recherché entre l'Orient et l'Occident sera établi lui aussi sur de nouvelles bases solides et saines caractérisées par la légalité, la justice, l'harmonie des rapports, la compréhension mutuelle, l'entente réciproque, la reconnaissance de l'un par l'autre et vice-versa, autant de conditions et de valeurs qui ont souvent fait défaut dans les relations entre l'Orient et l'Occident sur le plan bien entendu de l'orientalisme.

C'est à cette condition seulement qu'une œuvre commune pourra être solidement bâtie et permettra d'aller plus loin dans l'élaboration et la mise en valeur de ce patrimoine culturel commun, de son actualisation de « sa mise en point ». C'est à cette condition que les partipris, les préjugés... seront à jamais éliminés et feront place à des rapports de confiance, d'entente, de cordialité et de respect mutuels. Ce sont les relations culturelles, d'une façon générale qui doivent en profiter et faciliter les relations tout court entre les peuples et les nations.

Revenons maintenant à l'aspect cultuel du patrimoine culturel qui nous intéresse ici dans le domaine du culte islamique. Commençons d'abord par ces articles de fond dont fourmille l'Encyclopédie de l'Islam (an. et nouv) cette œuvre monumentale qui, avouons-le constitue une documentation de base dont on ne peut se passer, un instrument de travail indispensable. En plus de sa valeur documentaire, elle présente aussi un intérêt bibliographique certain. Evidemment, ici, comme ailleurs s'impose une méthode critique afin d'aboutir aux résultats espérés (voir essentiellement, art, « Sawm », « masgid », « Salat », « Muezzin » etc) Gaudefroy-Denombynes a fourni un effort gigantesque pour composer son ouvrage sur le Pèlerinage à la Mecque (Paris 1923). C'est une œuvre monumentale aussi qui a besoin cependant d'être revue et mise à jour. L'auteur n'a pas été ambitieux comme il l'avoue lui-même. Malgré l'énorme masse de renseignements et de détails qu'il a apportés sur les Lieux-Saints, il n'a pas cru devoir traiter le sujet sous ses aspects politiques et religieux. Il y avait pensé au départ, mais il y a renoncé faute de temps et de possibilités physiques aussi. Il s'est attaché surtout à la description des scènes et des événements qui se déroulent pendant la période du Hajj à Makka. Détails nombreux et précis. Pas de bibliographie cependant. Seules des références en bas des pages apportent des éclaircissements au texte.

Bousquet (G.H.) « Les grandes pratiques cultuelles de l'Islam » (Paris. 1949). Travail condensé qui se termine par une longue conclusion sur les caractères sociologiques et l'avenir du culte en Afrique du Nord surtout. Toutefois l'auteur s'est borné à étudier en particulier, la prière, le jeûne et le pèlerinage. L'aumône légale n'a pas trouvé de place dans ce tableau d'ensemble qui comprend heureusement quelques éléments bibliographiques.

Ces deux monographies, rédigées par deux orientalistes assez bien connus constituent à elles seules un modèle d'orientalisme et renseignent suffisamment sur la méthodologie de leurs auteurs.

Comme nous y avons fait déjà allusion, on peut trouver dans des ouvrages d'islamologie

sible aux esprits peu initiés. Sur le plan didactique et pédagogique, elle présente un intérêt certain. On ne saurait donc insister sur la valeur de cette monographie qui, à notre avis, doit figurer au programme des lycées et Universités.

Tabbara (Af. Ab) Rouh as-Salat fi-l-Islam (Beyrouth, 1984). Comme l'indique son titre, cet ouvrage est consacré uniquement à la prière, qui est, comme on le sait la principale manifestation du culte musulman. Etude méthodique qui cherche à mettre en relief la valeur spirituelle, sociale et morale de cette grande pratique dévotionnelle. Fait parfois des comparaisons entre les différentes écoles juridiques sans oublier les doctrines Chiites.

Al-Ansari, abd al-Qouddous, as-Siyyam wa tafsir al-Ahkam. Etude plus historique que théorique consacrée essentiellement au jeûne. L'auteur s'efforce d'expliquer, de faire comprendre le sens et la portée du jeûne, revient aussi en arrière pour puiser des exemples aux sources lointaines. L'ouvrage comprend aussi des poèmes, des points de vue de personnalités culturelles toujours à propos du Siyyam ».

Travaux en langues européennes

Les travaux d'orientalistes ne sont pas à négliger ou à rejeter catégoriquement comme certains le pensent et le recommandent. Il faut une juste position, une position critique, sélective, positive, réaliste et objective. On le sait, l'orientalisme est actuellement et depuis fort longtemps l'objet de critiques acerbes, d'attaques violentes, de dénigration à cause sans doute de certains de ses représentants qui n'ont pas manqué à différentes occasions, de déclarer ouvertement leur hostilité, qui ont à peine caché leur haine, leurs sentiments impérialistes et colonialistes à l'égard des Arabes et des Musulmans qu'ils ont considérés comme inférieurs nous conduire vers des positions extrêmistes et nous entraîner à fermer les yeux sur tout ce qui a été bâti, tout ce qui a été réalisé par cet orientalisme « maudit ». Il faut reconnaître cependant que parmi ses représentants, il en est heureusement qui ont dès les départ compris le sens de leur mission, et cherché à étudier et à produire sans s'engager dans des voies idéologiques déterminées, sans se laisser trop influencer par ces courants politiques ou autres, ceux qui ont trop endoctriné les autres, ceux qui se sont écartés de la voie scienfifique. Durant plusieurs années, ces orientalistes exceptés, ont fait preuve, la plupart du temps, de neutralité scientifique, d'intégrité intellectuelle, d'honorabilité morale. Il leur arrive cependant de pécher, de donner libre cours à leur subjectivité, à leur imagination et de commettre, parfois sans le vouloir, des erreurs d'interprétation, de tirer des conclusions hâtives qui faussent à la réalité et qui dénaturent les textes étudiés. Cela est certain, mais dans tous les cas, il s'agit d'erreurs, de faux jugements et non d'une attitude intéressée et recherchée tendancieuse, dictée par des arrières-pensées, par l'idéologie de l'orientalisme en général.

A ces savants intégres nous devons reconnaître le mérite, d'avoir contribué à faire connaître auprès des Non-Arabes, des Non-Musulmans et des Musulmans parfois aussi, la pensée culturelle arabo-islamique, sa réalité profonde, son sens et son authenticité, son originalité, sa vocation universelle.

Leurs œuvres en sont un témoignage éloquent. Elles reflètent assez fidèlement, leurs pensées, leur mentalité à l'égard de celui qui n'est pas Chrétien, qui n'est pas européen, qui n'est pas occidental, qui n'est pas l'autre etc...

Quoi qu'il en soit, compte tenu des considérations qui précèdent, d'importantes mesures de précautions sont indispensables dans ce domaine pour mettre à contribution ce patrimoine culturel jugé suspect et en tirer le maxi-

et facilement assimilées. Cette façon de les appréhender simultanément et conjointement leur confère sur le plan méthodologique une physionomie qui doit les identifier davantage – et authentiquement – et sauver ainsi leur personnalité à travers les nombreux écrits – dont elles font partie la plupart du temps – qui sont consacrés aux différents aspects de la loi islamique. Les ouvrages de « fiqh » comprennent d'habitude dans un même ensemble « Ibadat » et « mouamalat » us et coutumes, relations sociales, commerciales, statut personnel etc... Elles sont rarement dissociées.

Il s'agit, encore une fois, à ce niveau, de les traiter indépendamment en les insérant dans un seul et même cadre pour faire saisir – dans toute l'acception du terme personnalité, pour faire refléter aussi leur complémentarité, leur compréhension mutuelle, les rapports réciproques qu'elles entretiennent, leur intercomplémentarité... Car c'est dans ce cadre global « d'entraide et de solidarité » qu'elles apparaissent sous leur vrai visage, c'est dans ce cadre aux contours limités et précis qu'elles se définissent clairement les unes en fonction des autres...

De telles remarques, à propos d'une documentation appropriée, ne doivent pas cependant nous dispenser d'indiquer ici, au moins sommairement et à titre d'exemples seulement – en plus des ouvrages que nous avons mis à contribution et qui figurent au bas des pages comme références – ceux qui doivent figurer comme tels dans cet Avant-Propos. Il ne s'agit nullement d'une opération sélective, distinée à mettre en relief les valeurs respectives de chacune des sources utilisées ou simplement citées à titre comparatif ou en vue d'une étude plus approfondie.

Il s'agit plutôt de mettre l'accent sur les options retenues, les orientations méthodologiques suivies par certains auteurs, ceux particulièrement qui ont apporté à l'œuvre commune une certaine contribution.

Commençons d'abord par l'œuvre monumentale d'ad-Dahliwi, ach-Chaykh Ahmed Chah, dont le titre Houjjat Allah al-Baligha (Beyrouth, 1355 h.) ne paraît pas cependant avoir un rapport direct avec la question que nous nous sommes posée dès le départ. Il est certain que c'est une œuvre qui n'y répond pas directement et aussi rapidement. Reconnaissons cependant que c'est une étude détaillée (trop même), qui dépasse sur le plan théorique comme sur le plan pratique, les limites prévues pour l'établissement d'une monographie aussi succinte que possible, aussi concrète. Trop abstraite, trop théorique, elle aborde dans le même cadre des questions connexes bien sûr, d'ordre philosophique méthaphysique, dogmatique, dont l'intelligence et la compréhension ne sont pas à la portée de tous les esprits, des lecteurs insuffisamment instruits en matière d'islamologie, et de culture rituelle plus précisément. D'un niveau supérieur, la Houjja nécessite un commentaire, une analyse systématique de nature à expliciter son contenu, le rendre accessible à nos étudiants et lecteurs francophones.

Passons maintenant à d'autres exemples, plus modestes, plus pratiques, mais qui présentent cependant un intérêt certain pour la connaissance directe des devoirs dévotionnels. Nous pensons tout de suite à Al-Qardawi (Dr. Youssouf), Al-Ibadat fi-l-Islam, (Dawha, 1971). C'est une étude d'ensemble, assez développée, soigneusement structurée, plus pratique que théorique, appuyée sur de nombreux exemples.

An-Naawi (Ab. H.Ali); Al Arkan al-Arbaa, les quatres piliers, la prière, l'aumône légale, le jeûne et le pèlerinage (K. 1978). Se distingue par son caractère comparatif des autres religions, son attachement aussi aux valeurs spirituelles et morales.

Badran (Abou-l-Aynayn), Al-Ibadat al Islamiyya, (Alexandrie, 1969). Travail suffisamment documenté, solidement structuré, accorde une importance relative aux doctrines sounnites, des quatre écoles juridiques.

Abdouh (M. Ismaïl) Al-Ibadat fi-l-Islam (Le Caire, s.d.). C'est une étude d'ensemble ori-

et de formation en même temps. Et c'est à dessein donc que nous nous sommes arrêté au domaine doctrinal, théorique laissant de côté l'aspect pratique que nous nous proposons de développer dans un prochain avenir.

Cette prise de conscience constitue un engagement intellectuel et affectif, un acte de foi primordial, un préalable qui ouvre l'accès à l'action pratique, légale et légitime, aux œuvres qui conditionnent et qui concrétisent l'intention, le credo, appliqués aux différentes attitudes à observer dans l'accomplissement régulier des devoirs dévotionnels. Ce n'est qu'à cette condition que la synthèse recherchée pourra se réaliser.

Telle est, en gros, la démarche que nous avons envisagée pour la réalisation de ce modeste travail. Elle nous a permis d'aborder notre sujet en essayant de le développer sous ses aspects théologico-cultuels, dogmatiques, socio-politiques, sociologiques et éducatifs. Projet ambitieux, nous dira-t-on. C'est certain. Nous en sommes parfaitement conscient. Une telle entreprise nécessiterait en effet, beaucoup plus de temps, d'énergie et d'efforts soutenus. Mais, comme nous y avons fait allusion, notre but a été de toucher un grand public de lecteurs désireux de connaître aussi rapidement que possible, mais un peu profondément, les véritables tendances de la loi islamique en matière du rituel, son sens, sa réalité profonde.

Dans ce domaine en particulier, il reste beaucoup à faire. Bien des thèmes méritent d'être développés avec tout le soin et la profondeur qu'ils méritent : l'origine, l'histoire, la philosophie des devoirs cultuels, de l'Obeissance générale à la Toute-Puissance Divine, à partir du Texte sacré, de la Sounna aussi suivant un ordre donné, une structure déterminée.

Ces sources scripturaires n'ont pas été suffisamment exploitées à cet effet. Combien de versets, combien de Hadits restent à extraire et à étudier groupés autour de thèmes précis. La de la plus haute importance de connaître et d'analyser pour en tirer le maximum d'enseignements au profit des Ibadat et de leurs prolongements dans la vie socio-politique, socioculturelle. Ce travail d'analyse et de compilation n'a pas été non plus réalisé. Toute une littérature à dégager et à structurer en vue d'une étude systématique des grandes pratiques cultuelles.

Reste aussi le côté purement pratique, les œuvres proprement dites, les conditions dans lesquelles elles doivent être appliquées selon les doctrines sounnites, hanafites, malikites, chafiites et hanbalites, au sein de chaque école, de chaque « madhab » ou à la lumière des doctrines hétérodoxes, « kharigites », « Chiites », « mutazilites », etc... C'est une étude comparée, comparative qui s'avère aussi indispensable.

Le présent essai ne prétend donc nullement épuiser tous les aspects de cette question aux multiples faces, aux dimensions assez larges et profondes. Il faut procéder par étapes successives suivant une progression déterminée, un plan qui permette de suivre l'enchaînement des idées, des lois et des principes. C'est notre principal souci, notre façon de concevoir ce genre de travail qui s'adresse à des lecteurs particuliers, qui ne sont ni profanes ni spécialisés.

Si maintenant on jette un regard retrospectif sur la littérature des « Ibadat » on s'aperçoit malheureusement que jusqu'à présent rares sont les travaux d'ensemble qui leur ont été consacrés. La plupart du temps, ce sont des articles ou des études de détail qui traitent indépendamment chacune des grandes obligations fondamentales, soit la prière, l'aumône légale ou le jeûne et le pèlerinage. Il s'agit généralement d'articles de presse ou de revues spécialisées. Envisagées dans leur ensemble, dans leur totalité agissante, leur interférence, leur interdépendance, jouant ainsi un rôle de complémentarité et d'interdisciplinarité, ces obligations gagneraient en effet à être bien comprises

L'Islam et les obligations fondamentales

Par

Mohamed Benchekroum

Professeur à l'Université Mohammed V

Rabat

L'Islam, religion universelle, on le sait, se manifeste sous plusieurs aspects, extrêmement riches, infiniment variés, dans tous les domaines, dans tous les secteurs de la vie, à travers les comportements d'individus et de groupes, qui composent la communauté islamique dans sa totalité.

Mais la principale manifestation, la manifestation par excellence, est certainement celle qu'on a pris l'habitude de désigner par le mot « culte » bien que ce dernier terme ne soit pas la traduction exacte de ce que nous entendons en Islam par « Ibadat ».

Comme nous aurons, l'occasion de le voir après, les « Ibadat », les obligations fondamentales, présentent, par rapport au culte chez les Chrétiens un caractère particulier. Leur signification, leur portée leurs prolongements dans tous les domaines de la vie, leurs répercussions immédiates et lointaines, tout cela confère une valeur temporelle et spirituelle qu'il faut avoir la peine de connaître, afin de se rendre compte des possibilités infiniment grandes qu'offre le service à Dieu sous son aspect fondamental.

Ces répercussions et ces incidences, très diversifiées, ne sont pas toujours prévisibles, ne sont pas toujours perceptibles par ceux qui n'y sont pas suffisamment préparés. Un certain savoir, une certaine préparation sont en effet indispensables pour la connaissance immédiate et profonde de ces « Ibadat », pour leur application aussi.

C'est à ce propos qu'il nous a été demandé de rédiger quelques articles. Certains de ces articles ont été publié par le quotidien national « L'Opinion » à l'intention des étudiants, des lecteurs français d'une façon générale. La question nous a quelque peu embarrassé au départ. Faut-il se contenter du vulgariser ou, au contraire, essayer de traiter à fond le thème proposé. Nous avons dû hésiter avant de nous engager dans cette entreprise juridico-culturelle, juridico-religieuse. Nous avons finalement opté pour une question intermédiaire, celle du juste milieu.

Il a fallu donc opérer un grand choix parmi tous les éléments qui paraissent constituer la trame, le fond de la structure, l'arrière-

devient alors le creuset ou receptacle où se fondent et se confondent toutes les clartés de la Providence et de la Proximité de Dieu. Mais là aussi, toute une gamme d'états psychiques doivent être strictement observés dont le moindre est le soin méticuleux des intimités secrètes du subconscient. Le flux gnostique, accompagnant ainsi les inspirations divines, est de nature à infléchir, alors, les lueurs transcendantes. Une vigilance accru – dont la grande Sagesse – émane de ce processus qui demeure le fil conducteur dans cet acheminement vers Allah.



lement par une cure de désengagement, au sein d'un concert coranique harmonieux aux perles de culture ; un scaphandrier recherche les véritables dans les profondeurs. Cette dialectique géniale est le processus de vulgarisation le plus adéquat par lequel on synthétise la transcendance.

C'est là une orientation heureuse, un mode agissant de direction où l'initiateur est un pédagogue qui façonne, en optant pour la meilleure impression des états de consciences. Une lecture romancée, incrustée de contes dépeignant les merveilles des Soufis, est certes nécessaire, mais nullement suffisante, pour le déclenchement d'une fruition introspective. La théorie s'extériorise, alors, par une pratique sounnite judicieuse et un comportement cultuel bien adapté aux préceptes coraniques. Le moumin doit s'adjoindre un Maître doté de créativité, de puissance d'actualisation et de ferme volonté, pour accéder à une félicité totale. L'eau vive de la grâce divine inonde la transconscience ; un débordement du cœur actue la transcendance des degrés sublimes ; une étroite accommodation à l'Ethique est impliquée par les Présences, c'est-à-dire les divers plans de l'essence ou de la nature de l'être, source subsistantielle immanente. La morale coranique policée qui s'impose donc est le substrat des états et stades dans lesquels évolue l'initié. « L'Islam – dit le Prophète – est cerné par les nobles vertus et les mœurs raffinées ». Un acte qui respecte les règles de la politesse – affirme Anas Ibn Mâlik – est susceptible d'être agréé de Dieu. Une indélicatesse dans le comportement est par contre une marque de privation. Nulle exemption des exigences de la charia n'est concevable, pour un moumin, quel que soit le degré qu'il atteint dans la hiérarchie initiatique. Dans ce stade, l'initié est en vision interne de Dieu dans son invocation ; une haute maîtrise pèse lourdement sur ses actes ; une pudeur infinie l'astreint à un auto-contrôle sans faille, seul moyen d'une transcendance. Ainsi donc, chaque étape dans le chemin de Dieu est commandée par un code particulier de la science des mœurs et de la morale.[3] La première, parmi les trois étapes, est celle de l'Islam ; c'est le stade du repentir ou du retour à Dieu. La rétractation qui en découle est une véritable infrastructure, sorte de quatuor où l'initié tente de rebuter tout contact avec des indésirables, recherch le soutien moral des compagnons adéquats, fuir les lieux de plaisir illicite et ressentir une vive amertume à la réminiscence de toute luxure antérieure. La seconde étape est celle afférant à une réadaptation du croyant, lui assurant une probité irréprochable, sur le double plan temporel et spirituel. Il s'agit d'un fondamentalisme s'accommodant aux rigueurs sounnites, dans la pensée et l'acte, d'une manière assidue et régulière. En se contrôlant minutieusement, le moumin s'assure : un minimum de pondération dans les élans du cœur, un rebut efficient de tous penchants imaginatifs fondés sur des chimères et enfin une ferme résolution dans le crédo et le culte. La piété est, dans une troisième étape, un leitmotiv ou motif conducteur dans le cheminement de tout moumin qui doit s'ingénier à se libérer, par acquit de conscience, d'un superflu, même licite, dont on peut aisément se passer et de tout excès aboutissant fatalement à une rupture d'équilibre. Quant à la dernière étape, celle de la foi, elle se cristallise dans un dévouement total et un fidèle attachement à ses engagements vers Dieu. C'est une servilité faite d'abnégation de soi, d'auto-imputation de défauts et vices, d'appréhension anxieuse, suscitant des invocations réitérées et un surcroit de fidélité. Dans ce contexte, une sincérité objective s'allie à une véracité dégagée de toute défection : Le vrai moumin tend alors à se purifier, à se libérer de tout psychisme aberrant, s'acquitter ponctuellement de tous ses devoirs envers ses semblables dont il doit ménager les susceptibilités, en agissant avec réserve et circonspection, grâce à une crainte pieuse d'empiètement sur les droits sacrés des êtres, de tous les êtres. Là, une quiétude entière envahit la transconscience, mue par cette foi agissante ou cette certitude infuse qui est la marque indélébile de la sainteté. Le cœur

3) D'après le Hadith d'Ibn Omar rapporté par Al-Bokhary.

et de la Sounna, sans bigotisme ou resserrement outrancier, traduit par une indélicatesse alimentaire ou vestimentaire. C'est là un échelonnement transcendant des états d'âme, rigoureusement aligné sur un behaviorisme authentique qui ne refuse guère une impulsion introspective contrôlée, dégagée de tous caprices fantasques ou sautes d'humeur excentriques. C'est l'atout approprié pour éliminer de la psyché tous fatras capricieux et lui imprimer une luminescence épuratoire. Tout dépassement excessif des limites légales est décommandé par le chraâ. Cette ligne de démarcation s'esquisse par une disposition spontanée à obéir et à se soumettre, sans trop – dirait Ibn Abbad – de réserves restrictives, mouvements d'austérité abusive ou rigueur puritaine. Les fluctuations de la conscience constituent le ressort foncier de toute ouverture concrétisée par une ferme intention, une forte créativité et concentration du cœur. Maints initiés ont opté, dans leurs errements, pour l'ascèse excessive, négligeant le facteur préjudiciel en l'occurrence, à savoir une dépuration préalable à toute intimité introspective. Tout excès se traduit, en fin de compte, par un dérèglement de l'intellect, un déséquilibre psychique et des troubles somatiques. Cette excentricité dénote une méconnaissance flagrante de la Sounna et de la pratique universelle de la Oumma (communauté). Chaque système a ses inférences ; les flashs épiphaniques de l'un sont impromptus, se déclenchant au moment où on s'y attend le moins ; les accès sont alors libérés, les ouvertures dégagées, grâce à une luminance projetée par l'élan naturel, spontané et sincère du croyant. Le cœur s'épanouit, sous l'heureuse impulsion d'un flux théophanique et d'une effusion sacrosainte. La résultante se cristallise en une certitude positive surémimente. Les optimums de ce processus ne s'opposent nullement à certaines accommodations cultuelles appropriées tels l'isolement érémitique, la cure de silence et la retraite spirituelle. La tradition authentique corrobore toute pratique non susceptible d'enfreindre les impératifs catégoriques de la loi sociale islamique. Dans l'analyse des mobiles d'une certaine difficulté d'insoumission de l'initié à l'ordre divin et des quelques incartades impertinentes qui marquent ses agissements – ces déviations sont l'aboutissement fatal d'une autonégligence, c'est-à-dire d'un laisser-aller capricieux incontrôlé. Le redressement d'un tort quelconque et l'équilibration d'une psychose nécessitent une actuation mortifiante immédiate, suivie de retraite spirituelle, de cure diététique, de concentration lithurgique, loin de toutes motivations temporelles ou d'irrésolution. C'est en s'adaptant à la tradition du prophète et en s'ingéniant à dématérialiser les actes volitifs que l'initié épure les élans de sa transconscience. Toute transmutation demeure l'œuvre exclusive de l'Omnipotent. L'Ordre divin ne souffre guère d'infirmation dans les relations de cause à effet, concept péremptoire dans les enchaînements rationnels de notre Monde. Une pleine clarté solaire est fonction d'une dispersion totale des nuages ; les éclats d'une vive luminescence ne sauraient jaillir qu'au sein d'un cœur dégagé des velleités mondaines et des virtualités cosmiques ; une image virtuelle ne peut en effet se projeter sur l'écran d'une conscience impure. Les caprices qui assaillent le for intérieur provoquent des troubles psychiques qui obnubilent et éloignent de la Présence Sacrosainte. Seul l'avènement de la grande ouverture élimine les perturbations de l'âme, par le flux lumineux de la gnose, sublime connaissance de Dieu. Une incidence ténébreuse, suscitée par une déviation ou une incartade quelconque, affecte la clarté scintillante de la souveraine lumière. Les plans de l'être ou présences telle la présence du cœur sont incompatibles avec toute scorie ou crasse éventuelle. D'autre part, « sois conscient que le Décret infrangible de Dieu à ton égard est bien la situation dans laquelle tu évolues ; y acquiescer servilement est la meilleure des options ; résigne-toi donc à Son acte volitif et n'aspire guère à un état auquel rien ne te destine ». Toute requête a un délai d'exécution ; rien ne saurait abréger une échéance. S'armer de patience, c'est savoir garder sa quiétude et son sang-froid, dans l'expectative, c'est-à-dire dans une persévérance qui se double d'espérance. L'espoir est, en l'occurrence, une attente de pied ferme, car fondée sur une Promesse Sublime où Dieu ne s'engage guère à la légère. Un trouble provoqué par des probabilités chancelantes s'eclipse fata-

Ses biens apparents et internes », par le fameux exégète Ibn Abbas qui précise que toute délectation matérielle constitue un bienfait exotérique ; tandis les calamités s'abattant sur l'initié sont, sur le plan ésotérique, des touches divines, initiatrices de bonheur. La nature de toute « politesse » réside donc – selon ces diverses approches – dans une codification tendant à assurer au moumin une perfectibilité des rapports, le liant d'une part à son Seigneur et d'autre part, au monde angélique et apostolique, ainsi qu'à tout le genre humain, quelles qu'en soient les catégories et les espèces. Si on s'ingéniait, alors, à analyser ces données, l'ethique « policée » sublime se réduirait – à deux versions qu'on ramène à une seule : une symbiose juridico-mystique, concrétisée par des actes surérogatoires et des actuations destinées à sublimer tout état comportementiel ; et ce, dans un contexte de servilité révérentielle à la Souveraine magnificence. Cette finalité ne saurait se réaliser pleinement chez le moumin qui demeure assujetti à certaines mœurs vulgaires, l'éloignant de la Présence Anglobante. Le profane croit bien faire, mais l'initié, en éludant toute tentation de ce genre, doit, trier rigoureusement ses options, pour s'aligner strictement sur les normes de la Charia et les préceptes de la Tradition prophétique.

Toutes les vertus et convenances émanent, au fond, d'une « caractérisation » innée, actuée par la grâce divine, en dehors de toute potentialité humaine. L'initié est hautement inspiré par une insuflation luminescente de l'Omnipotent, adéquatement qualifié par la Sagesse Théosophale, pour s'adapter à l'Ethique transcendantale, à travers un effet soutenu d'éducation, de mortification et de purification. Cette qualification gît virtuellement, en puissance, tel un nucleus générateur de vitalité formelle. C'est par un traitement et une initiation appropriés que le feu jaillit du briquet et le palmier-dattier du noyau. L'âme, receptacle du bien et du mal, est façonnée par une acculturation, grâce à laquelle une épuration psychique se double d'une « moralisation » discursive d'où jaillit spontanément une éthique « policée ». La prédisposition au changement caractériel chez l'homme est une preuve de perfectibilité de sa nature. Ce concept n'est guère infirmé par l'exégèse herméneutique aberrante du verset coranique qui dit : **« Pas de changement dans la création de Dieu »** ou par l'interprétation superficielle du Hadith affirmant que Dieu a imprimé une forme définitive à quatre des éléments primordiaux, chez l'homme, dont la structure matérielle et le caractère moral. Dieu n'a-t-il pas dit, en parlant de l'âme : **« Comme Il l'a bien modelée, en lui inspirant son libertinage et sa piété ; heureux celui qui la purifie ! Mais celui qui la corrompt est perdu ».** (Sourate du Chams (Soleil), verset 8). D'où la nécessité d'un éducateur et d'un guide de conscience, c'est-à-dire le Maître qui aide son disciple à formaliser les virtualités qui existent en puissance. C'est pourquoi l'éducation est axée sur une certaine lithurgie de la thariqa, substract de toute initiation, conditionnée par une gamme de litanies dont le Coran et l'observance des Cinq Prières qui demeure la condition sina qua non, surérogatoirement soutenue par « Slat ala en-Nabi », invocation de Dieu, pour le salut et la bénédiction du Prophète. Ces actes cultuels doivent être accomplis, en pleine confiance dans la pure grâce divine, sans mortification ni effort soutenu dans l'ascèse.

Le fai que notre religion est dégagée de tout engagement érémitique et isolement du monde est une marque d'originalité de l'Islam dans sa phase initiale où le catalyseur essentiel résidait dans la conformation ésotérique de l'âme et la structuration d'un sentiment plénier de gratitude envers le Pourvoyeur Suprême. Trois siècles après l'avènement de l'Apostolat mohammadien, tout cheminement transcendantal devait impliquer, sans l'impulsion d'exigences conjoncturelles, un surcroît de mortification de la chair et des passions, de souffrance, d'endurance et de privation. Deux options opposées qui impriment respectivement une procession préalable du cœur ou une démarche strictement corporelle. Point n'est besoin de signaler, dans ce cas, l'excellence d'une adhésion psycho-spirituelle, véritable élan du cœur, sur tout mécanisme purement somatique. Il s'agit spécifiquement d'assurer un équilibre adéquat des pulsations spirituelles, en adhérant, avec aisance, à l'esprit intime de la Charia

de la charia, comporte à la fois le Droit dû à Dieu et les Droits réservés à Sa créature.

3) Ethique du Vrai, qui consiste à s'adapter aux éxigences de la Vérité par une soumission irréversible et inconditionnelle aux sentences et directives divines, quel que soit le degré de l'émetteur. Ainsi, une vérité, imprimé d'une telle vertu, demeure constamment et valablement agissante. L'acquiescement au vrai est une qualité essentielle chez le moumin parfait, abstraction faite de l'âge ou des contingences sociales de l'agent de transmission.

4) Ethique de la Réalité qui consiste, au contraire, à se dégager de toute prétention ou vanité et à s'en remettre à Dieu, en lui faisant entièrement confiance et en se reposant péremptoirement sur lui. Cela se réalise par un autocontrôle permanent, un effort soutenu de domination et de méditation et une contemplation révérencieuse des signes de Dieu. Abdellah Ibn El-Moubârak définit cette éthique révérentielle comme la conscience des dimensions de la psyché. Commentant cette sentence, l'au ur des 'Awârif précise bien que l'âme est la source de toutes les méconnaissances et les ignorances. Se connaître soi-même, c'est se réaliser, grâce à un flot d'inspiration luminesente. La tradition ne rapporte-elle pas que celui qui est conscient de soi est apte à connaître Dieu ? Etre conscient – affirme en-Nawawi dans ses Fatawi – de sa faiblesse, de son dénuement et de la servilité, c'est apprécier avec justesse l'Omnipotence, la Suzeraineté et la Perception absolue dans le cadre des Attributs Divins.

Deux autres acceptions de ce hadith sont rapportées par Ibn Attâa Illah, citant son maître, Abou Al-Abbas el Murci : d'une part, une autoconscience, c'est-à-dire une profonde consciene de soi qui fait transcender l'initié vers la connaissance de Dieu ; et d'autre part, une gnose ou une sublime conscience de l'Etre, source d'une connaissance d'ordre secondaire, ou de son propore être. La première version concerne les initiés normaux, ceux qui ont parcouru les étapes mystiques normales et la seconde, les attirés, autrement dit les aliénés élus par Dieu et qui transcendent spontanément, sans effort personnel ni souffrance, ni peine. Abou Tâlib el Mekki donne, dans son célèbre ouvrage 'Qoût et Qoloûb' (Nutrition des cœurs) – qui est le code des Soufis – une troisième version, plus explicite, à savoir : si tu te connais toi-même et tes propres qualifications devant marquer tes relations avec tes semblables, rebutant ainsi toute opposition et toute critique à ton encontre, tu seras amené à mieux connaître Dieu et Ses Attributs et à observer le rigoureux devoir de bien agréer Son destin et de te comporter envers Lui, de la même manière que tu désires voir les gens se comporter envers toi.

Ces trois versions se complètent et convergent vers le but recherché ; dans la synthèse de toutes ces recensions, Es-Souyouti corroboré par Nawawi dans ses Fatawi – fait remarquer que ce Hadith n'est pas authentique. C'est un adage attribué par Ez-Zarkachi et Sam'âni à Yahia Ibn Mo'âd Er-Razi. L'Ethique « policée » fait ainsi l'objet d'une multitude de définitions. Les uns comme Ibn Atâa Illah y voient l'obligation de s'astreindre à ce qui est bon, optant constamment pour le mieux dans son cheminement vers Dieu. Dans ses états à la fois statiques et énergétiques, l'initié réalise alors l'optimum. Pour d'autres, il s'agit de s'ingénier à policer ses agissements, en s'adaptant exotériquement à la Charia et ésotériquement à la Haqiqa (Réalité), recevant révérentiellement et de bon cœur tout ce qui vient de Dieu, comme le meilleur des biens à réaliser ; les maux eux-mêmes sont considérés comme des bienfaits, étant infimes par rapport à d'autres plus graves et constituant des primes anticipées pour le croyant. C'est dans cette vision du bien-être dans les malchances, du bonheur dans le malheur où réside le summum des accommodations éthiques. Le grand gnostique abderrahmane Ben Mohammed Al-Fassi rapporte[2] le point de vue avancé, à propos du verset coranique : « Il (Dieu) vous a dotés de

2) Dans ses Annotations sur le Commentaire explicatif du Traité dogmatique d'es-Sanoussi.

Comportement Sounnite du Croyant

Par
Abdelaziz Ben-Abdellah
membre de l'Académie du Royaume du Maroc et des Académies arabes

Cet exposé a pour objet l'analyse de la nature de l'Ethique chez le moumin et l'esquisse d'un compendium des vertus qui caractérisent le comportement idéal d'un initié et la transcendance devant aboutir à la sublimation de l'acte cultuel et de l'actuation psycho-spirituelle de la transconscience.

Les grands maîtres de la gnose considèrent l'Ethique comme une assise foncière de la morale[1], d'autant plus qu'elle constitue une sorte de « politesse comportementielle » préalable qui prime toute qualification moralisante et toute fluctuation agissante, marquant les options les plus subtiles du moumin. C'est l'aspect sublime dans la voie de Dieu qui synthétise l'idéal dans sa forme la plus parfaite et syncrétise le processus transcendantal de l'initié, à travers les états et les étapes dont il est le support et le substrat.

L'observance stricte de cette « politesse » éthique est un couronnement plénier de la transcendance. Toute déviation dans ce cheminement, est un biais impardonnable quel que imperceptible soit-il ! La moindre incartade et l'infime anicroche aboutissent à une rupture d'équilibre, c'est-à-dire à un transbordement sinon une véritable déchirure. En effet, à chaque état ou stade son éthique. Cet ensemble d'actes ou de gestes raffinés, de règles et usages polis sont le propre d'un homme parfait ; en être dépourvu constitue une des privations les plus irrémissibles. Ce raffinement consiste, en une double éducation, à la fois exotérique et ésotérique. Seul un gnostique policé dans ses agissements extérieurs et introspectifs, est digne d'une perfectibilité éthique.

Ce code de convenances morales s'élabore en quatre séquences :

1) celle axée sur la charia, c'est-à-dire un raffinement d'ordre supérieur marqué par la Providence et divinement inspiré. C'est cette Morale transcendante que Dieu a bien inculquée au Prophète et que celui-ci nous a transmise.

2) acte de serviabilité ou service religieux consistant en une célébration adéquate de l'office divin ou servilité révérentielle vis-à-vis du Souverain Suprême. La législation divine, en l'occurrence, élabore une approche vers le Créateur, sorte de mouvement transcendant vers Dieu. Cette séquence est exclusivement divine, tandis que la séquence antérieure, celle

1) Se référer à cette dualité dans le Hadith.

فهرس

تهنئة 1

تلك عاجل بشرى المومن

دعوة الحق 9

الرسالة الملكية السامية إلى الحجاج المغاربة الميامين 16

مقتطفات وافية من الرسالة الملكية في الإعلام السعودي 21

أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني يترأس حفل تدشين مسجد للا سكينة 22

أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني يوجه رسالة سامية إلى ندوة المجلس المسكوني الكنائسي بالدار البيضاء 28

أمير المومنين الحسن الثاني وخادم الحرمين الشريفين يشرفان على تدشين معرض الحرمين الشريفين تنويها بمتانة العلاقات المغربية السعودية 31

ملف كامل عن أجواء مؤتمر القمة العربي الطارئ الذي انعقد بمدينة الدار البيضاء 35

هذا المؤتمر 37

خطاب جلالة الملك في الجلسة الافتتاحية 40

كلمة جلالة الملك قبل رفع الجلسة الختامية 44

نص الكلمة الملكية السامية 45

البيان الختامي الصادر عن مؤتمر القمة 49

الندوة الصحفية لجلالة الملك بالقصر الملكي العامر 55

رسائل تأييد من رؤساء الدول العظمى لجلالة الملك

رسالة الرئيس الأمريكي جورج بوش 69

رسالة الرئيس السوفياتي ميخائيل غورباتشوف 71

برقية إلى جلالة الملك الحسن الثاني من الأمين العام للأمم المتحدة السيد بيريز ديكويار 73

رسالة إلى جلالة الملك من قداسة البابا 75

رسالة من الرئيس الفرنسي فرانسو ميتران 76

الحزب الاجتماعي المسيحي البلجيكي يهنئ جلالة الملك 78

روبرتاج مصور عن الجلسة الافتتاحية لأشغال القمة الاستثنائية بالدار البيضاء 79

لقاءات المصالحات، ودعم وحدة الصف العربي 83

مؤتمرات القمة العربية السابقة 88

نبذة عن حياة صاحب الجلالة الملك المعظم 90

دراسة جلالة الملك الحسن الثاني وشبابه

للأستاذ محمد القاسي 92

المحجة الحسنية

للأستاذ أحمد مجيد بن جلون 95

الشباب في عصر الخلافة

للدكتور إبراهيم حركات 98

حضور التراث في الخطاب السياسي لدى ملوك المغرب : جلالة الملك الحسن كمثل متميز

للدكتور عبد الهادي التازي 111

اهتمامات أمير الشعراء أحمد شوقي بالشباب وتربيته

للدكتور محمد عبد الغني حسن 121

العرش المغربي ضد الأدعياء والمتمهدين عبر العصور

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله 127

طلحة ابن البراء مثل أعلى للشباب في حب الرسول والبرور بالوالدين

للدكتور عبد المنعم قنديل 132

جلالة الملك الحسن الثاني بين الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر

للدكتور إدريس العلوي العبدلاوي 134

صور من ماضي الحماية...

للدكتور عبد الله العمراني 142

في ظلال العهد الحسني : مواعد ولقاآت مع التاريخ

للأستاذ عبد القادر زمامة 149

الحضور المغاربي في الشعر الحديث ـ شباب متجدد

للأستاذ عبد الجواد السقاط 153

قراءة في كتاب جلالة الملك الحسن الثاني : «التحدي»

للأستاذة نجاة المريني 165

الإسلام والشباب...

للدكتور يوسف الكتاني 176

• الديوان

إلى صاحب الجلالة، نصره الله وأعزه، في عيد ميلاد جلالته : هداياك

للشاعر أحمد عبد السلام البقالي 187

السفينة...

للشاعر محمد الحلوي 189

الدين والدنيا في عيد الشباب

للشاعر المدني الحمراوي 191

شباب الأمة ينطلق من الاتحاد المغاربي إلى البناء العربي المتكامل

للشاعر محمد بن محمد العلمي 195

فذاك برهان عرش تاجه الحسن...

للشاعر عبد الكريم التواتي 200

عيد الإشراق...

للشاعر عبد الواحد أخريف 204

لمن غنا وطني عرسا وبستانا...

للشاعر العرائشي عفيف محمد 207

من وحي القمتين..

للشاعر محمد نجيب 210

وقاية الله أغنت عن مسلحة

للشاعر الشيخ الحاج بن عباس صل التجاني 213

بمناسبة عيد الشباب : القلب المومن

للشاعر شهاب جنبكلي 215

شبابنا على طريق الجهاد الأكبر...

للأستاذ عبد الله الكديرة 220

حول حيرة الشباب...

للأستاذ محمد الإدريسي 230

الأصالة الإسلامية في الفكر الحسني

للأستاذ محمد العلمي 234

الشباب في القرآن والحديث والحكم والأمثال والوصايا

للأستاذ عبد القادر القادري 245

القائد محمد علي بن طوجة الرباطي في عهد الحسن الأول، وعضو البعثة العلمية الثانية لإيطاليا عام 1887

للأستاذ أحمد معنينو 253

ولاؤنا لملكنا، أحسن هديتنا للرائد الحسن في ذكراه الستين

للأستاذ عثمان بن خضراء 258

من وحي أعياد الشباب المجيدة ـ إشكاليات الشباب وإيديولوجيات الفكر المعاصر

للأستاذ علال البوزيدي 263

من صور انحراف الشباب

للأستاذ محمد بخات 272

«انبعاث أمة» ـ معلمة وثائقية وموسوعة تاريخية

للأستاذ المبارك الريسوني 276

الوثائق :

ثروة فكرية نفيسة، وكنز لا ينضب معينه

تأليف الأستاذ عبد الوهاب بنمصنور

عرض وتقديم الأستاذ م. ر 280

حول مقال الأستاذ ابن تاويت في «المعركة الكبرى»

تعقيب للأستاذ علي الصقلي 284

مقال للدكتور محمد بنشقرون 292

مقال للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله 298

الفهرس 299





شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية

أسسها
جلالة المغفور له
محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة
1376 هـ — 1957 م



التحرير:
الهاتف: 623.60

الإدارة و التوزيع: 636.93 - 627.03 - 627.04 - 608.10

*

الاشتراكات: في المملكة المغربية: 70 درهماً
في العالم: 80 درهماً

الحساب البريدي: رقم 55-485. الرباط
Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3



ألفُ نجمٍ! ألفُ شمسٍ!

أَلفُ نجمٍ أَلفُ شَمْسٍ بَدَلَ السِّتِّينَ شَمْعَةْ
اشْعِلُوهَا واذْرِفوا في غَمْرَةِ الأَفراحِ دَمْعَةْ
وامْلأوا نُوراً وشِعْراً نَظَرَ الكَوْنِ وسَمْعَهْ

* * *

سنةٌ مِن عُمْرِكَ الغَالِي بِعَشْرٍ أو تَزِيدْ
كلُّ يومٍ فرحةٌ كبْرى وعِيدٌ بَعْدَ عِيدْ
ذكَّرَتْنا بِصَفَا أيّامِ هارونَ الرّشِيدْ

* * *

أصبح المغربُ لِلْعالَمِ نِبْراساً وقُدْوَةْ
كلُّه يهفو لِكَيْ يَقْبِسَ مِن نورِكَ جَذْوَةْ
كيف لا، يا وارثَ الإِلْهَامِ من هَدْيِ النُّبُوَّةْ؟!

* * *

لم تَزَلْ مُنفرِداً تَدعو بِلَيْلٍ ونهارْ
أُمَّةَ العُرْبِ إلى أن نَهَجَتْ نَهْجَ الحِوارْ
فاعْتَرَى أعداءَها مِن هَجْمَةِ السِّلْمِ دُوارْ

* * *

فهنيئاً لكَ يا شَعْبَ بِلادي بالحَسَنْ
وابْتَهِلْ لِلَّهِ أن يحفظَهُ طولَ الزَّمَنْ
فَبِهِ اللهُ عَلَيْنا وعلى الإسْلامِ مَنّْ

أحمد عبد السلام البقالي

